جمهورية السودان

جامعة أم درمان الإسلامية

كلية الدراسات العليا

كلية اللغة العربية

قسم الدراسات الأدبية والنقدية

أساليب المعاني في تفسير أبي السعود
دراسة بلاغية تحليلية

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في البلاغة والنقد

إعداد الباحث

نور الدين محمد باشا

إشراف

الأستاذ الدكتور/ محمد الحسن علي الأمين

ربيع الثانى 1433هـ الموافق مارس 2012

نوقشت هذه الرسالة صباح يوم الثلاثاء 13 من ربيع الثانى 1433هـ الموافق 6 مارس 2012، في جلسة علنية بقاعة المناقشات العلمية بكلية الدراسات العليا بجامعة أم درمان الإسلامية ، واستمرت المناقشة من الساعة العاشرة صباحا حتى الواحدة بعد الظهر.

ونال الباحث درجة الدكتوراه في البلاغة والنقد بتقدير ممتاز، وتكونت لجنة المناقشة والحكم على الرسالة من أصحاب السعادة :

- الأستاذ الدكتور/ محمد الحسن علي الأمين مشرفا ورئيسا
- فضيلة الدكتور/ حبيب الله علي إبراهيم مناقشا داخليا
- فضيلة الدكتور/ عوض السيد موسي مناقشا خارجيا

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـة :

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما، والصلاة والسلام علي سيدنا محمد رسول الله خاتم النبيين وعلى آله وصحبه، و المهديين بهداهم إلى يوم الدين.

هذا، فقد اقتضت حكمة الله البالغة بأن يكون القرآن المجيد كتابا خاتما و مصدقا لما بين يديه، و معجزة خالدة لرسول الله خاتم النبيين، وأن يظلّ غضا طريا أبدا كما أُنزل، في أسلوب فريد في فصاحته و قوة بيانه، وحيد في بديع نظمه وسلامة ألفاظه، فائق في عبقرية التعبير وروعة التصوير، كلام ليس كمثله كلام، وأسلوب ليس كمثله أسلوب **{مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}**[(1)]، تحدي الله به العرب أوّلاً، بما لهم من قوّة الفصاحة واللسن، وبما أُوْتوُا من الثقافة الأدبية والجدل، ثم تخطاهم التحدي إلى الجنّ والإنس مجتمعين ومتفرقين، فكان العجز المطلق هو الرّدَّ المتاحَ كلَّ حين ، واستمرَّ التحدى قائمًا مستمرًّا أبد الدهر، ومن كابر منهم كابر على جهالة جهلاء أو صلافة رعناء ، وهكذا رسخت قضيّةُ الإعجاز القرآني على المدى ، في محاسن نظمه البارعة ، وفصاحة أسلوبه الفائقة ، وبلاغة معانيه الرائقة.

عالج السّابقون قضية الإعجاز القرآنيّ على أنّه أمرٌ باهرٌ قاهر، إزاء إنسانٍ عاجزٍ عن مضاهاته في ألفاظه أو مجاراته في معانيه، أو في نظمه وعباراته، وهو منهج ينبغي تأصيله والتقعيد له، وفق منهج واضح المعالم في دراسة الإعجاز البياني

[1]- يوسف : 111

للقرآن الكريم، دراسة محيطة بكافة الحقائق الموضوعية ، ذلك لأن المدارس التحليلية والمناهج التطبيقية المعاصرة في دراسة اللغة وتحليل عناصرها وتحديد دلالاتها ، لن يشفي غليلها بحقيقة الإعجاز عجزُ فطاحل العرب إنسهم وجنهم عن أنْ يأتُوا بمثله ، دون نَصْب الشّواهد والدلائل الدالة عليه ، بالدَرس والتحليل الجادّ ، ممَّا يجعل الوقوف على الحقائق العلميّة والمكوّنات اللّغوية والأسلوبية التي تقف شاهدا على القضية حتما لازما ، في طرفَيْ الحقائق البيّنة وعبقرية نظمها، وفق منهج تحليلي واضح ، وقديما نبّه العلامة أبو سليمان الخطابي(319– 388 هـ) في رسالته الشهيرة :(بيان إعجاز القرآن)، إلى هذه الحقيقة عندما قال:(وزعم آخرون أنّ إعجازه من جهة البلاغة وهم الأكثرون من أهل النظر، وفي كيفيّتها يعرض لهم الإشكال ، ويصعب عليهم منه الانفصال، ووجدت عامة أهل هذه المقالة قد جرَوْا في تسليم هذه الصفة للقرآن على نوع من التقليد وضرب من غلبة الظنّ دون التحقيق له وإحاطة العلم به ، ولذلك صاروا إذا سئلوا عن تحديد هذه البلاغة التي اختص بها القرآن، الفائقة في وصفها سائر البلاغات، وعن المعنى الذي يتميز به عن سائر أنواع الكلام الموصوف بالبلاغة ، قالوا: إنه لا يمكننا تصويره ولا تحديده بأمر ظاهر .. وإنّما يعرفه العالمون به عند سماعه ضربا من المعرفة لا يمكن تحديده .. وقالوا: قد يخفى سببه عند البحث ويظهر أثره في النفس، حتى لا يلبس على ذوي العمل والمعرفة به)، وأضاف الخطابي معلقا: (وهذا لا يقنع في مثل هذا العلم ولا يشفي من داء الجهل به، وإنما هو إشكال أحيل إلى إبهام([1])

وكان رأي أبي يعقوب السكاكي (626هـ) في القرن السابع ، شبيها برأي المعاصرين للخطابي في القرن الرابع الهجري، و مفاده: أن الكشف عن وجوه الإعجاز

[1] - بيان إعجاز القرآن، لأبي سليمان الحطابي ، صـ21-22، مطبوعة ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن

أمر عسير، لا يمكن تحليله وتوصيفه من الناحية اللغوية والبلاغية، بل مرده إلى معرفة نفسية بالبون الشاسع بين لغة القرآن وأسلوبه وبين سائر الكلام، ومرده ذوق أدبي رفيع متمرس في معرفة الأساليب على علم وبصيرة، أما معالجة مظاهره ودلائله المادية وتحليل عناصره البلاغية فأمر متعذر على الناس،وفي ذلك يقول السكاكي:(واعلم أن شأن الإعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه ، كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها، وكالملائمة، ومدرك الإعجاز عندي هو الذوق ليس إلا)([1])

وإذا كان الموقف مفهوما في القرن الرابع عصر الخطابي، فقد يكون مستغربا في القرن السابع عصر السكاكى – ومنه خصوصا – بعد أن شقّ الإمام عبد القاهر الجرجانى (ت:471هـ) الطريق ومهّده تمهيدا، بكتابيه الجليلين"دلائل الإعجاز"، و"أسرار البلاغة"، وتلقاهما الزمخشري(ت: 538هـ) بالتطبيق العملي الشامل في تفسيره اللامع" الكشاف"، فأفاد وأجاد في الكشف عن وجوه إعجاز القرآن وبلاغته العالية التي امتاز بها.

أهمية الموضوع : يعتبر أبو السعود واحدا من أبرز المفسرين الذين وجّهوا عنايتهم لكشف أسرار البلاغة ووجوه الإعجاز القرآني، وبيان مزاياه بالتحليل والتعليل، وفقا لمقتضيات علوم اللغة والبلاغة منها بخاصة ، سالكا درب الإمام عبد القاهر الجرجانى ومنتميا لمدرسته العريقة في كتابيه "دلائل الإعجاز", "وأسرار البلاغة "

و الزمخشري في "الكشاف" و البيضاوي في تفسيره:" أنوار التنزيل".

اجتهد أبو السعود في الاقتفاء بخطى الأولين ، ناقلا ومعلقا ومفسرا ومجددا، فقد أضاف إليهم من بنات أفكاره واجتهاداته ما يشهد له بنزاهته وبعلو كعبه ، الذي يتبوّأ به مكانا رفيعا في ساحة الدراسات البيانية حول القرآن الكريم .

---

[1] - مفتاح العلوم، لأبي يعقوب السكاكي، صـ512-513، ضبطه نعيم زرزور، ط1،1403هـ-1983، دار الكتب العلمية -بيروت

من هنا تأتي أهمية دراسة أساليب المعاني في تفسير أبي السعود المسمى: (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)، للوقوف جهده وقيمته في الدراسات القرآنية البيانية، عسى أن يكتب الله له حظا في المساهمة بجواب علمي وعملي يشارك به في إزالة الإشكال، الذي أقض مضجع عالم جهبذ في قامة أبي سليمان الخطابي أحد المنارات العلمية العالية في القرن الرابع الهجري.

سبب اختيار هذا الموضوع

تتمثل الأسباب الداعية إلى اختيار هذا الموضوع فيما يلي:

أولا: كان موضوع البحث الذي تقدمت به لنيل درجة الماجستير في البلاغة العربية واحدا من موضوعات علم المعاني، تحت عنوان:(الفروق الاستعمالية والدلالية بين طرق القصر الاصطلاحية)، فأحببت أن أواصل البحث في هذا الحقل والتخصص فيه

ثانيا : أهمية علم المعاني في تفسير القرآن العظيم، وفي الوقوف على دلائل إعجازه، ومزايا نظمه الذي صار بها كتابا معجزا حقا مدى الدهر، من خلال دراسة كتاب هو من أوسع الكتب التي تناولت هذا الجانب، إبرازا لنفائسه وتقديمها بين يدي الدارسين والمهتمين بهذا الحقل من الدراسات، ولكي يتزود منها الباحث بخير زاد.

ثالثا : يعد علم المعاني مفتاحا مُهما لفهم اللغة العربية وأساليبها البليغة ومعانيها الدقيقة، فهما صحيحا، يكون أقرب إلى التدقيق والتحقيق لمراد المتكلمين، فوددت أن أزداد تعلما ومدارسة لهذا العلم، لأكون جنديا من جنود اللغة العربية وحملة لوائها.

أهداف الدراسة : تتجلي أهداف هذه الدراسة فيما يلي :

أولا : التعرف على الدلائل العلمية و التطبيقية لوجوه إعجاز القرآن الكريم التي قام بكشف اللثام عنها تفسير أبو السعود ، حتي صار من أشهر الكتب في هذا الشأن.

ثانيا : القيام بجهد في دراسة علم المعاني في مختلف مسائله وموضوعاته ومعالجة قضاياه بصحبة عالم مشهود له برسوخ القدم في بابه، جمع الله فيه ما تفرّق في غير من علوم اللغة والأدب، وعلوم الشريعة و الفقه في الدين، هو شيخ الإسلام أبو السعود محمد بن محمد العمادي الحنفي.

ثالثا : متابعة حركة النمو والتقدم الذي وصلت إليه الدراسة العلمية والتحليلية لأساليب علم المعاني في القرن العاشر خاصة خارج البيئات العربية التقليدية، المتّهمة دوما بفساد الذوق العربي بل وإفساده، في جوانبه الأدبية والتحليلية، بعد الجهود الضافية التي قام بها السابقون الأولون من أمثال: الجرجاني، و الزمخشري، والبيضاوي.

رابعا : إبراز الجهود التي بذلها شيخ الإسلام أبو السعود في تفسيره ، لبيان دلائل الإعجاز من خلال أساليب علم المعاني، والتي قد تخفي على كثير من الدارسين، الذين لا يكادون يذكرون مفسرا عُني بالجوانب البلاغية للقرآن العظيم سوى الزمخشري و البيضاوي.

خطة البحث

يتألف هذا البحث من : مقدمة ، وتمهيد ، وسبعة فصول ، وخاتمة ، وعدد من الفهارس :

المقدمة: وتشتمل على :

1 . بيان الموضوع وأهميته

2 . سبب اختيارهذا الموضوع

3- أهداف البحث

4. خطة البحث

تمهيد : أبو السعود : حياته وآثاره

1- مولده واسمه

2- شيوخه وتلاميذه

3- حياته العلمية والعملية

4- آثاره و مؤلفاته

5- ثناء العلماء عليه

6- تفسيره : منهجه ومصادره.

7 – الدراسات السابقة

الفصل الأول : أساليب علم المعانى والإعجاز القرآني

ويحتوى على أربعة مباحث:

المبحث الأول : أساليب علم المعانى ومجال عملها

المبحث الثانى : أساليب علم المعانى ومناهج عرضها

المبحث الثالث : الإسناد الخبري

المبحث الرابع : قضيّة الإعجاز القرآني : النشأة والتطور

الفصل الثاني : قضايا الخبر في تفسير أبي السعود

وفيه ستة مباحث :

المبحث الأول: المفردات وأدوات الربط، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أدوات الربط في النظم القرآني

المطلب الثاني: المفردات في النظم القرآني

المبحث الثاني : أغراض الخبر.

المبحث الثالث : أضرب الخبر.

المبحث الرابع : خروج الخبر عن مقتضي الظاهر، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: وقوع الخبر موقع الإنشاء وعكسه.

المطلب الثانى: وقوع الظاهر موقع الضمير

المطلب الثالث: التناوب بين الصيغ

أولا : إيثار المضارع على الماضي

ثانيا : إيثار الماضي على المضارع

ثالثا : الجمع بين الماضي والمضارع

رابعا: استخدام الاسم مكان الفعل

المبحث الخامس: الإسناد المجازى (المجاز العقلي)

المبحث السادس: الالتفات في الأسلوب

الفصل الثالث : مسائل الإنشاء في تفسير أبي السعود

المبحث الأول : الأمر.

المبحث الثاني : النهي.

المبحث الثالث : الاستفهام بالهمزة وهل.

الفصل الرابع : التقديم والتأخير في تفسير أبي السعود

المبحث الأول : تقديم المسند إليه.

المبحث الثاني : تقديم المسند.

المبحث الثالث : تقديم متعلقات الفعل.

الفصل الخامس : أساليب القصر في تفسير أبي السعود

المبحث الأول : القصر بالنفي والاستثناء

المبحث الثاني : القصر بإنما

المبحث الثالث : تعريف الطرفين وضمير الفصل

الفصل السادس : الفصل والوصل في تفسير أبي السعود

المبحث الأول : مواقع الفصل :

1 – كمال الاتصال.

2 – كمال الانفصال.

3 – شبه كمال الاتصال.

المبحث الثاني : مواقع الوصل.

1 – اتفاق الجملتين خبرا وإنشاء.

2 – الوصل لوقاية المعنى من الفساد.

الفصل السابع: الإيجاز والإطناب في تفسير أبي السعود

المبحث الأول : الإيجاز ، وفيه مطلبان:

المطلب الأوّل : صور من إيجاز القصر

المطلب الثانى : صور من إيجاز الحذف

المبحث الثاني : الإطناب ومواقعه في تفسير أبي السعود

الفصل الثامن : أبو السعود بين التأثر والاتباع وبين التجديد والأصالة

المبحث الأول : التأثر و الاتباع ، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التأثر بالزمخشري في باب الإسناد الخبري

المطلب الثانى: التأثر بالزمخشري في أسلوب القصر(إنما)

المطلب الثالث: التاثر بالزمخشري في مسائل الإنشاء

المبحث الثاني : التجديد والأصالة وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : تعقيبات أبي السعود على الزمخشري

المطلب الثانى: مقارنات بين التعبير القرآني وبين غيره

المطلب الثالث : التلوين والتناسب ، وفيه مسئلتان:

المسألة الأولى: تلوين الأسلوب

المسالة الثانية: التناسب والتلاؤم

المبحث الثالث : القيمة البلاغية لأساليب المعاني في تفسير أبي السعود

أولا: وفرة المادة العلمية

ثانيا: كثرة المباحث البلاغية وتنوعها.

ثالثا: الالتزام بالمصطلحات البلاغية المستقرة.

رابعا: الإحاطة والاستيعاب للمسائل الواردة في الآية

خامسا: الأسلوب السهل الممتنع

سادسا: التقيد بالموضوع وعدم الاستطراد

الخاتمة :

و تحتوي على أهم النتائج التي انتهى إليها البحث والتوصيات التي يخلص إليها، ويجدر بالباحثين الذين ارتضوا هذا الحقل ميدانا لتخصصاتهم وأبحاثهم أن يحيطوا بها علما، عسي أن تكون لهم زادا على الطريق الطويل، طريق المعرفة المستمرة والبحث العلمي الرصين.

الفهارس :

فهرس الأحاديث الشريفة

فهرس الابيات الشعرية

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

مستخلص البحث

كان مدار هذا البحث في فلك الدراسات البيانية والنقدية في القرآن الكريم، التى ينشد الباحثون فيها نصب الحجةِ والبرهان بالتحليل والبيان، على الإعجاز البلاغي للقرآن العظيم، الذي أقعد الإنس والجن عن أن يأتوا بسورة من مثله، مجتمعين و متفرقين.

فكان اصطفاء تفسير أبي السعود، محمد بن مصطفي العمادى الحنفي:(898-982 هـ/1493-1574م) ، أحد المقامات العلميّة الرفيعة في زمانه، ومن أظهر المفسّرين في القرن العاشر الهجرى الذين وجهوا عنايتهم نحو الدراسات البلاغية في علم التفسير عنايةً فائقة، و جاء البحث بعنوان:" **أساليب علم المعانى في تفسير أبي السعود : دراسة تحليلية بلاغية**".

ولد أبو السعود ونشأ وعاش في بيئة أعجميّة الدم و اللسان، وكثيرا ما وجهت أصابع الاتهام ضد البيئات الإسلامية غير العربية بالّتسبب في انحراف اللسان وفساد الذوق اللغوىّ والأدبي، كما أنّه ظهر للناس في عصر هو من أشد العصور الإسلامية والعربية جمودا وتخلّفاً في العلوم العقلية ، ومع ذلك :

- سطع نجمُ أبي السعود عالماً ذائع الصيت، تقيا ورعا فيما ولي من أمر الناس ، ومؤلّفا واسع الاطلاع، يقتدى بالسابقين الأولين ويقتبس من نورهم، بقدر ما اجتهد وجدّد لمصلحة اللاحقين والمتأخرين.
- ظهر أبو السعود كنزا زاخرا بالعلم والمعرفة، ما بين علوم اللغة وفنون الأدب وما بين علوم الشريعة والتفسير وأحكام القضاء والإفتاء، ودواوين الحكم والإدارة ، متقنا لّلغات الحيّة في عصره، فقد كان عالما بالعربية والتركية والفارسية، قارئا

ومتحدّثا وكاتبا بها جميعا، رغم ظروف البيئة الأعجمية التركية، والعصر المتصف بالتخلّف والجمود.

- تجلى أبو السّعود عالما موضوعيا ممسكا بخيوط كلامه فلا يستطرد بعيدا، ولا يمزج علم التفسير بما ليس منه، ويعرض المسائل بأسلوب رصين بارع، و بلغة سلسلة فخمة، تكاد تشكّل لوحةً أدبيةً بديعة، يفرشها الرجل بألوانٍ زاهية وخيوط من أساليب السّهل الممتنع.
- وجد الباحثُ الشيخ أبا السعود إزاء النظم القرآني المجيد مُعجَباً مبهورا ، متفكّراً في ألفاظه وجمله، متدبّرا في آياته وسوره، متأمّلا في حسنها وجمالها، وفي دقة اختيارها واستقرارها في مواقعها، وفي قوّة دلالتها على المعاني، القريبة منها والبعيدة مما لا طاقة لأحد به، يُفسّر و ُيحلّل ، يوضّح و يعلّل ، فجاء كتابه هذا كنزا زاخرا بالتطبيقات البلاغية المتقدمة، يمكن معها القول إنها الأوسع و الأشمل حتى حدود عصره، وهو تفوّقُ علميٌّ يسجل له بكل فخار، ويدوّنُ له على خارطة الدراسات البيانية حول القرآن الكريم.
- ومثل ذلك يقال، في كثرة العناوين البلاغية والمسائل المتنوعة التي أثارها، سواء تعلق الأمر باستخدام الأدوات وبيان الفروق الدقيقة الكامنة فيها، أو توظيف أحرف الكلمة والألفاظ و التراكيب وأنواع الجملة، للوفاء بالمعنى بكل دقة ووفاء، كما اتضح في الفصل الثاني من هذا البحث .
- استخدم أبو السعود – رحمه الله– مصطلح "التهويل والتفخيم " لمعنيين متقابلين في مقامين متباينين، وهما : معنى الشّرّ ومقام العذاب، ومعنى الخير ومقام الثواب، إذا ما أريد تعظيم أمرهما، تكرّر ذلك كثيرا في بعض معاني الاستفهام، و في تنكير الاسم، وربما كان الأولى التفريق بين ما هو تهويل و تفظيع

للمعنى، وبين ما هو تفخيم وتعظيم له، ليدلّ الأوّل على الشّرّ والمحنة وسوء العقاب، والثاني على الخير والمنحة وحسن الثّواب .

- وفيما يتعلق بالتقديم والتأخير ، اكتفي الشيخ أبو السعود – إلا فيما ندر– بالكشف عن دلالته على معنى القصر والحصر في مواقع غير قليلة ، وبالقول بحكمة الاهتمام بالمقدم والتشويق بالمؤخر في مواطن كثيرة، وأنّ النفس دائما تهتمّ بالمقدّم وتتشوّق إلى المؤخر، وهو سرّ الأسرار عنده في التقديم والتأخير، خاصة في متعلقات الفعل، وهي نكتة رأي الإمام عبد القاهر الجرجانى، أنّها لا تكفي غليلا ولا تشفي مريضا، حتى يتبين من أين كانت تلك العناية ؟، وبم كان أهمّ ؟ ، وقد بذل الباحث جهدا –مَبْلغَ علمه – في كشف وجه العناية وسبيل الاهتمام .
- اعتنى أبو السعود ببيان سرّ التقديم والتأخير بين كثير من المعاني المتعاطفة في السياق ، ممّا رأي – من الناحية العقلية المجردة – أنّه يصحّ أن يتقدّم المتأخّر أو يتأخر المتقدّم، مثل : تقديم ذكر الإثم على المنفعة ، وتقديم ذكر المفسد على المصلح ، وتقديم ذكر السِّنَة على النوم ، وتقديم ذكر الليل على النهار ، والسّر على الجهر ، وتقديم ذكر الأموال على الأولاد..الخ، وكشف فيها عن معانٍ بديعة وأسرار بالغة الدّقّة، عظيمة المتعة والمنفعة، وقد كان ذلك في الفصل الرابع من هذا البحث
- يسجل للشيخ أبي السعود –رحمه الله تعالي – في هذا المقام، تنبيهه إلى أنّ السّر البلاغيّ في باب التقديم والتأخير، قد يكون مردُّه تقديم المقدّم، كما قد يكون السّرُّ كامناً في تأخير المؤخّر، وفقا لزاوية النظر وجهة التّأمّل، مثال ذلك التأخير

الذي تكون علته مراعاة توافق الفواصل وحسن تناغمها، فالسر كامن أساسا هنا في تأخير المؤخر كي يتوافق مع غيره في سياق الآيات وفواصلها.

- تفاوتت أساليب علم المعاني في حظوظها من عناية الشيخ أبي السعود وتحليلاته، ففي الوقت الذي بالغ في بيان مواقع الاستئناف البيانيّ، والجمل الخبرية الواقعة تعليلا لجمل إنشائية أو منفيّة في باب الفصل والوصل، وفي بيان وجه التّراخي في العطف بثمّ، نجده يمرّ كريما على غيرهما من مواضع الفصل والوصل ، و كذا أحرف العطف الأخرى.
- يسمى أبو السعود كلمة" الاعتراض بالتذييل" على الجملة الواقعة إطنابا بالتذييل في نهاية الآيات القرآنية، وكلمةُ اعتراض ذاتُها، لا تدلّ على وقوع الكلمة أو الجملة في نهاية القول، بل على وقوعها وسطا معترضةً وفاصلةً بين متلازمين، كالمبتدأ والخبر والصفة والموصوف، والصلة والموصول.
- لقد تميز أبو السعود بالتطبيقات البلاغية الواسعة النطاق لأساليب علم المعاني، فهو عندما يتناول الآية يقوم بجهد استقصائي للأسرار والنكت البلاغية البارزة في النص في ألفاظه وجمله، ممّا أنتج لنا عن مسائل بيانية عديدة ومتنوعة المصادر والعناوين ، و كان من الكثرة والغزارة والتّنوّع، على نحو يسمح أن يستقلّ كلُّ باب من أبواب علم المعاني ببحث بلاغي رصين، يحْصِي ويسْتقصِي فيه الباحث كافةَ جوانب الموضوع، مقارنا بين ما ذكر وما أشار إليه غيره في تلك المواقع ، ليقف على حقيقة تفوق أبي السعود على الزمخشري واليضاوى، في غزارة المادة وتنوعها وعمقها، كما أُشير إلى ذلك في الفصل الأخير من هذا البحث.

- لقد اتضح من خلال هذا البحث، أن شيخ الإسلام واحدٌ من أتباع مدرسة الإمام عبد القاهر البلاغية، وإذا كان الزمخشري قد طار بالشهرة فى اتباع نهج عبد القاهر ، وفاز بلقب الأستاذية في حقل الدراسات البلاغية حول القرآن الكريم، فهو إنما حاز هما بفضل السّبق والأَوَّليِّة، فالفضلُ أبدا للسّابق وإنْ أجاد الّلاحقُ .
- وممّا يدلّ على علوَ كعب أبي السعود في باب الدّراسات البيانيّة حول القرآن العظيم، أنّ كتابه جمع فأوعى ما تفرّق في غيره، وأتى فيه من حرّ أفكاره واجتهاداته ما لم يأت في سواه كمًّا وكيفًا حتى تخوم زمانه، وظلَ من بعده عالةً عليه، مثل الشّوكانى في فتح القدير، والألوسي في روح المعاني، والطّاهر بن عاشور في التحرير والتنوير ، وغيرهم كثير.

ويمكن للباحث تقديم جملة من التوصيات للباحثين والمشتغلين بقضية لإعجاز البيانيّ للقرآن العظيم ، عسى أن تكون لهم نجوما هادية على طريق البحث والتحصيل، وهي :

أولا: سعيا لإنجاز بحوث علمية دقيقة متخصصة في عهد التخصصات الدقيقة فما فوقها، يُوصَي باختيار عناوين فرعية لأساليب علم المعاني في تفسير أبي السعود، بالنظر إلى المادة العلمية الوفيرة في كلّ باب من أبواب علم المعاني، بما يسمح بالغوص في أعماقه وبالمقارنة الجادة بينه وبين غيره.

ثانيا: يُوصى الباحث بتخصيص المعاني المبتكرة، والأسرار البلاغية البديعة التي تعود إلى اجتهادات ذاتية من لدن شيخ الإسلام أبي السعود بدراسات مستقلّة، تتجلّي فيها مدي التّميّز والتّفرّد الذي يمتاز به، وتكشف درجة الاجتهاد والاستقلاليّة التي أظهرها الشيخ في تناوله لمسائل علم المعانى وغيرها، وفي التطبيقات البلاغية على النظم

القرآني العظيم، بما يسمح له –عن جدارة – بتبوّء المكانة المرموقة التي يستحقّها، على خارطة الدراسات البيانيّة حول القرآن الكريم.

ثالثا: تُوفِّر هذه الدراسات التطبيقية مَعينا عذبا من الأمثلة والشواهد البلاغية المشروحة ، المقرونة بالتحليل والتعليل في أساليب المعانى، يمكن أن تكون منهلا للدرس البلاغيّ التعليميّ ، الذي لا يزال يعتمد على الشاهد اليتيم والمثال المفرد ، الذي ينقله اللاحق عن السابق ، ممّا لا يشفي غليل الدارسين المبتدئين ، ولا يشفع لهم في القدرة على تطبيق القواعد على شواهد وأمثلة مشابهة، الأمر الذي يصعّب من يسر علم البلاغة، ويجعل كثيرا من الدارسين ينفرون منه، من أجل هذا ، أسمح لنفسي أن أُوصِي الدّارسين والمدرّسين بالرجوع إلى مثل هذه الدراسات البلاغية التطبيقية للتزوّد منها لتكثير الأمثلة والشواهد المشروحة للمتعلّمين والمبتدئين ، تربيةً لذوقهم اللغوىّ والبلاغيّ ، وارتقاءً بمستوى الفائدة والمتعة الأدبية لديهم.

رابعا: يُوصِي الباحثُ بعدم التسليم بالمقولة السيّارة بأنّ اللّسان العربي والذوق الأدبي قد اعتراها الفساد والضعف في البيئات الإسلامية غير العربية ، وأن تتمّ مراجعةُ هذه المقولة على ضوء جلّة العلماء الأعلام والمجتهدين الأفذاذ في كافة فروع اللغة والأدب ، الذين ظهروا في تلك البيئات المتّهمة ، ليس فقط في عصور القوّة والازدهار، بل وحتى في عصور التّخلف والاندحار، وكان قليلا ما يُقابَلون بنظراء وأنداد لهم في البيئات العربية الخالصة على مدار الزمان، وفي مختلف العلوم والمعارف الإسلامية والعربيّة، ولنا في شيخ الإسلام أبي السعود خير دليل علي ذلك .

تمهيد : أبو السعود حياته وآثاره

898 – 982 هـ الموافق : 1493– 1574م .

1 / اسمه و مولده : هو شيخ الإسلام ومفتي الأنام محَمد بن محَمد بن مصطفي العمادي، فقيه حنفيٌ، مفَسر ماهر، ولغويُ طويل القامة، اشتهر بكنيته أبو السعود العمادي، حتى نسب تفسيره إليها، وأطبق المترجمون له على أن مولده كان عام 898هـ بـ(أيلي)، وهي اسم قرية على مرمى حجر من القسنطينية[1].

وانفرد البدر الطالع بالقول : إن ميلاده كان سنة تسعمائة 900هـ[2]، أي بفارق عامين، ولا يمكن اتخاذ هذا القول المنفرد اختلافا معتدا به في وجه تواتر الروايات في أمر ميلاده زمانا ومكانا.

وكان مولده في بيت علم وفضل، وشهرة ذائعة في القضاء والإفتاء، فأسرة العمادي التي ينحدر منها، هي أسرة رومية الأصل نبغ منها ثلة من القضاة والمفتين الذين تعاقبوا على عرش القضاء في بلاد الروم وحواضر الشام، ففي دمشق توالى على منصب القضاء رجال من العماديين، و منهم انتقل المنصب إلى أسرة المرادي[3].

2 / أبناؤه : رزق الشيخ أبو السعود بثلاثة أبناء، أولهم محمد بن محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، تلقي علوم الشريعة والفقه وتقلد منصب القضاء في حياة والده، قيل عنه: إنه كان متساهلا فيما ينبغي لمنصب القضاء من الرزانة والصيانة وحسن السمت، وبسبب من ذلك عزل عن قضاء دمشق حاضرة الشام وولي قضاء حلب، ولم تقرعينه بها، فلم يلبث بها إلا قليلا.

---

[1] - انظر شذرات الذهب لابن العماد، 440/2، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، نجم الدين الغزي، 55/3

[2] - البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني 261/1، دار المعرفة، بيروت- (دون تاريخ)

[3] - تراجم الأعيان من أنباء الزمان، محمد الحسن البوريني 239/1، ط/ دمشق 1959م

وأوسط أبنائه أحمد بن محمد العمادي، وكان منصرفا للتعليم والتعلم و فيهما أفنى حياته، ونعم ما فعل.

أما مصطفى فهو أصغر أبنائه وأقصرهم باعا في العلم، تقلد القضاء بعسكر الروم محتذيا حذو أبيه، وحظي بحفاوة السلطان وبحسن رعايته، وفاء لمكانة والده العلية لدي السلاطين، لبي نداء الموت وهو قاض في عساكر الروم[1].

3 / أشياخه ومعلموه : لم تفصل كتب التراجم القول عن مراحل نشأته وطفولته الأولى، سوى أنه نشأ وتربي تحت كنف والده محمد بن مصطفي العمادي، وكان عالما تقيا ورعا، وشيخا من المتصوفة، وكان مؤدبا للسلطان ابن يزيد ابن السلطان محمد الفاتح (886هـ). تلقي العلم عن أكابر العلماء في عصره، وأولهم والده محمد بن المصطفي العمادي، قرأ عليه ثلاثة كتب للشريف الجرجاني بتمامها وهي[2]:

1- كتاب حاشية التجريد في الفقه.

2- وشرح المفتاح في البلاغة، قرأه عليه مرتين.

3- وشرح المواقف

ومن شيوخه العلامة قادري جلبي، المشهور بـ: بسعدي جلبي (أفندي)، واسمه : سعد الله بن عيسى بن أمير خان، معدود من أكابر علماء الروم، تفرغ للتدريس ونشر العلم قبل أن يتولي قضاء الأستانة، ثم منصب الإفتاء إلى وفاته(95هـ)، وله:(الفوائد البهية) في الفقه، وحاشية على تفسير البيضاوي[3].

---

[1] - تراجم الأعيان للبوريني، مصدر سابق 240/1

[2] - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة 65/1، ط/1402هـ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي 467/8،

[3] - شذرات الذهب ، مرجع سابق 467/8

لم تسجل لأبي السعود رحلات في طلب العلم خارج أرض قومه، مع أن خير الدين الزركلي ذكر: أنه درس ودرس في مدارس كثيرة، بيد أنه لم يتفضل علينا بذكر أي منها، لا التي تعلم ولا التي علم فيها[1]

4 / تلاميذه : تخرج على يدي شيخ الإسلام جيل من العلماء والقضاة، كان لهم ذكر مرفوع في تعظيم شعائر الله وتطبيق شرائع الإسلام، ويذكر منهم :

أولا : سعد الجلبي، كان تلميذا ملازما لشيخه أبي السعود [2].

ثانيا: الشريف المولى محمد بن حسن، المعروف بالسعودي(ت: 999هـ) قاضي حلب وآمد وغيرهما من البلدان، اختص بصحبته، وروى عنه شعره و تفسيره الحافل بالجواهر واللآلي، أخذه عنه وناوله نسخة منه وأجازه في سائره، ونقله إلى دمشق حين قدومه إليها، وكان أعجوبة في الفهم والذكاء [3].

ثالثا : كمال الدين أحمد، المشهور بطاش كبري زاده، أخذ العلم عن والده فلما ترقي في معارجه لزم شيخ الإسلام أبا السعود فتزود منه بخير زاد وتفقه على يديه، تقلد قضاء العسكر ثم حلب ودمشق، وكان فاضلا كثير المحامد[4]

رابعا: حسن يوسف الرومي الصمداني (ت: 995هـ) ، تلقي العلم عن الشيخ أبى السعود، واشتغل في خدمته ولزوم ظله.

5/ آثاره العلمية :

يمكن تقسيم الآثار التي ينقشها العلماء في وجه الزمان إلى ثلاثة جوانب:

---

[1] - الأعلام لخير الدين الزركلي، 288/7 ط3، (بيانات ناقصة)

[2] - الكواكب السائرة بأعيان المائة العشرة مرجع سابق 35/3، وانظر أيضا: شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي8/ 467

[3] - الكواكب السائرة لنجم الدين الغزي 55/3

[4] - المرجع السابق 55/3

الأول : تأثيرهم في مجرى الأحداث والناس في محياهم، وتأسيهم بهم بعد مماتهم، وقد تحقق ذلك للشيخ أبي السعود باشتغاله في حقل التعليم والتزكية والتهذيب، بجانب كونه قاضيا ومفتيا وشيخا للإسلام، مشاركا بقوة في الشأن العام من خلال المناصب الرفيعة التي تقلدها، مسموع الكلمة لدي سلاطين الدولة العلية، ظافرا بثقة الخاصة والعامة، تأوي إليه أفئدة من الناس فيما شجر بينهم من مسائل الدين والحياة.

و مما يدل على ثقة الحكام به، أن السلطان سليمان القانوني أوصى قبل وفاته (بقشة)، وهي قطعة من القماش تستخدم لحفظ المواد، بأن تجعل معه في قبره، فلما جاء أجله أخبر بذلك شيخ الإسلام أبو السعود، فأمر بأن تعرض عليه قبل وضعها في قبره، فلما فتحها وجد فيها جميع الفتاوى التي أفتى بها أبو السعود للسلطان سليمان القانوني إبان عهده، معتبرا إياها – فيما يبدو – من صالحات أعماله في ميزان حسناته ، فانفجر الشيخ بكاء ونحيبا ، وقال: أراد أن يبرئ ذمته عن السؤال ، ويحيل السؤال إلى من كتبها ، نسأل الله الخلاص[1]

ثانيا : التلاميذ الذين تلقوا العلم عنه وقاموا بنشره، سالكين نهج شيخهم في رفع لواء العلم والدين، وكان له منهم الطبق المعلى، فقد نشأ في كنفه وتلقي العلم في مجالسه عدد كبير من العلماء والقضاة والمفتين، الذين علا شأنهم في الحياة العامة للدولة العثمانية، وقد مر آنفا ذكر أسماء طائفة منهم ، بمن فيهم أبناءه الثلاثة، فقد نالوا حظوظا من العلم والفقه في الدين ، وقد أشار البوريني إلى أن: غالب الذين تعاقبوا على القضاء في دمشق في زمنه كانوا من تلاميذ أبي السعود، وكانوا ينتسبون إليه ويتشرفون بسنته ويرجعون الفضل في المناصب التي نالوها إلى ملازمتهم له[2]

---

[1] - انظر الفتوحات الإسلامية ، زيني دحلان ، 2/ 113، ومنهج أبي السعود في تفسيره، بابكر بلولة ، مرجع سابق ص27

[2] - تراجم الأعيان للبوريني 240/1

ثالثا : الكتب والمصنفات التي تركها العلماء خدمة للعلم وطلابه، مما كتبوا بأيمانهم أو أملوا على طلابهم، من متون الكتب وشروحه ، إذ يرجي من كل أولئك أن يكون مشمولا بقوله تعالي: **(وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآَثَارَهُمْ)**[1].

وبقوله عليه السلام :(إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ، صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له) [2]

والمؤكد أنه لم يتوفر للشيخ أبي السعود سعةٌ من الوقت يتفرّغ فيه للتأليف والتصنيف ، فقد أشغلته شواغل القضاء والإفتاء وإقامة الدروس ، والتنقّل بين الأمصار والديار استجابة لدواعي العمل ومشاغله ، ولم يكن من الهيّن الجمع بينهما على درجة سواء ، في وقت عمّ فيه الجهل وفشت الأمية في أصول الدين قبل فروعه ، فكان من واجب العالم الفقيه وقد تقلّد منصب القضاء والإفتاء ، أن يتفرغ لتعليم العامة والخاصة، وأن يفتي لهم في أبواب العلم صغيرها وكبيرها، وربما كان من اعتقاده أن الاشتغال بأمر المسلمين وإزالة أسباب الشقاق والخلاف بينهم، والإفتاء عليهم فيما أشكل من أمور الدين والدنيا، أكبر نفعا وأكثر زلفى، من الاعتكاف على التأليف والتفرغ للتصنيف، على أهميته في نشر العلم وتزكية المعرفة.

ومع ذلك ، فقد نسب إليه أصحاب التراجم جملة من الكتب والرسائل والحواشي العلمية، وأكثرها ذات صلة بمجال عمله في دواوين القضاء والإفتاء والبحث الفقهي، ومنها على سبيل المثال [3]:

---

[1] - يس :12

[2] - أخرجه البخاري في الأدب المفرد رقم (38)، ومسلم في كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب 255/3

[3] - شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي 467/8 ، وانظر: معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، 301/11، دار إحياء التراث العربي- بيروت

1- تفسير أبي السعود المسمى: (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، و سيأتي الحديث عنه مفصلا .

2- جملة من الحواشي على كتاب تفسير الكشاف للزمخشري، بلغ بها إلى سورة الفتح، وسماها : (معاقد النظر) وورد في كشف الظنون باسم معاقد الطراف ، وكانت تقرأ على الناس عقب دروس التفسير وهي آية بينة على رسوخ قدمه في علوم البلاغة والبيان.

3- حاشية على كتاب العناية، مستهلا إياها من أول كتاب البيع.

4 – تحفة الطلاب في المناظرة.

5 – رسالة في المسح على الخفين.

6 – رسالة في مسائل الوقف.

7 – رسالة في تسجيل الأوقاف.

8- بضاعة القاضي في الصكوك.

9- قصة هاروت وماروت.

10-فتاوى أبي السعود، جمعها المولى محمد ابن أحمد الشهير ببوزن زاده (983هـ) ودونها على أبواب وفصول[1].

وذكر الغزي : أن أحد تلاميذ الشيخ أبي السعود الملازمين له جمع جملة صالحة من فتاويه في كتاب على أبواب الفقه.

---

[1] - كشف الظنون مرجع سابق 1219/2

وكان الرجل مع ذلك أديبا شاعرا، سلسلة ألفاظه عذبة معانيه، ومما نسب إليه من الشعر بيتان، رد بهما على أحد عناصر الشيعة، حينما عرض بأهل السنة بقوله[1]:

نحن أناس قد غدا دأبنا   حب علي بن أبي طالب

يعيبنا الناس على حبه   فلعنة الله على العايب

فرد عليه الشيخ أبو السعود قائلا :

ما عيبكم هذا، ولكنه   بغض الذي لقب بالصادق

وقولكم فيه وفي بنته   فلعنة الله على الكاذب

و ينسب إليه قوله[2]:

أبعد سليمى مطلب ومرام   ودون هواها لوعة وغرام

وفوق حماها ملجأ ومثابة   ودون ذراها موقف ومقام

وهيهات أن تثني إلى غير بابها   عنان المطايا أو يشتد حزام

هي الغاية القصوى فإن فات نيلها   فكل من على الدنيا علي حرام

---

[1] - شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ، 468/8

[2] - الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة ، مرجع سابق، 35/3

ومن روائع شعره[1]:

هذب النفس بالعلوم لترقي ... وترى الكل فهي للكل بيت

إنما النفس كالزجاجة والعلم ... سراج و حكمة الله زيت

فإذا أشرفت فإنك حي ... وإذا أظلمت فإنك ميت

وذكر البوريني أن شيخ الإسلام أنشد قبل موته بنحو ساعة[2]:

ألم تر أن الدهر يوم و ليلة يكران من سبت جديد إلى سبت

فقل لجديد الثوب لا بد من بلى وقل لاجتماع الشمل لا بد من شت

6 / حياته العملية : ذاع صيت الشيخ أبي السعود علما من أعلام الفقه في الدين ، وطارت شهرته قاضيا عادلا ومفتيا ورعا، فقد ولي القضاء في (يرسة)، ثم نقل منها إلى القسطنطينية حاضرة الدولة العلية، ومنها انتقل إلى قضاء العساكر والأجناد في ولاية (روم إيلي) ومكث بها مدة ثمانية أعوام يقضي بين الناس، حوالي سنة (945-952هـ)[3].

والعمل في القضاء ابتلاء وفتنة في نظر كل تقي ورع، يخشى الله ويرجو اليوم الآخر، يقول أبو السعود:(ابتليت بتدبير مصالح العباد برهة في قضاء البلاد، وأخرى في قضاء العساكر والأجناد..)[4].

---

[1] - المرجع السابق

[2] - تراجم الأعيان ، مرجع سابق 239/1

[3] - شذرات الذهب، مرجع سابق 467/8

[4] - تفسير أبي السعود 10/1 ط/1، 1419هـ - 1999م دار الكتب العلمية- بيروت، وهي الطبعة المعتمدة في هذا البحث.

وهو ما يعنى أنه عمل قاضيا مدنيا في أول أمره، ثم قاضيا في المحاكم العسكرية، قبل تقلده منصب الإفتاء بعد وفاة مفتي الديار السلطانية العلامة سعد الله بن عيسى ابن أمير خان، سنة 952هـ، وظل على منصب الإفتاء حتى مماته عام 982هـ، أي أنه تبوأ عرش الإفتاء قرابة ثلاثين عاما.

7 / **مناقب ومآثر:** في شذرات الذهب: أنه كان غير متكلف طعاما ولا شرابا، ويعد من علماء الترك المستعربين، وله ذكر مرفوع في طبقات الفقهاء الراسخين والمفسرين المدققين، والشعراء واللغويين الحاذقين، حاضر الذهن سريع البديهة، متقنا للغات : الفارسية، التركية، والعربية، وأنه كان يكتب الجواب مرارا في يوم واحد، موافقا للغة السائل : شعرا أو نثرا وزنا وقافية في اللغات الثلاث[1].

كان عالي المكانة لدى السلاطين مقربا إلى مجالسهم، حتى أخذ عليه البعض ما أسموه: (الميل الزائد إلى السلاطين ومداهنتهم) [2]، وربما استدلوا على ذلك بما رواه الشوكاني: أن السلطان فرض له مائتين وخمسين درهما كل يوم، بعد أن أهدى إليه كتابه في التفسير[3].

وفي كشف الظنون:(أنه لما بلغ تسويده إلى سورة (ص)، وطال العهد، بيضه في شعبان سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة (973هـ)، وأرسله إلى السلطان سليمان خان، فزاد في وظيفته وتشريفاته أضعافا)[4]

و ليس ذلك بسر، فقد صرح أبو السعود نفسه في المقدمة أنه يعتزم أن يقدم تفسيره هذا بعد أن يبلغ تمامه هدية إلى:(جناب من خصه الله تعالى بخلافة الأرض، واصطفاه

---

[1] - شذرات الذهب مرجع سابق 467/8

[2] - أنظر البدر الطالع 260/1

[3]- البدر الطالع، مرجع سابق 261/1

[4] - كشف الظنون، مرجع سابق 1219/2

لسلطنتها في الطول والعرض، السلطان سليمان خان بن السلطان سليم خان ابن السلطان با يزيد خان)([1]). وقد بالغ الشيخ حقا في خلع نعوت الفخامة على السلطان – وليته لم يسرف – ومع ذلك فلم يسجل عليه ما يخل بدينه أو ينقص من درجات الذين أوتوا العلم، فقد أفاض العلماء في الثناء عليه وعلى دينه وورعه في أقضيته و فتاويه، ولعل حسن التوافق والتشاور بين العلماء والأمراء أمر محمود، وربما كان من امتثال الأمر الكريم: **{وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ}**[2] ، وتحقيقا لمصلحة الأمة في توحيد الصف ووحدة الكلمة وحشد أسباب القوة والمنعة، أما ما يكون بينهما من وجوه المؤانسة واللطف، ومن ألوان المزايا والمكارم، فهو مما جرت به العادة بين فضلاء الناس، مالم يكن سببا للمداهنة في الدين، واشتراء آيات الله بثمن قليل، فإنه وخيم العاقبة مذموم الخاتمة

8 / **ثناء العلماء عليه :**

قال عنه الغزي:(هو أعظم موالي الروم وأفضلهم، لم يكن له نظير في زمانه في العلم والرئاسة والديانة...عالما عاملا وإماما كاملا، شديد التحري في فتاويه...حسن المجاورة وافر الإنصاف، دينا خيرا سالما مما ابتلي به كثير من موالي الروم من أكل المكيفات..[3]

وقال عنه ابن العماد الحنبلي:**(**كان ذا مهابة عظيمة واسع التقدير سائغ التحرير، يلفظ الدرس من كلمة وينثر الجوهر من حكمة، بحرا زاخرا وطودا شامخا**)**[4].

---

[1] - من مقدمة تفسير أبي السعود 9/1
[2] -آل عمران : 159
[3] - الكواكب السائرة مرجع سابق 35/3
[4] - شذرات الذهب 468/8

وقال عنه الذهبي:(سارت أجوبته في جميع العلوم وجميع الآفاق مسير النجوم، وجعلت رشحات أقلامه تميمة نحر لكونها يتيمة بحر، يا له من بحر، وكان من الذين قعدوا من الفضائل والمعارف على سنامها وغاربها، وضربت له نوبة الامتياز في مشارق الأرض ومغاربها، تفرد في ميدان فضله، فلم يجاوره أحد، وانقطع عن القرين والمماثل في كل بلد، وحصل له من المجد والإقبال والشرف والأفضال مالا يمكن شرحه بالمقال...) [1].

وقال عنه الشوكاني في البدر الطالع:(أبو السعود الأفندي الإمام الكبير عالم الروم، برع في جميع الفنون وفاق الأقران...و تفسيره من أجل التفاسير وأحسنها، وأكثرها تحقيقا وتدقيقا، وكان قد تناهت عظمته في الممالك الرومية، وصار المرجع في كل ما يتعلق بالعلم)[2].

وإذا كان تفسير الشيخ أبي السعود قد بلغ تلك المرتبة السنية، ونال تلك المناقب العلية لدى جلة العلماء، فلأنه قد أعد له عدته وجهز له بجهازه من العلوم والفنون الواجبة لمن يتصدي للتفسير أن يغوص في أعماق بحارها، وأكثرها إلحاحا علم البيان والمعاني، اللذين هما عدة المفسر للخوض في دقائقه على حد قول الزمخشري: أن أحدا لا يغوص في دقائق التفسير: (إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن, وهما :علم المعاني والبيان، وتمهل في ارتيادهما آونة، وتعب في التنقير عنهما أزمنة)[3].

9 / وفاته: المدون على ظهر أحد طبعة...للكتاب أن وفاته كانت سنة 951هـ، وهو وهم كبير، من أغرب صنائع أرباب المطابع وتجار الكتب، بدليل أنه تقلد منصب الإفتاء بعده بسنة 952هـ، وهو العام الذي توفي فيه الشيخ سعد الله بن عيسى ابن أمير

---

[1] - شذرات الذهب، مرجع سابق 467/8

[2] - البدر الطالع، مرجع سابق 261/1

[3] - الكشاف للإمام جار الله الزمخشري8/1، منشورات مكتبة البلاغة، قم – إيران(بيانات ناقصة)

خان، المفتي الذي خلفه على عرش الإفتاء، وظل الشيخ أبو السعود على كرسي الإفتاء قرابة ثلاثين سنة، أي أنه عاش واحدا وثلاثين سنة بعد التاريخ المذكور [1].

ووفقا لما أورده معجم المؤلفين، فإن هناك فرقا يبلغ أربع إلى خمس سنوات بين العامين الهجري والميلادي، فبالتقويم الهجري كان ميلاده في 898هـ، ووفاته في 982هـ، فيكون قد آوي إلى الله عن أربع وثمانين سنة، وفي التقويم الميلادي – حسب رضا كحالة– كان ميلاده عام 1493 ووفاته عام 1574م [2] فيكون قد لبى نداء الموت عن 79 عاما.

والذي عليه جماهير أهل العلم أنه سلم روحه إلى بارئها بالقسطنطينية بالأسحار، في الثلث الأخير من ليلة الأحد الخامس من جمادى الأولى 982هـ، عن أربع وثمانين سنة، حافلة بالعلم والعمل، والقضاء والإفتاء، ومعاونة السلاطين في توطيد دعائم الشريعة، وتقدم الصلاة عليه في حرم السلطان محمد الكبير فخر المولى سنان، وشهد جنازته الجم الغفير من أئمة المسلمين وعامتهم، و ووري الثري بمقبرة كان قد أنشأها بجوار قبر الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه [3]. تقبله الله وإيانا في العليين، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

10/ منهجه و مصادره:

كل من ترجم لشيخ الإسلام أبي السعود العمادي نسب إليه كتاب التفسير، وهو كتاب اعتراه التحوير مرتين، مرة بنسبته إلى كنية الرجل واشتهاره بها (تفسير أبي السعود) ، وليس هذا من صنعه، وأخرى باستبدال كلمة (القرآن) التي أطلقها المؤلف على كتابه في

---

[1] - الكواكب السائرة، 36/3 ، شذرات الذهب مرجع سابق 468/8

[2] - معجم المؤلفين، رضا كحالة 11/ 301

[3]- شذرات الذهب، مرجع سابق 468/8، والكزاكب السائرة، مرجع سابق 35/3

مقدمة الكتاب بكلمة (الكتاب) فصار عنوانه الذي اشتهر به:(تفسير أبي السعود، المسمى:(إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) ، بدلا من :(إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)، ومع اعتقادي أن الأمر في استبدال القرآن بالكتاب، لفظي وشكلي ، إلا أن الالتزام بما صنع المؤلف هو أقرب للتقوى ، وأدنى إلى الدقة والأمانة العلمية.

بدأ أبو السعود تصنيف الكتاب بعد أن جاءته نذر الكبر، واستوت عنده معالم الحكمة، ورسخت أقدامه في أرض خصبة، معربا عن ذلك بلسانه وقلمه:(فلما انصرمت عرى الآمال عن الفوز بفراغ البال ، ورأيت أن الفرصة على جناح .. وقد مسني الكبر وتضاءلت القوى و القدر، ودنا الأجل من الحلول، وأشرفت شمس الحياة على الأفول، عزمت على إنشاء ما كنت أنويه وتوجهت إلى إملاء ما ظلت أبتغيه، ناويا أن أسميه عند تمامه بتوفيق من الله وإنعامه:(إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)[1]

ويشير العنوان بجلاء إلى المنهج والهدف من إنشاء هذا التفسير، أما الهدف : فهو بيان مزايا النظم القرآني لذوى العقول السليمة ، والكشف عن وجوه بلاغته الفائقة ونصب الدلائل على إعجازه للإنس والجن، ما يعنى أن مذهبه في الإعجاز القرآني هو : النظم البديع والأسلوب الفريد المباين لأساليب العرب، وفصاحته الفائقة لكل القوى والقدر، وما يحويه هذا النظم من حكم بالغة وشرائع حاكمة ، وإخبار بالمغيبات الماضية منها والمستقبلة[2].

1 - من مقدمة المؤلف، صـ9

2 - انظر البلاغة في تفسير أبي السعود، الشحات محمد عبد الرحمن، صـ557، رسالة دكتوراه غير منشورة، مودعة بمكتبة كلية اللغة العربية بالقاهرة جامعة الأزهر برقم: (2378)

أما منهجه في الكتاب ، فيمكن تحديد معالمه ووصف حدوده كما يلي :

1-أوّل ما يلاحظ على منهج شيخ الإسلام ، أنّ تفسيره من نوع التفسير بالرأي، ومع ذلك نجده يورد الآيات والأحاديث النبوية الشريفة بين حين وآخر، ثم أقوال الصحابة رضي الله عنهم جميعا للاستدلال أو الاستئناس بما يذهب إليه في تأويله.

2- ذكر بعض القراءات القرآنية، مع بيان أثرها في اختلاف المعنى ، دون تطويل ممل أو تقصير مخل([1]).

3- العناية بالمسائل النحوية وعرضه للاختلافات الإعرابية ، مرجحا ما يراه مذهبا قويا مؤيدا للمعنى الذي يرى رجحانه.

4- يشير شيخ الإسلام لبعض المسائل والأحكام الفقهيه إشارات سريعة، كلّما رأي ذلك مُهمًّا، دون الخوض في عمق القضايا الفقيهة التي مظانها كتب الفقه .

5- الالتزام الموضوعي وعدم الاستطراد إلى موضوعات جانبية تخرجه بعيدا عن صلب موضوعه ، فهو لا يخلط التفسير بما ليس منه.

6- أما المباحث البلاغية فقد زخرف بها الكتاب وفاض، وكانت الغاية القصوى التي سدّد إليها الشيخُ سِهامَهُ ، وفتح عليها أعيُنَهُ ، وبها ذاع صيتُه واشتهر كتابه ([2]).

7- يذكر شيخ الإسلام المناسبة بين السورة والسورة كما بين الآية والآية ، ويشير إلى ارتباط السورة أو الآية بما قبلها أو بما بعدها، في مواطن كثيرة ([3]).

---

[1] - انظر تفسيره لسورة الفاتحة 1/ 27، آية رقم(5)، وتفسيره للآية رقم (61) والآية رقم (81) من البقرة 1/ 140 ، 1/ 156

[2] - انظر التفسير والمفسرون، للذهبي ، مرجع سابق ، 1/ 351

[3] - انظر تفسيره للآية رقم (33) وآية رقم (38) من آل عمران 1/ 357 ، و1/ 363، انظر تفسيره لأول سورة الأنعام 2/ 347 آية رقم (1) ، ولأول سورة الرحمن 6/ 174 ، آية رقم (1)

9- مما يسجل لشيخ الإسلام بمداد العزّة والفخار تجنبه ذكر الإسرائليات إلا فيما ندر، وقد يذكرها ليستأنس بها استئناسا ، أو التحذير منها والتنبيه على بطلانها كما صنع مع الإسرائليات الواردة في قصة يوسف، في قوله تعالي : **(وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّه)** ([1])، وكما فعل مع قصة هاروت وماروت، حيث صرح بأنها من روايات اليهود، وعقب عليها بالقول : " وقيل و قيل ، إن كل ذلك إلا خرافات وأباطيل تمجها الآذان وتردها العقول والأذهان، وويل لمن لاكها ولصقها أو سمعها وصدقها"([2]).

10- اتسم أسلوب شيخ الإسلام في كل ذلك، بحسن الصياغة ونصاعة العبارة، وروعة اللغة ، يوشك بها أن يكون تفسيره لوحة أدبية بديعة ، زاخرة بالجمال الفنيّ وبالمتعة الأدبية وبالفائدة السنية.

11- عنايته بذكر أقوال العلماء في بعض المسائل ونسبة الأقوال إلى أصحابها مرجحا ما يراه إلى الصواب أقرب وإلى الحقّ أظهر ([3]).

12- يُؤخذُ على شيخ الإسلام التزامه بذكر حديث منسوب إلى النبي صلي الله عليه وسلم ، آخر كل سورة ، في بيان فضلها والحث على تلاوتها، تماما كما فعل الزمخشري والبيضاوى، وهي أحاديث في مجملها موضوعة لا أساس لها، وقد أخذها عليه الذهي وغيره([4]).

---

[1] يوسف : 24

[2] - تفسير أبي السعود 174/1-175

[3] - انظر تفسير أبي السعود 45/1، 256/1، 105/2

[4] - التفسير والمفسرون، للذهبي مرجع سابق 349/1- 351

13- وصف الشيخ رشيد رضا بعض تأويلات شيخ الإسلام أبي السعود بالتكلّف والتنطّع، كما في قوله: **(وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ)** [1]، قال رشيد رضا: "..الآية نزلت في إنذار المؤمنين، الذين يخافون الله ويرجونه..ولكنّ أبا السعود تنطع في التأويل، فذهب إلى أن الإنذار هنا موجه إلى من يتوقع منهم التأثر في الجملة.."([2]).

ويظهر لي أنّ هذا تحامل عليه بغير حقّ، لأن الاجتهاد لا يبطل باجتهاد مثله، فهذا قد يكون معدوداً في باب الاجتهاد في الرأي، مما لا يستدعي وصف المخالف بما لا ينبغي، وهو كلام – على أيّ حال – لا ينال من مقام الشيخ ولا من قامته العالية ، التى شهد له بها أهل الذكر في كل عصر ومصر، بل ربما كان منقبة له باعتباره صاحب الرأي الآخر في المسألة.

اعتمد أبو السعود اعتمادا جليا على كتابين جليلين، هما العمدة في التفسير البلاغي للقرآن الكريم هما: الكشاف، للإمام جار الله محمود الزمخشري، و أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للإمام ناصر الدين أبي الخير البيضاوي، كما استقي تفسيره من أئمة التفسير البارزين كالطبرى ، وابن كثير، والقرطبي ،وأبي حيان ، والفخر الرازى ، ومع ذلك فقد كان متميزا مستقلا برأيه وقوله، يتفق معهم ويختلف، ويوافق ما ذهبوا إليه وينصف، في إطار فضاء فسيح من الاجتهاد والتميز والالتزام والدقة ، في تحليل وجوه المعاني واستخراج دقائقها وكشف النقاب عن أسرار جمالها وإعجازها.

---

[1] - الأنعام : 51

[2] - تفسير المنار، محمد رشيد رضا 362/7، وانظر في المنار 253/7، حيث وصفه بالتكلف في التأويل، وهو منه براء براءة الذئب من دم ابن يعقوب.

ثناء العلماء على كتابه:

تلقى جلة العلماء تفسير أبي السعود بالقبول والرضى، وأثنوا عليه خيرا كثيرا، وعدّوه فحلا مبرزا في بابه، قال عنه الشوكاني:(هو من أجلّ التفاسير وأحسنها وأكثرها تحقيقا وتدقيقا)([1]). وأشاد به الشيخ الطاهر ابن عاشور في مقدمة تفسيره حين قال: (والتفاسير وإن كانت كثيرة، فإنك لا تجد منها إلا عالة على كلام سابق، بحيث لا حظ لمؤلفه إلا الجمع على تفاوت بين اختصار وتطويل، وإن أهم التفاسير هي: تفسير الكشاف، والمحرر الوجيز، لابن عطية ، ومفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي، وتفسير البيضاي، الملخص من الكشاف ومفاتيح الغيب بتحقيق بديع، تفسير الشهاب الأولوسي...وتفسير أبي السعود)([2]).

وقال عنه د.محمد حسين الذهبي: (كان كثير العناية بسبك العبارة وصوغها مولعا كل الولوع بالناحية البلاغية للقرآن، فهو يهتم بأن يكشف عن نواحي القرآن البلاغية وسر إعجازه في نظمه وأسلوبه وبخاصة في باب الفصل والوصل والإيجاز والإطناب والتقديم والتأخير والاعتراض والتذييل كما أنه يهتم ببيان المعاني الدقيقة التي تحملها التراكيب القرآنية بين طياتها مما لا يكاد يظهر إلا لمن أوتي حظا وافرا من المعرفة بدقائق العربية، ويكاد يكون صاحبنا أول المفسرين المبرزين في هذه الناحية)([3])

وقال عنه المغراوي:(اعتنى في تفسيره بالنواحي البلاغية والمناسبات بين الآي مع بعضها.. ويعتبر من أئمة الكلام، وقد أبدى ذلك في تفسير([4]).

[1] - البدر الطالع، مرجع سابق 261/1
[2] - التحرير والتنوير 7/1
[3] - التفسير والمفسرون، مرجع سابق صـ351/1
[4] - المفسرون بين التأويل والإثبات، مرجع سابق صـ209

وغير هؤلاء كثير ممن أثنوا على شيخ الإسلام وعلى كتابه القيم بعد أن تلقاه الأمة في المشارق والمغارب بالرضي والقبول.

11 – الدراسات السابقة :

أولا: البلاغة في تفسير أبى السعود، رسالة دكتوراه غير منشورة , للباحث : الشحات محمد عبد الرحمن، تحت إشراف الدكتور/ علي البدرى حسين، مقدمة لقسم البلاغة والنقد بقسم الدراسات العليا ، كلية اللغة العربية بالقاهرة ، جامعة الأزهر، عام 1404هـ/1984م ، مسجلة برقم: 2378، وقد استهدف فيه الباحث :

1–استجلاء منهج أبي السعود في تناوله لعلوم البلاغة الثلاثة : البيان والمعاني والبديع، وضرب الأمثلة وسوق الشواهد على ذلك، دون القيام بأي جهد استقصائي مستوعب لمسائل أي من العلوم الثلاثة في الكتاب، أو إجراء تطبيقات كافية، مكتفيا بضرب الأمثلة على استنتاجاته على منهج الشيخ في تناوله للمسائل البلاغية في ثنايا التفسير.

2–عقد مقارنة بين منهج أبي السعود، وكل من الزمخشري في الكشاف والبيضاوي في أنوار التنزيل، باعتبارهما أشهر مفسرين عنيا بالتفسير البلاغي للقرآن الكريم ، من حيث كثرة التطبيقات وشموليتها لعلوم البلاغة من ناحية، ومدى استيعابهما للمسائل البلاغية الواردة في الآيات أو الاقتصار على بعضها من ناحية ثانية.

3–الكشف عن مدى التقدم والإبداع الذي أحرزه شيخ الإسلام في تطبيقاته البلاغية على تفسير الآيات والاستدلال على ذلك التطور، الذي يرى الباحث أنه فاق كلا من الزمخشري والبيضاوى في تطبيقاتهما البلاغية على الآيات القرآنية.

وقد أفدت من هذا البحث فائدة كبيرة، بالنظر إلى حجم المادة العلمية الذي استوعبه، مما أنا بسبيله من استشهاداته من مباحث علم المعاني، ومما لست بسبيله من مباحث البيان والبديع، كما أفدت منه في تصيد المراجع القديمة التي تعرض بالحديث عن شيخ الإسلام أبي السعود وعن تفسيره.

ثانيا :أبو السعود ومنهجه في التفسير : رسالة ماجستير غير منشورة، للباحث : بابكر بلولة محمد، بإشراف د. جمعة سهل، مقدمة لقسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين، جامعة أم د رمان الإسلامية ، سنة 1408هـ 1988، تقع الدراسة في (165) مائة وخمس وستين صفحة.

سعي الباحث إلى كشف النقاب عن منهج شيخ الإسلام في تفسيره، من حيث:

1-كونه معدودا ضمن طائفة التفسير بالرأي، ومع ذلك نراه كثيرا ما يستشهد بالقرآن وبالسنة، وبأقوال الصحابة كلما رأي ذلك ضروريا.

2- احترازه من الإسرائيليات، وعدم إيرادها في تفسيره إلا ما ندر، وقد يوردها لأجل التنبيه والتحذير منها.

3-اشتمال تفسيره على جملة من العلوم والفنون في مجال اللغة والأدب وعلوم الشريعة أصولها وفروعها ، وهو منحاز لمذهب أهل السنة في تأويل الآيات المتعلقة بأصول الدين والعقيدة الإسلامية.

4-عني الباحث ببيان المصادر الأساسية التي استقي منها شيخ الإسلام تفسيره، منها مؤكدة وبعضها محتملة.

5- أورد الباحث أسماء ثلة من المفسرين الأولين الذين تأثر بهم، مثل الطبري والزمخشري و البيضاوى، و ثلة من الآخرين الذين تأثروا به ، مثل الألوسي في روح المعاني ، والطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير وغيرهم.

وقد أمدني هذا البحث بأضواء منيرة ، خاصة فيما يتعلق بالمصادر الأولى للبحث وبمنهج شيخ الإسلام في تفسيره، وتزودت منه بخير زاد.

الفصل الأول

أساليب المعانى والإعجاز القرآني

المبحث الأول : أساليب المعاني وموضوعها

الأسلوب لغة : السطر من النخيل ، وكل طريق ممتد هو أسلوب، والأسلوب هو الطريق والوجه والمذهب، يقال : هم في أسلوب سوء، وأخذ فلان أسلوب فلان أي طريقته ومذهبه، وجمعه أساليب. والأسلوب هو الفن، يقال : أخذ فلان في أساليب من القول ، أي في أفانين منه.

و اصطلاحا: هو طريقة التعبير عند الكاتب أو الناثر عن معانيه و أفكاره، فالأسلوب هو معان مرتبة قبل أن تكون ألفاظا منسقة ([1]).

أو هو الأنماط التعبيرية المتنوعة في اللغة الأدبية ، والأسلوبية :علم حديث النشأة ينصب على دراسة وتحليل الأنماط التعبيرية في اللغة الأدبية في جوانبها الفردية([2]).

أما المعاني اصطلاحا : فهو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضي الحال. و قيل: يعرف دون يعلم ، رعاية لما اعتبره بعضهم من تخصيص العلم بالجزئيات ، والمعرفة بالكليات([3]).

وتشمل أحوال اللفظ أحوال الجملة مثل: الفصل والوصل، والإيجاز، والإطناب، والمساواة، كما تشمل أحوال أجزاء الجملة مثل : أحوال المسند إليه، وأحوال المسند، وأحوال متعلقات الفعل، تعريفا وتنكيرا، ذكرا وحذفا ، تقديما وتأخيرا.

يتولى علم المعاني توضيح الحكم البليغة ، والأسرار الخفية ، والدلالات العميقة ، التي تدل عليها أحوال الجملة وأحوال أجزائها في كل سياق، وهو ما يعبر عنه بقولهم : لكل مقام مقال ولكل كلمة مع صاحبتها مقام.([4])

---

[1] - لسان العرب لابن منظور، وتاج العروس ، مادة : (س ل ب)

[2] - انظر الأسلوب، أحمد الشايب، صـ40، ط8، 1993م، دون ذكر المكان

[3] - انظر البلاغة والأسلوبية، د. محمد عبد المطلب، صـ185-186 ، ط 1، 1994، مكتبة لبنان ، بيروت.

[4] - بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، عبد المتعال الصعيدي 33/1، ط/17، 1426هـ/2005م، مكتبة الآداب – القاهرة، وانظر: خصائص التراكيب، د.محمد أبو موسى، صـ111، ط/8، 1430هـ/2009م، مكتبة وهبة- القاهرة.

فعلم المعاني يبحث في بناء الجملة العربية وكيفية اختيار أجزائها وأسلوب صياغتها وعلاقة الجمل المتتابعة بعضها ببعض، وصولا إلى نوعية الكلام الملائم لمقتضي الحال، بالنظر إلى غايته ومقصوده وإلى أسلوبه ووسيلته([1]).

أما علم الأسلوب أو الأسلوبية، التي ظهرت للناس نتيجة الدراسات اللغوية الحديثة في اللغات الغربية ، فهو : علم يبحث فيما تبحث فيه البلاغة العربية كما تبين من تعريف العلمين، و يمكن الإفادة من علم الأسلوبية بحكمه علما حديثا ، في شد أزر البلاغة العربية العتيقة ، وتجديد بنيانها وتوسيع آفاقها وتعميق مباحثها، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكون علم الأسلوبية وريثا شرعيا للبلاغة العربية، التي ينعتها بعض الباحثين المعاصرين بالعقم والعجز، ويدعون إلى إهالة التراب عليها ، لتخلفها عن مواكبة تطور الآداب والفنون في العصر الحديث([2])، إن هرولة هؤلاء بالمعاول لهدم بنيان التراث العربي في وجه تطور العلوم والفنون الغربية لهو أمر يثير الشفقة عليهم بقدر ما يثير الريبة من موقفهم هذا.

---

[1] - انظر علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، د. صلاح رزق، صـ 5، ط1، 1419هـ 1998، دار الشروق- القاهرة

[2] - انظر المرجع السابق:

المبحث الثانى: أساليب المعاني ومناهج عرضها

التزم العلماء في البحث البلاغي والتعليمي النهج الذي رسمه أبو يعقوب السكاكي(ت626هـ)، والذي يقضي بتوزيع دراسة علم المعاني على ثمانية أبواب :

1 - أحوال الإسناد الخبري 2- أحوال المسند إليه

3 - أحوا المسند 4- أحوال متعلقات الفعل

5- القصر 6- الإنشاء

7 - الفصل والوصل 8- الإيجاز والإطناب والمساواة.

ويذكرون في باب المسند إليه ، و المسند، و متعلقات الفعل حديثا معادا مكرورا، من حيث : الحذف والذكر، والتعريف والتنكير ، والتقديم والتأخير، في أبواب ثلاثة ، و يضيفون في باب المسند، متى يكون اسما ومتى يكون فعلا، ماضيا أو مضارعا، مع تحديد الأغراض التي تتحقق من هذا و ذاك.([1]) وهكذا نشرت هذه المباحث المتشابهة إلى حد المماثلة، من حيث المعاني والأغراض وحتى المسميات على أبوابها الثلاثة، اقتفاء بما صنعه السكاكى([2])

وهناك طائفة أخرى من البلاغيين اقتفوا نهج الإمام عبد القاهر([3])، بجمع الأشباه والنظائر تحت سقف واحد، فعقدوا بابا للتقديم والتأخير، يذكرون فيه تقديم الفاعل والمفعول ، وتقديم الخبر والظروف وكافة المعمولات وتقديم المعمولات بعضها على بعض، وبابا لتنكير الاسم سواء كان فاعلا أو مفعول أو غير ذلك، وبابا للحذف، يذكر فيه كل ما يصح حذفه مما سبق ابتغاء كشف المعاني والأسرار الكامنة وراء ذلك [4].

---

[1] - علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح، صـ30، ط/2، 1405هـ- 2004م، مؤسسة المختار- القاهرة
[2] - انظر الأسلوب، أحمد الشايب، صـ21، ط 1993م، دار المعارف - مصر
[3] - انظر المفتاح، صـ 170، وبغية الإيضاح 1/ 41 وما بعده
[4]- انظر فلسفة البلاغة البلاغة ، مرجع سابق ص 62-64، وانظر علم المعانى ليسونى ، ص33

الفرق بين المنهجين هو أن منهج السكاكى ومن لف لفه، اعتمد على التقسيم العقلي الصناعى للمسائل، ومنهج الإمام عبد القاهر اعتمد على قاعدة المعنى والغايات المنشودة، فحمله ذلك إلى جمع الأشباه والنظائر تحت باب واحد، فإن كان الأول أقرب إلى المنطق العقلي، فإن الثاني قريب النسب بروح الفن وثيق الصلة بعلم البلاغة ذاتها. ومع اقتناعي نفسيا وذوقيا بمسلك الجرجانى، إلا أنني أسلك مسلك السكاكى بحكم المنطق العقلي وبحكم طبيعة هذا البحث نفسه.

المبحث الثالث : بين النحو وأساليب المعاني

يشترك كل من علم النحو وعلم المعاني في دراسة أحوال اللفظ العربي، تعريفا وتنكيرا تقديما وتأخيرا، حذفا وذكرا، وكذا أحوال المتعلقات، إلا أن زاوية النظر والمعالجة لدى النحاة مختلفة عن زاوية الدرس البلاغي، فالنحو يتناول أحوال اللفظ العربي من حيث " الصناعة "، يتناول ما يجوز وما لا يجوز استعماله، ويحكم على ما يجب وما يمتنع استخدامه من أحوال اللفظ العربي، في حين يتناول الدرس البلاغي أحوال اللفظ العربي من حيث "الوظيفة"، حيث يوضح المعاني الفنية والفروق الدلالية بين تلك الأحوال، ويحدد حاجة المقام إلى هذا اللون من اللفظ أو ذاك لأجل تأدية معنى بعينه، موافقة لمقتضي الحال وطبيعة المتلقين.([1])، وقد وضح العلامة ابن الأثير الفرق بين وظيفة النحوى والبلاغي بجلاء حين قال:" يشتركان في أن النحوي ينظر في دلالة الألفاظ على المعاني من جهة الوضع اللغوي ، وتلك دلالة عامة، وصاحب البيان ينظر في فضيلة تلك الدلالة، وهي دلالة خاصة، والمراد منها أن تكون على هيئة مخصوصة من الحسن، وذلك أمر وراء النحو والإعراب ، ألا ترى أن النحوي يفهم معنى الكلام المنظوم والمنثور، ويعلم مواقع إعرابه، ومع ذلك فإنه لا يفهم ما فيه من الفصاحة والبلاغة"([2]).

لا يزال البحث في حقل البلاغة دائبا في اتجاهات شتي، فهو علم يموج بالحركة والتجدد، فلا مسائلها مستقرة ولا مناهجها مستتبة، غير أن جوهر البلاغة وغايتها العظمي التي ينشدها الباحثون على اختلاف مناهجهم، يمكن توصيفها وتسليط أضواء كاشفة عليها، فمطلوبات البلاغة عندهم أجمعين هو: القول الرفيع الزاخر بوجوه الجمال والجلال، المتسم بالصحة والمناسبة، وهو التعبير الصادق عن الإحساس الصادق، وهي قوة التأثير في وجدان المتلقين أفرادا أو جماعات ، وإثارة انفعالهم وإيقاظ إحساسهم بقوة

---

[1] - انظر علم المعانى ، بسونى عبد الفتاح ، ص 30، وانظر فلسفة البلاغة بين التقينة والتطور، رجاء عيد ، ص64، ط 2، منشأة المعارف - الأسكندرية

[2] - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير، ت د.أحمد الحوفي وبدوي طبانة، القسم الأول صـ29، مطبعة نهضة مصر

الكلمة ومتعتها وجمالها وتأثيرها، وتنمية أذواقهم وشعورهم تجاه ذلك كله، فالبلاغة ليست إفهام المعنى وحده، فقد يفهمه إياك من ليس من البلاغة في شيء ، ولكن البلاغة :(إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ)([1])

وتتبوأ أساليب علم المعاني ذروة سنام هذا العلم، فإذا كان علم البيان مختصا بدراسة إمكانات استخدام الكلمة في العربية، متنقلة بين الحقيقة والمجاز والاستعارة والكناية، فإن علم المعاني يتناول بجانب بعض أحوال الكلمة المفردة دراسة أحوال الجملة، وفحص أساليبها، وتحليل محتوياتها واستخراج معانيها وتوجيهها الوجهة المثلي، ذلك العلم الذي يمسك الراسخون فيه بزمام الكلام وتوضيح اتجاهاته، وإدراك الفروق الكامنة بين لفظة وأخرى، والحدود الواقعة بين جملة وسواها، قوة في الدلالة ووضوحا في المعاني ، أو ركاكة في المقاصد و قتامة في المرامي، وللكلام في ذلك درجات إلى حد الإعجاز، و دركات إلى حد الركاكة، ولأجل هذا كانت أساليب علم المعاني هي قائدنا إلى معرفة طرف من معالم الإعجاز البياني في القرآني الكريم، وهي سبيلنا إلى التفقه في الحديث النبوي الشريف، والوقوف على جانب من أسرارها ومقاصدها وحكمها وأحكامها، و التي اختص بها نبينا محمد صلي الله عليه وسلم القائل :(وأوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام) ([2]).

إن أساليب علم المعاني هو باب الولوج لمن أراد التمكن من معرفة وجوه الفصاحة ومسالك البلاغة في اللسان العربي، شعره ونثره ، منظومه ومرسله ، ولمن أراد أن يمسك بزمام الأمر في التفريق بين الجيد من الرديء والغث من السمين من القول([3]).

وإن من الغايات الكبرى لأساليب علم المعاني ومقاصدها النبيلة ، الإجابة على الأسئلة التالية: ماذا تقول؟ وأين تقول؟ وكيف تقول ؟، وما معنى ما قلت ؟ وما الفرق بينه وبين غيره من التراكيب؟ كل ذلك في مراعاة لمقتضيات المقام والأشخاص الذين

[1] - المثل السائر لابن الأثير، القسم الأول ، ص 30 ، مرجع سابق
[2] - صحيح مسلم باب المساجد، حديث رقم(1199)، 2/ 64
[3] - انظر البلاغة والأسلوبية، د. محمد عبد المطلب، صـ185-186 ،

يخاطبون، والتزام صارم بموجبات الخلق الكريم والأدب الجم، وصيانة للذوق والمشاعر الإنسانية النبيلة وأدب اللياقة، بغية إقناع العقل الإنساني والتأثير على الوجدان البشري بالتي هي أحسن، وتغذية قواها المختلفة وتهذيبها وتوجيهها للتى هي أقوم، كل أولئك من خلال الاستخدام الأمثل للغة، ومن القوى النفسية التي يسعى علم البلاغة إلى التأثير عليها وتهذيبها وتنميتها ، تحقيقا لغايات البلاغة ومقاصدها الجليلة : ([1])

1 – قوة الإدراك: The power of Intellect

2 – قوة الانفعال و العاطفة : The power of motion

3 – قوة الإرادة: The power of will

ذلك لأن من أوجب واجبات علم البلاغة الحرص على صحة الأفكار و دقة المعلومات، ثم عرضها على المتلقين عرضا واضحا قويا بديعا له في النفس أثر خلاق، على أن يكون ملائما لحالات المتلقين، قائما على ركنين أساسيين هما :

(الصحة والمناسبة ، فالأولى من وحي المنطق والنحو، والثانية هي الميزة التي يختص بها الكلام الجميل) ([2]).

وقديما نبه بشر بن المعتز إلى ضرورة الجمع بين كرم المعنى وكرم اللفظ ليستقيم عود البلاغة الحقة ، عندما قال :(و من أراد معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما، فإن من حق المعنى الشريف اللفظ الشريف، ومن حقهما أن تصونهما عما يفسدهما أو يهجنهما).([3])

[1] - انظر الأسلوب ، أحمد الشائب، ص22، مرجع سابق

[2] - أنظر النقد الأدبي أصوله ومناهجه، سيد قطب، ص129، ط، دار الفكر العربي.

[3] أنظر البلاغة العربية: المفهوم والتطبيق، د.حميد آدم ثويني، ص56-57، ط1، 1427هـ، دار المناهج، عمان الأردن.

فروق في الخبر

ضرب الإمام عبد القاهر الجرجانى مثالا للفروق الكامنة في الخبر وغيره، من خلال الأنماط الممكنة له، حيث تشترك أنماط الخبر جميعا في معنى عام مشترك، ويختص كل نمط بمعنى ينفرد ويختص به، حيث لا يقوم غيره مقامه ولا يغنى غناءه ،([1]):

الجملة	نوع الكلمة	التوصيف
زيد منطلق	الخبر اسم مفرد نكرة	إخبار بانطلاق زيد
زيد ينطلق	تقديم الاسم وبناء الفعل المضارع عليه	تأكيد حدوث الفعل، و اختصاصه الاسم به
ينطلق زيد	تقديم الفعل وبناء الاسم عليه	يفيد نسبة الانطلاق إلى الفاعل
منطلق زيد	تقديم الخبر وصفا نكرة على المبتدأ المعرفة	يفيد استمرار انطلاق زيد دون التعرض لغيره بنفي أو إثبات.
زيد المنطلق	تعريف الطرفين، موصوف معرفة أخبر بوصف مؤخر عنه	يفيد اختصاص المبتدأ بالوصف، ونفي وصف آخر عنه كالقعود مثلا.
المنطلق زيد	تعريف الطرفين، المبتدأ وصف معرفة مقدم على مبتدأ معرفة موصوف	يفيد معنى الاختصاص، ونفي الانطلاق عن موصوف معين
زيد هو المنطلق	اسم معرفة مخبر عنه بجملة صغرى معرفة الطرفين	يفيد معنى القصر والاختصاص المؤكد، النابع من تعريف الطرفين، وضمير الفصل، ونسبة الانطلاق إليه مرتين.

[1] - انظر دلائل الإعجاز صـ186-187

وهناك أمثلة أخرى في أنواع الحال وفي النفي، فالنفي معنى عام يشترك في الدلالة عليه : "ما" و"لا" ، ولكل خصوصيته فيه ، فالأولى لنفي الحال، نحو : ما حضر الضيف، والثاني لنفي المستقبل، نحو : لا يأتي الضيف ، و الشرط معنى عام يشترك في الدلالة عليه : "إن" و"إذا"، ثم ينفرد كل منهما بمعنى خاص به ، فإن تستخدم فيما يترجح بين أن يكون وألا يكون، نحو: (**وإن أحد من المشركين استجارك فأجره)**[1]، و " إذا " تستخدم فيما علم أنه واقع لا محالة، نحو:(**إذا جاء نصر الله والفتح)**[2]، والعطف معنى مشترك بين أحرف العطف : الواو والفاء وثم و أو، ولكل منها معنى يختص به دون غيره.

وإذا نظرت إلى الجمل وجدت لها مواقع ومقامات ودلالات مختلفة : بين الفصل والوصل، بين الذكر والحذف، بين التقديم والتأخير، وبين الإيجاز والإطناب ..

---

1 - التوبة : 6

2 - النصر :1

المبحث الرابع : قضية الإعجاز القرآني: النشأة والتطوّر

أدرك العرب معنى إعجاز القرآن الكريم وسرّه ، منذ أول عهدهم به إدراكا فعليا مؤثرا ، على قاعدة من الفطرة النقية والذوق اللغوي الخالص ، بعيدا عن كل تأثير فلسفيّ أو تعليل علميّ ، فهم فصحاء بالفطرة بلغاء بالسجيّة ، تتأثّر قلوبهم بالكلام البليغ وتهتزّ نفوسهم بالبيان الفصيح ، فكيف كان حالهم وهم يستمعون إلى القرآن المعجز الباهر ، الذي ترتعد بآياته نفوس الذين كفروا ، كما تقشعرّ منها قلوب الذين آمنوا، لقد أيقنوا جميعا أنه أكبر درجات مما عرفوا وألفوا من فنون القول([1]).

ازدادت العناية بإعجاز القرآن مع تقدّم حركة العلوم والفنون ، وتطوَّرَ البحثُ في دلائل الإعجاز وتعمَّقَ أكثر فأكثر مع دخول أفواج جديدة تحت ظلال الإيمان ، محمَّلين بأثقال ثقافات أممهم وشعوبهم ، فهو معجزة خالدة تخترق بشموخ حجب الزمان والبقاع ، حاملا معه لواء الإعجاز والتحدي([2]).

كان من بواكير النظر والتفكير في قضية الإعجاز، أن شرع العلماء يخوضون غمار البحث في مسائل ذات علاقة وطيدة باللغة والدين ، كالتفكير في قِدَم القرآن وحدوثه ، وفي أصل اللغة وماهيّة الكلام ، وفي مسائل العلاقة بين اللفظ والمعنى ، وصولا بالتفكير والبحث إلى جهة إعجاز القرآن ووجوهه ، من حيث هو كلام باللسان العربي([3]).

في القرن الثالث اعتبر أبو إسحاق النّظّام (221هـ) أحد أقطاب المعتزلة ، أنّ علّة الإعجاز هو الصرفة ، وهو أمر خارق للعادة ، ونفي أن يكون مردُّ الإعجاز إلى نصّ

[1] - نظرية عبد القاهر في النظم، درويش الجندى، ص13، ط 1960، مكتبة نهضة مصر

[2] - انظر السابق ، وانظر النظم القرآني في كشاف الزمخشري، درويش الجندى، ص6-7، ط 1969، دار نهضة مصر.

[3] - انظر مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري 1/ 771.

القرآن ذاته :" فالآية والأعجوبة ما فيه من الأخبار عن الغيوب ، فأمّا التأليف والنظم فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد ، لولا أنّ الله منعهم بمنعٍ وعجزٍ أحدثهما فيهم"([1])

وقف رجال من المعتزلة – قبل غيرهم– سدا منيعا في وجه النّظّام ، وردّوا عليه مقولةَ الإعجاز بالصرفة ، وكان من أبرز من خالفه وردّ عليه تلميذه الجاحظ (255هـ)، الذي أكّد أن جهة الإعجاز هو بالنظر إلى ذات القرآن و نظمه وحده ، بصرف النظر عما اشتمل عليه من المعاني ، مستدلا على ذلك بأنّ الله طلب من العرب أن يأتوا بعشر سور من مثله في النظم والروعة في التأليف ، حتى ولو حوى التأليف الرائع كل باطل مفترى لا معنى له ، فما بال القرآن وقد جمع إلى النظم الرائع المعانى الفائقة([2]).

وقد أشار كثيرون إلى أنّ الجاحظ كرّر انتصاره وحجاجه لمقولة الإعجاز بالنظم وحسن التأليف وروعة المعاني ، في رسالته الشهيرة : "نظم القرآن" التى سقطت من يد الزمان فلم يتسلّمها أيدى الأجيال.

وعلى درب الجاحظ سار ابن قتيبة (276هـ) في كتابه: "تأويل مشكل القرآن"، في تقرير إعجاز القرآن الواقع: "في نظمه، وفي سمو تأليفه، وفي وجوه أخرى بها جميعا يتحقق الإعجاز"([3]).

وألّف محمد بن يزيد الواسطى(306هـ) كتابا جعل من عنوانه أكبر قيمة له ، لأنه جاء نصًا في محلّ النزاع :" إعجاز القرآن في نظمه وتأليفه"([4]).

---

[1] - انظر أثر القرآن في تطور النقد العربي، محمد زغلول سلام، ص75،

[2] - أنظر حجج النبوة ، مطبوعة ضمن رسائل الجاحظ، ص144، وانظر اثر القرآن في تطور النقد العربي، مرجع سابق ، ص75-76

[3] - تأويل مشكل القرآن، محمد بن قتيبة، ص3

[4] - انظر أثر القرآن في تكور النقد العربي ، مرجع سابق ، 76

شهدت الدراسات حول الإعجاز القرآنيّ تطوّرا مشهودا في القرن الرابع ، علي يد عالمين جليلين كان لهما بالغ الأثر في توجيه مسار الدراسات اللاحقة حول الإعجاز القرآني ، خاصة في بلورة "نظرية النظم" وإنضاجها لاحقا على يد الإمام عبد القاهر، هما:

الأول: علي بن عيسي الرمانى(386هـ): في رسالته " النكت في إعجاز القرآن"(8). وهي عبارة عن جواب عن سؤال وُجِّه إليه كما قال ، والتمس منه السائل بيان وجوه إعجاز القرآن دون تطويل في الحِجاج ، وقال في ردّه على سؤال السائل ، إنّ إعجاز القرآن يظهر في سبع جهات هي :

1 - ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة.
2 - التحدى للكافة.
3 - الصرفة.
4 - البلاغة.
5 - الأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة.
6 - نقض العادة.
7 - قياس القرآن بكل معجزة.

ومع أن الرماني ذكر البلاغة وجها من وجوه الإعجاز، إلا أنّه لم يذكر مصطلح النظْم، مع شيوع استعماله لدى السابقين كالجاحظ وابن قتيبة وغيرهم، كما يلاحظ عليه اعتبار "الصرفة" وجها من وجوه الإعجاز، و هذا يتعارض مع بقية الوجوه المذكورة ، بل أنه يهدمها هدما وينسف القضية برمّتها نسفا، إذ لا معنى في إعجازٍ مادام سيف الصرفة مسلولا ، لأنّه يقضي على مواهب القادرين على الاستجابة لنداء التحدي من أول وهلة.

الثاني : أبو سليمان أحمد بن محمد الخطابي(388 هـ):-

و رسالته :(بيان إعجاز القرآن)، وفيها بيّن أن جمهور العلماء على أنّ القرآن معجز من جهة البلاغة ، غير أنّه يعرض عليهم الإشكال في بيان وشرح تلك البلاغة التي صار بها القرآن معجزا، وقال ": وجدتُ عامة أهل هذه المقالة قد جرَوْا في تسليم هذه الصفة للقرآن على نوع من التقليد ، وضرب من غلبة الظنّ دون التحقيق له وإحاطة العلم به ، ولذلك صاروا إذا سُئلوا عن تحديد هذه البلاغة التي اختُصَّ بها القرآن، الفائقة في وصفها سائر البلاغات ، وعن المعنى الذي يتمَيَز به عن سائر أنواع الكلام الموصوف بالبلاغة ، قالوا: إنه لا يمكننا تصويره ولا تحديده بأمر ظاهر نعلم به ُ مباينة القرآن غيره من الكلام ، وإنّما يعرفه العالمون به عند سماعه ضربا من المعرفة لا يمكن تحديده .. وقالوا: قد يخفي سببُه عند البحث ويظهر أثرُه في النفس حتى لا ُ يلبس على ذوي العمل والمعرفة به)، وأضاف الخطابيُ معلِقا على هذا التعليل:(وهذا لا يُقنع في مثل هذا العلم ولاَ يشفي من داء الجهل به ، وإنما هو إشكالٌ أُحيل به إلى إبهام)([1]). وانتهى الخطابي إلى القول بأن الكلام يقوم على ثلاثة عناصر : لفظ حامل ، ومعنى به قائم ، ورباط لهما ناظم ، وقال : "إن القرآن إنما صار معجزا لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمنا أصحّ المعانى"([2]).

ثم جاء أبو بكر الباقلاني:(403هـ) بكتابه : "إعجاز القرآن"، وأشار إلى أنّ الإعجاز واقعٌ في نظم الحروف التى هي دلالاتٌ وعباراتٌ كلامِ الله القديم ، وأنَ التحدى إنّما كان بأن يأتوا بمثل الحروف التى هي نظْمُ القرآن ، منظومةً كنظمها متتابعةً كتتابعها مطردةً كاطرادها، ولم يكن بأن يأتُوا بمثل الكلام القديم الذي لا مثيل له"([3])

ولعلّ أصحَ ما قال الباقلانى هو ترداده للكلام المجمل الذي ظهر للناس منذ القرن الثالث على لسان الجاحظ وغيره ، ووصفه الخطابي بأنهم كانوا يردّدونه على سبيل

---

[1] - رسالة بيان إعجاز القرآن، لأبي سليمان الخطابي، ص21-22، مطبوعة ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن،

[2] - رسالة بيان إعجاز القرآن للخطابي ، مرجع سابق، ص27.

[3] - إعجاز القرآن ، أبي بكر الباقلانى، ص394

التقليد دون التحقيق ، وقد ردّد الباقلاني ثلاثة وجوه للإعجاز نقلا عن السابقين، دون أن يسجل له إضافات ذات قيمة مشهودة :

1- تضمنه لأخبار الغيوب.

2- اشتماله قصص الأولين.

3- النظْم البديع والتأليف العجيب ، المخالف لجميع وجوه النظم المعتادة المباين لأساليب خطابهم ، الذي بلغ حد الإعجاز للخلق.

ومع مطالع القرن الخامس الهجري، كانت القواعد الأولى لقضية إعجاز القرآني الكريم، قد استقرّت على حسن فصاحته، وروعة بلاغته، و بديع نظمه، وتفوّق تأليفه ، الذي يفوق كلَ القوى والقدر، ولم تكد قناعات أهل الذكر تخرج عن هذا النطاق.

وفي هذا القرن ، كانت قضية الإعجاز البيانيّ خاصة وعلم البلاغة بعامة ، على موعد مع إمام مبرّز وعالم جهْبذ ، ليضع القواعد ويعبّد المسالك ، ألا وهو الإمام عبد القاهر الجرجانى (471هـ) الذي قام بوضْع أُسسٍ متينةٍ، أبانَ فيها عن عقليَّة علميَّة نافذة ، وعن فَهْمٍ دقيقٍ لمسائل اللغة والنقد والأدب ، حتى صار من جاء بعده عالةً عليه ، وهي ما اشْتُهر: " بنظرية النّظم "، مستفيدا من المقولات المُجملة للمجتهدين السابقين في مجال الإعجاز البلاغيٍ للقرآن الكريم ، بدليل أنَه نقل :" إطباقَ العلماء على تعظيم شأن" النظم"، وتفخيم قَدْره ، والتنويه بذكره، وإجماعهم أن لا فضْلَ مع عدمه، ولا قدْر لكلام إذا هو لم يستقم له، ولو بلغ في غرابة معناه ما بلغ"([1]).

وفحوى نظرية النظْم تقوم على: " أن تضع كلامك الوضْع الذي يقتضيه علمُ النحو، وتعمل قوانينه وأصوله ، وتَعرف مناهجه التى نهجت فلا تزيغ عنها وتحفظ الرسوم التى رُسمتْ لك فلا تخلً بشيء منها"([2]).

وقد أفاض الجرجانى في عرض النظرية وتفسيرها وشرح الشواهد عليها في كتابه القيّم :(دلائل الإعجاز) ليقيم الحجة والدليل، بالشرح والتحليل، والبيان والتعليل ، على أن إعجاز القرآن كامن في نظمه الرائع الباهر، وفي تأليفه العجيب الزاهر، نافيا أن يكون

[1] - دلائل الإعجاز ص80.

[2] - دلائل الإعجاز ص81

الإعجاز مردّه الصرفة ، أو في الكلم المفردة ، أو في الفواصل والمقاطع أو في الاستعارة والمجازات([1]).

و بهذا يكون الإمام عبد القاهر الجرجانى قد مهّد السبيل تمهيدا للعلماء والمفسّرين، لتطبيق القواعد والأصول التى خلص إليها، للكشف عن أسرار النظم القرآني، واستنباط المعانى التعبيرية الخاصة القريبة منها والعميقة، و التى تقف شاهدا على بديع نظمه وحسن تأليفه المتسامي عن كل ما عرفوا وألفوا.

كان في مقدمة المفسّرين الذين انتموا إلى مدرسة الجرجانى و مضَوْا على نهجه ، وعُنُوا بتطبيق قواعده في التفسير البيانيّ للقرآن الكريم ، والكشف عن أسراره البلاغية ودقائقه التعبيرية ، العلامة جار الله محمود الزمخشري(538هـ)، في كتابه المرجع:(الكشاف عن حقائق التنزيل) فأفاد وأجاد، وتمثّل قواعد الجرجانى خير تمثيل ، وطبقها أحسن تطبيق ، حتى طار بالشهرة في التفسير البلاغي للقرآن الكريم ، فالفضل للمتقدّم وإن أحسن المتأخّر.

وقد اقتبس من علم الزمخشري ومنهجه كثيرٌ من المفسرين بينُ مقلٍّ ومكثرٍ، كأبي حيان في البحر المحيط ، والفخر الرازى في التفسير الكبير. وكان أوّل المكثرين العلامة ناصر الدين أبو الخير البيضاوى(691هـ)، في كتابه:" أنوار التنزيل وأسرار التأويل"، فقد أكثر من النقل عن الزمخشري في تفسيراته البلاغية ، ووافقه في العديد من توجيهاته وتأويلاته البيانية ، وزاد عليها من عقله وعلمه ، ومن اجتهاداته وتطبيقاته البيانية ، ما يجعل تفسيره في الّسجلّ الذهبيّ للتفسير البيانيّ للقرآن العظيم.

وكان ثاني اثنين من المكثرين شيخُ الإسلام أبو السعود العمادى:(982هـ) في كتابه :(تفسير أبي السعود) أو "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم", وهو الكتاب موضوع هذا البحث ، فقد كان له القدح المعلّي في التفسير البيانيّ ، في تحليل آياته واستنباط حكمه وأسراره ، وأظهر تميّزا وتفرّدا واستقلالا في الفكر بلغ به درجة الاجتهاد في الفنّ ، يصحّ معه القول : كم ترك الأوّل للآخر.

---

[1] - انظر المرجع السابق

وقد امتاز منهج أبي السعود ، وتناوله لمسائل البيان وأساليب المعاني ، بكثير من المزايا في سبيل إصابة الهدف وتحقيق الغاية من إنشاء التفسير ، منها :

أولا : كثرة مناقشاته وتعقيباته وردوده ، على كلٍ: من الزمخشري والبيضاوى في المسائل البلاغية.

ثانيا : التوسع في تناول مسائل البلاغة في موضوعات شتى لم يتطرق إليها كل من الزمخشري والبيضاوى.

ثالثا : توسيع نطاق التطبيقات البلاغية في الآيات ، حيث يأتى على شرح وتحليل أكبر قدر ممكن من المباحث البلاغية واللطائف المعنوية الواردة في الآية.

رابعا: كثرة استخدامه لمصطلح" النظم"، في توجيهاته وتحليلاته البلاغية.

خامسا: توظيفه للمصطلحات البلاغية المستقرّة والمتداولة في علوم البلاغة، مما يجعل الكتاب كنزا علميا في البلاغة التطبيقية ، وموردا غنيّا للدارسين والباحثين على حدٍ سواء.

الفصل الثاني

قضايا الخبر في تفسير أبي السعود

المبحث الأول: المفردات وأدوات الربط ودلالاتها في النظم القرآني

تناول الشيخ أبو السعود بالكشف والبيان استخدام بعض المفردات وأدوات الربط، مُبيناً دلالاتها الخاصة على المعاني المختلفة ؛ ما قرُب منها وما بعُد ، ما ظهر منها وما خَفِيَ، وكشف اللثام عن الفروق المعنوية والدلالية بينها وبين غيرها في مواقع استخدامها في النظم القرآني الكريم ، لإقامة الدليل والبرهان على إعجاز النظم القرآني في انتقاء مفرداته وفي دقة استخدامها ، وفي اصطفاء أدواته وسلامة توظيفها، كما في نظم جمله وأساليبه ، وفي نسج آياته وسوره ، فكان فائقا متفوقا على قوى الإنس ومدارك الجنّ ، دون أن يكون غرض شيخ الإسلام من ذلك السعيُ وراء الاستقراء والتّقصي ، فذلك أبعد ما يكون من مطمح الطامحين ، بل من باب قليلُ المعدن الصافي يُغنى عن كثيره.

أشار أبو السعود إلى الفرق بين إنْ وإذا في الشرط ، وإلى تبادل المواقع بين ما ومَنْ الموصولتين ، وذكر الحكمة من تكرار الواو الواقعة بين الصفات ، وبيّن السّرّ الكامن في تكرار اللام الجارة بين المعمولات ، وأخيرا اهتمّ اهتماما خاصا بتحرير وجه التّراخي في العطف بثمّ ، وبذل فيه جهدا كثيرا مشهودا.

كما تحدّث عن فروق بين مفردات في النظم القرآني وبين غيرها مما هي بسبيلها، وكشف عن عبقريّة اللفظة القرآنية واكتنازها بالمعاني والدلالات الخاصة التي لا تتحقق إلا بها، ولا يمكن أن يحلّ غيرها محلّها بأي حال من الأحوال، وبذلك ينقسم هذا المبحث إلى مطلبين:

الأول: فروق في استخدام أدوات الربط

الثاني: دلالات الألفاظ

المطلب الأول : استخدام أدوات الربط

اولاً إنْ وإذا في الشرط والفرق بينهما :

تشترك كلٌّ مِنْ " إنْ " و"إذا " في الدلالة على معنى الشرط ، وينفرد كلٌّ منهما بمعانٍ خاصة تدلّ عليها ، بحيث لا يصحّ استخدام إحداهما مكان الأخرى ، وقد عُنِيَ شيخ الإسلام أبو السعود ببيان طائفة من تلك المعاني الدقيقة الفارقة بينهما في النّظم القرآني ، وكان منها :

النظم القرآني	البيان والتحليل
{فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ} (البقرة:24)	إيثار الشرط بإنْ المفيدة للشّك وعدم اليقين على إذا ، مع تحقّق الجزم بعدم فعلهم، من باب مجاراتهم بحسب حسبانهم قبل التجربة، أو للتّهكّم بهم بإغرائهم فعل ما لا طاقة لهم به، زيادة في الثقة والاطمئنان، وتثبيت أفئدة الذين آمنوا. انظر 91/1
{حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِين فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ}(البقرة:238−239)	إيراد الشرط الأول بإنْ ، المفيدة للشكّ وعدم اليقين (فإن خفتم) وإيراد الشرط الثانى بإذا، المفيدة لمعنى التحقق : (فإذا أمنتم) للدلالة على ندرة الخوف وبكونه حالة استثائية ، وأنّ حالة الأمن هو الأصل والأوفر في حياة المخاطبين والناس أجمعين. انظر 282/1
{وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ} النحل :53	يفيد استخدام (إذا) دون إنْ في الشرط ، التّوسّل بها إلى تحقّق وقوع الجواب، وتكثير فرص الاستجابة في نفوسهم ، لتضرّعهم وجؤارهم وتوجههم إلى الله بالدعاء انظر 70/4

{وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} (النور:33	إيثار استخدام (إنْ) دون إذا في الشرط ، مع تحقّق إرادتهنّ التّحصّن حتما، فهنّ كنّ مكرهات لا مخيّرات ، للإيذان بوجوب الانتهاء عن الإكراه عند كون إرادة التّحصّن في حيّز التّردّد والشّكّ ، فكيف إذا كانت محققة الوقوع كما هو الواقع. وتعليله بأنّ الإرادة المذكورة منهنّ في حيّز الشاذّ النادر مع خلوّه من الجدوى بالكليّة يأباه اعتبار تحققهما إباء ظاهرا. انظر أبو السعود458/4
{ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ} (غافر:22)	إيثار استعمال الشرط:(بإذا) مع الماضي في قوله (بأنّه إذا دُعِيَ اللهُ واحده) واستخدام الشرط (بإنْ) مع المضارع في قوله (وإنْ يُشرك به تؤمنوا) للدلالة على كمال سوء حالهم في قضيّة الكفر والإيمان ، فهم أقرب استجابة لنداء الشرك والكفر منهم لنداء التوحيد والإيمان انظر 5/ 526

ثانيا : إيثار " ما" على "مَنْ" وعكسه :

البيان والتحليل	النّظم القرآنيّ
" ما" موصولة أو موصوفة ، وقد أوثرت على "مَنْ"، ذهابا إلى معنى الوصف في النساء ، إيذانا بأنه المقصود لا الذات، وهو الغالب في اعتبار الرجال ، ولم يكن مقصودا أنّ هنّ إناث من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء ، لأن ذلك مخلّ بمقام التّرغيب فيهنّ انظر 96/2	**{فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ}** **(النساء:3)**
إيثار "ما نكح "على "مَنْ نكح" للذهاب إلى الوصف في النساء ، وهو فعل النكاح لا إلى ذات الزوجة كإنسان ، وقوله:{من النساء} بيان لما ذكر من الوجهين: الوصف والذات، وقوله {إلا ما قد سلف) مفيد للمبالغة في التحريم ، بإخراج الكلام مُخْرج التعليق بالمحال، أي : ولا تنكحوا حلائل آبائكم إلا من ماتت منهنّ ، والمقصود سدّ طريق الإباحة بالكليّة ، ونظيره في التعليق بالمحال{حتى يلج الجمل في سمّ الخياط}. وقيل غير ذلك انظر 115/2	**{وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا}** **(النساء:22)**
إيثار (ما) على (مَنْ) ، لتحقيق المطلوب من أوّل وهلة ، بأنّ معبودهم هو بمعزل عن الألولهيّة ، لأنه منتظم في سلك الأشياء لا الأشخاص، وهي عاجزة بالطبيعة ، وهي مسيّرة لا تملك لا لنفسها ولا لغيرها ضرّا ولا نفعا. انظر 306/2	**{قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}** **(المائدة:76)**

{قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} (المائدة:76)	إيثار (ما) على (مَنْ) ، لتحقيق المطلوب من أوّل وهلة ، بأنّ معبودهم هو بمعزل عن الألوهيّة ، لأنه منتظم في سلك الأشياء لا الأشخاص، وهي عاجزة بالطبيعة ، وهي مسيّرة لا تملك لا لنفسها ولا لغيرها ضرّا ولا نفعا. انظر 306/2
{يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ} (الحج:2)	التعبير عن الرضيع "بما" دون "من"، لتأكيد الذهول وكونه لا يخطر على بالها أنّه ماذا؟ لا أنّها تعرف شيئيّته ، لكن لا تدري من هو بخصوصه. وقيل : ما مصدرية، والمعنى تذهل ترضع عن إرضاعه ذهولا تاما. انظر 365/4
{يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ} (الحج:13)	إيثار مَنْ على ما، مع كون معبودهم جمادا، وإيراد اسم التفضيل مع خلوّه من النفع بالمرّة للمبالغة في تقبيح حاله والإمعان في ذمّه، أي يقول ذلك الكافر يوم القيامة بدعاء وصراخ حين يرى تضرّره بمعبوده ودخوله النار بسببه، ولا يرى منه أثر النفع أصلا(لمن ضرّه أقرب من نفعه) انظر 372/4

ثالثا : توسيط الواو بين الصفات

{الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ }[1] ، توسيط الواو بين الصفات المعدودة للدلالة على استقلال كلّ منها وكمالهم فيها، أو للدلالة على تغاير الموصوفين بها.([2])

ومنه قوله تعالي:{**عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا** }[3]، وُسّطَ العاطفُ بين ثيباتٍ وأبكارا لأنهما متنافيان متقابلان، دون غيرها من الصفات المذكورة في الآية، لأنها تجتمع وتفترق.

رابعا : توسيط " إذْ " بين لولا وفعلها:

{لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ}([4])، توسيط الظرف:(إذْ) بين لولا وفعلها، غرضه تخصيص المُخَصَّص بلولا بأوّل زمان سماعهم، وقصر التوبيخ على تأخير الإتيان بالمخصص عليه عن ذلك الآن والتّردد فيه ليفيد أنّ عدم الإتيان به رأسا في غاية ما يكون من القباحة والشناعة ، والمعنى : كان الواجب أن يظنّ المؤمنون أوّل ما سمعوه ممّن اخترعه بالذات أو بالواسطة من غير تلعثم وتردّد بمثلهم من آحاد المؤمنين خيرا([5]).

---

[1] - آل عمران : 16-17
[2] - أبو السعود 1/ 345
[3] - التحريم : 5
[4] - النور : 12
[5] - أبو السعود 444/4

خامسا : السرّ البلاغي في إعادة اللام :

{فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ}([1])، إعادة اللام في قوله { ثم لتبلغوا أشدّكم} مع تجريد الأوّلين عنها، للإشعار بأصالته في باب الفرضيّة، أي في الكشف عن أغراض الخلق بالنسبة إلى السابقين : (ونقرُّ في الأرحام – ثمّ نخرجكم طفلا) إذْ عليه يدور التّكليف المؤدى إلى السّعادة والشّقاوة([2]).

سادسا : وجه التّرجّي في لعلّ:

{أَوَ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}([3])، دلالة حرف التّرجّي في قوله:(ولعلّكم ترحمون) هو التنبيه على عزّة المطلب، وأنّ التقوى غير موجبة للرحمة، بل هي منوطة بفضل الله تعالي وأنّ المتّقي ينبغي عليه ألاّ يعتمد على تقواه ، ولا يأمن عذاب الله([4]).

سابعا : دلالة (ما) على معنى التحقير:

قوله تعالي:{اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَ بَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّه}([5]) ، جاءت الآية ردّا على مطالب بنى إسرائيل من موسي ، فأُمِرُوْا أن أن ينحدروا نحو مصر فإنّها زاخرةٌ مُتْخَمَةٌ بمطالبهم، " ولعلّ التعبير عن الأشياء

---

[1] - الحج:5

[2] - أبو السعود 368/4

[3] الأعراف: 63

[4] - أبو السعود 504/2

[5] - البقرة:61

المسئولة بما، للاستهجان بذكرها احتقارا لمطالبهم ، كأنّه قيل: فإنّه كثير وفير في متناول كلّ يدٍ ، مبتذلٌ يناله كلُّ أحدٍ"([1]).

ثامنا : دلالة " أو " على معنى التسوية:

قوله تعالي :{فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا} [(2)] ، إيثار العطف " بأوْ " المقيّد للإباحة على الواو، للدلالة على تساوي الوصية والدَّين في وجوب التنفيذ ، وتقدّمهما على القسمة مجموعين أو منفردين([3])، وقد يدل العطف بأوْ على منع الخلوّ دون منع الجمع ، كما في قوله تعالي:**{فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى}**[(4)]، دل العطف بأوْ على أنّه سيعود ظافرا بقبس من نار يستوقده للتدفئة من لفعة البرد القارس، أو يعود ظافرا بشعلة من هدى أو ضوء من نور، يقينا منه أنّه إنْ لم ينل الحسنيين فلن يخيب ظنه في أحدهما ، فأوْ هنا تفيد مع العطف ، مَنْعَ الخلوّ من أحدهما ولا تمنع الجمعَ بينهما.[(5)]

تاسعا: حروف الصلة في النظم القرآني

كثيرا ما تُزاد أحرف في سياق الكلام لإفادة معنى زائدٍ على ما يدلّ عليه أصلُ الأسلوب، ومن أبرز أحرف الزيادة : الباء / ما / مِنْ / و اللام / ، وتسمّى بالأحرف الزائدة ، وهي في القرآن أحرف الصلة تأدّبا ، وسدّا لذرائع المتربّصين ودفعا من أوّل

---

[1] - أبو السعود 140/1
[2] -النساء:11
[3] - انظر 205/2
[4] - طه 10
[5] - انظر أبو السعود 4/ 271

وهلة لأوهام المتوهّمين أنّ في القرآن الكريم لفظةً زائدة ، وقد تناول أبو السعود طائفة منها حين ورودها ببيان مقاصدها وكشف اللثام عن مراميها في الكلام ، وكان مما قال:

زيادة "لا" لتأكيد معنى النفي:

قوله تعالي:{**صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّين**}[1] قوله: { **وَلَا الضَّالِّين**}، لا:مزيدة ، لإفادة تأكيد معنى النفي الذي استفيد من "غير"، كأنّه قيل: لا طريق المغضوب عليهم ولا طريق الضّالّين ، إشارةً إلى أنّها ليست من الاستقامة والهداية في شيء [2]، ونظيره قوله :{ **وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَن**}[3] أصل الكلام : ولا تستوي الحسنة والسيئة ، كقوله تعالي:{ولا يستوي الأعمى والبصير}، وزيدت " لا" النافية في : (ولا السيئة) لتأكيد نفي استوائهما البتة بأيّ وجه من الوجوه، ونظيره:{ولا الظلمات ولا النور ، ولا الظلّ ولا الحرور}[4].

زيادة (ما) لتقرير المعنى وتوكيده :

قوله تعالي:{**فَبِمَا رَحْمَةٍ مّنَ الله لِنتَ لَهُمْ** }[5] زيادة "ما "بين حرف الجار:(الباء) ، والمجرور: (رحمة) ، غرضه تقرير المعنى وتوكيده ، ونظيره:{ **فَبِمَا نَقْضِهِم ميثاقهم**}[6]، والمعنى: أنّه برحمة الله ومنّه صرتَ يا محمد ليّن الجانب رابط الجأش عظيم الخلق ، بعد أن كان الغمُّ على مخالفة أمرك يوشك أن يوقع الخلاف والشقاق بينك وبين أصحابك ، فما بك من نعمة فمن الله لا من عند غيره[7].

---

[1] - الفاتحة :7
[2] - انظر أبو السعود 1/ 29
[3] - فصلت : 34
[4] -فاطر : 21-22
[5] - آل عمران : 159
[6] - النساء : 155
[7] - انظر أبو السعود 2/ 55

<u>زيادة "ما" للمبالغة في المعنى:</u>

قوله تعالي:{**وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُون**}[1]، قوله: { **قَلِيلًا مَا يُؤْمِنُون** }، ما : مزيدة لإفادة معنى المبالغة فيما دلّت عليه كلمة:**(قليلا)**، الواقعة صفةً للمفعول، أي : فإيمانا قليلا يؤمنون، وقيل : فزمنا قليلا يؤمنون، على منوال قولهم:{ **آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**}[6] وقيل : المراد بالقلّة مضاف إليها "ما" الزائدة هو العدم ، نفيٌ لعدم إيمانهم بالكليّة نفيا قاطعا[2].

<u>زيادة "مِنْ " للمبالغة في نفي النسبة :</u>

قوله تعالي:{**أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ** }[3]، تفيد زيادة "مِنْ " بين الفعل والفاعل معنى المبالغة في نفي النسبة التى دلّت عليه "ما"، وهو أن يكون جاءهم أحدُ من المرسلين مبشرين أو منذرين ، إصراراً منهم على البحث عن الأعذار والتبرّؤ من مغبّة الكفر بالمرسلين، ولكنّ الحقيقة كانت وما زالت أقوى من كلّ المعاذير:{ **فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ**}[3]

<u>زيادة "مِنْ " لإفادة معنى الاستغراق:</u> قوله تعالي:{وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم }[4]، أصل الكلام : وما دابة في الأرض، وزيدت "مِنْ" لإفادة معنى الاستغراق والشمول لكافة أنواع الدواب وأشكالها ، نفيا للتزيّد أو التجوّز [5].

---

[1] - البقرة: 88
[2] - المائدة : 19
7- انظر أبو السعود
[3] - انظر أبو السعود 2/ 254
[4] - الأنعام : 38
[5] - انظر أبو السعود 2/ 380

زيادة " لا" لتأكيد معنى النفي في الفعل

قوله تعالي:{ **قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ** }[1]، أصل الكلام : ما منعك أن تسجد ، وزيدت الّلام لإفادة تأكيد معنى النفي في الفعل، وهو امتناع إبليس عن الامتثال لأمر السّجود لآدم امتناعا قاطعا ، حسدا من عند نفسه واستكبارا وعنادا [1].

زيادة اللام للدلالة على إمحاض النصيحة:

قوله تعالي:{ **أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**}[2]

يتعدى الفعل "نصح " بنفسه ، وزيادة اللام في:(أنصح لكم)، للدلالة على إخلاص النصيحة وإمحاضها لهم بشكلٍ أخصّ ، إشارةً إلى أنّها لمنفعتهم ومصلحتهم دون غيرهم[3]

زيادة" ما" لإفادة معنى التقليل والتحقير:

قوله تعالي:{**جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ** }[4] ، قوله:{ **جُنْدٌ مَا** } ما: حرف صلة يدلّ على معنى التقليل والتحقير ، تقول: أكلتُ شيئا ما، أي : قليلا هيّنا، والمعنى : جندٌ قليل الحول والقوة ، ضعيف الشوكة مهزوم مندحر ، وهي بشارة للرسول والمؤمنين معه بالنصر وبالتمكين. وقيل: ما، يدلّ على معنى التّعظيم ، أي : جندٌ أيُّ جندٍ في عدته وعتاده وعدد رجاله ، وهو مُنبئٌ عن التهكّم و الهزء ، بالنظر إلى أنّ قوته وعظمته المزعومة لمَ تحُلْ دون كسر شوكته وانهزامه يجرّ أذيال الخيبة ، كان ذلك يوم بدر [5].

---

[1]- الأعراف : 12

[2]- الأعراف : 62

[3] - انظر أبو السعود 2/ 503

[4] - ص: 11

[5] - انظر أبو السعود 5/ 453

قوله تعالي:{**وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ**}[1] ، قوله :{**وَقَلِيلٌ مَا هُمْ**}، ما : زائدة لإفادة توكيد وجودِ قلّةٍ قليلةٍ من الخلطاء المؤمنين الذين يتحاشون الجور والظلم ، فكان التعجّب من قلّتهم[1]

عاشرا: وجه التّراخي في العطف " بثمّ "

تتوزّع المعاني التي يدلّ عليها التّراخي في العطف بثمّ ، والتي تحدّث عنها شيخ الإسلام إلى أربعة أقسام هي: التراخى في الزمان ، والتراخي في الرتبة ، وقسم متأرجح بينهما ، ثمّ التراخي في الحال.

أولا : التّراخي في الزمن والمدة

النّظم القرآنيّ	البيان والتحليل
{ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ} (الأعراف:103)	(ثمّ): عطفا لقصة موسي وفرعون على قصّة الرسل المذكورين، مِمَّنْ أهلك الله أقوامهم، ووجه التّراخي في العطف ، هو الإشارة إلى المدة التى تفصل بين إرسال موسى إلى فرعون وبين الرسل السابقين عليه ، وفقا للسنن الإلهية التى يرسل الله بها الرّسل تترى إلى أممهم ، على اختلاف مواقعهم وأزمانهم. انظر 13/3

[1] - أنظر أبو السعود 5/ 461

{إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ} (التوبة:4)	وجه التّراخي في العطف بثمّ هو بيان طول الفترة التى ثبت فيها المشركون على العهد دون نقضه ، أو مظاهرة على المؤمنين أحدا. انظر 122/3
{إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً} (يونس:71)	وجه التّراخي في العطف بثمّ ، هو التّراخي في الزمان، والمعنى : لا يكن حالكم عليكم غمّة وتخلصوا بإهلاكي من ثقل مقامى بينكم وطول تذكيرى لكم. انظر 262/3
{ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ} (المؤمنون:44)	(ثمّ أرسلنا) : معطوف على: (أنشأنا) على معنى إرسال كلِّ رسولٍ كلَّ رسول متأخّر عن إنشاء قرن مخصوص بذلك الرسول كأنّه قيل: ثمّ أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين ، وقد أرسلنا إلى كلّ قرن منهم رسولا خاصا به انظر 415/4

{وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} (النور:4)	وجه التّراخي في العطف بثمّ ، هو ما يشير بجواز تأخير الإتيان بالشهود ، كما أنّ في كلمة : (لم) إشارة إلى تحقق العجز عن الإتيان بهم وتقرُّره. انظر 440/4
{فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ	وجه التّراخي في العطف بثمّ، هو أن الكفرة

{ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ} (الصافات:66-67)	الذين ملأوا بطونهم من شجر الزّقوم بعد أن يغلبهم العطش جراء تجرّعهم منها شراب من غسّاق أو من صديد أهل النّار مشوبًا بما حميم يقطع أمعائهم، ووجه العطف(بثمّ) هو طول المدّة بين استسقائهم منها والاستجابة لسقيه. انظر 425/5
{إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ} (الغاشية:26)	وجه التّراخي في العطف بثمّ، هو التّراخي في الزّمان، فإنّ التّرتيب الزّماني بين إيابهم وحسابهم، لا بين إيابهم إليه تعالي وحسابهم عليه تعالي فإنّهما أمران مستمرّان. انظر 422/6

ثانيا : التّراخي في الرتبة والدرجة

النظم القرآني	البيان والتحليل
{الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} (هود:1)	{أحكمت آياته ثم فُصّلتْ} أي جُعلت فصولا من الأحكام والدلائل والمواعظ والقصص، أو فُصِّلِ فيها مهماتُ العباد في المعاش والمعاد ، ووجه التّراخي في العطف بثمّ كامن في النظر إلى إحكام الآيات ثم تفصيلها إلى موضوعات على النّحو السابق، بثّم باعتبار مصالح العباد ، وهي درجات بعضها فوق بعض، فناسب العطف بثمّ إشارة إلى تلك المراحل والمراتب والدرجات انظر 3/ 281

{وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ} (هود:113)	وجه التّراخي في العطف بثمّ هو في الرتبة والدرجة ، حيث إن رتبةُ كفرهم وعنادهم غير منصورين من جهة الله تعالي، وأقل شأنا من مرحلة حلول العذاب الذي أوعدهم الله به وأجبه عليهم٬ فهي أشدُّ وأنكى انظر 3/ 357

{وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ، ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا } (النحل:121- 123)	وجه التّراخي في العطف بثمّ هو في الرتبة والدرجة ، وهي الإشارة إلى أنّ هذه النّعمة من أجلّ النّعم وأعلاها درجة بالمقارنة إلى سابقاتها، وأنّ بينهما ما بينهما من البون الشاسع. انظر 103/4
{وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى} (طه:82)	وجه التّراخي في العطف بثمّ ، هو الرتبة والدرجة ، بالنظر إلى أنّ مرتبة الاهتداء والاستقامة الدائمة على طريق الإيمان والعمل الصالح ، هي مرحلة رفيعة متأخرة يصل إليها المرء بالتدرج ، عن مرحلة الانطلاق والبداية ، من التّوبة من الشّرك وترك المعاصي ، فالإيمان وكسب الصالحات. انظر 299/4
{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ} (السجدة:22)	وجه التّراخي في العطف (بثمّ) هو في الرتبة والدرجة ، إيذانا بإيقاع فرق بعيد واستبعاد شديد بين مرحلة التذكير بآيات الله البينات ، وبين مرحلة الإعراضِ لعبدٍ من العباد عن آيات ربه ، مع شدّة وضوحها ، ومع ما فيها من أمر رشدٍ وصلاحٍ للعباد في المبدأ والمعاد انظر 273/5
{لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ	وجه التراخي في العطف بثمّ عطفا على جواب القسم ، هو

فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا} (الأحزاب:60)	الدلالة على أنّ الجلاء عن المدينة ومفارقة جوار الرسول صلي الله عليه وسلم وأصحابه البررة الكرام ، لهو أعظم مصيبة يُصاب بها أولئك المقبوحون، إشارة إلى أنّهم بعيدون في الرتبة والدرجة من أن يكونوا أهلا للجوار الكريم، وبأنّ المدينة تنفي خبثها وترميهم بعيدا عنها. انظر 5/ 315
{كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ثُمَّ إِنَّهُمْ لصالو الْجَحِيمِ} (المطففين:15-16)	وجه التّراخي في العطف بثمّ ، هو التّراخي في الرتبة والدرجة ، بالنظر إلى أنّ صَلْيَ الجحيم أشدّ بلاءً وعذابا من الحرمان من الرحمة ومن الكرامة برؤية الله عزّ وجلّ، فهي بالنسبة لهم رغد في العيش ورفاهية زائدة. انظر 6/ 396
{يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ، أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ، ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ} (البلد:17)	وجه العطف بثمّ وهو الرتبة والدرجة ، بالإشارة إلى تراخى رتبة الإيمان وعلوّ مرتبته وبعد منزلته عن كلّ ما سبق ، إذ لا يصحّ شيء منها في ميزان الله إلا بعد الإيمان بالله عزّ في علاه. انظر 6/ 432
{سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى، الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى، ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى} (الأعلي:10-13)	يفيد العطف بثمّ الترتيب في وقوع الأحداث والأفعال والتّراخي فيها ، ووجهه واضح في مراتب العذاب والشّدة ، ودرجات البلاء والقسوة، لأنّ التّردّد بين الموت والحياة أفظع وأشدّ بلاء من صلي النّار انظر 6/ 416

ثالثا : مواقع محتملة بين الزمان وبين الرتبة

النظم القرآنيّ	البيان والتحليل
{هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ} (الأنعام:2)	قوله:(ثم قضي أجلا) وجه التراخي في العطف بثمّ للإيذان بتفاوت الرتبة ما بين خلقهم وما بين تقدير آجالهم ، كما يحتمل التّراخي والتفاوت ما بين مدة الخلق ومدة تقدير آجالهم ، حسبما تقتضيه الحكمة البالغة. 350/2
{قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ} (الأنعام:11)	وجه التّراخي في العطف بثمّ إمّا لأنّ النّظر في آثار الهالكين لا يتسنّى إلا بعد انتهاء مدة السير إلى أماكنهم ، وإمّا لإنابة ما بينهما من التفاوت في مراتب الوجوب ، وهذا هو الأظهر، كما قال شيخ الإسلام انظر 359/2
{فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى} (طه:40)	وجه التّراخي في العطف بثمّ ، هو الإشعار بأنّ مجيئه عليه السلام كان بعد اللّتى واللّتيا ، من ضلال الطريق وتفرّق الغنم في الليلة المظلمة الشاتية ، وهي مراتب ومراحل مختلفة في شدائدها ، كما يحتمل التّراخي في مقدار الزمان الذي يُوْحي فيه إلى الأنبياء عليهم السلام على رأس الأربعين سنة. انظر 281/4
{قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى} (طه:50)	وجه التّراخي في العطف بثمّ، أنّه لمّا كان الخلق الذي هو عبارة عن تركيب الأجزاء وتسوية الأجزاء وتسوية الأجسام ومتقدّما على الهداية التى هي عبارة عن إيداع القوى المحركة والمدركة في تلك في تلك الأجسام وسط بينهما كلمة (ثمّ) المفيدة انظر 4/ 285

{فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى}(طه:60)	وجه التّراخي في العطف بثمّ ، هو أنّ فرعون لم يسارع إليه ، بل أتاه بعد لَلأْيٍ وتلعثم ، وعدم المسارعة تعنى تراخٍ في المدة أو في المراتب والمراحل. 4/ 290
أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ} **(القصص:61)**	وجه التّراخي في العطف بثمّ ، هو طول المدة بين التّمتّع بمتاع الحياة الدنيا ، وبين وقوع الموت والبرزخ والبعث والإحضار إلى المحشر ، كما يصحّ اعتبار التّراخي في درجة التفاوت بين أحوال الدنيا وأهوالها و بين أحوال الآخرة وشدائدها ، وهي مراتب متباينة ومراحل متفاوتة، كالتفاوت بين أحوال الدنيا والآخرة انظر 178/5

أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ} **(القصص:61)**	وجه التّراخي في العطف بثمّ ، هو طول المدة بين التّمتّع بمتاع الحياة الدنيا ، وبين وقوع الموت والبرزخ والبعث والإحضار إلى المحشر ، كما يصحّ اعتبار التّراخي في درجة التفاوت بين أحوال الدنيا وأهوالها و بين أحوال الآخرة وشدائدها ، وهي مراتب متباينة ومراحل متفاوتة، كالتفاوت بين الدنيا والآخرة . انظر 178/5
{ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ،لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا	وجه التّراخي في العطف بثمّ ، محتمل للزمان وللرتبة ، والمعنى لكم فيها منافع دنيوية في حياتكم إلى وقت نحرها ، كما أنّ لكم فيها منافع دينيّة وهي أعظم وأجلُّ بعد نحرها قربانا لله، والمعنى: الآخر هو أنّ وقوع المنافع والاستفادة منها مرحلة تسبق نحرها

إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ} (الحج: 32-33)	وقت وجوبه أول البيت العتيق، وهذه المرحلة الأخيرة هي الأهمّ والأكثر دلالة على الاستجابة لأمر الله بتقديم الهَدْي إلي البيت العتيق، وهي مقصودة بذاتها. انظر 4/ 381

{أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ،ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا} (الفرقان:46)	وجه التّراخي في العطف بثمّ يحتمل التّراخي في الزمان وفي الرتبة ، فالأول: لما أنّ في بيان كون القبض والمدّ مرتّبين دائرين على قطب مصالح المخلوقات مزيد دلالة على الحكمة الربانية. أمّا الثانى: فعلى معنى : أنا أنزلناه بعد ما أنشأناه ممتدّاً ومحوناه بمحض قدرتنا ومشيئتنا عند إيقاع شعاع الشّمس موقعه من غير أن يكون له تأثير في ذلك أصلا، وإنّما عبّر عنه بالقبض المُنْبِئ عن جَمْعِ المُنْبَسِطِ وطيّه لما أنّه قد عبّر عن إحداثه بالمدّ الذي هو البسط طولا. انظر 5/ 35
{خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا}(الزمر:6)	وجه التّراخي في العطف هو في الحال ، حال الخلق الأوّل من العدم من التّراب وحال الخلق من مادة محققة ، وهي أحوال مرّت في فترات زمانية محددة ، ويصحّ اعتبار وجه التّراخي في المنزلة والرتبة ، منزلة خلق آدم أبي البشر، خلقه بيديه وخلق زوجه وبنيه من بعده انظر 5/ 489
{وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا، ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا، ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ	وجه التّراخي في العطف بثمَ ، هو الإشارة إلى تفاوت المراتب في مناهج الدعوة التى سلكها نوح عليه السلام ، فإن الجهار بالدعوة أشدّ من الإسرار بها، والجمع بينهما

وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا} (نوح:7-9)	أغلظ من الإفراد ، ويصحّ اعتبار التّراخي في الزّمان على معنى أنّه كان يراوح بين فترات متراخية في تطبيق مناهج الدعوة. انظر 6/ 208
إنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا} (فصلت:30)	وجه التّراخي في العطف بثمّ، وهو التّراخي في الزمان، على معنى أنّ الاستقامة لا تتمّ لصاحبها إلا بعد طول مجاهدة في الالتزام بسنن الهدى، ويصحّ اعتبار التّراخي في الرتبة على معنى أنّ الاستقامة هي رأس الأمر وذروة سنامه ، لأنها الدليل العمليّ علي الإيمان باللسان والاعتقاد الجنان. انظر 568/5
{فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ، ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ .. } (النحل: 26-27)	وجه التّراخي في العطف بثمّ، هو الإشارة إلى بين الجزائين من التّفاوت والمراتب، مع ما يدلّ عليه من التّراخي في زمان وقوعهما بين الدنيا والآخرة. انظر 55/4..
{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ} (الزمر:21)	وجه التّراخي في العطف بثمّ هو الرتبة والدرجة، بالنظر إلى أنّ إخراج الزّرع مما يأكل الناس والدّوابّ هو غاية الغايات وأم الآيات ، ويصحّ اعتبار التّراخي في الزمان بالنّظر إلى أنّ مرحلة الإنبات متأخّرة ومتدرّجة عن مرحلة إنزال الماء من السماء وشقّ الينابيع في الأرض. انظر 499/5
{فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ	وجه التّراخي في العطف بثمّ، هو الإشارة إلى بين الجزائين

وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ، ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ ..} (النحل: 26-27)	من التّفاوت والمراتب، مع ما يدلّ عليه من التّراخي في زمان وقوعهما بين الدنيا والآخرة انظر 55/4
{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ} (الزمر:21)	وجه التّراخي في العطف بثمّ هو الرتبة والدرجة، بالنظر إلى أنّ إخراج الزّرع مما يأكل الناس والدّوابّ هو غاية الغايات وأم الآيات ، ويصحّ اعتبار التّراخي في الزمان بالنّظر إلى أنّ مرحلة الإنبات متأخّرة ومتدرّجة عن مرحلة إنزال الماء من السماء وشقّ الينابيع في الأرض. انظر 499/5

المطلب الثاني : فروق في استخدام المفردات

أولا : التعريف والتنكير في النظم القرآنيّ:

(1): تنكير الاسم ودلالاته

إفادة العموم والشمول من كلّ وجه:

قوله تعالي:{**وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا** }[1] ، تنكير المفعول: (منكرا من القول وزرا) ، يفيد معنى العموم والشمول من كلّ وجه ، في أمر المظاهرة والظهار بالزوجات وتسميتهنّ أمّهات بعد أن أفضي بعضهم إلى بعض ، فهو منكرٌ وبهتانٌ في ميزان الشرعِ والنقل ، كما في حُكم الطبع والعقلِ ، عَلى أنَّ مدار تأكيدِ الجملة :

(إنّهم) ليس في صدور القولِ عنهم فإنَّه أمرٌ محققٌ ، بلْ التوكيد على كونه منكراً من كلّ وجه[2]

التنكير الموجب للتسلية والمصابرة :

قوله تعالى :{**وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ**} [3] تنكير الاسم:(رسلٌ) ، _لإفادة معنى التفخيم والتعظيم لموكب الرسل المُكَذَّبينَ من أممهم ، ولم يكن لهم من ملجأ سوى حصن الصبر والاحتساب إلى الله ، وذلك موجبٌ لمزيد من التسلية والمصابرة على ما كان يلقاه النبي صلي الله عليه وسلم من الشدائد والمحن من المشركين بمكة [4]

---

[1] - المجادلة : 2

[2] - انظر أبو السعود 6/ 214

[3] - فاطر :4

[4] - انظر أبو السعود 5/ 354

إفادة معنى التهويل والتفظيع:

{أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ} [1]، الصيّب على وزن فيعل من الصوب، وهو النزول الذي له وقْعٌ وتأثير مدوٍّ، وغلب استخدامه في الماء خصوصا ، وتنكيره لأنّه قُصِد به نوعٌ من الصّيّب شديد الفظاعة مهول الآثار كالنار الحارقة في التشبيه الأوّل ، وتبدو فظاعته بالصوب الدال على شدّة الانسكاب المُدوِّى ، ومن جهة بنائه (صيّب) صفة مشبهة دالة على معنى الثبات وطول مدة بقاء الصوب، وحرف العطف (أوْ) يؤذنُ بتساوي القصتين(السابقة واللاحقة) في الاستقلال بوجه الشبه وبصحّة التمثيل به مستقلاّ أو مقترنا مع الآخر ([2]).

ونظيره قوله تعالي :{ **كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِين من النار}**[3]، تنكير الحال:(حسراتٍ)، الحسرة هي شدّة الحسرة والندامة ، وتنكيرهاَ جْمعاً لإفادة معنى شدّة التهويل ونهاية مداه وأنواعه ، وفظاعة الألم والكمد والنكد المنتشرة في حنايا القلب المتحسرة ، بعد أن انقلبت أعمالهم نداماتٍ ، فلا يرون سوى حسرات في صحائف أعمالهم ، مؤَكَّدة بعدم خروجهم من النار ومكوثهم فيها أبدا [4].

{فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِه }[5] ، وردت الآية في معرض التهديد والوعيد لأكلة الربا، وتنكير الاسم : (فأذنوا بحربٍ) إعلانٌ عن شدّة الهول وفداحة الخسائر ، فهي حرب بلا حدود، والحرب بطبعها شيء مهول فظيع يكفي عنها .

---

[1] - البقرة : 19
[2] - انظر أبو السعود 1/ 72-73
[3] - البقرة: 167
[4] - انظر أبو السعود 1/ 228
[5] - البقرة : 279

اسمها، وهي من الله ورسوله دمارٌ شاملٌ لمن أُذِنَ له لا يقادر قدره ، بدليل أنّه لم يبلغ من تفظيع أمر أراد القرآن إبطاله من أمور الجاهلية ما بلغ به من تفظيع الربا، ولا بلغ من التهديد في اللفظ والمعنى ما بلغ به التهديد في أمر الربا ، وللّه الحكمة البالغة. [1].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ} [2]، سُمّيتْ يوم القيامة غدا لدنوّه ، أو لأنّ الدنيا كيوم واحدٍ والآخرةُ هي غدُه، وتنكيره لتفخيمِ أمره وتهويلِ أحواله وواقعه ، كأنّه : قيلَ لغدٍ لا يُعرفُ كنهُهُ لغايةِ عظمِه ، وأما تنكيرُ نفسٍ فلاستقلالِ الأنفسِ النواظرِ فيما قدَّمن ليوم القيامة نفسا نفسا:**{وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا}**[3].

<u>تنكير الاسم لتفخيم المعنى وتعظيمه:</u>

قوله تعالي: { **قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ**}[4] ، تنكير الاسمين:**(**موعظة من ربكم وشفاء**)** يفيد معنى التفخيم والتعظيم من شأنهما، أيْ: جاءتكم موعظة عظيمة صادرة من ربٍّ رؤوف رحيم بكم ، وشفاءٌ بالغُ التأثير و النجاعة لأمراض القلوب التي هي أشد خطرا و فتكا بالإنسان وإفسادا لحياته وحياة الناس من حوله من أمراض الأبدان[5].

قوله تعالي:{**سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ**}[6] تنكير الاسم:

(سورة**)** ، يفيد معنى التفخيم والتعظيم من شأن هذه السورة وما جاء فيها من أحكام، وقد أضيف إلى فخامتها وعظمتها الذاتية قيمةُ المصدر العالي المدلول عليه بالجملة الواقعة

---

[1] - انظر أبو السعود 1/ 317، وانظر أيضا في ظلال القرآن 318/1

[2] - الحشر : 18

[3] - مريم : 95

[4] - يونس : 57

[5] - انظر أبو السعود 3/ 252

[6] 0 النور : 1

صفة:(أنزلناها) ، فهي سورة عظيمة فخمة أحكاما وشرائع ، نازلةٌ من الله من فوق سبع سماوات[1].

ومنه قوله تعالي:{ **وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ**}[2] ، تنكير المفعول الثانى: (فضلا) ، يفيد معنى التفخيم والتعظيم لذلك الفضل الممنوح منحة لداود عليه السلام ، وقد أضيف إلى عظمة شأنه و إلى قيمته الذاتية قيمةٌ إضافيةٌ بذكر الوصف الجار والمجرور:(منّا) أي : صادرا من الله في عليائه[3].

تنكير الاسم لتحقير المعنى وتقليل الشّأن :

قوله تعالي:{ **أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِين** }[4]، تنكير الاسم:(من جنّة) يفيد معنى التحقير والتخسيس وتقليل الشّأن ، أي لو فكروا قليلا لعلموا أنّه ليس في الرسول من ذرةٍ من شيءٍ من جنون ، والتعبير عنه:(بصاحبهم) ، للإيذان بأنّهم أعلم الناس به ، وأنّ طول مصاحبتهم له لم يلاحظوا عليه شيئا من شائبة جنون أو مسّ ، تشديدا للنكير وإقامةَ الحجّةِ عليهم[5].

قوله تعالي:{**إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ**}[6]

مُبْصِرُونَ}[6]

تنكير الفاعل:(طائفٌ) يفيد معنى التحقير وتقليل الشّأن، أيْ: إنّ أهل التقوى إذا مسّهم أدنى لمّةٍ أو وسوسةٍ من الشيطان ، أو بشيءٍ ولو كان ضئيلا هزيلا من همزه وغمزه ،

1 - انظر أبو السعود 4/ 437
2 - سبأ : 10
3 - انظر أبو السعود 5/ 326
4 - الأعراف : 184
5 - انظر أبو السعود 3/ 59
6 - الأعراف : 201

فإنّهم يستعيذون بالله من همزات الشياطين ، ويتبصّرون مواقع الخطأ والزّلل، فيتوبون ويُنيبون إلى الله[1].

قوله تعالي: {**قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ**}[2] ، تنكير الاسم:(**مِنْ سوء**) يفيد معنى التقليل والتخسيس ، أي نفي جنس السوء عنه بكلّ معانيه ومظاهره ، كثيره وقليله ، ما ظهر منه وما بطن ، وزيادةُ (**مِنْ**) لأجل المبالغة في نفي جنس السوء عنه نفيا قاطعا شاملا ، بمعنى أنّ يوسف طاهرٌ نقيّ برِيء براءة تامة[3].

قوله تعالي:{**هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ** }[4] ، تنكير الاسم: (ولا تمسوها بسوء) للدلالة على المبالغة في النهي عن عدم التّعرّض لناقة الله بما يؤذي أو يضرّ ، مهما كان يسيرا أو حقيرا فضلا عمّا فوقها، فكلّ ما هو سوء محرّمٌ عليكم التّعرض لها به[5].

قوله تعالي:{**وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ، وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي** }[6] ، تنكير المفعول:(**عقدةً من لساني**)، يفيد معنى التقليل والتّخسيس في نفسه ، وليستِ قلّتُها باعتبار كونها بعضا من عقدة كبيرة ، بل هي عقدة كانت على لسانه ، ضعيفة التأثير على بيانه ، ولكنّها مظنّة بأن يتخذها خصومه موضع تندّر وسخرية ، قيل: إنّها عقدة نجم عن تناوله جمرة من النّار في حضرة فرعون، حين أراد اختبار رشده فيما يفعل[7].

قوله تعالي:{**قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ**}[8] ، تنكير الاسم:

---

[1] - انظر ابو السعود 3/ 71
[2] - يوسف : 51
[3] - انظر أبو السعود 3/ 402
[4] - هود : 64
[5] - انظر أبو السعود 3/ 329
[6] - طه : 26-27
[7] - انظر أبو السعود 4/ 277
[8] - النمل : 36

(أتمدونني بمالٍ)، يفيد تحقيره والتقليل من شأنه ، فمالُ بلقيس لدى سليمان عليه السلام ، شيءٌ غير ذي قيمة ، بالنظر إلى علوّ شأنه واتساع ملكه من ناحية، وإلى مضمون رسالته الإلهية السامية التى بعثها إليه، يدعوها فيها إلى ترك العلوّ في الأرض واعتناق الإسلام ، فكان الردّ بحفنة من مالٍ ردّا غير لائق لا من الناحية الأخلاقيّة ولا في فنون التعاطى مع الملوك العظام والأمراء الهمام[1].

قوله تعالي:{**يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُون** }[2]، تنكير المفعول:(ظاهرا)، يفيد معنى التحقير وتقليل الشّأن لا الوحدة، لما يعلمه الناس من علم مردّه الحياة الدنيا ، والمعنى: يعلمون ظاهرا ضئيلا هزيلا من ظاهر الحياة الدنيا، أمّا علم الآخرة فهم عنها غافلون لا يخطر لهم على بال ، ولا يدركون من الدنيا ما يدفعهم إلى علم الآخرة[3].

قوله تعالي:{**قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُون**}[4]، تنكير المفعول: (قومًا)، ليفيد معنى الحطّ من شأنهم والتقليل من أمرهم ، فكأنّهم قوم منكرون ذاتا وصفات، هذا علي أنّ المراد بالقوم هم الكافرون، وقيل : إن المراد بالقوم هم المؤمنون، أُمِروا بالمغفرة والصفح الجميل، ليجزيهم الله يوم القيامة بما كسبوا من الصالحات، التي من جملتها العفو والصفح و الصبر على أذية الكفار ، فيكون المراد من التنكير هو التعظيم والتفخيم ، والتنويه برفعة مقامهم عند الله تبارك وتعالي[5].

---

[1] - انظر أبو السعود 5/ 121
[2] - الروم: 7
[3] - انظر ابو السعود 5/ 123
[4] - الجاثية: 14
[5] - انظر أبو السعود 6/ 59، وفتح القدير للشوكانى 6/ 439

تنكير الاسم لتفخيم المعنى وتكثيره :

{**فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ** }[1] ، (فأثابكم): عطفٌ على صرفَكم ، أي : فجازاكم الله تعالى بما صنعتم من مخالفة أمر الرسول – صي الله عليه وسلم – غَمّاً موصولاً بِغَمّ آخر موجود ، وكان اغتنام المسلمين في غزوة أحد من كثرة القتل والجرْحِ ، ومن فوت الغنيمة وظَفَرِ المشركين بهم ، ثمّ الإشاعةُ بمقتل الرسولِ صلى الله عليه وسلم ، و تنكيرُ الاسم : (غّما بغمٍّ) لإفادة معنى التكثير ، أيْ : غمّاً كثيرا بغمٍّ كثير آخر ، تمثّل في كثرة المصائب يومئذٍ [2].

قوله تعالي:{**فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا** }[3]، تنكير المفعولين:(فوجدا عبدا– وعلّمناه من لدنا علما)، يفيد معنى التفخيم والتعظيم في الأوّل ، وتفيد الإضافة فيه معنى التشريف و الزلفى، كما يدلّ التنكير على معنى التفخيم والتكثير في الثانى ، أي علّمناه من لدنا علما كثيرا خاصا به من علوم الغيب ، وهي قيمة إضافية تضاف إلى قيمة العلم الذاتية ، فيصير نورا على نور [4].

قوله تعالي:{**كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى**}[5]، تنكير اسم إنّ: (لآياتٍ) مؤكدا بها وباللام ، يفيد معنى التكثير كمّا ونوعا ، فهي آيات كثيرة العدد جليلة القدر واضحة الدلالة هادية إلى الله ، شاهدةٌ على نبوّة موسى ورسالته إلى بنى إسرائيل[6].

قوله تعالي :{**أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ**}[1]، تنكير الفاعل:

---

[1] - آل عمران : 153
[2] - انظر أبو السعود 2/ 49،
[3] - الكهف: 64
[4] - انظر أبو السعود 4/ 203
[5] - طه : 54
[6] - انظر أبو السعود 4/ 287

(نَفْسٌ)، يفيد معنى التكثير والتعميم ، أن تقول كلُّ نفس كافرة ، وقيل : كلّ نفس مؤمنة أو كافرة ، ومعنى التكثير والشمول قائم فيه على كلا المعنيين، تعرب نفسٌ عن حسرتها وندامتها على التفريط في جنب الله وطاعته ، ليوم لا ينفع فيه نفساً إلا صالح أعمالها .[2]

قوله تعالي :{**قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاه**}[3] ، تنكير المفعول:(وأن أعمل صالحا)، يفيد معنى التفخيم والتكثير، فهو : دعاء منه بأن يوفقه الله لشكر أفضاله ونعمه ، وأن يعمل عمل صالحا مضاعفا أضعافا كثيرة يكافئ نعمه ويوافي مزيده ، ما دامت نعم الله متوالية على الإنسان أبدا ، من بعد كما من قبل أن يبلغ أشده أربعين سنة[4].

<u>تنكير الاسم لإبهام المعنى وتغليفه</u> :

قوله تعالي:{**فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ** }[5] ، تنكير الاسم:(في قلوبهم مرضٌ) ، يفيد بأنّ مرضهم نوع مبهم غامض ، غير ما يتعارف عليه الناس من أمراض وعلل ، فهي آفة جاثمة في طبيعتهم ، وعلّة مستوطنة في قلوبهم ، يدفعهم دفعا بعيدا عن الطريق الواضح المستقيم ، ويجعلهم مستحقين الزيادة من اللّه مما هم فيه :{فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً} ، فالمرض ينشئ المرض ، والانحراف يبدأ يسيرا ، ثم تنفرج الزاوية في كل خطوة وتزداد ، سنة لا تتخلف في الأشياء والأوضاع، وفي المشاعر والسلوك، فهم صائرون إذن إلى مصير معلوم[6]

---

[1] الزمر : 56
[2] - انظر أبو السعود 5/ 513، وفتح القدير 6/ 297
[3] - الأحقاف: 15
[4] - انظر أبو السعود 6/ 73
[5] - البقرة : 10
[6] - انظر أبو السعود 1/ 59، وفي ظلال القرآن 1/ 43

ومنه قوله قوله تعالي:{ **اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ** }[1] ، تنكير الاسم(أو اطرحوه أرضا)، يفيد معنى الإبهام الملبس، وهو منطق القائل ومقصده ، أي : ألقوه أرضا منكرةً مجهولةً ، مبهمةَ المعالمِ والمسالكِ بحيث لا يعرف سبيلا للعودة إلى أبيه ، ولا يهتدي إليه أحدٌ لينقذه من الهلاك والفناء [2].

ونظيره قوله تعالي:{**إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ**} [3] ، الشغل: هو الشأن الذي يصدّ المرء عمّا سواه ، وتنكيره يفيد إبهامه وتغليفه بغلاف شفّاف عفيف، يورث التطلّع والشوق إلى معرفة كنهه ومفرداته ، والوقوف على تفاصيله وعناوينه.

وقيل : هو على معنى أنّها أشغال من ضيافة الله لأهل الجنّة ، عظيمة الشأن جليلة القدر، دونها كل درجات البيان والإفصاح ، من فنون النّعم وأشكال المُتَعِ التى أعدّها الله لصالح المؤمنين، وعباده المتقين[4].

ومنه أيضا قوله:{**مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا**} [5]، تنكير الاسم :{من رحمة}، للدلالة على إشاعة معنى الرحمة في جنسها ، توسيعًا لدائرتها ونطاقها، وإبهاما لها لتصدق على كلّ خزائن الرحمة وكنوزها ، من كل لون وفنّ من هو من رحمات الله على عباده، ما علمنا منه وما لم نعلم ، والمعنى : لا مرسل ولا ممسك لرحمات الله على عباده من كلّ جنس وصنف إلا هو وحده عزّ في علاه[6].

---

[1] يوسف : 9
[2] - انظر أبو السعود 3/ 368
[3] - يس : 55
[4] - انظر أبو السعود 5/ 395
[5] - فاطر : 2
[6] - انظر أبو السعود 5/ 353

تنكير الاسم للدلالة على فظاعة الأمر وفداحته :

قوله تعالي:{**وَالْعَصْرِ ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ** }[1] ، تنكير الاسم:(لفي خُسْرٍ) للدلالة على فداحة الخسارة وفظاعتها، خسارةٌ لا تُفقِدُ الإنسانَ عملَه ومالَه أو ولده وأهله ، ولكنّها تفقده نفسه وذاته ووجوده ، وهي خسارة لا عِوَضَ عنها أبداً ، وقد تولّى تنكيرُ الاسم الكشفَ عن هذا العُمْقِ السحيق من الخسارة والفقد ، سوى أنّ الآيات استثنت من تلك الخسارة المفجعة القوم المؤمنين، الذين صدّقتْ أعمالهَم الصالحة إيمانهَم الصادق، والتزموا جانب الحقّ وآوَوْا إلى مرفأ الصّبر والتّواصي بهما[2].

التنكير الدال على معنى التّميّز والخصوصيّة:

قوله تعالي : **{وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ }**[3] ، تنكير الاسم :(حياة) يفيد بأنّ مرادهم نوع خاص من الحياة ، وهي الحياة المتطاولة مهما كان شكلها أو لونها، لا يهمّهم شيء بعدها كيف تكون ، إنهم اليهود ، ماضيا وحاضرا ومستقبلا سواء ، لا ترفع رأسها إلا حين تغيب المطرقة ، فإذا وُجدتْ المطرقةُ نُكست الرؤوس ، وعنت الجباهُ جبنا وحرصا على حياة ، من أي نوع كان[4]

ونظيره قوله تعالي: **{فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا }**[5]، تنكير المفعول :(فصالا) ، وهو الفطام عن الرضاع قبل تمام الحولين ، يفيد تنكيره بأنّه فصال على وجه مخصوص غير مألوف ولا مرغوب فيه ، لأنّه ناجم عن الفراق أو عدم

---

[1] - العصر : 1-2
[2] - انظر أبو السعود 6/ 468
[3] - البقرة : 96
[4] - انظر أبو السعود 1/ 168 ، وانظر في ظلال القرآن 1/ 92
[5] - البقرة : 233

الوفاق بين الوالدين ، حتى وإن وقع بالتراضي والتشاور فلا يخرجه عن خانته الأولى ما دام ضرره على الولد واقع لا محالة[1].

قوله تعالي:{**وَالطُّورِ ، وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ، فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ** }[2]، تنكير الاسمين ، يفيد معنى التفخيم والتعظيم من شأنهما ، إيذانا بأنّهما ليس ممّا يتعارف عليه الناس من كتب ، بل هو كتاب صفتُه التّميّز وسِمتُه التّفوّق على كلّ ما سواه ، تعجز الكلماتُ عن التعبير عن عظمته وفخامته.[3]

تنكير الاسم للدلالة على معنى التعميم والإقناط:

قوله تعالي:**{وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ}**[4]، أي: لا تقضي عنها شيئاً من الحقوق ، فانتصابُ شيئاً على المفعولية ، أو شيئاً من الجزاء فيكون نصبُه على المصدرية ، وإيرادُ الفاعل نكرةً مع تنكير النفسِ لإفادة معنى التعميم والشمول لكلّ نفس ، والإقناطِ عن نصرة ذوى القربي و النسب ، والتيئيس عن الانتفاع من كلّ المتعلّقات والأمانى المرجوّة ساعة العسرة ، في يوم هو أشدّ أيام الله على الناس ، [5].

---

[1] - انظر أبو السعود 1/ 277
[2] - الطور: 1-3
[3] - انظر أبو السعود 6/ 144
[4] - البقرة : 48
[5] - انظر أبو السعود 1/ 132

(2) تعريف الاسم ودلالاته

الزبور بين التعريف والتنكير:

تنكير الزبور – الكتاب المنزّل على دواد عليه السلام – كما في قوله: **{وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورً }**[1]، وتعريفُه تارة أخرى كما في قوله:{و َلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ}** [2]

قيل : هو اسمٌ لجنس ما أُنزل على الأنبياء عليهم السلام، إمّا لأنه في الأصل فَعولٌ بمعنى المفعول كالحَلوب، أو مصدر بمعناه كالقول، وإما لأنّ المرادَ آتينا داودَ زبوراً من الزُّبُر، أو بعضاً من الزبور فيه ذكرُه عليه الصلاة والسلام ، وقرىء بضم الزاي على أنه جمع زِبْر بمعنى مزبور [3]

تعريف الاسم بالإشارة ودلالاته

التنبيه على علّو شأن المشار إليه ورفعة قدره:

قوله تعالى :**{وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُون }**[4] ، اسم الإشارة عائد إلى المذكورين باعتبار اتّصافِهم بالنعوت الحميدة المعدودة ، وما فيه من معنى البُعد للتنبيه عن علوِّ طبقتِهم وسُموِّ رُتبتِهم ، وتكريرُ الإشارة لزيادة تنويهِ شأنِهم ، وتوسيطُ الضمير للإشارة إلى انحصار التقوى فيهم، قصر حقيقي مجازا، والآيةُ الكريمة حاويةٌ لجميع الكمالات البشرية برُمَّتها تصريحاً أو تلويحاً ، وهي منحصرةٌ في خِلالِ ثلاث : صحةِ الاعتقاد

---

[1] - الإسراء : 55

[2] - الأنبياء : 105، وإنما اقتصرت على الزبور ، لأن أبا السعود تعرض لبيان نكتة وروده منكرا ومعرفا، دون غيره من الكتب المنزلة.

[3] - انظر أبو السعود 4/ 138 ، وانظر منه أيضا 4/ 361

[4] - البقرة : 177

وحسنِ المعاشرة مع العباد وتهذيبِ النفس ، وقد أشير إلى الأولى بالإيمان بما فُصِّل وإلى الثانية بإيتاء المالِ وإلى الثالثة بإقامة الصلاة ، ولذلك وُصف الحائزون لها بالصدق ، نظراً إلى إيمانهم واعتقادِهم وبتقواهم لله، استنادا إلى معاشرتهم مع الخلق ومعاملتهم مع الحق[1].

ومنه قوله تعالي :**{لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ}**[2]

قوله :{فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ}، إشارةٌ إلى الصبر والتقوى ، وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو درجتِهما وبُعدِ منزلتِهما عند الله ، باعتبارهما من عظائم الأمور التي يتنافس فيها المتنافسون ، أو هكذا يجب ، لما فيه من كمال المزيَّةِ والشرفِ ، أو مما عزَم الله تعالى عليه وأمر به وبالغَ فيه ، يعني أن ذلك عزمةٌ من عَزَمات الله ، لا بد أن تصبِروا وتتقوا.[3]

ومنه قوله:{**لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**}[4]

ومنه قوله تعالي:{**تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا}** [5] ، مبتدأٌ وخبرٌ ، جيء به لتعظيم شأنِ الجنةِ وإعلاء مقامها الرفيع، وتعيينِ ورثتها من المتقين وكانوا أحقّ بها وأهلها، وما في اسم الإشارةِ من معنى البُعد للإيذان ببُعد منزلتِها وعلوِّ رتبتها.

---

[1] - انظر أبو السعود بتصرف 1/ 236
[2] - آل عمران : 186
[3] - انظر أبو السعود بتصرف 2/ 76
[4] - النساء : 114
[5] - مريم : 63

والمعنى : نُبقيها عليهم بتقواهم ونمتّعهم بها كما نُبقي على الوارث مالَ مُورِّثه ونمتّعه به.[1]

ومنه قوله تعالي:{**سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ، ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ، وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ..**}[2]، قوله :(ذلك)، إشارةٌ إلى ما ذُكِرَ من نعوتِهم الجليلةِ وسجاياهم الحميدة، إعلاء لمكانتها وسمّو أهلها، وما فيه من مَعْنى البعدِ مع قُربِ العهدِ بالمشارِ إليه، للإيذانِ بعلوِّ شأنِه وبُعد منزلتِه في الفضلِ، وهو مبتدأٌ خبرُهُ : مَثَلُهُمْ ، أي : ذلك هو وصفُهم العجيبُ الشأنِ الجارِي في الغرابةِ مَجْرى الأمثالِ([3]).

ومنه وقوله تعالي:{**طسم، تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ**}[4]، اسم الإشارةٌ راجعة إلى السُّورة، سواءٌ كانَ طسم مسرُوداً على نمط التَّعديدِ أو اسماً للسُّورة ، وما في اسمِ الإشارةِ من معنى البُعدِ للتَّنبيهِ على بُعدِ منزلةِ المُشارِ إليه في الفخامةِ وعلّو الرتبة ، والمعنى:هي آياتٌ مخصُوصةٌ عالية الرتبة والمقام . والمرادُ : ببيانُ كونِها بعضاً من آيات الكتاب ، وصفا للبعض بما اشتُهر به الكُلُّ من النُّعوتِ الفاضلةِ والمزايا السامية ، ممّا لم تتوفر في غيرها [5].

التنبيه على بعد المشار إليه في مراتب الشرّ..

قوله تعالي:{ **وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ**}[6] ، اسم الإشارةٌ راجعة إلى الموصولِ باعتبارِ اتِّصافِه بما في حيِّز الصِّلةِ

---

[1] - انظر أبو السعود 4/ 249. والوِراثةُ أقوى ما يستعمل في التملك والاستحقاق من الألفاظ من حيث إنها لا تُعقَبُ بفسخ ولا استرجاعٍ ولا إبطالٍ ، وقيل : يُورَّث المتقون من الجنة المساكنَ التي كانت لأهل النار لو آمنوا وأطاعوا زيادةً في كرامتهم.

[2] - الفتح : 29

[3] - انظر أبو السعود 6/ 108

[4] - الشعراء : 1-2

[5] - انظر أبو السعود 5/ 102

[6] - الروم : 16

من الكُفرِ والتَّكذيبِ بآياتِه تعالى وبلقاءِ الآخرةِ، للإيذانِ بكمالِ تميُّزِهم بذلكَ عن غيرِهم وانتظامِهم في سلكِ المُشاهداتِ ، وما فيهِ من مَعْنى البُعدِ مع قُربِ العهدِ بالمشارِ إليهِ ، للإشعارِ ببُعد منزلتِهم في الطغيان والعتوّ واكتساب الشرور ، والمعنى : أولئك الموصوفونَ بما فُصِّل من سيئات الأفعال ، فِي العذاب مُحْضَرُونَ على الدّوام لا يغيبونَ عنه أبداً([1]).

التنبيه على بعد المشار إليه في الشناعة والفظاعة:

قوله تعالي:{لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ، ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ }[2]

الإشارةُ راجعة إلى العذاب المذكورِ ، وما فيه من معنى البعدِ للدِلالة على عِظَم خطره وشدّة ألمه ونهاية هوله وفظاعته ، والمعنى: بسبب ما اقترفتموه من قتل الأنبياءِ والتفوُّه بمثل تلك العظيمةِ الشنعاء وغيرِها من سيئات الأقوال والأفعال، تذوقون العذاب الأليم المحرق لمن يصيبه[3]

التنبيه على حقارة المشار إليه وقلّةِ شأنه:

قوله تعالي:**{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُون}**[4]

ووضعُ الموصولِ:(الذين) موضعَ ضميرِهم:(وقالوا)، للأجل ذمِّهم بما في حيِّز الصِّلةِ، والإيذانِ بأنَّ ما تفوَّهوا به كفرٌ عظيمٌ، والنطق باسم الإشارة: (هذا) حطٌّ لرتبة المشارِ إليه وتقليل من شأنه ، أي ما هذا إلا كذبٌ مصروفٌ عن وجهِه ، افتراه و اختلقَه محمد

---

[1] - انظر أبو السعود 5/ 228
[2] - آل عمران : 181
[3]- انظر أبو السعود 2 / 73
[4] - الفرقان : 4

وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ على اختلاقِه {قَوْمٌ آخَرُونَ} يعنُون اليَّهودَ بأنْ يُلقوا إليه أخبار الأممِ الدَّارجةِ وهو يعبِّر عنها بعبارتِه[1] .

ومنه قوله تعالي:{ **وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآَخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ**}[2]، اسم الإشارةُ وقع مسندا إليه، ويفيد تحقير الحياة الدنيا والتقليل من شأنها ومن قيمتها، فهي لا تزيد أن تكون لهوا ولعبا، كما يُلهى ويلعبُ الصبيانُ بشيء ما، يجتمعون عليهِ ويبتهجون به ساعةً ثم يتفرَّقُون عنه، وَإِنَّ الدار الآخرة لهيَ دارُ الحياةِ الحقيقية، أو هي الحياة لا غير ها مبالغة، لامتناعِ حلول الموتِ والفناءِ على أهلها [3].
ومنه قوله :{ **أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ**}[4]

إيثار الإشارة على الضمير لبيان العلّة و مناط الحكم:

قوله تعالي:{أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ }[5] ، استئنافٌ واردٌ مورد التهويلِ لما ارتكبُوه من التطفيفِ في الكيل ، ظلما وهضما لحقوق الآخرين ، والتعجيبِ من اجترائِهم على الجور في الكيل والوزن. (أولئكَ) :مسند إليه، ووضعُه موضعَ ضميرِهم:(ألا يظنون)، للإشعارِ بمناطِ الحُكمِ وبيان علّته، فإنَّ الإشارةَ إلى الشيءِ متعرضةٌ له من حيثُ اتِّصافُه بوصفِه بخلاف الضميرُ، وللإيذانِ بأنَّهم غارقون في ذلكَ الوصفِ القبيحِ حتى النهاية ، نازلونَ منزلةَ المشارِ إليها إشارةً حسيةً ، وما فيهِ منَ مَعْنى البُعدِ للإشعارِ ببُعدُ درجتِهم في الشقاوة والفسادِ ، أي ألا يظنُّ أولئكَ الموصوفونَ

---

[1] - الفرقان : 4
[2] - العنكبوت : 64
[3] - انظر أبو السعود 5/ 218
[4] - الزخرف : 52
[5] - المطففون : 4-5

بذلكَ الوصفِ الشنيعِ أنَّهم مبعوثونَ لِحساب عظيم ، وأنهم محاسبونَ على الذرةِ والخردل [1].

ومنه قوله تعالي:{أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ، فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ }[2]

ووضعُ اسمِ الإشارةِ المتعرضِ لوصفِ المشارِ إليهِ :(فذلك) ، موضعَ الضميرِ:

(فهو)، للإشعارِ بمناط الحكمِ وبيان علّته، والتنبيهِ بمَا فيهِ من مَعْنى البُعدِ على بُعْدِ منزلتِهِ في الشرِّ والفسادِ، وعتوّه في الشقاء والعناد، ومَعْنى الآية : هَلْ عرفتَ الذي يكذب بالجزاءِ أو بالإسلامِ ؟ إنْ لَمْ تعرفْهُ، أو إنْ أردتَ أنْ تعرفَهُ، فهُوَ الذي يدفعُ اليتيمَ دفعاً عنيفاً ويزجرُهُ زَجْراً منكرا ، ممّنْ مسح الله الرحمة والشفقة من قلوبهم[3].

---

[1] - انظر أبو السعود 6/ 395

[2] - الماعون : 1-2

[3] - انظر أبو السعود 6/ 475

ثانيا: دلالات الألفاظ

في هذا المطلب تناول أبو السعود طائفة من مفردات النظم القرآني شارحا ومحللا، وموضحا الفروق الكامنة بينها وبين غيرها مما هي في سبيلها من المترادفات أو غيرها من الكلمات الدالة على معنى مشترك، ثم تتفرد كل منها بخصوصية معناها، وكان هذه مما قال:

الآية	الدلالة
(الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِين) (النساء:141)	تسمية نصر المسلمين:(فتحا)، وما كان للكافرين (نصيبا)، فيه ما فيه من تعظيم أمر المسلمين، مع بيان أنّ انتصارهم هو فتح للإسلام وليست مسألة شخصيّة ، كما أنّ في الآخر تقليلا لشأنهم وشأن ما قد يحرزونه من كسب لمعركة هنا وهناك ، فهو مجرّد نصيبٍ وحظّ ليس إلا. انظر 210/2
(وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ) (الأنعام:8-9)	إيثار التعبير بـ:(رجلا) على (بشرا)، الذي كان يقتضيه ظاهر السياق مقابل: ملكا، إيذانا بأنّ الجعل بطريق التمثيل، لا بطريق قلب الحقيقة ، أو تعيين لما يقع به التمثيل، أي تثبيتا للحقيقة الراسخة في أنّ الرسل هم من الرجال:(وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا). انظر 358/2
(قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ)	إيراد كلمة الجحود في مورد التّكذيب، للإيذان بأنّ آياته تعالي من الوضوح بحيث يشاهد صدقَها كلُّ أحدٍ ، وأنّ مَنْ ينكرها فإنّما ينكرها جحودا بها لا

(الأنعام:33)	جهلا: (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوّا) انظر 376/2
(وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ) (الأنعام:35)	إيثار لفظة الابتغاء:(أن تبتغي) على الاتخاذ: (أن تتّخذ) ونحوه، للإيذان بأنّ ما ذُكر من ابتغاء النفق أو السّلم ممّا لا يستطاع ابتغاؤه فكيف باتخاذه. انظر 378/2
(هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ) (الأنعام:158)	التعبير بكلمة بعض:(يوم يأتي بعض آيات ربك) مع تنكيره تنكيرا يدلّ على تقليل حجمه وشأنه ، فيه ما فيه من تهويل الأمر وتفخيمه ، فإذا كانت هذه هي الحالة مع بعض آياته على قلّة حجمه وشأنه ، فما بالكم بكلّ آياته ؟!، كما أنّ إضافة الآيات في الموضعين إلى اسم الرّبّ للدلالة على المالكيّة الكليّة لها، وتشريفا جليّا للمضاف إليه، وهو النبيّ محمد صلي عليه وسلم. انظر 2/ 465
(ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ) (يوسف:49)	آثر كلمة(عام) على كلمة(سنة)، تفاديا للمدلول الأصلي لها من عام القحط (من سنيني القحط)، وتنبيها من أوّل وهلة على اختلاف الحال بينه وبين.السوابق. 401/3
(وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا	إيثار كلمة الرّدّ:(ومنكم من يردّ) على كلمة البلوغ أو الوصول، إشارة إلى أنّ المعمّر راجع إلى حالة

يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ) (النحل:70)	سابقة في أحوالها وصفاتها، في الضعف والعجز وقلّة الحيلة عقلا وجسدا. انظر 4/ 76
(وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا) (الكهف:58)	إيثار فعل: (المؤاخذة) المنبئة عن شدّة الأخذ وسرعته، على التعذيب أو العقوبة مثلا، للإيذان بأنّ النّفي المستفاد من مقدّم الشرطية متعلّق بوصف السرعة كما ينبئ عنه قوله بعدها: (لعجّل لهم العذاب) انظر 199/4
(قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا) (مريم:20)	إيثار كلمة (بشر) وهي تشمل الرجل و المرأة، على كلمة (رجل) وهو المقصود، مبالغة منها في تنزّهها واستبعادها لأمر الولادة، فهي لم تتصل لا بسبب معروف كالرجل، أو حتى غير معهود حتى تحمل وتنجب ولدا. انظر 235/4
(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ) (الحج:1)	التعبير عن السّاعة بكلمة (شيء) النّكرة ، الواقعة خبرا عنها في الجملة ، إيذان بأنّ العقول قاصرة عن إدراك كنهها ، وأنّ العبارة تضيق عن الوفاء بها وبأهوالها ، ولا تحيط بها إلا على وجه الإبهام والتعميم الذي تدل عليه كلمة (شيء) النّكرة الشائعة انظر 365/4
(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ)(الحج:5)	التعبير عن إنكارهم القاطع بالبعث بقوله: (في ريب) النّكرة المنبئة عن تقليل شأنه مع أنّهم جازمون في اعتقادهم بإنكاره واستحالته، للإشعار بأنّ حقّ البعث

	إذا ما أنكره منكر أن يظلّ في دائرة شّكّ مجرد شكّ، لا يتجاوزه إلى الإنكار والتكذيب الصارخ، بسبب تواتر البراهين ووضوح الدلائل القاطعة بحقيقته. انظر 366/4 .
(ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ) (الحج:5)	إيثار صيغة البلوغ مسندا إلى المخاطبين على صيغة التبليغ مسندا إلى الله تعالي كالأفعال السابقة، لكي يناسب حالتهم الراهنة، المتّصفة بالشّدة والكمال، ورجحان العقول والألباب، واستقلالهم بمدئية صنع الأفعال وإنجاز الآثار. انظر 368/4
(إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ) (الأنبياء:52)	عبّر عن عبادتهم لها بمطلق العكوف الذي هو عبارة عن اللزوم والاستمرار على الشيء لغرض من الأغراض ، بقصد تحقير وإذلالها وتوبيخا لهم على إجلالها وتوقيرها. انظر 343/4
(فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) (النور:54)	يظهر أنّ التعبير بصيغة التفعيل: (حمِّل) لإفادة ثقل المحمول حجما ووزنا، وكونهم مؤنةً باقيةً في عُهْدتهم من أسلافهم ، وما كانوا مهتدين، كأنّه قيل: وحيث ما تولّيتم عن ذلك فقد بقيتم تحت تأثير ذلك الحمل الثّقيل من رواسب أسلافكم. انظر 477/4
(إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ) (النمل:23)	إيثار التعبير ب:(وجدت) على (رأيت) إشارة من الهدهد أنّه كان في غيبته يؤدى مهّمة رسمية خاصة في خدمة النّبي الملك سليمان عليه السلام، ولم يكن

	غيابه عصيانا أو تمرّدا عليه، أو تسكّعا بلا غاية انظر 5/ 116
(قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (العنكبوت:20)	التعبير عن (الإعادة) التى هي محلّ النزاع (بالنشأة الآخرة)، المشعرة بكون البدء نشأة أولى، غرضه التنبيه على أّنهما شأن واحد من شئون الله تعالي ذو شقين: بدءا وإعادة ، من حيث أنّ كلاً منهما اختراع وإبداع من العدم إلى الوجود ولا تفريق بينهما لمن وعى. انظر 5/ 200
(لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) (العنكبوت:4)	اتخاذ الولد متوقف على المماثلة بين المتّخِذ والمتَّخَذ حتى يصحّ ذلك فعليا والخالق ليس كمثله شيءٌ، فاتخاذ الولد هنا موضوع موضع اصطفاء عبد من عباده، فكأنّه قيل: لو أراد الله أن يتّخذ ولدا لامتنع ذلك، وإنْ كان ذلك واقعا فالمتصوّر هو أن يصطفي عبدا مما يخلق ما يشاء، سبحانه وتعالي عما يقولون علوا كبيرا. انظر 487/5
(قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ) آل عمران:13)	تتحدث الآية عن موقعة أحد ، التى أكرم الله فيها طائفة من الصحابة بنيل الشهادة في سبيله ، وفي جملة (يتّخذ منكم شهداء) إشارة إلى أنّ الشهادة اصطفاء واجتباء ، وأنّ ذلك كان غاية مقصودة فيما حدث ، وليس حدثا عابرا. انظر 39/2
(وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ	إيثار الرؤية (رأيتموه) على الملاقاة (لقيتموه) وتقييدها بالنّظر (وأنتم تنظرون)لإبراز المبالغة الزائدة في

تَنْظُرُونَ) (آل عمران:143)	مشاهدتهم للموت جهارا عيانا دون حجاب، وذلك حين قُتِل مَنْ قُتِل من إخوانكم وأقاربكم رفاقكم يوم أحد، كما وقفتم أنتم على حافة الموت، وفيه توبيخ لهم على تمنّي الموت ولقاء العدوّ. انظر 41/2
(وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ) (المائدة:14)	نُسِبَتْ تسميتُهم نصارى إلى أنفسهم ، إيذانا بأنّهم في قولهم نحن أنصار الله هم بمعزل عن الصدق ، إنّما هو تقوّل محض ، وليسوا في نصرة الله على شيء ، ويصح اعتبار إظهار كمال سوء صنيعهم ببيان التناقض الواضح بين أقوالهم وأفعالهم ، فإنّ ادعاءهم نصرة الله يستدعي ثباتهم على طاعته والالتزام بميثاقه، وهو على النقيض من ذلك أنظر 250/2
(وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ) (التوبة:92)	إيثار جملة (لا أجد) على ليس عندي) لأنّ الأولى تفي تلطيف الكلام وتطييب قلوب السائلين، ثم الدلالة على أنّه عليه السلام يسعى في تحقيق ما طلبوه وتوفي ما أرادوا على الاستمرار ولكنّه(لايجد). انظر 189/3
(فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ) (يوسف:70-71)	العدول عمّا يقتضيه الظاهر(ماذاُ سرق منكم) إلى قولهم (ما ذا تفقدون)، لبيان كمال نزاهتهم بإظهار أنّه لم يُسْرَق منهم شيء، فضلا أن يكونوا هم السارقين، وإنّما من الممكن أن يضيع وُيْفقد منهم شيءٌ فيسألونهم أنّه ما ذا؟ إرشادا لهم إلى مراعاة حسن الأدب والاحتراز عن المجازفة ونسبة البرآء إلى مالا خير فيه. انظر 3/ 415

(قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ) (يوسف:79)	إيثار جملة (من وجدنا متاعنا عنده) على من (سرَقَ متاعنا)، لأجل إحقاق الحقّ ، والاحتراز من الكذب، فإنّهم لا يحملون وجدان الصواع في الرحل على محمل غير السرقة، وهكذا استخدموا عنوان الوجد لا عنوان السرقة . انظر 420/3
(وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ) (الأنبياء:8)	إيثار جملة (ما كانوا) على جملة (ما جعلناهم) لأجل التنبيه على أنّ عدم الخلود هو مقتضي الجبلّة التى أشير إليها بقوله (وما جعلناهم) والمعنى: جعلناهم أجسادا متغذّيةً صائرة إلى الموت بالآخرة على حسب آجالهم، فلا هم ملائكة ولا هم أجسادا مستغنية عن الأغذية مصونة من التّحلل. انظر 326/4 .
(يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا) (الفرقان:22)	إيثار جملة (يوم يرون الملائكة) دون يوم ينزل الملائكة، إيذانا من أول الأمر بأنّ رؤيتهم لهم ليست على طريق الإجابة إلى ما اقترفوه ، بل على وجه آخر غير معهود، والعدول إلى نفي البشرى(لا بشرى اليوم) مبالغةً كبيرة في نفي أيِّ احتمال لها. انظر 17/5
(قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ) (النمل:27)	كان مقتضي الظاهر أن يقول(أصدقت أم كذبت) وعدل عنه إلى ما عليه النظم الكريم إيذانا بأنّ كذبه في هذه المادة يستلزم انتظامه في سلك الموسومين بالكذب الراسخين فيه، فإنّ مساق هذه الأقاويل الملفقة على ترتيب أنيق يستميل قلوب السامعين نحو قبولها من غير أن يكون لها أصلٌ ولا ظلُ من الحقيقة، لاسيما بين يديْ نبي عظيم الشّأن، لا يكاد يصدر إلا عمّنْ له قدم راسخٌ في الكذب والإفك. انظر 117/5

(قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ) (النمل:27)	كان مقتضي الظاهر أن يقول(أصدقت أم كذبت) وعدل عنه إلى ما عليه النظم الكريم إيذانا بأنّ كذبه في هذه المادة يستلزم انتظامه في سلك الموسومين بالكذب الراسخين فيه، فإنّ مساق هذه الأقاويل الملفقة على ترتيب أنيق يستميل قلوب السامعين نحو قبولها من غير أن يكون لها أصلٌ ولا ظلُ من الحقيقة، لاسيما بين يديْ نبي عظيم الشّأن، لا يكاد يصدر إلا عمّنْ له قدم راسخٌ في الكذب والإفك. انظر117/5
(فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ) (النمل:42)	قوله (أهكذا عرشك) دون(أهذا عرشُكِ) تفاديا أن يكون السؤال تلقينا أو بمثابته، فيفوت المقصود من تنكير عرشها وإبرازه في صورة الإشكال والاشتباه، حتى يتبيّن حالها، وكانت قد وُصفت بسخافة العقل. فلمّا قالت: (كأنّه هو) كشفت عن رجاحة عقلها ولباقة تعبيرها، حيث لم تقلْ هو مع يقينها بأنّه هو. انظر125/5

المبحث الثالث: فروق في التراكيب

أولا: بين الجملة الاسمية والفعلية

دلالة الجملة : بين الفعلية والاسمية

تناول أبو السعود بالشرح والبيان إيثار نوع الجملة في النظم القرآني من حيث الاسمية والفعليّة ، والعدول من نوع منه إلى آخر في حركة السياق ومجرى الأسلوب وكشف عن الدواعي إلى إيثار الاسمية على الفعلية والعكس ، وعن المعانى والدلالات القريبة والبعيدة من ووراء ذلك ، وذلك في مواطن كثيرة من القرآن العظيم ، وكان ممّا ذكر :

(1): العدول إلى الجملة الاسمية وإيثارها:

ثبوت المعنى في ذاته و دوامه واستمراره:

قوله تعالي :**{الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }**[1]، يرجّح أبو السعود أنّ الأصل هو نصب الحمد مفعولا لفعل الحمد : أحمد الحمد لله رب العالمين ، و أوثر الرفع على النصب للإيذان بأن ثبوت الحمد لله واستحقاقه له هو لذاته ، وليس لإثبات مثبت ، وأنّ ذلك أمرٌ دائمٌ مستمرٌّ لا حادثٌ متجدّدٌ ، كما قد توحي إليه قراءة النصب[2].

[1] - الفاتحة : 1

2- انظر أبو السعود 1/ 21، لأجل ذلك اعتبرت تحيّة إبراهيم الخليل للملائكة عليهم السلام أحسن وأبلغ من تحيّتهم له ، في قوله تعالي:{**وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ**} هود: 69

الدلالة على المبالغة في الرّد على المخالف المغالط:

قوله تعالي:**{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِين }**[1]، إيثار الجملة الاسميّة في قوله:**{وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِين}**، على الفعلية المتسقة مع ظاهر المقام في دعواهم المردودة، غرضه المبالغة في الرّد على مغالطتهم في دعواهم الإيمان، بنفي الإيمان عنهم في جميع الأزمنة وليس في الزمن الماضي فقط ، كما تفيده الجملة الفعليّة[2].

الدلالة على دوام المعنى واستمراره:

قوله تعالي:{**خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ**}[3] ،

قوله تعالي:{**وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ}** [4] ، العدول إلى الجملة الاسمية للدلالة على دوام مضمونها واستمراره، وإفراد قبلتهم مع تعدّدها باعتبار اتحادها في البطلان، ومخالفة الحقّ ، لئلا يتوهّم أنّ مدار التفي هو التّعدد، فإنّ اليهود تستقبل الصخرة والنصارى تستقبل مطلع الشمس[5].

ونظيره قوله تعالي:{ **وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ**}[6]، إيثار الجملة الاسميّة في قوله:

---

[1] - البقرة : 8

[22] - انظر أبو السعود 1/ 54

[3] - البقرة : 7

[4] - البقرة : 145

[5] - انظر أبو السعود 1/ 216

[6] - الأعراف : 176

{فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ }، على الفعليّة في نحو:{فصار مثله كمثل الكلب}، إيذانا بدوام اتصافه بتلك الحالة الدنيئة واستمراره عليها([1]).

ومنه أيضا قوله:{**وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ** }[2]، العدول إلى الجملة الاسميّة:{**وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ}** للدلالة على دوام واستمرار تسخير الله للنجوم أبدا، دون أن تكون منافعها خاصةً بهم ، بل هي بتدبيره تعالي لملكوت السماوات والأرض[3].

دوام نفي المعنى وجودا واستمرارا:

قوله تعالي:**{أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ}** [4] العدول إلى الجملة الاسميّة: **{وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ }** لإفادة دوام نفي إنظارهم واستمراره، أي:لا يمهلون ولا يؤجّلون،أوْ لا ينظرون ليعتذروا [5].

ومنه قوله تعالي : **كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ}**[6]، إيثار الجملة الاسميّة في قوله:{ **وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ}** ، كلام مستأنف لبيان حال الكفرة بعد دخولهم النّار، وكان ظاهر السياق يقتضي: وما يخرجون من النّار، والعدول إلى الاسميّة لإفادة دوام نفي خروجهم من النار [7].

---

[1] - انظر أبو السعود 3/ 53
[2] - النحل : 12
[3] - انظر أبو السعود 4/ 47
[4] - البقرة : 161-162
[5] - انظر أبو السعود 1 / 225
[6] - البقرة : 167
[7] - انظر أبو السعود 1/ 228-229.

دوام المعنى على وجه الاستمرار التجّددى:

قوله تعالي: **{ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا}**[1]

تفيد الجملة الاسمية المخبر عنها بجملة فعليّة :{فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ }، على تحقق وجود الإنفاق وثباته واستمراره التّجددي بين حين و آخر، سرّا وجهرا[2].

الدلالة على عراقة الموصوف بما وُصف به:

قوله تعالي:**{الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِم}**[3]، كلام مستأنف، لبيان سبب تفضيل الرجال على النساء في الميراث، إثر بيان التفاوت في استحقاقهم له إجمالا، وإيثار الجملة الاسمية مُخْبَراً عنها بصيغة المبالغة:(قوّامون)، إيذانا بأصالتهم بالقوامة عليهنّ، وعراقتهم فيما وُصفوا به من المهمات والمسئوليّات التى من شأنهم الوفاء بها تجاههنّ، رعايةً لهنّ والتزاما بالشرع الحنيف[4].

الدلالة على سرعة التحوّل في ثبات:

قوله تعالي:{ **فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِي ثُعْبَانٌ مُبِينٌ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ}**[5]،إيثار الجملة الاسمية في قوله:{ **فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ** }، لإفادة سرعة

1 - النحل : 75
2 - انظر أبو السعود 4/ 79
3 - النساء : 34
4 - انظر أبو السعود 2/ 132
5 - الأعراف : 106-107

الانقلاب والتّحوّل من العصا إلى الثعبان ، مع ثبات وصف الثعبانيّة فيها مستقرّةً على خصائصها ، كأنّها في الأصل كذلك[1].

إفادة تحقق مضمون الجملة على وجه اليقين:

قوله تعالي :**{إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ }**[2] ، الجملة الاسمية المؤكّدة تفيد معنى التّحقق بوارهم وإنجاز فنائهم وهلاكهم ، وعلى زهوق الباطل واندثاره وزواله على وجه التحقق واليقين[3].

ومن قوله تعالي:**{أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ }**[4]، إيثار الجملة الاسمية في قوله:{ **فَهُوَ لَاقِيهِ**}، أي : فهو مدركه وحاصلٌ عليه، لإفادة معنى تحقّق مقصوده ونيله إياه لا محالة، لاستحالة الخلف على الله، فكأنّه قد ظفر به فهو يتنعّمّ بأنعمه أنّى شاء ([5]).

الدلالة على استقرار المعنى وثباته:

قوله تعالي :**{وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ، ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ }**[6] إيثار الجملة الاسمية في قوله:{ **وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ** }، على اعتبار كان زائدة، يفيد استقرار قلوبهم على عدم الإيمان، ورضاهم بالكفر واستمرارهم عليه لا يلوون على شيء، أي : كان أكثر بنى إسرائيل مستقرّين على عدم

---

[1] - انظر أبو السعود 3/ 15
[2] - الأعراف : 139
[3] - انظر أبو السعود 3/ 24
[4] - القصص : 61
[5] - انظر أبو السعود 5/ 178
[6] - الشعراء: 65-67

الإيمان مطمئنّين على الكفر حالا ومآلا، من أجل ذلك استحقوا الإغراق والإهلاك([1]) .

إشباع المعنى استبعادا له وتعجيبا منه:

قوله تعالى:**{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ }**[2]، العدول إلى الجملة الاسميّة:{ **إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ** }، من الفعليّة الدالة على الحدوث من نحو: تبعثون، أو تخلقون خلقا جديدا، غرضه : الإشباع في الاستبعاد والإيغال في التعجّب و التّعجيب من شأن البعث والنشور بعد الموت[3].

(2): إيثار الجملة الفعلية

المبالغة في الترغيب والتشويق إلى الموعود:

قوله تعالي :**{تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا }**[4] إيثار الجملة الفعليّة:**{وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا** }، على الجملة الاسميّة التي كان ظاهر المقام يقتضيه، بأن يقال مثلا: وأجرهم أجر كريم، أوْ ولهم أجر كريم، وغرضه : المبالغة في الترغيب والتشويق إلى الموعود ببيان أنّ الأجر الذي هو الرحمة موجود بالفعل مهيّئا لهم سلفا، مع ما فيه من مراعاة الفواصل[5].

المزاوجة بين الفعلية والاسمية:

قوله تعالي:{**خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيم**}[6]، وإيثارُ الاسمية :**{وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ}** عطفا على الفعليّة:**{خَتَمَ اللَّهُ عَلَى**

---

[1] - انظر أبو السعود 5/ 68
[2] - سبأ 7
[3] - انظر أبو السعود 5/ 324
[4] - الأحزاب : 44
[5] - انظر أبو السعود 5/ 303
[6] - البقرة : 7

عَلَى قُلُوبِهِمْ} ، للإيذان بدوام الغشاوة المضروبة على أبصارهم وعدم ارتفاعها مهما أوتوا من الآيات والبراهين، فإن ما يُدرَك بالقوة الباصرة من الآيات المنصوبة في الآفاق والأنفسِ حيث كانت مستمرةً كان تعاميهم عنها أيضاً كذلك[1]

ومنه قوله تعالي :**{إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ، إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ }**[2]، إيثار الجملة الفعليّة في الصّلة الأولى:**{الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ** }، وإيثار الجملة الاسمية في الصلة الثانية :{ **وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ}**، للدلالة في الأولى على تجّدد واستمرار موالاتهم له، فهم يتولّونه كلّما جدّ لهم أمر من أمور حياتهم ، ويذكرونه كلّما عنّ لهم شأن من شونهم. والإفادة في الثانية أنّ إشراكهم به ثابت دام لا ينقطع، فهم مشركون بالشيطان على المدى، وهذان هما الفريقان اللذان يملك الشيطان تأثرا وسلطانا عليهم، دون غيرهم من أهل الإيمان والتقوى المتوكّلين على الله ربهم في كلّ شأن وحالٍ[3].

ومنه قوله تعالي :**{الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ }**[4]، عدل إلى الجملة الاسميّة في قوله :**{ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ }** عطفا على الجملة الفعليّة:{ **لَا يُؤْتُونَ**} داخلا في حيزِ الصلةِ ، واختلافُهما بالفعلية والاسميةِ فلأنّ عدمَ إيتاء الزكاة أمر متجددٌ كلّما وجب أداؤها حولا بعد حول وحصادا بعد حصاد ، أمّا الكفرُ بالآخرة فهو عندهم حالة مستقرّةٌ ومستمرّة[5].

[1] - انظر أبو السعود 1/ 54 ، وانظر فتح القدير للشوكانى 1/ 30-31
[2] - النحل : 99-100
[3] - انظر أبو السعود 4/ 92
[4] - فصلت : 7
[5] - انظر أبو السعود 5/ 556

المبحث الرابع: أغراض الخبر

توطئة

الجملة المفيدة أو الخبر الذي يلقيه متكلم من المتكلمين، لابد أن له غرضا يريده وهدفا يرتجيه ، وقد حدد علماء البلاغة الغرض من إلقاء خبر في غرضين أصليين، وأما ما سواهما من أغراض المتكلمين فهي أغراض مجازية، تُستنبط من السياق، وتُفهم من فحوى الكلام وحركة المقام، اعتمادا على الذوق الأدبي السليم وحسن الدربة والمران على الدرس والتحليل. أما الغرضان الأصليان من إلقاء الخبر فهما([1]) :

(أ)– فائدة الخبر : وهي أن يكون غرض المتحدث إفادة مخاطبه ومن يصغى إليه، بالفائدة التي تضمنها الخبر، نحو : الشعوب أبقي من حكامها.

(ب)– لازم الفائدة : وهو أن يكون غرض المتحدث إفادة مخاطبه ومن يصغى إليه، أن المتكلم على دراية بهذا الخبر محيط به علما، نحو : أنت رجل نزيه تحبّ الخير للناس.

والحقّ أنّ الغرض الثانى متداخل مع الأول إلى حدّ التشابك ، وهو ما دفع بعض الباحثين إلى الدعوة إلى إلغائه لأنّه – في نظره – لا ضرورة له([2]).

و أما ما دونهما فأغراض مجازية، يستنبط معانيها من سياقها، وهي كثيرة العدد والمقامات، يعاد إليها في مظانها من كتب البلاغة.

---

[1] **انظر بغية الإيضاح 2/41-42 ، وخصائص التراكيب، محمد أبو موسي، ص114**

[2] **انظر: فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور ، الدكتور / رجاء عيد، ص66، ط2، (دون تاريخ).**

من أغراض الخبر في تفسير أبي السعود

النظم القرآني	البيان والتحليل
{وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ} (البقرة:145)	الغرض من الخبر هو: هذا الشرط الافتراضيُّ في الخبر غرضه التهييج والإلهاب على الثبات على الحق المبين وعدم مداهنة أهل الأهواء ، والمعنى: ولئن اتبعت أهوائهم على سبيل الافتراض ستكوننّ من القوم الظالمين الذين يضعون الأمور في غير نصابها. انظر 216/1
{فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ} (آل عمران:36)	الغرض من الخبر هو التّحزّن والتّحسّر، إي إظهار حزنها وشدّة حسرتها على خيبة رجائها، الذي جاء معاكسا لتقديرها ، فقد كانت ترجوه ذكرا محررا لخدمة البيت المقدس. انظر 360/1
{هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ} (آل عمران:66)	الغرض من الخبر هو: إبراز كمال غفلتهم وحُمْقِهم ، والمعنى: أنتم هؤلاء الأشخاص الحمق ، حيث حاججتم فيما لكم به علم مما ورد في التوراة والإنجيل وهذا لكم، ولكن لم تحاججون فيما ليس لكم به علم أصلا فيما يتعلّق بدين إبراهيم عليه السلام ، إذْ لا ذكر لدينه لا في التوراة ولا في الأنجيل ، لا من قريب ولا من بعيد. انظر 381/1
{ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ	الغرض من الخبر هو : بيانٌ لتفاوت طبقاتِ المؤمنين بحسب تفاوتِ درجاتِ مساعيهم في الجهاد، وتحريضِ المؤمنين عليه ليأنَفَ القاعدُ عنه ويترفَّعَ بنفسه عن انحطاط رتبتِه فيهتزّ له رغبةً في ارتفاع طبقتِه.

اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ} **(النساء:95)**	**انظر 2/ 183، وانظر خصائص التراكيب، مرجع سابق، ص116**
{قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ} **(يونس :81)**	الغرض من الخبر هو : تثبيت فؤاد موسي ذاته، وتثبيت أفئدة الذين آمنوا معه في ساحة المبارزة مع سحرة فرعون ، وقذف اليقين والثقة بنصر الله وتأييده للمؤمنين ساعة العسرة. انظر268/3
{مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ} **(يوسف:68)**	قوله:{ وإنه لذو علم لما علّمنا} ، الغرض من الخبر هو : على الدلالة على فضل الله على يعقوب عليه السلام ، بأنْ آتاه الله العلم والمعرفة ، ليكون شاهدا على علّو درجته و ارتفاع مكانته عند مولاه ، على نحوٍ مؤكَّد توكيدا قاطعا. انظر413/3
{قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا} **(مريم:4)**	الغرض من الخبر هو استدعاء الرحمة واستجلاب الرأفة بما أظهره من كِبَر السِّنّ وضعف الحال ، بعد أنْ مهّد له بما سلف من استجابة الله له عند كلِّ دعوة. انظر227/4
{قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ	الغرض من الخبر: المبالغة في التهديد والوعيد لإبراهيم عليه السلام، لحمله على أن يرتدع ويكفّ عن معاداة الأصنام التى اتخذها قومه آلهة ، والخبر الإنكارى لتأكيد التصميم على تنفيذ ما

وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا} **(مريم:46)**	يهددون به دون رحمة أو شفقة. انظر 243/4
{قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ} (الزمر:15)	الغرض منه : إظهار كمال الهول وفظاعة الخسران المحقق لمن يخسر نفسه ، حتى إنّه لا خسران يخسره المرء من بعده وراءه . انظر 496/5
{ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ،وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ	كلام مسأنف جيء به إثر تحقيق حقّية البعث ، وإقامة البرهان عليه من العَالَمَيْنِ الإنسانيّ والنّباتيّ، والغرض من الخبر هو: إبراز قوّة الدليل وأصالة المدلول في التّحقق وهو البعث بعد الموت، وإظهارُ بطلانِ إنكاره ، فإنّ إنكاره
{وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ}(الروم:51)	الغرض من إلقاء الخبر هو الذّمّ والتسفيه لأحلام القوم، لأنهم عكسُوا الأمرَ وأبَوا ما يُجديهم وأَتَوا بما يُرديهم، فالمعنى : وبالله لئنْ أرسلنا ريحاً حارةً أو باردةً فضربتْ زرْعَهُم بالصَّفارِ فرأَوه مُصفرّاً ليظلنَّ {مِن بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ} ، وكان الواجبُ عليهم أن يتوكلوا على الله في كل حال ويلجؤوا إليه بالاستغفار إذا احتبسَ عنهم القطرُ، ويبادرُوا إلى الشُّكرِ بالطَّاعةِ إذا أصابَهم برحمتِه، وأنْ يصبرُوا على بلائِه إذا اعترى زرعَهم آفةٌ من الآفات. انظر 244/5

{وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ، وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ} (القمر:3)	قوله:{وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ} خبر غرضه إقناط المشركين عمّا علّقوا به أمانيهم الفارغة من عدم استقرار أمره عليه الصلاة والسلام ، حسبما قالوا سحرٌ مستمرّ ببيان ثباته ورسوخه واستمراره أبدا ، والمعنى : إنّ كلّ أمر من الأمور مستقرّ ومنتهٍ إلى غايته ، ولا تعلّقوا آمالكم على إحباطه أوْ إخفاقه انظر16/6

المبحث الخامس: أضرب الخبر

أضرب الخبر : هو أنواعها ، من حيث حاجتها إلى التوكيد من عدمه ، بالنظر إلى حال المخاطبين واعتقاداتهم، يعود التأصيل لأضرب الخبر إلى قصة تُعزى إلى أبي العباس المبرد مع الفيلسوف الكندى، فقد روي أنّ الكندى سأل المبرد يوما فقال: إنى أجد في كلام العرب حشوا، أراهم يقولون : عبد الله قائم ، وإنّ عبد الله قائم ، وإنّ عبد الله لقائم ، والمعنى واحد. فأجابه المبرد قائلا : بل المعاني مختلفة ، فعبد الله قائم إخبار عن قيامه ، وإنّ عبد الله قائم ، جواب عن سؤال سائل ، وإنّ عبد الله لقائم ، جواب عن إنكار منكر.([1])

استنبط البلاغيون من كلام المبرد ضرورة أن يكون المتحدث عالما بأحوال المخاطبين ونفسيات المصغين إليه ، وما يجول في خواطرهم ودخائل صدورهم، ليكون كلامه مطابقا لأحوالهم ، فاجتهدوا في تقسيم الأحوال المتصورة من المخاطبين تجاه الخبر إلى ثلاث حالات وهي ما تسمى بأضرب الخبر([2])

دواعي التوكيد

الحالات الثلاث التي يكون عليها المخاطب حسب قول البلاغيين، ليست حالات حصرية، ولكنها حالات تقديرية، تتسع المقامات لها ولغيرها من الحالات التقديرية والحقيقية، ومنها:

---

[1] - - انظر دلائل الإعجاز صـ315، ومفتاح العلوم ص 170

[2] - انظر مفتاح العلوم للسكاكى ، ص ، 170-171، بغية الإيضاح 1/ 41-42

3- القصص: 7

(أ)– الخبر الابتدائي: و يلقي على المخاطب خالي الذهن دون التوكيد ، نحو : نجح ولدك متفوقا، تقوله لمن لا يعلم ذلك ، ومنه قوله تعالي: (**وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ)**[1] فأمّ موسي كانت خالية الذهن عمّا يجب أنْ تفعله لوقاية ابنه من سفك دمه على يد فرعون وأعوانه ، لذا جاء الخبر ابتدائيا خاليا من التوكيد.

(ب)– الخبر الطلبي : وهو أن يكون المخاطب سائلا مترددا باحثا عن اليقين ، فيلقي إليه الخبر مؤكدا بتوكيد واحد ، نحو قولك لمن كان مستغرقا في العبادة ظنا منه أنّها تغنيه عن السعي في أمر معيشته : إنّ السّماء لا تمطر ذهبا ولا فضّة. ومنه قوله عليه السلام : (إن البرّ لا يبلي وإنّ الذنب لا ينسي ، كما تدين تدان)([2])

(ج)– الخبر الإنكاري : وهو أن يكون المخاطب منكرا جاحدا للخبر، فيلقي إليه الخبر مؤكدا بتوكيدين فأكثر، حسب درجة الإنكار وخطورته ، قطعا لدابر الإنكار واستئصالا لآثاره ، كقولك : إن المظلوم لمنصورٌ ولو بعد حين ، لمن ينكر ذلك من الطغاة الظالمين.

إلاّ أنّ توكيد الخبر يرد في مقامات بلاغية عديدة بعيدة المدى عن هذه القوالب المعيارية القاسية ، إلى آفاق أرحب مدى ، وأعمق دلالةً وتأثيرا وغنى ، من بينها :

(د) أن يكون داعي التوكيد هو رغبة المتكلّم في تقوية مضمون الكلام في ذاته باعتباره كلاما ينبغى الوثوق به والركون إليه ، أو تأكيده لدى المتكلّم وتقريره في نفسه من غير سابق إنكار، لملابسته له بوجه من الوجوه ، قبولا أو رفضا([3]).

1- شعب الإيمان للبيهقي ، فصل فيما بلغنا عن الصحابة رضي الله عنهم ، 7/ 381

[3] - انظر خصائص التراكيب، مرجع سابق، صـ130

وقد وجدت شيخ الإسلام يردُّ ويؤوّلُ الخبرين الطّلبي والإنكارى في جُلّ مواقعهما في النّظم القرآني إلى هذا الضرب من التوكيد ، قبل أن يبحث لهما عن أسرار ولطائف أخرى تكون تابعةً أو موازيةً لغرض توكيد مضمون الجملة ذاته ، أو توكيد معناه لدى المخاطبين به ، كما سيرد في موضعه من هذا البحث.

(هـ)- أن يكون داعي التوكيد مردّه حال المتكلّم ذاته تجاه الخبر، تعبيرا عن مدى اعتقاده و إيمانه به ، أو مستوى انفعاله بمضونه أخذا و ردّا ، وقد نبّه الزمخشري إلى ذلك عند تفسيره لقوله تعالي:(**وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ**)[1]، فقد لاحظ فتور العبارة في قولهم (آمنّا) ووثاقته في قولهم:(إنّا معكم)، وعلّل ذلك بضعف الاعتقاد في الأولى ووثاقته في الثانية([2]).

(و)- أن يكون داعي التوكيد هو مقام الوعد أو الوعيد المتيقَّنُ إنجازهما

(ز)- أن يكون التوكيد في مقام الإعراب عن خيبة الأمل والرجاء والحسرة على ما كان ، ممّا لم يكن في الحسبان ، كقوله تعالي:(**قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ**)[3] الشعراء:117)، فالتوكيد ينمّ عن خيبة الأمل والحسرة الغالبة على نوح عليه السلام ، بعناد قومه وإصرارهم على مخالفته ممّا لم يخطر له على بال ، وهو أن يكذّبه قومه وقد بعثه الله إليهم رسولاً هاديا إلى صراط مستقيم ، ويبلّغهم رسالات ربّهم.

(ح)- وقد يكون التوكيد تعبيرا عن غرابة الخبر وعزّته ، تنبيها لقُوى الإدراك على الاحتشاد لتلقّفه واستيعابه ، كندائه تعالي لموسى عليه السلام: (**أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**) [4] ، إلى غير ذلك من الأغراض البلاغية والمقاصد السنيّة التى

---

[1] - البقرة:14

[2] - انظر الكشاف 1/ 66، وانظر خصائص التراكيب، صـ129

[3]- الشعراء:117

[4] - القصص:3

يأتي لها التوكيد ، سواء فيما أطلق عليه البلاغيون اصطلاحا الخبر الطلبي أو الإنكارى.

أمّا الخبر الابتدائي فهو خبر يجيءُ على سجيّته وطبيعته ، سواء من طرف الأسلوب الخالي من التوكيد ، أو من طرف المخاطب خالي الذهن ، بإخباره بما كان إثباتا أو بما لم يكن نفيا ، وما جاء على أصله لاُ يسأل عن علّته ، ولأجل هذا لم يُعن البلاغيون كثيرا بالبحث والتعليل لمواقع الخبر الابتدائي ، وعلى هذا النهج سار شيخ الإسلام أبو السعود في تفسيره ، بل ركّز جهده في بيان وتحليل الخبرين الطّلبي والإنكاري ، والكشف عن المعانى الخاصة والنّكت البلاغية الكامنة فيهما.

<u>توكيد الإسناد في الجملة الخبرية</u> :

الأصل في بناء الجملة العربية هو الجملة الفعلية ، فالعربية هي لغة الفعل ، خالية مما يدلّ على إرادة تأكيد النسبة فيها ، مثل:(**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ)** [1] (القمر:1).

وتوكيد الكلام يعنى الانتقال به من حالته الأصليّة البسيطة إلى حالة أخرى مركبة ، لا تكتفي بمجرد الإخبار بما كان أو بما يكون نفيا أو إثباتا ، بل يضاف إلى ذلك معانٍ واعتباراتٌ أخرى كثيرة تدعو إلى توكيده بمؤكدات يهدى إليها السياق وحركة الكلام ، تقلُّ وتكثرُ حسب المقام ، تختصّ بعض المؤكدات بالجملة الفعلية وبعضها بالاسمية ، وبعضها مشتركة بينهما ، ومن أبرزها:

(أ)–أدوات التوكيد المختصة بالجملة الفعلية : تقديم الاسم على خبره الفعلي ، نونا التوكيد الثقيلة والخفيفة ، وقد ، والسين وسوف ، ولن: تفيد النفي المؤكد.

[1]- القمر: 1

(ب)–المختصة بالجملة الاسمية: إنّ , أنّ، لام الابتداء، اللام المزحلقة.

(ج)–أدوات التوكيد المشتركة: الحروف الزائدة ، حروف التنبيه ، القسم ، إنّ المخففة من الثقيلة ، ضمير الفصل ، أما الشرطية ، ولكن .

أضرب الخبر في تفسير أبي السعود

أولا: الخبر الطّلبي:

النظم القرآنيّ	البيان والتحليل
{هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ} (آل عمران:119)	خبر طلبي مؤكد بحرف التنبيه(ألا)، وفائدته : إظهار كمال العناية والاهتمام بمضمونه ، وتوجيه توبيخ صريح إلى المخاطبين به ، والمعنى: أنتم أولاء مخطئون في حبّكم للمشركين وموالاتهم وهم على باطلهم ، في حين ينافقونكم ويدبّرون عليكم المكائد على ما أنتم عليه من الحق المبين ، إنّهم في باطلهم أصلب عودا منكم على حقكم. انظر 23/2
{وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ}(الأعراف:156)	الخبر الطلبي:(إنا هدنا إليك) مؤكدا بحرف التحقيق والتوكيد: (إنّ)، وغرضه: إظهار كمال النشاط وصدق الرغبة والتّوجه إلى الله بالتوبة النصوح، والإنابة إليه على ما بدر منهم من سيئات الأعمال ، وما فرّطوا فيه من صالح الأعمال. انظر 37/3
{**إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} (يوسف:8)**	الخبر الطلبي: (ليوسفُ وأخوه أحبُّ إلى أبينا منّا) مؤكدا باللام، وغرضه: إبراز ما في نفوسهم من مرارة وشعور بالغبن، تحقيقا لمضمون الجملة وتوكيدا لها، لِمنْ يساوره شكٌ في ميل أبيهم يعقوب عليه السلام، إلى يوسف وأخيه بقلبه وحبّه ، وتقريبه لهما إليه زلفي. انظر 368/3

{وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا} (الكهف:83)	الخبر الطلبي:(سأتلو عليكم) مؤكّدا بالسين، وغرضه: الدلالة على التحقيق والإنجاز بما يَعدُهم به، من باب الثقة الراسخة بربّه في إمضاء وعده له في مقام التأييد والتّصديق لرسالته أمام قومه ، والمعنى: لا أترك التلاوة عليكم البتة، بل سأظلّ أتلو عليكم منه وربما من غيره ذكرا ومواعظ وعبرا كثيرة. انظر 213/4
{إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ} (الحج:38)	الخبر الطلبي: (إنّ الله يدافع عن الذين آمنوا) وغرضه: الدلالة على معنى التوكيد والتحقيق لمضمون الجملة، وإبراز شدّة اعتنائه به، وهو الدفاع المستمرّ عن المؤمنين ضدّ عدوّهم، وتفيد صيغة المفاعلة الدفاع عنهم باستمرار في ميدان التدافع بين الحقّ والباطل، أو تكرار الدفاع عنهم مرّة بعد أخرى. انظر 383/4
{إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} (الحج:23) ..	الخبر الطلبي:(إنّ الله يدخل الذين آمنوا..) مؤكّدا بحرف التّحقيق والتأكيد، وفي تغيير سياق النظم وإسناد الإدخال إلى الله، إيذانٌ بكمال مباينة حال المؤمنين لحال الكافرين عقب حديثه عنهم ، إظهارا لمزيد العناية بالمؤمنين. انظر 375/4
{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ	الخبر الطلبي (إنّ الله يفصل بينهم يوم القيامة) غرضه: التأكيد وقطع دابر الشكوك والظنون حول يوم الفصل، بأنّ الله سيقضي بين المؤمنين وبين الفرق الدينية والمذهبية المذكورة المتفقة على ملّة الكفر، بإظهار المُحِقّ من

الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} (الحج:17)	المُبْطِل و توفيةِ كلٍّ منهم جزاءه ثوابا أو عقابا. انظر 4/ 374
{وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ، فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} (الشعراء:6)	الخبر الطلبي (فسيأتيهم أنباء ما كانوا..)، مؤكدا بالسين، وغرضه : توكيد مضمون الجملة وتقريره، والمعنى: سيأتيهم قَطْعًا من غير خُلْفٍ عواقبُ استهزائهم بالمؤمنين، وسيرون ذلك بأمّ أعينهم رأي اليقين. انظر 52/5
{وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا}(الأحزاب:13)	الخبر الطلبي (إنّ بيوتنا عورة)، أي غير حصينة ومعرّضة لغارات العدوّ، وغرضه: تسجيل اعتذارهم عن الخروج، متحمّسين برغبة جامحة بعدم النفير للجهاد في سبيل الله، سعياً منهم لتأكيد النّزاهة والبراءة فيما يقولون، والله من وراء القصد، وهو بهم محيط. انظر583/5
{وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ} (غافر:27)	الخبر الطلبي:(إنّي عذت بربّي وربّكم)، غرضه : تأكيد المعنى بإظهاره صدق التّوجّه والرغبة في الاستعاذة بربّه ربّ الناس جميعا، وإبراز شّدة الاعتناء بها والحرص عليها. انظر534/5
{إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا} (الفتح:1)	الخبر الطلبي: مصدّرا بحرف التحقيق، غرضه: الإيذان بإنجاز وعد الله بالفتح المبين لنبيّه محمد صلي الله عليه وسلّم لا محالة، وأنّه أمر في درجة المُحَقَقِ المُنْجَزِ لا ريب فيه، وقد كان، وهو معزّز بإيثار التعبير عنه بالماضي بدلا من المستقبل، وبحدف المفعول تنزيلا للمتعدى منزلة اللازم

	للإشارة إلى أنّ كلمة السر والفتح المبين.وإطلاق الأمور لتسير على سجيّها. انظر 97/6

{وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ} (البقرة:130)	الخبر الإنكارى:(وإنّه في الآخرة لمن الصالحين)، مؤكدا بحرف التحقيق والتوكيد:(إنّ)، واللام المزحلقة، واسمية الجملة، والإنكار المستوجب لهذا الضرب من الخبر هو: أنّ الأمور الأخروية معرّضة للإنكار دوما، لأنها خفيّة لدى المخاطبين والسامعين، فكان حاجتها إلى التوكيد أشدَّ من الأمور التى تشاهد عيانا أو تلاحظ آثارها جهارا. انظر 201/1
{لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا} **(آل عمران:186)**	الخبر الإنكارى (لتبلونّ في أموالكم)، مؤكدا بلام القسم ونون التوكيد الثقيلة، ووجه توكيده: هو تحقيق الوعيد القاطع بوقوع الابتلاء عليهم، تهيئةً لهم على انتظاره وتوقّعه ، تهوينا للخطب وتخفيفا للوجع، كي يقع عليهم خفيفا محتملا، تقليلا لدواعي الجزع والتّضجّر من توالي المصائب عليهم. انظر 75/2
{لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ} **(المائدة:28)**	الخبر الإنكارى(ما أنا بباسط يدي إليه لأقتلك) مؤكدا بالجملة الشرطية الموطئة للقسم، ووقوع جواب الشرط جملة اسميّة مصدّرةً بما الحجازية المفيدة لتأكيد النفي، وزيادة الباء في الخبر (بباسط)، سبيله: تأكيد مضمون الخبر في ذاته، كما هو يقين راسخ في قلبه تأكيدا

	لتنزُّهِه وترفُّعِه عن بسط يده لقتل أخيه، خوفا من الله وخشيةً لشديد عقابه . انظر2/260

{يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا} (المائدة:37)	الخبر الإنكارى: (وما هم بخارجين منها) مصدرة بما الحجازية المؤكِّدة للنفي ، وزيادة الباء في خبرها ، واسمية الجملة ، غرضها : تأكيد سوء أحوال أهل النار، باستمرارهم فيها دون خروج منها مع إلحاحهم في الطلب ، ذلك لأنّ الجملة الاسمية المثبتة تفيد بمعونة المقام دوامَ الثبوت لمعناها ، فكذلك الجملة الاسمية المنفية تفيد دوام النفي ، وهو هنا عدم الخروج من النّار أبدا. انظر 2/268
{وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ} (الأعراف:130)	الخبر الإنكارى:(ولقد أخذنا) مؤكّدا بالقسم ولامه ، وحرف التحقيق قد الداخلة على الماضي ، وسبيله : إفادة معنى التحقق وإبراز كمال الاعتناء بمضمون الجملة ، وهو أنواع وأشكال العذاب التي سلّطها الله على فرعون وقومه ، بعد الذي كان منهم من الفساد والعلوّ والاستكبار في الأرض. انظر 3/20
{وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ	الخبر الإنكارى: (ألا إنّها قربة لهم) مؤكّدا بحرف التنبيه، وحرف التحقيق والتوكيد ، وغرضه : تأكيد مضمون الجملة ، وإبراز جزالة معناها في ذاته ، وهو الإعلان بأنّ ما ينفقه هذا الفريق من الأعراب هي عند الله عبادة مقبولة ، وقربات تقرّبهم إلى الله زلفي، وهي أُمُّ الغايات وسيّد المقاصد لدى كلّ

اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ}(التوبة:99)	مؤمن عابد ، يرجو الله واليوم الآخر، فكانت أهميّة الخبر لدى المخاطبين مسوّغا قوياّ لتأكيد الخبر وتعزيزه في أنفسهم. انظر 185/3
{إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ}(يوسف:68)	الخبر الإنكارى: (وإنّه لذو علم)، المؤكد بحرف التحقيق وباللام، وتنكير العلم المفيد لمعنى الفخامة والتميّز، وسره: تأكيد مضمون الجملة، بالإشادة بمرتبة يعقوب عليه السلام وبسعة علمه وفضله عند الله، فخامة ع ما عُلِّم من علم ربّانيّ ، وتأكيد هذا المعنى في نفسه،ولمن ينكره أو يجادل فيه. انظر 413/3
{ قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ} (يونس:81)	الخبر الإنكارى: (إنّ الله سيبطله)، مؤكدا بحرف التحقيق ، وبالسين، وغايته : تأكيد مضمون الجملة، بتثبيت أفئدة الذين آمنوا بموسي عليه السلام والربط على قلوبهم، وتيئيس فرعون وسحرته من فلاح أمرهم أو نجاح سعيهم لإحراز نصر مبين على موسى والذين آمنوا معه. انظر 268/3
{لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا} (مريم:46)	الخبر الإنكارى: (لأرجمنّك) مؤكدا بالقسم وبنون التوكيد الثقيلة، وغرضه: تأكيد معنى الوعيد لحمل إبراهيم عليه السلام على أنْ يرتدعَ ويكفَّ عن مناهضة أصنامهم، بتوجيه التهديد بالرجم وبالنفي، وهو إرهابٌ لفظيٌّ شأنُه كشأن كلِّ من تُعوزه الحجةُ والبرهانُ للدفاعِ عن سوءِ صنيعه. انظر 243/4
{ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى} (طه:68)	الخبر الإنكارى: (إنك أنت الأعلي)، مؤكدا بحرف التحقيق، وبضمير الفصل، وبتعريف الطرفين واسميّة الجملة، واستخدام

كلمة العلّو بصيغة التفضيل ، وسرّه : تأكيد مضمون الجملة ، وهو وعد الله بانتصار موسي والذين معه على فرعون وسحرته، وعلّو شأنه كلّه عليه أبدا، تثبيتا لفؤاد موسي في هذا الموقف العصيب، وتجديدا لدعائم اليقين في وعد الله، بنصر الله الدائم والمستمرّ لعباده المرسلين. انظر 293/4	
الخبر الإنكارى: (لقد كنتم أنتم)، مؤكّدا بالقسم وحرف التحقيق قَدْ، وبضمير الفصل، وغايته: تأكيد مضمون الجملة تأكيدا جازما ، بضلال هؤلاء المشركين من عبدة الأصنام والأوثان كما ضلّ آباؤهم الأولون فهم على منوالهم سائرون، وإنهم لبعيدون عن طريق الهدى والنّور. انظر 343/3	{قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَاعَابِدِينَ ،قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} (الأنبياء:54)
الخبر الإنكارى: (لأكيدنّ) مؤكدا بالقسم ملفوظا، وباللام ، وبنون التوكيد الثقيلة ، وسرّه : إبراز مدى قوّة العزيمة في نفسه، والاجتهاد الواجب عليه بذله لتنفيذ هدفه في كسر الأصنام ، على قلّة الفرص وصعوبة انتهازها، وتوقّفه على المكيدة والحيلة، وحسن التخطيط والتدبير. انظر 344/4	{وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ}(الأنبياء:57)
الخبر الإنكارى : (وإنّك لتلقّي القرآن) مؤكّدا بحرف التحقيق وبلام التوكيد ، وهدفه: إبراز كمال العناية بمضمونه ومعناه ، تشريفا للقرآن المجيد ، وإعزازا للمُنزَّل عليه ، وبيانا لمنهج التّلقي وعلوّ مصدره وهو التّلقين من لدن حكيم عليم ، بما يفيده التنكير من تفخيم للأمر كلّه بلا حدود. انظر 104/5	{وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ} (النمل:6)

{قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ} (الزمر:15)	الخبر الإنكارى:(ألا ذلك هو الخسران المبين) مؤكّدا بتصديره بحرف التنبيه، إشارة إلى بعد المشار إليه في درجات الشر ومراتب السوء ، وتوسيط ضمير الفصل، وتعريف الخبر، ووصفه بكلمة (مبين)، غرضه : الدلالة على كمال الهول وفظاعة شأنه، والبيان بأنّه قمّة الخسران ونهايته ، وأنّه لا خسران وراءه. انظر5/ 496
{ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (المجادلة:22)	الخبر الإنكارى:{ألا إنّ حزب الله هم المفلحون} ، مؤكدا بحرف التنبيه، وبحرف التحقيق، وبتوسيط ضمير الفصل، وبإضافة الحزب إلى الله مرتين، وإظهار المضافَيْنِ إليه في موقع الإضما، سرّه : تأكيد مضمون الجملة، بحقيقة انتساب من كانت تلك صفاته إلى أنصار الله وحزبهم، وتأكيدا لحقيقة أنّ أنصار الله وحزبهم هم المفلحون الحقيقيون في الدارين. انظر221/6
{ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ} (الشعراء:27)	اخبر الإنكارى ، مؤكدا بحرف التحقيق ، وباللام ، وباسمية الجملة ، غرضه : أنّ فرعون أراد به أن يفتن الناسَ ويصرفهم عن اتباع الحقّ والإيمان بموسي عليه السلام ، فاتهمه بالجنون وفقدان العقل على وجه التأكيد استهزاءً به وسخرية له ، وأضافه إليهم { رسولكم}،ترفُّعا عن أنْ يكون هو من بين المُرسَلِيْنَ إليه أو المعنيّين بشأن رسالته. انظر59/5
{وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ	الخبر الإنكارى :{إنّا رادوه إليك}، مؤَكَدا بحرف التّحقيق واسميّة الجملة، غرضه : إبراز الاعتناء بتحقيق مضمونها،

مِنَ الْمُرْسَلِينَ} (القصص:7)	والإيفاء بوعده تعالي في ردّ موسي إلى أمّه. انظر 153/5

المبحث السادس: خروج الخبر عن مقتضي الظاهر

أولا: وقوع الخبر موقع الإنشاء وعكسه

ورد في الكلام العربي البليغ استخدام الخبر لفظا وإرادة معنى الإنشاء ، كما ورد استعمال أساليب الإنشاء ويُراد بها معنى الخبر، تنويعا لأنماط القول وتحقيقا لمعان بلاغية نفيسة ، وإبرازا لأسرار وغايات بديعة يسعى المتكلّم إلى إظهارها وإنجازها ، عن طريق المزاوجة والمخالفة بين الأساليب إنشاء وخبرا وبين مدلولاتهما ، وقد أشار شيخ الإسلام أبو السعود إلى طائفة من الآيات التى جاءت على هذا النّمط في النظم القرآني الكريم ، موضّحا الغايات المعنوية والنكت البلاغية الكامنة وراء ذلك ، وكان منها ما يلي :

(1)- وقوع الخبر موضع الإنشاء

النظم القرآني	البيان والتحليل
{وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا}(البقرة:83)	جملة { لا تعبدون إلا الله} خبر في اللفظ ، ولكنّه إنشاء في المعنى ، فهو نهي جازم لبنى إسرائيل عن عبادة غير الله ، أي : لا تعبدوا إلا الله ، وجاء الأسلوب مبالغة في التحضيض على التّقيّد ، فكأنّ النهيَ قد صدر والتُزِم به فهو يُخبر عنه واقعا منجزا. انظر 157/1
{وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ}	جملة { لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم..} خبرٌ أُريد به النهيُ مبالغة في الحثّ على الالتزام

البقرة: 84	والتّقيّد ، فكأنّ النّهيَ قد صدر إليهم والتزموا به ، فهو يخبر عنها واقعا قائما. انظر 1/ 158
{وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ} (البقرة:233)	قوله { والوالدات يرضعن أولادهن) خبر في اللفظ إنشاء في المعنى ، فهو أمرٌ أُخرِج مُخرَج الخبر مبالغة في حمل الوالدات على إرضاع أولادهنّ وعلى إتمام المّدة المذكورة تحقيقا لمصحة الأولاد وحسن نمّوهم جسديا وعقليا. انظر 1/ 276
{وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ}(البقرة:282)	قوله{ولا يضارّ} نهيٌ عن الإضرار محتمل للبناء للفاعل أو للمفعول: لا يُضارِرْ أو لا يُضارَرْ، وقُرِئ بالرفع علي النفي: (ولا يضارُّ) ، ويكون حينئذ خبرا يراد به الإنشاء، وهو النّهيّ عن الإضرار بالشهداء والكتّاب. انظر 322/1
{وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}يونس: 65	قوله:{ لا يحزنك قولهم} جملة خبرية منفية ، إنشائية في المعنى ، لأنّ معناها النهي للنّبي صلي الله عليه وسلم عن الحزن لما يقولون ، فكأنّه قال: لا تحزن بقولهم ولا تبال بتكذيبهم، ولا بتدبيرهم مكر السّيّئ. وإنّما أُسنِدَ فعل الحزن إلى القول للمبالغة في نهيه صلي الله عليه وسلم عن الحزن لما أنّ النهيَ عن التأثير نهيٌ عن التّأثّر بأصله ، ونفيٌ له نفيا قاطعا. انظر 3/257-25
{وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا	قوله { آذنّاك) قيل : هو خبر لفظا ومعنى، ومعناه:

آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ} (فصلت:47)	أعلمناك ما منّا أحد يشهد أنّ لك شركاء ، ذلك أنّهم ما عاينوا القيامة رأي العين تبرّءوا من شركائهم ، كما تبرّأ منهم شركاؤهم. وقيل : إنشاء لفظا و المعنى، لأنّ معناه الاستفهام التقرير، ألم نؤذنك ما منا من شهيد، ألم نخبرك ونعلمك أنه ليس منا من أحد شهيد أنّ لك شركاء؟ وأكثر المفسرين ذهبوا فيه مذهب الخبر لا الإنشاء. انظر6/3-4
{قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ، الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ}الذاريات:11	استخدام الخبر { قتل الخراصون} ، ومعناه لُعن وطر من رحمات الله ، فيكون معناه الإنشاء وهو الدعاء عليهم باللعن والطرد من رحمة الله . انظر6/134
{ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا} الفتح:15	استخدام الخبر{ قل لن تتبعونا} لمعنى الإنشاء ، فمعناه النهيُ ، أي: لا تتبعونا ، وفائدته : المبالغة في التمييز والتمحيص أمرًا من الله ، بين صفّ أهل الإيمان الصادقين في إيمانهم، وصف المنافقين الكاذبين. انظر6/101
{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} (الصّف:10-11)	جملة { تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله} خبر في اللفظ إنشاء في المعنى لأنه أمر، أي : آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا في سبيل الله. انظر6/245

{وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ، وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ، وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ} (البروج:14)	جملة:{قتل أصحاب الأخدود} خبر في اللفظ إنشاء في المعنى لأنه دعاء عليهم باللعنة ، أي لُعِن أصحاب الأخدود ، حفروها وأوقدوا فيها النيران ، وقذفوا فيها أهل الإيمان انتقاما منهم على إيمانهم بالله وباليوم الآخر. انظر405/6
{وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ ، الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ}الهمزة:1-2	كلمة "ويلٌ" يراد بها وادٍ في نار جهنّم، وقيل: هي كلمة دعاء بالعذاب ، فهي خبر لفظا، وإنشاء معنى لأنّه دعاء عليهم بنار جهنّم ، أو بكلمة العذاب. انظر469/6.
{تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ،مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ}المسد:1-2	الفعلان: (تبتْ – وتبّ) جملتان في اللفظ ، ومعناهما الإنشاء، وهو الدعاء على ابي لهبٍ بهلاك عمله وبوار كسبه في الأوّل، ثمّ الدعاء عليه بهلاك نفسه وذاته في نار ذات لهبٍ في الفعل الثاني. انظر484/6-485

(2)- وقوع الإنشاء موضع الخبر

النظم القرآني	البيان والتحليل
{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ} البقرة:243	صيغة الأمر :{ موتوا ثمّ أحياهم} إنشاء أريد به الخبر ، ومعناه : فأماتهم ثمّ أحياهم ، على سبيل تعلّق إرادة الله بموتهم دفعةً واحدةً، أو تمثيل لإماتته تعالي ، إياهم ميتةَ نفسٍ واحدةٍ في أقرب وقتٍ وأدناه وأسرع زمانٍ ، و أوحاه بأمر آمر مُطاعٍ لمأمور مطيع. أبو السعود 284/1
{فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} التوبة: 82	صيغة الأمر :{فليضكحوا- وليبكوا} إنشاء أريد به الخبر ، فهو إخبار عن عاجل أمرهم وعاجله من الضحك القليل والبكاء الطويل، والمعنى : فسيضحكون قليلا ويبكون كثيرا ، وإخراج الخبر في صورة الإنشاء غرضه الدلالة على تحتّم وقوع المُخبَر به ، فإنّ أمر الآمر المطاع ممّا لا يكاد يتخلّف عنه المأمور به. أبو السعود175/3
{مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ}(التوبة:120)	ورد الكلام خبرا منفيا نفيا جازما في اللفظ (ما كان لأهل المدينة..أن يتخلّفوا) ، ولكن معناه الإنشاء : وهو النهيُ المؤكَّد عن التّخلف والقعود وعدم الخروج مع رسول الله للجهاد والغزو. انظر 3/ 201

ثالثاً: وضع الظاهر موضع الضمير

أشار شيخ الإسلام أبو السعود في مواطن كثيرة مما وُضع فيه الظاهرُ موضعَ الضمير في النّظم القرآنيّ ، وكَشَفَ النّقابَ عن أسرار بديعة ومعانٍ جمّة تكمن وراء ذلك ، وقد سعي الباحث إلى حصر المعاني واللّطائف التي أشار إليها الشيخ متفاديا تكرار المعانى وإعادتها كلّما كان ذلك متاحا ممكنا :

النظم القرآنيّ	البيان والتحليل
{شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ}(البقرة: 185)	وضع الظاهر(الشهر) موضع الضمير(فمن شهده)، غرضه : تعظيم صيام الشهر والتنويه به ، والمبالغة في بيان الأحكام. انظر 242/1
{قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (آل عمران:29)	إظهار الاسم الجليل:(والله على كلّ شيء قدير) مكان الضمير: (وهو) ، والغرض منه: تربية المهابة وإدخال الروعة في النفوس، وتهويل الخطب. انظر 354/1
{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ} (آل عمران:98)	إظهار الاسم الجليل(والله شهيد على ما تعملون) مكان الضمير(وهو) غرضه: تربية المهابة وتهويل الخطب، وصيغة المبالغة(شهيد) للتشديد في الوعيد. انظر 8/2
{ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ	إظهار لفظ الجلالة:(ومن يعص الله ورسوله)،

الآية	التعليق
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ ... وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا..} (النساء:13-14)	موضع الضمير (ومن يعصهما)، فائدته : المبالغة في الزّجر والدرع ، وتهويل الخطب لأبعد مدى ، مع ما فيه من تربية المهابة. انظر 109/2
{ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ} (الأنعام:47)	وضع الظاهر :(القوم الظالمون)موضع المضمر :(هل يهلك إلا أنتم) غرضه : التسجيل عليهم بالظلم الشديد ، إيذانا بأنّ مناط إهلاكهم ظلمهم الذي هو وضعهم الكفر موضع الإيمان. انظر 384/2
{حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ} (الحج:31)	وضع الظاهر (ومن يشرك بالله) مكان الضمير : (ومن يشرك به)، غرضاه: إظهار قبح وجه الإشراك بالله ، وسوء صنعه ، ورداءة نعوته عند الله والملائكة الناس أجمعين. انظر 380/4
{قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ، أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} (الأنبياء:66-67)	إظهار الاسم الجليل(أفٍّ لكم ولما تعبدون من دون الله) مكان: (من دونه) ، فائدته : إبراز مزيد استقباح عبادتهم لغير الله، مضافا إليه التّأفف بصوت المتضجّر (أفٍّ لكم) أي قبحا ونتنا وويلا وثبورا لكم، ولمعبوداتكم التافهة. انظر 346/4

الآية	الموضع والغرض
{وَ كَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ}(آل عمران:146)	وضع الظاهر (والله يحب الصابرين) موضع الضمير (والله يحبهم) غرضه: تسجيل الثناء عليهم بحسن الصبر، وإبداء الرضى بصنعهم والإشعار بعلّة الحكم، وهو كون حبّ الله لهم سببه صبرهم في ميادين الجهاد وساحات الوغى. انظر 2/ 45
{وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ}(آل عمران:144)	إظهار الاسم الجليل: (وسيجزى الله الشاكرين) مكان الضمير، غرضه: إبراز شدّة الاعتناء بجزاء أهل الشكر تنويها بقدرهم، وسَوْقِ المزيد من أنْعُمِه وأفضاله إليهم. انظر 43/2

الآية	الموضع والغرض
{وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ}(آل عمران:144)	إظهار الاسم الجليل: (وسيجزى الله الشاكرين) مكان الضمير، غرضه: إبراز شدّة الاعتناء بجزاء أهل الشكر تنويها بقدرهم، وسَوْقِ المزيد من أنْعُمِه وأفضاله إليهم. انظر 43/2
{قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ} (آل عمران:32)	إظهار الاسم (فإنّ الله لا يحبّ الكافرين) مكان الضمير (لا يحبهم)، غرضه : تعميم الحكم لكلّ الكفرة، والإشعار بعلّته، بكون سخطه عليهم بسبب كفرهم، إيذاناً بأنّ التولّي عن الطاعة كفر، وبأن محبّته مقصورة على المؤمنين. انظر 356/1
{آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ	إظهار الرّسل مكان الضمير (لا نفرّق بين أحد منهم)، إمّا

مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ}(آل عمران:285)	للاحتراز عن توهّم معنى غير مراد، وهو اندراج الملائكة في الحكم، وإمّا للإشعار بعلّة عدم التفريق بينهم، أو للإيحاء إلى عنوانه، لأنّ المعتبر هو عدم التفريق من حيث مبدإ الرسالة، دون غير ها من سائر الحيثيات الخاصة. انظر 327/1
{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ}(النور:21)	استخدام الظاهر(ومن يتّبع خطوات الشيطان) موضع الضمير(ومن يتّبعْها) فائدته : المبالغة في التحذير والتنفير من الشيطان وحزبه وعمله، وأمره بالفحشاء والمنكر. انظر447/4
{وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا}(الأحزاب:22)	إظهار الاسم الجليل(وصدق الله ورسوله) مكان الضمير: صدق وعد الله ورسوله ، أو صدقا، غرضه : إبراز التّوقير والتعظيم لله ولرسوله ، وتعزيز عرى الإيمان في النّفوس وتمكين القلوب على الثبات على الحق. انظر 289/5
{قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ، قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى} (طه:51-52)	إظهار لفظ الفاعل (لا يضلّ ربّي ولا ينسي) في مقام الإضمار، فائدته : التّلذّذ بالذكر، ولزيادة التقرير والتوكيد ، والإشعار بعلّة الحكم، فإنّ ربوبيّته للخلق مما يقتضي عدم الضّلال والنّسيان. انظر286/4
{قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ}	استخدام الظاهر(وحمة الله وبركاته) مكان(رحمته وبركاته) غرضه : زيادة التشريف والتوقير، والتّبرّك بالاسم الجليل. انظر 334/3

(هود:73)	
قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ} (يوسف:10)	وضع الظاهر(لا تقتلوا يوسف) بدلا (لا تقتلوه)، غرضه: استدرار العطف واستجلاب الشفقة منهم عليه، وقد رُوِيَ تأكيدا لهذا المغزى ، أنّه قال لهم: " القَتْلُ عظيمٌ"، في جين لم يُصرّحْ بنهيهم عن المقترح الآخَرَ. انظر 369/3
{وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا } (الأعراف:89)	إظهار الاسم الجليل(وسع ربّنا) في موطن الإضمار، فائدته : المبالغة في التّضرّع و الجؤار، والتّذلّل في السّؤال. انظر 6/3
{قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} (الإسراء:88)	وضع الظاهر(لا يأتون بمثله)، مكان(لا يأتون به) فائدته: الاحتراز من أنْ يتوهَّمَ مُتوهِّمٌ أنّ للقرآن مثلا معيّنا، وإيذانا بأنّ المراد نفْيُ الإتيان بمِثْلٍ ما، أي لا يأتون بكلام مماثل له في صّفات البديعة ، وفيهم العرب العاربة أرباب البراعة والبيان. انظر 156/4
{أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا} (الإسراء:78)	وضع الظاهر (إنّ قرآن الفجر) موضع الضمير(إنّه)، غرضه : الإبانة عن مزيد الاهتمام بصلاة الفجر، والحثّ على الاعتناء بها وبالمحافظة عليها. انظر 4/ 151
{أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا، إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ	أوثر إظهار الاسم (إذ أوى الفتية) في موطن الإضمار(إذْ أووا) لأجل إبراز ما هم عليه من عنفوان القوّة والفتوّة ، التى هي عنوان الصبوة والغواية، فقد قيل: إنهم كانوا فتية

فقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً} (الكهف:10)	من أشرفا الروم أرادهم الملك "دقيانوس" على الشرك، فهربوا منه بدينهم ، ولجئوا إلى الكهف ولبثوا فيه ما لبثوا. انظر 4/ 171
{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ} (آل عمران:23)	استخدام الظاهر(يدعون إلى كتاب الله) مكان (يدعون إليه) غرضه : فرض الاستجابة ، والحثّ على الاستسلام لحكم الله والرضي به، ففي إضافته إلى اسم الجلالة تشريف له وتأكيد على وجوب التّمسّك به و التحاكم إليه. انظر 351/1
{الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ} (البقرة:197)	وضع الظاهر(فرض فيهنّ الحجّ) مكان الضمير، غرضه: الاعتناء بشأن الحجّ المبرور، والإشعار بعلّته ، بنبذ المنهيات المذكورة وطرحها بعيدا، وإيثار النفي(فلا رفث ولا فسوق ولا جدال) للمبالغة في النّهي ، والدلالة على أنّ ذلك حقيقٌ بأنْ لا يكون، فإنّ ما كان مستقبحاً في نفسه ففي تضاعيف الحجّ هو أقبح وأشنع. انظر 250/1
{وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} (250)	وضع الظاهر(الكافرين) موضع الضمير(هم)، فائدته: لكشف عن علّة النصر والتنويه به ، وهو إيمان قومٍ وكفرُ آخرين، {إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا}. انظر 290/1
{وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ	وضع الظاهر(كتاب الله وراء ظهورهم) موضع الضمير (نبذه)، غرضه : إبراز كمال التنافي والتباين بين ما ورد لهم في حيّز الصلة وبين ما بدر منهم ، وهو نبذ كتاب الله

كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} (البقرة:101)	وراء ظهورهم، كأنّهم لا يعلمون. انظر 171/1
{إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} (آل عمران:122)	وضع الظاهر :(وعلى الله فليتوكّل المؤمنون) مكان الضمير : (فعليه) ،وغرضه ، التّبرّك بالاسم الجليل، و الدعوة إلى التّأمّل والتّدبّر، وأنّ الألوهيّة من موجبات التّوكّل عليه ودواعيه ممّن يتّصف بصفة الإيمان. انظر 26/2
{لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ} (آل عمران:113)	وضع الظاهر(من أهل الكتاب) موضع ضميرهم (منهم) غرضه : إبراز الفرق الكبير والبون الشاسع بين طوائف أهل الكتاب ، بين من أُوْتُوا حظا وافرا من علم الكتاب فهم به مؤمنون متمسّكون، وبين من أُوْتُوْا نصيبا منه ففرّطوا فيه وطرحوا كتاب الله وراء ظهورهم ، وكأنّهم لا يعلون عنه شيئا. انظر19/2
{وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} (آل عمران:78)	إظهار الكتاب (وما هو من الكتاب) بدلا من الضمير:(وما هو منه) ثم إظهار الاسم الجليل: (وما هو من عند الله) مكان الضمير(وما هو من عنده) غرضهما : التهويل ممّا أقدموا عليه و تفظيعه ، وذلك بافترائهم على الله والتّقوّل عليه بغير علم ولا سلطان آتاهم. انظر 384/1

{وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} (آل عمران:78)	إظهار الكتاب (وما هو من الكتاب) بدلا من الضمير :(وما هو منه) ثم إظهار الاسم الجليل: (وما هو من عند الله) مكان الضمير (وما هو من عنده) غرضهما : التهويل ممّا أقدموا عليه و تفظيعه ، وذلك بافترائهم على الله والتّقوّل عليه بغير علم ولا سلطان آتاهم. انظر 384/1
{الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ}(الملك:3)	وضع الظاهر (في خلق الرحمن) موضع ضميره (ما ترى في خلقه)، غرضه : التعظيم والتوقير، والإشعار بعلّة الحكم، وبأنّه تعالي خلقها بقدرته القاهرة، رحمةً وتفضّلا، وبأنّ في إبداعها نِعماً جليلة، والخطاب للرسول صلي الله عليه وسلم ولكلّ م يصلح له من أهل العلم والإيمان. انظر 6/ 274
{ إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا} (النّبأ:40)	قيل :المرء المقصود به الكافر، وقوله:(ويقول الكافر) من وضع الظاهر موضع الضمير:(ويقول)، وغرضه: تشديد الذّم عليه بكفره وعدم الإيمان ، وتأكيد سوء سبيله وعاقبة أمره. انظر 373/6
{وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ	وضع الظاهر (القوم الظالمين) موضع ضميره (فلا تقعد معهم) ، غرضه : النّعي عليهم بالظلم الشنيع وتسجيله عليهم، وأنّهم بخوضهم في آيات الله ظالمون ، حيث يضعون التّكذيب والاستهزاء موضع التّصديق

الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} (68)	والتّعظيم. انظر 398/2
{وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ، يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا} (المائدة:109)	إظهار لفظ الجلالة (يوم يجمع الله الرسل) في مقام الإضمار (يوم يجمع الرسل) ، غرضه: بيان ما يقع يوم في يوم القيامة من الطّامّة التّامة والدّواهي العامّة ، تشديدا لأهوالها وتربية للمهابة منها. انظر 335/2
{قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ} (الأنعام:33)	وضع الظاهر :(ولكن الظالمين)، موضع ضميره: (ولكنّهم)، وغرضه: تسفيه حالهم وتسجيل الظلم الراسخ فيهم عليهم، استعظاما لما اقترفوه من جحود آياته، ويّعدُّ جحودهم هذا فنّاً من فنونه. 375/2

رابعا :إيثار المضارع على الماضي

الاستخدام في النظم القرآنيّ	التحليل والبيان
{وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}. (البقرة:127)	إيثار المضارع (يرفع) الدال على الاستقبال لحكاية الحال الماضية استحضارا لصورتها العجيبة المنبثقة عن المعجزة الباهرة، مشهد إبراهيم النّبي وهو يبنى البيت الحرام، يساعده ابنه الفتى إسماعيل. انظر 197/1
{زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ}.(البقرة: **212)**	عطف المضارع (يسخرون) على الماضي(زيّن) للدلالة على استمرار سخرية الكافرين من المؤمنين، استرذالا واستهزاءً منهم ، على فقرهم وزهدهم وإقبالهم على الآخرة. انظر 257/1
{وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي	عطف المضارع(أعيذها بك) على الماضي(وإنّي

سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ}. (آل عمران:36)	سمّيتها) للدلالة على ديمومتها في طلب الاستعاذة من الله للصغيرة مريم ابنة عمران ، وتقديم (بك) لإبراز مدى عنايتها وتعلّقها بالله معيذا وحافظا لها. انظر 1/ 361
{وَ يَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ} (النساء:127)	إيثار المضارع (وما يتلي عليكم في الكتاب) ، الدال على الاستمرار والتجدد ، للدلالة على تجدد التلاوة واستمرارها أبدا الدهر. انظر 202/2

{ كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ}. (المائدة:70)	العدول عن الماضي إلى المضارع :(يقتلون) حكايةً للحال الماضية، واستحضارا لصورتها البشعة ، للتعجب والتعجيب منها، وتنبيه الغافلين على أنّ ذلك ديدنهم المستمرّ ، مع ما فيه من المحافظة على رؤوس الآيات الكريمة. 302/2
{وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ }.(الأنعام:83)	إيثار المضارع (نرفع درجات) للدلالة على أنّ رفع الدرجات سنّةٌ مستمرّةٌ جاريةٌ في المصطَفِينِ الأخيار، غير مختصة بإبراهيم عليه السلام وحده. انظر 410/2
ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ.} (يونس:3)	إيثار المضارع (يدبّر الأمر) للدلالة على تجدد التدبير وديمومته دائما وأبد. انظر 210/3
{وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ	إيثار المضارع في (ولكنّي أراكم قوما تجهلون) ،

مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ} (هود:29)	للدلالة على التّجدد والاستمرار في ارتكاب صنائع الجهل ، واقتراف أعمال الزيغ والغواية. 3/ 306
{ أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ} (هود:62)	إيثار المضارع (أن نعبد ما يعبد آباؤنا) عدولا من الماضي، حكاية للحال السالفة ، واستحضارا لصورتها الفظيعة والقوم يعبدون الأصنام والأوثان المُتَّخذةَ من الأشجار والأحجار و سواهما. انظر 328/3
{ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ} (هود:74)	إيثار المضارع (يجادلنا) على الماضي بمقتضي ظاهر السياق، استحضارًا لصورة إبراهيم عليه الصلاة والسلام وهو يجادل ربه ، وهي صورة فيها من الإثارة بقدر ما فيها من الغرابة. انظر 335/3
{إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} (هود:88)	إيثار المضارع (وإليه أنيب) على الماضي الذي يقتضيه ظاهر السياق ، لأجل استحضار صورة العبد المنيب إلى ربه، وبيان استمراره وديمومته على التوبة والإنابة إليه. أنظر 3/ 344

{ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ..}	إيثار المضارع (يدعون) دون الماضي "دعوا"، حكايةً للحال السالفة واستحضارا لما يعبد هؤلاء من أشياء، و إبراز الاستغراب من استمرار عبادتهم لها. انظر 350/3

(هود:100-101)	
{وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ} (يوسف:43)	إيثار المضارع في(أرى- يأكلهنّ) على الماضي فيهما ، لاستحضار الصورة العجيبة الغريبة، والتعجيب من أمرها. انظر 3/ 398
أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ} (يوسف:59)	إيثار المضارع المستقبل(أوفي الكيل) مع أن الكلام كان بعد التجهيز ، للدلالة على أنّ ذلك عادة دائمة وديدنٌ مستمر. انظر 3:308
{ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ، قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ} (يوسف:71)	إيثار المضارع (تفقدون) على الماضي (فقدتم) لأجل استحضار الصورة والمشهد، بحركاتها وشخوصها والجلبة الدائرة أثنائها. انظر 3/ 415
كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ} (يوسف:76)	إيثار المضارع(نرفع درجات) على الماضي (رفعنا درجات) للإشعار بأن رفع الله لدرجات عباده المصطفين سنّة جارية، وشريعة دائمة، وليس الأمر محصورا بهذا. انظر 418/3
الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} (الرعد:28)	العدول إلى المضارع:(وتطمئنّ) على الماضي:(واطمأنت) عطفا على (آمنوا)، لإفادة دوام حالة الاطمئنان وتجدّدها ، طبقا لتجدّد ذكر الله وتلاوة آياته. انظر 456/3

{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (إبراهيم:4)	**إيثار** المضارع في قوله :(فيضلّ الله من يشاء ويهدى من يشاء) غرضه استحضار صورة ذات مفارقة كبيرة صورة المهديين ومشهد الضالّين، المتجددة في كلّ زمان ومكان وفي كلّ عصر ومصر، وِفْقَ تتابُعِ الأنبياءِ والرّسل المبلِّغِيْنَ عن الله. انظر 471/3
{رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ} (الحجر:1)	"ربّ": مختصة بالأسماء، ودخول ما عليها صحح دخولها على الفعل، وحقها الدخول على الماضي، أما دخولها على المضارع ، فللإفادة أن المتوقّع القادم من أخبار الله كالواقع الحاضر، وإنما جيئ به بصيغة التقليل جريا على كلام العرب فيما يقصدون به التكثير، فيعكسون العبارة. انظر 4/4-5
وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ، مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ} (الحجر:4-5)	إيثار صيغة الاستفعال(وما يستأخرون) للإشعار بعجزهم عن ذلك مع شدّة طلبهم له ، أمّا المضارع في الفعلين فلقصد بيان، دوامهما واستمرارهما في كلّ الأمم. انظر 7/5
{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ ، وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} (الحجر:10-11)	إيثار صيغة الاستقبال(وما يأتيهم من رسول) لاستحضار الصورة والمشهد لحكاية الحال الماضية، فإن (ما) لا تدخل في الأغلب على مضارع إلا وهو في معنى الحال ، ولا على ماض إلا وهو قريب من الحال ، والمعنى : ما أتى شيعة من تلك الشيع رسول خاص بها(إلا كانوا به يستهزؤون). انظر 10/4

{كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ، لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ}. (الحجر:12-13)	إيثار المضارع (نسلكه) ، لكون المشبه به مقدما في الوجود، وهو السلك الواقع في الأمم السالفة، أو للدلالة على استحضار الصورة، والسلك إدخال شيء فى آخر. انظر 11/4

{كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ، لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ} (الحجر:12-13)	إيثار المضارع (نسلكه) ، لكون المشبه به مقدما في الوجود، وهو السلك الواقع في الأمم السالفة، أو للدلالة على استحضار الصورة، والسلك إدخال الشيء فى آخر. انظر 11/4
{وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} (النحل:8)	إيثار المضارع (ويخلق ما لا تعلمون) للدلالة على الاستمرار والتجدد أو لاستحضار الصورة انظر 43/4
{هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ، يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ} (النحل:10-11)	إيثار المضارع (ينبت لكم) للدلالة على التجدد والاستمرار، وأنها سنة الله الجارية أزلاً وأبداً ، ويصحّ أن يكون الغرض استحضار صورة الإنبات البديعة وما فيها من عبر وعظات تدلّ قدرة الله وحكمته. انظر 46/4
{الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ}،(النحل: 27-28)	العدول إلى المضارع (الذين تتوفاهم)لاستحضار صورة الاحتضار ومشاهده بما فيها من سكرات وأهوال. انظر 56/4

{إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} (النحل:90)	إيثار المضارع (يأمر ، ينهى ، يعظكم) للدلالة على تجدّد الأمر والنهي والتذكر والوعظ) ودوامها واستمرارها دائما وأبدا. انظر 88/4

{إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ}(النحل:105)	إيثار المضارع (إنّما يفترى الكذب) لرعاية المطابقة بينه وبين ما هو عبارة عنه ، وهو قوله (إن الذين لا يؤمنون بآيات الله)، والمعنى : إنّما يفترى الكذب ويليق به من لا يؤمن بآيات الله ولا يرجو اليوم الآخر. انظر 94/4
{وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا} (الكهف:2)	إيثار صيغة المضارع في الصلّة(يعملون) للإشعار بضرورة تجدّدِ الأعمال الصالحة وديمومتها ، وإجراء الموصول على موصوفه لما أنّ مدار قبول الأعمال هو الإيمان. انظر 4/ 167
{وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا} (الكهف:83)	إيثار المضارع (ويسألونك عن ذي القرنين) للدلالة على مواصلتهم السؤال تلو السؤال إلى وُرُوْدِ الجواب. انظر 4/ 210
{وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ} (الكهف:58)	إيثار المضارع:(لو يؤاخذهم بما كسبوا)، لإفادة أن انتفاء تعجيل العذاب لهم بسبب استمرار عدم إرادة المؤاخذة ، فإنّ المضارع الواقع موقع الماضي يفيد استمرار انتفاء الفعل فيما مضي. انظر 199/4

{لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ } (الأنبياء:39)	إيثار المضارع في الشرط(لو يعلم)، وإنْ كان المعنى على المضيّ لإفادة استمرار عدم العلم ، فإنّ المضارع المنفيّ الواقع موقع الماضي ليس بنصٍّ في إفادة انتفاء استمرار الفعل بل يفيد استمرار انتفائه أيضا بحسب المقام. انظر 337/4
{وَ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ} (الأنبياء:78)	إيثار المضارع:(إذ يحكمان) حكاية للحال الماضية لاستحضار صورة مجلس حكم النّبيَّيْنِ داوود وسليمان إذْ يحكمان في قضيّة واحدة حكمين مُتبايِنَيْنِ، وكان رُّبك شاهدا على حكمهما، والمعنى: اذكر خبرهما وقت حكمهما. انظر 349/4
{وَ تَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ} (الحج:5)	إيثار المضارع (وترى الأرض) للدلالة على تجدّد رؤية الأرض هامدة ثم رؤيتها تهتزّ لتنبت كلّ زوجٍ بهيج بعد نزول المطر عليها، وهي رؤية بصرية. انظر 368/4
{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً}(الحج:25)	إيثار المضارع (ويصدّون) عطفا على الماضي(الذين كفروا) للدلالة على استمرارهم في الصدّ عن سبيل الله كلمّا أتيحت لهم سانحة لفعل ذلك. انظر 477/4
{ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ} (الحج:52)	إيثار المضارع في الفعلين(فينسخ الله ما يلقي الشيطان) للدلالة على الاستمرار التجددى ، فكلّما كان إلقاءٌ كان هناك نسخ من الله لما يُلقي الشيطان من همزاته ونفثه. انظر 389/4
{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ	إيثار المضارع (فتصبح الأرضُ) للإشعار بتجدّد أثر

مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ} (الحج:63)	الإنزال من اخضرار الأرض واستمراره، كما يصحّ استحضار صورة إنزال الماء من السماء ومشهد اخْضرار الأرض بما لها من روعة ورونق تسرّ الناظرين. انظر 4/ 394
{وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ} ، (المؤمنون:9)	العدول إلى المضارع :(يحافظون) لما في الصلاة من التكرر والتجدّد في اليوم الواحد، وهو السّرّ في جمعها (صلواتهم)، وفصل الصلاة عن الخشوع في آيتين للإيذان بأن كلاً منهما فضيلة مستقلّة عن الأخرى. انظر 403/4

{ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ} (النمل:4)	إيثار المضارع (فهم يعمهون) لإفادة استمرار معنى الفعل وتجدّده، فهم يترددون يتحيّرون دوما، منهمكون فيه من غير ملاحظة ضرّ أو نفع، ضلال أو رشاد.
{قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ، قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ} (الشعراء:72)	العدول إلى المضارع مقرونا بإذْ (إذْ تدعون)، غرضه حكاية الحال الماضية، واستحضار صورة مجادلة إبراهيم عليه السلام لقومه من عبدة الأصنام، كأنّه قيل استحضروا الأحوال الماضية التى كنتم تدعونها فيها هل سمعوا أو أُسمعوا قط؟ انظر 70/5
{فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ،الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ} (الأنبياء: 78)	إيثار المضارع (يهديني) بعد الماضي (خلقني) للدلالة على أن الهداية متصلة الحلقات متجدّدة الأعمال من حين الخلق إلى نفخ الروح ، وهي مستمرّة في رحلة

	الحياة الدنيا إلى محطة الآخرة. انظر 5/ 71
{تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ، إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ} **(الشعراء:97-99)**	استخدام المضارع مقرونا بإذْ(إذْ نسوّيكم بربّ العالمين)، غرضه استحضار الصورة الأليمة السالفة، صورة تسوية الله الخالق القادر بالأصنام والأوثان في استحقاق العبادة، لإثارة الحسرة والندامة إزاء الحقيقة الماثلة، ولات حين مناص. انظر 5/76

{ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ} **(الروم:10)**	استخدام المضارع الدال على الحال والاستقبال : (يستهزئون) للدلالة على استهزائهم في الحال واستمراره عليه في المستقبل، وأنهم لن يتخلّوا عنه باعتباره سلاحا من أسلحة مواجهتهم ضد الإسلام وأهله. انظر 5/ 226
{وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا} **(الأحزاب:12)**	استخدام المضارع الدال على الحال والاستقبال مقرونة بالظرف بإذْ (وإذ يقول) لاستحضار صورة ومشهد قولهم هذا بزمانه وشخوصه وأفعاله، والإيذان بأنّ قولهم هذا ديدن مستمرّ ما دام النفاق ضاربا أطنابه في قلوبهم. انظر 5/ 284
{وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا} (**الأحزاب:10**)	إيثار المضارع:(وتظنّون بالله الّظنونا) لاستحضار صورتهم وهم يظنون بالله ظنّ السّوء في مشهد بئيس، في أن الله قد خذلهم ولن ينصرهم على عدوهم، والإيذان بأنّ ذلك استغرق معهم مدة من الزمان قبل أن يتخلّصُوا منه ويملئوا قلوبهم باليقين وحسن التّوكّل علي الله.

	انظر 5/ 283
{وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} (فاطر:9)	إيثار المضارع (فتثير سحابا) لاستحضار صورة الرياح المرسلة تثير سحابا في جوّ السماء ، وهي لقطة بديعة من صفحة الطبيعة ، للدلالة على كمال القدرة ، وتمام الحكمة ، وبديع الصّنعة. انظر 357/5
{وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ} (يس:46)	إيثار المضارع (وما تأتيهم) لإفادة الاستمرار التجدّديّ الدائب ، فما أنْ تأتيهم آية بيّنة من آيات الله حتى يبادروا إلى تكذيبها والإعراض عنها، وكأنّهم قد وطّنوا أنفسهم على ذلك ، وتواصَوْا به أباً عن جدّ. انظر 391/5

{خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ} (الزمر:5)	إيثار المضارع مكرّرا :(يكوّر) على الماضي (كور) للدلالة على الاستمرار التجددي ، بتعاقب الليل والنهار، وإيلاج أحدهما في الآخر دوما حاضرا ومستقبلا ، حالا و مآلا. انظر 488/5
{هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ}،(غافر:13)	إيثار المضارِعَيْنِ:(يريكم – ينزل لكم) للدلالة على تجدّد الإراءة والتنزيل ، و الإيذان بأنّهما ليسا حالة فردية خاصة ، بلُ سنّة جارية وعامة. انظر 528/5
{وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا	إيثار المضارع في الأفعال الأربعة: يعش، نقيّض) للدلالة على الاستمرار التجددي والتلازم بين الإعراض عن ذكر

فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ} **(الزخرف:36)**	الرحمن وبين استحواذ الشيطان عليه، كالتلازم بين الشرط وجوابه في النظم القرآنيّ، ممتدا على المدى. انظر 34/6
{وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ} (الحجرات:7)	إيثار المضارع (لو يطيعكم)، يفيد امتناع عنتهم بامتناع استمرار طاعته عليه السلام، لأنّ عنتهم إنّما يلزم من استمرار الطاعة، فيما يعنّ لهم من الأمور، إذ فيه اختلال أمر الولاية ، وانقلاب الرئيس مرءوسا لا من إطاعته في بعض حينا بعد حين. انظر 114/6
{وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى، عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى، إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى} **(النجم:13-16)**	إيثار المضارع (إذْ يَغْشي السّدرة ما يغشي) حكايةً للقصّة السالفة ، بدلالاتها الخارقة الدالة على قدرة الله وعزّته ، والإيذان باستمرار غشيان الملائكة للسدرة المنتهي كلَّ حينٍ وآنٍ، وهي بالنسبة للملائكة في السماء ، كالكعبة المشرفة للمؤمنين في الأرض. انظر 155/6
{وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ، حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ،} **(القمر:4-6)**	إيثار المضارع (فما تغنى النذر) للدلالة على تجدّد عدم انتفاع الكفرة المعاندين بنذر الله ووعيده حاضرا ، واستمرارهم كذلك مستقبلا ، مع تجدّد النذر وتتابع الزّواجر الزاجرة عن كلِّ غيٍّ وضلالٍ. انظر 6 /166
{كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (الشورى:3)	إيثار المضارع (يوحي) لاستحضار مشاهد الوحي الماضية وواقعه السابقة ، والإنباء عن استمراره على شاكلته الأولى، وفيه ما فيه من تفخيم شأن الوحي وشأن الموحِي الموصوف بالعزّة والحكمة ، والموحي إليه محمد صلي الله عليه وسلّم،

	المخاطب بقوله:(كذلك). انظر 7/6
{لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ } (الفتح:18)	إيثار المضارع (إذْ يبايعونك) على الماضي الذي يقتضيه ظاهر السياق، غرضه استحضار الصورة البديعة لجموع المؤمنين وهم يبايعونك بيعة الرضوان تحت الشجرة، على الفتح أو الموت في الحديبية. انظر 103/6

<u>**خامسا: إيثار الماضي على المضارع**</u>

الاستخدام في النظم القرآنيّ	التحليل والبيان
{ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (آل عمران:101)	الأصل أن يكون جواب الشّرط المضارع مضارعا مثله ، مفيدا لمعنى التّوقّع مستقبلا ، و"قد" مع الماضي تفيد معنى التّحقق وعين اليقين مؤكّداً، فكأنّ الهدى قد حصل فهو يُخبر عنه واقعا معاشا. انظر 156/3
{إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ} (التوبة:45)	إيثار الماضي (وارتابت) للدلالة على تحقّق الرِّيْبة في قلوبهم وثبوتها، ثبوتا ملازما لهم فهم في شكّهم يتقلّبون و يتردّدون أبدا. انظر 156/3
{وَ يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ} (يونس:28)	إيثار الماضي:(فزيّلنا)، ومعناه التمييز والفصل، والتّضعيف يفيد معنى التكثير، ويدلّ على التّحقّق المُوْرِثُ لزيادة التوبيخ والتّحسير إزاء اليقين الماثل. 234/3
{وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ}(يوسف:42)	إيثار الماضي:(للذي ظنّ أنّه ناج) مبالغة في الدلالة على تحقّق النجاة له، حسبما يفيده قوله (قضي الأمر الذي فيه تستفتيان)، وهو السّرّ في إيثار ما عليه النظم القرآنيّ، على أن يقال:" للذي ظنّه ناجيا منهما"، وإنّما ذُكِرَ بوصف النجاة ، تمهيدا لمناط التّوصية بالذّكر عند الملك وعنوان التّقرّب المفهوم من التعبير المذكور. انظر 397/3
{ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ	إيثار صيغة الماضي:(أناب) للإيماء إلى استدعاء الهداية

وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ} **(الرعد:27)**	لسابقة الإنابة، كما أنّ إيثار صيغة المضارع في الصّلة الأولى(من يشاء) للدلالة على استمرار المشيئة حسب استمرار مكابرتهم. انظر 456/3
{وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ} **(إبراهيم:21)**	إيثار الفعل الماضي(وبرزوا لله) للدلالة على تحقّق وقوع معنى الفعل ، ويصحّ اعتبار إلغاء عنصر الزّمن في حقّ الله عزّ وجلّ نكتة صحيحة، فلا استقبال ولا مضيّ في حقّه سبحانه. انظر 480/3
{يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ} **(إبراهيم:48)**	التعبير بالماضي :(وبرزوا لله) للدلالة على أنّ إنجاز معنى الفعل حتم لازم لا محيد عنه وكأنّ ما ذكر قد كان ، فهو يخبر عنه واقعا قائما ، وليست أحداثا سيكون، والآية تتحدث عن البعث والحشر يوم القيامة. انظر 503/3
{أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} **(النحل:1)**	التعبير عن المستقبل بالماضي:(أتى أمر الله) وهو قيام الساعة، للإيذان بأن تحققه في نفسه حتم واجب، على سبيل نظْم المتوقّع باليقين في سلك الواقع، إلاّ أنّ إتيانه منوطٌ بحكمة الله وحكمه، مع ما فيه من التفخيم والتهويل من شأنه، وفيه تنبيه على قرب وقوعه بقوله:"فلا تستعجلوه". انظر 39/4
{ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ	إيثار الماضي في فعل المستقبل(قال الذين أوتوا العلم) للدلالة على تحقق حدوثه ، كما هو المعتاد في أخبار الله تعالي ، وفائدته : تخصيص الخزي والسوء بمن استقرّ على

عَلَى الْكَافِرِينَ} (النحل:27)	الكفر دون إيمان أو توبة حتى مماته. انظر 56/4
{وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا} (الكهف:4)	إيثار الماضي في فعل فيه معنى الاستمرار والاستقبال:(قالوا اتخذ الله ولدا) للدلالة على ثبوت وقوع هذه الكلمة المنكرة ممّنْ سلف ، كما يقع ممن خلف ، وهو ما يشير إليه المضارع (ينذر) باستمرار الحاجة إلي الإنذار منها حالاً ومستقبلاً. انظر 167/4
{إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ} (الكهف:29)	إيثار الماضي في فعل هو من أهوال يوم القيامة:(أحاط بهم سُرادقها)، للدلالة على تحقّ ّق وقوع المخْبَر به على وجه اليقين، فكأنّه واقع قائم يُخبِرُ عنه بالمضيّ، بما كان وليس بما يكون. انظر 187/4
{قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا، وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا} (مريم:30-31)	التعبير بالماضي فيما هو من قادم الأفعال في قوله:(آتاني الكتاب، جعلني نبيًّا، أوصاني بالصلاة) إمّا باعتبار ما سبق به القلم في علم الغيب، أو بجعل ما هو في شرف الوقوع لا محالة بمثابة الواقع المشاهد. انظر 239/4
قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ} (المؤمنون1-2)	التعبير بقد الداخلة على الماضي يفيد هاهنا إفادة ثبوت ما كان متوقّعا ثبوته من قبل، لا متوقّ ّع الإخبار به ، لأنّ المتوقّع من حال المؤمنين ثبوت الفلاح لهم لا الإخبار بذلك ، وإيثار الماضي مقرونا بقد للدلالة على تّحقق وقوعه مؤكّدا، والمعنى : قد فازوا بكلّ خير ونَجّوْا من كلّ ضَيْر. انظر 402/4

{وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ، وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ}القصص:74–75	التعبير بالماضي (ونزعنا ، فقلنا) للدلالة على تحقّق الموعود به لا محالة، لاستحالة الخُلْفِ في وعد الله تعالي، وفيه ما فيه من تفخيم ترشيح الشهداء من الأمم ليكونوا عليها شهودا، وبما كانوا يفعلون عيونا. انظر 183/5
{يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا} (الأحزاب:67)	العدول إلى الماضي:(وقالوا) عطفا على المضارع :(يقولون) وفائدته : الإشعار بأنّ قولهم هذا ليس مستمرّا كقولهم السابق ، بل هو ضربُ اعتذارٍ أرادوا به ضرباً من التّشفّي بمضاعفة عذاب الذين أضلّوهم وورّطوهم في المهالك. انظر 317/5
{قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ}(سبأ:41)	العدول إلى الماضي(قالوا سبحانك) لللدلالة على تحقّق وقوع المُخْبَر به لا ريب فيه، والمعنى: أنت الذي نواليه من دونهم، لا موالاة بيننا وبينهم البتّة. انظر 345/5
{وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ} (فاطر:34)	التعبير بالماضي: (وقالوا الحمد لله) للدلالة على وقوع المخبر به في ميقاته المضروب على وجه اليقين ، مثله كمثل جميع أحوال وأهوال الآخرة التى أخبر عنها الله عزّ وجلّ، لا ريب فيها ولا ينبئك مثل خبير. انظر 369/5
{وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ} (يس:51)	التعبير بالماضي:(ونفخ في الصور) للدلالة وقوع النفخ في الصور إيذانا بنشوء يوم البعث والحشر إلى الله حقاً محقّقا ، فكأنّه واقع قائم يخبر عنه، وفيه ما فيه من تهويل الأمر و تفظيع شأنه. انظر 5/ 393

{أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ} (الزمر:24)	التعبير بالماضي (قيل) للدلالة على القطع والجزم في الحكم والجزاء، فكأنّه تحقّق وفُرِغ منه ولا مُعقّب لحكمه، فقد قيل ما قيل وانتهى، تنزيلا لما سيكون حقا مستحقّا منزلة الواقع المشهود. انظر503/5
{ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا} (74غافر73-74)	التعبير بالماضي (قيل لهم) و(قالوا) للدلالة على التّحقيق والتّحقق لا محالة ، والمعنى: يقال لهم ، ويقولون ، إنزالا للمتوقّع المؤكّد منزلة الواقع المشاهد. انظر5/ 550
{فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ}(فصلت:13)	التعبير بالماضي (فقل أنذرتكم) للدلالة على ثبوت الإنذار وتحقّقه، منبئا بحصول المُنْذَرِ به، وهو:(صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) قطعاً لدابر الأعذار والحجج الواهية. انظر560/5
{وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} الشورى:10	عبّر عن التّوكّل بالماضي (عليه توكّلتُ) لأنّ التّوكّل أمرٌ واحدٌ مستقرٌّ مستمرٌّ، وعبّر عن الإنابة بالمضارع لأنّه أمر متجدّد متعدّدٌ طبقا لأسبابها ودواعيها. انظر 10/6
{ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا} (الفتح:89)	إيثار الماضي فيما هو من أمر المستقبل(فحاسبناها ، فذاقت) مكان:(فسنحاسب–فستذوق)، للدلالة على قطعية الوقوع يوم الحساب، وحتمية حدوث الأفعال المذكورة. انظر263/6
{سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ،لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ مِنَ	التعبير عن العذاب الموعود به المتوقع وقوعه بالماضي (سأل سائل بعذاب واقع) إيذانا بحتميّة وقوعه لا ريب فيها،

اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ} **(المعارج:1_3)**	حتى كأنه قد صار واقعا قائما، فهو يتحدث عنه بما كان وليس بما يكون. انظر 300/6

سادسا:الجمع بين الماضي والمضارع:

البيان والتحليل	النظم القرآني
الجمع بين صيغتي الماضي(ما كنتم) والمضارع (تكتمون) للدلالة على استمرار كتمانهم لما يعرفون وإصرارهم على ذلك ، ويفيد العدول إلى الاسم:(مخرج) التزاما دائما وثابتا من الله لإظهار الحق وإقامة ميزان العدل بين الناس أبدا. انظر 147/1	**{وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ} (البقرة:72)**
المزواجة بين المضارع (إنّك لا تخلف الميعاد) لمناسبته لمقام الدعاء والإلحاح عليه باستمرار، والماضي:(فاستجاب لهم) للإيذان بتحقُّق الإجابة وثبوته عند الله مصداقا لقوله: **{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ}.** انظر 87/2	**{رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ، فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ} (آل عمران: (194-195)**
الجمع بين الماضي:(قد جاء كم) والمستقبل:(يبيّن لكم)، للدلالة على استمرار القوم في كتمان الحقّ و إخفائه ، ومواظبة الرسول على البيان والكشف عما يُخْفُوْنَ من الكتاب المنزّل ويكتمونه، أمّا مجيء الرّسول فهو مجيءٌ واحد وبعثةٌ واحدة ، فكان الماضي المقطوعُ أدلَّ عليه ، كما يظهر. انظر 251/2	**{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَ كُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ، وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ} (المائدة:15)**
المزاوجة بين الماضي(وأورثنا القوم الذين كانوا)، والمستقبل: (يستضعفون)، للدلالة على أنّ استضعاف الكافرين للمؤمنين حقيقة واقعة، ولكنّ الله	**{وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا} (الأعراف:137)**

	بعد استضعافهم ، يورثهم الله العزّة والحكم في الأرض ، وتلك حالة قديمة جديدة، متجددة مستمرة حالا ومستقبلا. انظر 23/3
{ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ} (الأعراف:156)	نسبة الإصابة بالعذاب إلى المضارع، ونسبة السّعة إلى الرحمة بالفعل الماضي، للإشارة إلى أن الرّحمة مقتضي الذات الإلهية ، فهو الرحمن الرحيم ، والذات ثابتة مستقرّة فكان حقّها الفعل الماضي ، وأمّا العذاب فبمقتضي خطايا العباد ومعاصيهم ، وهي متجددة متنقّلة فكان حقها المضارع، مع أنّ المشيئة معتبرة في جانب الإصابة بالرحمة أيضا، وعدم التصريح بها للإشعار بغاية ظهورها. انظر 37/3
{فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ} (الأعراف:162)	الجمع بين الماضي:(بما كانوا) والمضارع(يظلمون)، يشير إلى أنّ ظلمهم كان واقعا في الماضي ولا يزال مستمرا، ودلّت الآية على أنّ الله أخذهم بسبب ظلمهم السابق واللاحق. انظر 43/3
{فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} (التوبة:82)	الجمع بين الماضي (بما كانوا) والمستقبل:(يكسبون)، للإشارة إلى واقع قديم متجدّد ومستمرٌّ حالاومآلا، على معنى أنهم نالوا وينالون جزاءهم وفْقاً لأعمالهم ، إن خيرا فخيرٌ، وإن شرّا فشرٌّ. انظر 3/ 175
{وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ} (يونس:4)	المزاوجة بين الماضي (بما كانوا) والمضارع (يكفرون) للإشارة إلى مواظبتهم وانتظامهم في ملّة الكفر، وأنهم لم يزالوا عليها قائمين حتى مماتهم، فكان لهم في الآخرة جزاء وفاقا. انظر 211/3

البيان والتحليل	النظم القرآني
الجمع بين الماضي (آمنوا وكانوا) والمستقبل(يتّقون) ، للإشارة إلى أنّ إيمانهم قديم وراسخ، قِدم ورسوخَ الأفعالِ السالفة المستقرّة ، إلاّ أن تقواهم لله عزّ وجلّ متجدّدٌ مستمرٌّ، بالمبادرة إلى كسب الصالحات وفعل الطاعات ، وتجنّب السيّئات ومساوئ الأخلاق ، وهي أمور متجددة ومتحوّلة في أزمانٍ وأحوالٍ مختلفةٍ ، ما بين مُقلٍّ ومُكْثر. 255/3	**{أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ، الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} (يونس:62-63)**
الجمع بين الماضي(ما كان) والمستقبل(يغني) فائدته تحقيق المقارنة الواجبة، بين جواب" لمّا" و مدخوله، فإن عدم الإغناء بالفعل إنمّا يتحقق عند نزول المحذور لا وقت الدخول، وإنمّا المتحقق حينئذ ما أفاده الجمع المذكور من عدم كون الدخول المذكور مغنيا مستقبلا عند وقوع ما سيقع. انظر413/3	**{وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ} (يوسف:68)**
المزاوجة بين الماضي(إن كنتم) والمضارع (تعبرون) ، للدلالة على الوجود المستمرّ للفعل ، وهو القدرة على تعبير الرؤيا ، ما يشير إلى أنّ لهم شهرة سابقة في تعبير الرؤيا. انظر398/3	**{يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ} (يوسف:43)**
المزاوجة بين الماضي المحقق(ما آتوا) للدلالة على تحقق وقوع إنفاقهم في سبيل الله وجلين من خشيته ومن لقائه، والمضارع (يؤتون) للإشارة إلى أنّهم مازالوا ينفقون مواظبين عليه خوفا وطمعا. انظر 421/4	**{وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ}(المؤمون:60)**
الجمع بين الماضي (بما كانوا) والمضارع(يعملون) للدلالة على انطلاقة الشهادة عليهم منذ انطلقوا هم في كسب الأعمال و اكتسابها، مستمرّة في ذلك إلى نهاية رحلة أعمالهم في الحياة الدنيا، أي الشهادة على ما كان من أعمالهم وما يكون. 449/4	**{يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (النور:24)**

(مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا} (فاطر:10)	الجمع بين الماضي:(كان) والمضار: (يريد) للدلالة على تحقق توفّر إرادة العزّة من القوم المذكورين واستمرار وجودها فيهم، وفي الناس بما تفيده كلمة (مَنْ) من العموم والشمول، والحقُّ أنّ العزّة جميعا لله وحده ، يعزّ من يشاء ويذلّ من يشاء، بيدك الخير إنك على كل شيء قدير. انظر 358/5
{يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى}(فاطر:13)	المزاوجة بين المستقبل (يولج) الدلالة على التجدد والحدوث لما أنّ إيلاج أحد المَلَوَين الليل والنهار هو أمر متجدّد مستمرٌّ كلّ يوم في مناكب الأرض ، أمّا تسخير النيّرَيْن الشمس والقمر، فأمرُ لا تعدّد فيه، بل تمّ دفعة واحدة ، والمتجدّد هو آثارهما، وقد أشير إلي ذلك بقوله:{ كلٌّ يجري} أي بحسب حركته الخاصة أو حركته القسريّة على مداراتها اليوميّة المتعدّدة حسب تعدّد أيام السّنة جريانا دائبا مستمرًّا. انظر 360/5
{وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ} (يس:66)	المزاوجة بين المستقبل:(ولو نشاء) الدال على التجدّد والحدوث ، للدلالة على استمرار انتفاء وامتناع مشيئة الطّمس على أعينهم، والماضي (لطمسنا) للإشارة إلى أنّ تلك المشيئة المستمر نَفْيُها لو وقعتْ لكان الطَمْسُ قد جرى وانتهى أمرُهُ منذ زمن بعيد، بما تفيده (لو) من امتناع الطَمْسِ على أعينهم لامتناع ثبوت المشيئة. انظر 401/5
{ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ ، الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} (غافر:69-70)	المزاوجة بين المضارع (يجادلون في آيات الله) وبين الماضي: (الذّين كذّبوا بالكتاب) للدلالة على وقوع كذبهم واستقراره محقّقاً، فكان الماضي أحقّ به، كما يدل المضارع على تجدّد مجادلاتهم لآيات الله واستمرارها دون نفع يُرْتَجى أو صلاح يُبْتَغى. انظر 549/5

سابعا:استخدام الاسم مكان الفعل

النظم القرآنيّ	التحليل والبيان
{وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا} (الأعراف:164)	إيثار اسم الفاعل(مهلكهم أو معذّبهم) مع أنّ كلا من الإهلاك والتعذيب متوقعٌ مستقبلا، للدلالة على أنّ أمر إهلاكهم أو تعذيبهم محقّقٌ ومقرّرٌ لامناص منه ، أحدهما أو كلاهما ، مبالغةً في التّأكيد على أن الوعظ لم يعدْ يجدى فيهم نفعا، وأنّه لا أمل ولا رجاء في إسلامهم. انظر 44/3
{مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا} يَعْمَلُونَ} (النحل:96)	إيثار اسم الفاعل(باقٍ) الدال على الدوام والثبات ، مقابل المضارع (ينفد) الدال على الجدّد والحدوث ، لإقامة الدليل التعبيريّ على دوام أفضال الله وثبات نِعَمِه على الدّوام. انظر 4/ 90
{وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ (الحج:7)	التعبير باسم الفاعل(آتية) بدلا من المضارع(تأتي)، للتّأكيد على أنّ وقوع السّاعة أمرٌ ثابتٌ مستقرٌّ، لا مندوحة عنه، لأنّ عدل الله وحكمته تقتضيان ذلك. انظر 369/4
{إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ} (ص:18)	استخدام الفعل (يُسبِّحْنَ) مكان الاسم(مسبّحات) ، للدلالة على دوام تجدّدِ التسبيح حالا بعد حال ، واستمراره حينا بعد حين، في حركة مستمرّة لا تفتر ولا تنقطع. انظر 457/5

المطلب السابع: الإسناد المجازى " المجاز العقلي "

تعريفه وأنواعه:

إسناد الفعل أو ما هو بسبيل الفعل إلى فاعله يجرى على وجهين:

أولا : الإسناد الحقيقي :إسناد الفعل أو ما في معناه إلى ما هو له عند المتكلم، ويسمى إسنادا حقيقيا([1]). ولقد نبه ابن السبكي إلى أننا نقول فاعل حقيقي ولا نريد به أنه هو الذي أثّر وفعل حقيقةً ، وإنّما نريد ما تعارف عليه القوم في أوضاعهم اللغوية ، فإنّهم لم يلاحظوا في قيام زيد غير نسبة القيام إليه ، وحاصل وجوه الإسناد الذي يوصف بأنه حقيقي تتلخص في إسناد الفعل لمن يقع منه وقوعا حقيقيا ويؤثر في وجوده ، وذلك لا يتحقق إلا لفاعل واحد هو الله عز وجل ، وعليه يمكن حصر الإسناد الذي يوصف بأنه حقيقي في ثلاث صور.([2]) :

1-ما يقصد به وقوعه من فاعله حقيقة بمعنى مباشرة الفعل والتأثير فيه، وهذا مقصور على الله تعالي نحو: خلق الله الخلق، وبسط الله الرزق، وأمات وأحيى.

2-ما يقصد به وقوع الفعل من الفاعل حكما، مثل: أكل زيد وشرب عمرو.

2- ما يراد به مجرد اتصاف الفاعل بالفعل وملابسته له، نحو: مرض الطفل، نشط الرجل، نام الخلي، وهلك الشقي. وهذا مما لا يعول عليه البلاغيون لقلة جدواه من الناحية البلاغية.

---

[1] - الإيضاح للخطيب القزويني 53/2

[2] - المرجع السابق 53/2

ثانيا : الإسناد المجازى: "وهو إسناد الفعل أو في معناه، إلى ملابس له ، غبر ما هو له بتأول" ([1]) نحو:جرى النهر، وامتلأ الفصل، فالذي يجرى هو الماء في النهر، والذي يمتلئ هم الطلاب في الفصل. ومنه قوله:{ **فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ**}[2]. أسند الرضي إلى العيش، والعيش معنى من المعاني لا توصف بالرضي ولا بالسخط، وإنما الذي يرضي ويسخط هو من في العيش وهو الإنسان.

يطلق على الإسناد المجازى عند بعضهم اسم "المجاز العقلي"، ويدرجه ضمن مباحث علم البيان، بحجة أنه ضرب من المجاز ومجاله علم البيان، في حين يدرجه أكثرهم ضمن الإسناد الخبري بالنظر إلى كونه حالة من أحوال الإسناد الخبري المتعلق بالتراكيب لا بالمفردات.([3])

قسم البلاغيون المجاز إلى نوعين:

الأول : مجاز لغوى: وهو الكلمة المستخدمة في غير ما وضعت له في اللغة، لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي، فإذا كانت العلاقة مشابهة سميت استعارة، وإذا كانت العلاقة غير المشابهة سميت مجازا مرسلا، وهما من موضوعات علم البيان، لأنهما داخلان ضمن دراسة المفردات لا الجمل والتراكيب.

ثانيا : الإسناد المجازى: وهو إسناد الفعل أو ما في معناه، إلى ملابس له غير ما هو له بتأول.([4])

[1] - السابق 2/ 53

[2] -القارعة:6-7

[3] - أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجانى، 662/2،ط 2001، شركة (ELGA) فاليتا ، مالطا. وانظر دلائل الإعجاز، ص 293-303,

[4] - الإيضاح 53/2 ، يشير بقوله: " ما في معنى الفعل " إلى المصادر والمشتقات العاملة عمل الفعل، أما " الملابس للفعل " فيشير إلى العلاقة الواجبة كما في كل المجازات، بين المعنى المجازى و الحقيقي أو الإسناد الحقيقي والمجازى، وللفعل ملابسات كثيرة : فهو يلابس الفاعل ، والمفعول ، والزمان ، والمكان ، والمصدر ،والسبب ، والمسبب ،والحال ، والمحل ..الخ

وقد أطلق السكاكى على المجاز اللغوي مجاز في المفرد، وعلى المجاز العقلي مجاز في الجملة([1])، وهذا منه تمييز بين حقل البحث والدراسة في كل منهما، تبعا لمقولة الإمام الجرجانى :" ومتى وصفنا بالمجاز الجملة من الكلام، كان مجازا من طريق المعقول دون اللغة، ذلك أن الأوصاف اللاحقة للجمل من حيث هي جمل لا يصح ردها إلى اللغة، ولا وجه لنسبتها إلى واضعها، لأن التأليف هو إسناد فعل إلى اسم أو اسم إلى اسم، وذلك شيء يحصل بقصد المتكلم، فلا يصير ضرب خبرا عن زيد بوضع اللغة ، بل بمن قصد إثبات الضرب فعلا له"([2])

علاقات الإسناد المجازي:

يجب أن تتحقق للمجاز العقلي كغيره من المجازات، علاقة وطيدة بين الإسناد الحقيقي والمجازى، وقرينة تمنع الإسناد الحقيقي من أن يكون مرادا، وهي قرينة عقلية على الدوام ، فالعقل هو الذي يجعل إسناد الفعل و ما أشبه الفعل حقيقة أو مجازا ، أما علاقات المجاز العقلي فمن أشهرها:

1-إسناد المبني للفاعل إلى زمانه : كقولهم : هي امرأة نهارها صائم وليلها قائم، حيث أسند الصيام والقيام إلى زمن وقوعهما فيه، ومنه قول الشاعر :

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود

حيث أسند إبداء الأمور وإظهارها إلى الأيام، وإنما يبديها ويظهرها الناس، فالعلاقة هنا زمانية ، حيث أسند الفعل إلى زمنه.

---

[1] - انظر شروح التلخيص 228/1، وعلم المعاني بسيوني صـ49

[2] - دلائل الإعجاز، ص 293-303,

2–إسناد المبني للفاعل إلى مكانه، كقولهم : طريق سالك، ونهر جار، ومكان ممتلئ ، والطريق إنما هو مسلوك فيه، و النهر مجرى الماء، و في المكان يمتلئ الناس ، وهكذا أسندت الأفعال إلى مكان وقوعها ، فالعلاقة مكانية.

ومنه قوله تعالي:{ **وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا** }[1]، أسند الإخراج إلى الأرض فاعلا له، والأرض إنما هي مكان لخروج أو إخراج الأثقال.

ومنه قول الشاعر : ملكنا فكان العفو منا سجية فلمّا ملكتم سال بالدم أبطح

أسند سيلان الدم إلى أبطح وهو مكان سيلانه، على سبيل المجاز العقلي، فتكون العلاقة مكانية، حيث أسند الفعل إلى مكان حدوثه.

3–إسناد المبني للفاعل إلى سببه، كقوله تعالي:{ **وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ** }[2] أي: إن الذكرى سبب لانتفاع المؤمنين وصلاح أمرهم.

ومنه قول أبي نواس : يزيدك وجهه حسنا إذا ما زدته نظرا

أي يزداد حسن وجهه بسبب زيادة النظر إليه، فاسند الفعل إلى سببه، على سبيل المجاز العقلي.

ومنه قولهم:جمعتهم الطاعة وفرقتهم المعصية، أي اجتمعوا بسبب طاعتهم وتفرقوا بسبب معصيتهم.

4–إسناد المبنى للفاعل إلى المفعول:{ **أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ..**}[3]، حيث أسند الربح إلى التجارة، وإنما يربح ويخسر صاحبها، يقال: ربح

---

[1] الزلزلة:2

[2] - الذاريات : 55

[3] - البقرة: 16

الرجل في تجارته. وقوله تعالى:{ **فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ** }[1]
نسب الرضي إلى العيش فاعلا له، وإنما يرضي ويسخط صاحب العيش ومن فيه، فالعلاقة هنا مفعولية.

5-إسناد المبني للمفعول إلى الفاعل:{ **وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآَنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآَخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا**}[2].

6-إسناد المبني للفاعل إلى مصدره: كقول الشاعر :

سيذكرني قومي إذا جد جدهم وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

حيث سند الفعل(جد) إلى مصدره (جدهم)، على سبيل المجاز العقلي، والأصل جد أمرهم، أو جدوا في أمرهم.

7-إسناد الفعل إلى جنس الفاعل، والمقصود بعضه أو فرد من أفراده، كقوله تعالى : {**فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ**..}[3]. حيث أسند عقر الناقة إليهم جميعا: (فعقروا)، والأصل أن العاقر منهم واحد أو جماعة متواطئة منهم.

وقد ألحق بعض الدارسين صورا أخرى للمجاز العقلي، منها ([4]):

1-إسناد وصف الفاعل والمفعول إلى المصدر في نحو قولنا: عمر رجل عدل، مكان: (عادل)، وقول الخنساء :إنما هو إقبال وإدبار، من شدة المبالغة في سرعة الحركة في الحرب، مكان:(إنما هو مقبل ومدبر)، حيث نص الإمام عبد القاهر بأنه من صور المجاز العقلي الجيدة([5])، ومن وصف الفاعل بالمصدر الدعاء المشهور:

---

[1] - القارعة: 6-7

[2] -الإسراء:45

[3] الأعراف :77

[4] - انظر خصائص التراكيب ، مصدر سابق، صـ144-145

[5] - انظر دلائل الإعجاز ، ص393-395، وأسرار البلاغة 2/ 662

(اللهم اجعلنا حربا لأعدائك وسلما لأوليائك).([1]) الوصف بالمصدر مبالغة في الشدة على الكفار وفي الرحمة بالمؤمنين، أي :اجعلنا محاربين لأعدائك ومسالمين لأوليائك.

ومنه إسناد التقوى إلى البر، في قوله تعالي: { **وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى** }[(6)] ، بدلا من ولكن:(البار من اتقي).

2-وصف الشيء بوصف فاعله أو صاحبه، نحو:هذا أسلوب حكيم، هذه موعظة بليغة، ومنه قوله في:{**فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ**) ، فالحكيم هو الكاتب الأديب صاحب الأسلوب، والبليغ هو العالم الواعظ، والموصوف بالبعد هو الشخص الضال وليس الضلال ذاته.

المجاز العقلي وعلاقاته في تفسير أبي السعود

المجاز العقلي	علاقاته
{أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ البقرة:16	فما ربحتْ تجارتهُم : إسنادُ عدم الربح إلى التجارة مجاز عقلي ، لأن الرابح هو التّاجر، من إسناد الفعل إلى سببه ، فالربح سببه التجارة ، ولولا الإسناد المجازيّ لما صحّ أن يُنفَي عن الشّيء ما يَعلمُ كلُّ أحدٍ أنه ليس من صفاته. أبو السعود 68/1، والتحرير والتنوير 300/1
{وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا. البقرة:26	إسناد فعل الإضلال إلى الله ، هو إسناد مجازيّ، بملابسة أن الله هو خالق الضلال، من إسناد الفعل إلى ملابس الفاعل الحقيقيّ وسببه ، نقله أبو السعود عن الزمخشريَ، وهو عند غير المعتزلة إسناد حقيقي، وحكى القرطبي أن المراد: يوفق ويخذل،

[1] - أخرجه ابن خزيمة في صحيحه، باب الدعاء بعد ركعتَيْ الفجر ، حديث رقم (1119،) 165/2

6- البقرة:189

	وعليه فيكون فيه ردٌّ على المعتزلة وغيرهم في قولهم: إن الله لا يخلق الضلال ولا الهدى. قالوا: ومعنى" يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً" التسمية هنا، أي يسميه ضالا، كما يقال: فسّقتُ فلانا، يعني سميته فاسقا، لأنّ الله تعالى لا يُضل أحدا. وهو خلاف أقاويل المفسرين من غير أهل الاعتزال. أبو السعود101/1، وانظر الكشاف98/1 والقرطبيّ244/1
{فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ. البقرة:61	**مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ** : إسناد الإنبات إلى الأرض مجاز عقلي، من إسناد الفعل إلى مكانه أي القابل للإنبات ، فعلاقته المكانية، والمنبت هو الله عزّ وجلّ:{ **أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ**}. أبو السعود140/1
{قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ البقرة:93	**بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ** : إسناد الأمر إلى الإيمان من باب إسناد الفعل إلى غير ما هو له ، مجازا عقليا للتهكم والتبكيت بمعشر اليهود، وعلاقته الملزومية ، فإنّ دعوى إيمانهم بكتابهم التوراة ، يستلزم منه الخضوع والطاعة لأوامر ونواهيه، وإنّ ما يقترفونه من الموبقات السبع وما هو أكبر، ليس من الكتاب في شيء ، فالمعنى: إنْ زعمتم أنّ كتابكم الذي آمنتم به أمركم بهذا ، فبئسما يأمر كم به إيمانكم بكتابكم . انظر أبو السعود93/1، وفتح القدير للشوكانى 142/1
{ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا .	مثابة للناس وأمنا: مجاز عقلي، بإسناد ما بني للفاعل إلى المصدر للبالغة في التأكيد على توطيد دعائم الأمن في الحرم ، حتى يصبح البيتَ الحرام وكأنه بقعةٌ من الأمن المطلق من

.البقرة:125	شقاء الدنيا ومن عذاب الآخرة ، لمن قصده حاجّاً أو معتمرا، من حيث أن الحجَّ يجّبُ ما قبله. وقيل: من دخله كان آمنا من التّعرّض له وإن كان جانيا حتّى يخرج منه ، وهو الرأي الفقهيّ للمذهب الحنفيّ. وقيل: وهو على حذف مضاف، أي ذا أمن. انظر أبو السعود 195/1
{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا البقرة:126	ربّ اجعل هذا بلدا آمنا: يصحّ فيها ثلاث تقديرات: 1-مجاز عقلي من إسناد ما بُنِيَ لاسم المفعول إلى اسم الفاعل ، فعلاقاته الفاعلية ، أي : بلدا مأمونا هو، أو مأمونا أهله. 2- أو هو من وضع اسم الفاعل موضع المصدر الواقع مضافا إليه بعد حذف المضاف. 3- تقدير مضاف محذوف ، أي ذا أمن. انظر 196/1
مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ. البقرة:261	كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ: إسناد الإنبات إلى الحبة، إسناد مجازي، كإسناده إلى الأرض والربيع في قولهم: أنبت الربيع الزهر، وأنبتت الأرض الزرع، وعلاقاته المكانية أو السببية . انظر 1/ 307
ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ . البقرة:17	ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ : أي أطفأ نورهم فعبّر بالنّور لأنه المقصود من الاستيقاد ، إسناد الفعل إلى الله مجاز عقلي، من إسناد الفعل سببه، وصحّ ذلك إمّا لأنّ كلّ شيء يتمّ بخلقه تعالي، وإما لأنّ الاستيقاد حصل بسبب خفيّ، فلا ريح و لامطر ولا إطفاءَ مُطفِئٍ ، والعرب والناس يسندون الأمر الذي لم يتّضح

الآية	الشرح
	سببه إلى الله تعالي. أبو السعود 70/1، والتحرير والتنوير 309/1
وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ. .البقرة:25	جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ: إسناد الجريان إلى الأنهار مجاز عقليّ ، لأنّ الذي يجرى هو الماء ، وإنما أُسندَ الجريان إلى النهر لأنه مكان جريان الماء ، والنهر في اللغة هو: المجرى الواسع فوق الجدول دون البحر، فعلاقته المكانية. أبو السعود 1/ 94
هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا يونس:67	وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا: إسناد الإبصار إل النهار مجاز عقلي ، لأنّ النّهار لا يُبصر وإنّما يبصر الناس فيه، فلاقته الزمانية ، فالنهار زمانٌ لإبصار المُبْصِرِين لانتشار ضوئه وشيوع نوره أبو السعود 259/3
{ وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا. الإسراء:58	وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا : إضافة الإهلاك إلى القرية مجاز عقلي، فالإهلاك إنّما يكون لأهلها، وعلاقته، المحلية حيث القريةُ مكانٌ ومحلٌّ لاستقرار أهلها، فنسب الإهلاك إليها. أبو السعود 139/4
الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا. الفرقان:34	أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا : إسناد الضلال إلى السبيل من إسناد الفعل أو ما يشبهه إلى غير ما هو له ، علي سبيل المجاز العقلي ، لأن الضّالَّ هو مَنْ سلك السبيل ، فعلاقته المكانية، والسبيل سبيلان: سبيل الهدى وسبيل الضلال. 26/5

فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا. (محمد:4)	أوزارُ الحربِ: هي آلاتها وأثقالها من سلاحٍ ورماحٍ وكِراعٍ ومُؤَنٍ، وأُسنِد وضع الأوزار إلى الحرب مجازا عقليا، لأن الذين يضعون أوزار الحرب هم المحاربون والمقاتلون، وعلاقته: السببية، فالحرب سبب للأوزار العدة والعتاد التى يحملها المحاربون أثناء الحرب. انظر84/6

فَأَوْلَى لَهُمْ ، طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ .محمد:21	**فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ:** إسناد العزم إلى الأمر، مجاز عقلي، لأن الأمر لا يعزم على شيء وإنّما يعزم أصحابُه، والعزمُ هو الجدُّ والاجتهادُ في الأمر، كقوله تعالي: {**إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ** }، وعلاقته المفعولية لأن الأمر معزوم عليه وليس عازما، فهو من إسناد ما بُنيَ للفاعل إلى مفعوله. انظر 90/6
لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ. الواقعة:19	الشاربين إسناد مجازي، حيث أسند التصديع إليهم واقعا منهم ، وفاعل الصّدع حقيقة هو ما شرب ، فعلاقته الفاعلية من إسناد الفعل إلى ما هو واقع به. أبو السعود 188/6.
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا. التحريم:8	تَوْبَةً نَصُوحًا: وُصفتْ التوبةُ بالنصوح على سبيل المجاز العقلي، لأنه وصف للتائبين إلى الله، بأن ينصحوا بالتوبة أنفسهم بالندم على ما كان منهم، وبالعزم على هَجْر الذنب وتوطين النفس على عدم المُعاودة، وعلاقته: المفعولية من وصف المفعول بصفة مستحقة للفاعل . أنظر أبو السعود 269/6، وفتح القدير للشوكاني: 6/ 188
{يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ	لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ: إسنادُ ما بُنِيَ لاسم المفعول إلى اسم

فِي الْحَافِرَةِ} النازعات:10	الفاعل، سُمّيتْ حافرة وهي محفورة، والحافرة :هي الحالة الأولى التى كانوا عليها في الحياة الدنيا، وهي من قولهم :رجع فلان في حافرته أي: في طريقته التى جاء منها فحفرها وأثّر فيها بمشيه، فهي محفورة، وعلاقته : الفاعلية. انظر أبو السعود 6/ 367
{فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ، فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ} (القارعة:7)	فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ: قيل: هو على حذف مضاف :أي ذات رضا. وقيل : مجاز عقلي من إسناد ما بني للاسم المفعول إلى اسم الفاعل، فعلاقته الفاعلية، لِأَنَّ الرَّاضِيَ صَاحِبُها ، رَاضٍ بِهَا فَوُصِفَتْ بِهِ . أبو السعود 465/6
{وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّه}. سبأ:33	**بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ** : قيل:هو على حذف مضاف، أي: بل صدّنا مكركم بالليل والنهار، فحذف المضاف إله وأقيم الظرف مكانه اتساعا. وقيل : هو على الإسناد المجازى، حيث جُعل الليلُ والنهارُ ماكرين ، من إسناد الفعل إلى زمانه، فعلاقته الزمانية.

{جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا} . مريم :61)	**وَعْدُهُ مَأْتِيًّا:** قيل معناه: يأتيه مَنْ وُعد له لا محالة، أي مفعولا منجزا. وقيل: مفعولا بمعنى فاعل، مجاز عقلي من إسناد ما بُنِيَ لاسم الفاعل إلى اسم المفعول، فعلاقته المفعولية، أي تمكرون الإغواء مكرا دائما لا تَفْتُرون ولا تمَلُّون منه ليلا ونهارا. انظر248/4

المطلب الثامن: الالتفات

تعريفه وشروطه:

الالتفات لغة : مأخوذ من لفت الشيء بفتح الفاء : لواه على وجهه، وفلانا لفته عن الشيء : حرفه عنه ، ولفت رداءه على عنقه : عطفه عليه. و اللفوت من النساء: الكثيرة التّلفت، وهي أيضا : المرأة لها زوج وولد من غيره ، فتشتغل به عن الزوج. واللفوت : المرأة النمامة([1])

يبدو من المعنى اللغوي للكلمة أنه يدور حول التحول و الانحراف والميل عن المألوف، من الأوضاع ومن القيم ، ومنه التحول والميل غير المرتقب في الأسلوب.([2])

واصطلاحا : عرّفه الخطيب بأنه : التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها.([3]) وقال : إن هذا هو المشهور عند الجمهور، والمقصود بالطرق الثلاث هو : التكلم والخطاب والغيبة، إلا أن يحي العلوى في كتاب الطراز، أورد تعريفا آخر يبدو أكثر شمولية لكافة أنواع الالتفات في الأسلوب حيث عرفه بقوله : " الالتفات : هو العدول من أسلوب في الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأول".([4]) وأضاف قائلا :" وهذا أحسن من قولنا: هو العدول من غيبة على خطاب ومن خطاب إلى غيبة، لأن الأول يعم سائر الالتفاتات كلها ...ولا شك أن الالتفات قد يكون من الماضي إلى المضارع، وقد يكون عكس ذلك، ولهذا كان الحد الأول أقوى دون غيره"([5])

---

[1] - انظر لسان العرب، والقاموس المحيط مادة (لفت)

[2] - انظر أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ، د. حسن طبل، ص11 ، ط/1، دار الفكر العربي، 1998م القاهرة

[3] - الطراز للعلوي 132/2

[4] - الطراز للعلوي 13/2

[5] - المرجع السابق

ويمكن القول إن الالتفات يشمل – من بين صور أخرى– ثلاث صور مهمة هي([1]) :

أولا : الالتفات في نوع الضمير، وهو الانتقال من الخطاب إلى الغيبة ، ومن الغيبة إلى الخطاب، ومنهما إلى التكلم والعكس.

ثانيا : الالتفات في عدد الضمير، من المفرد إلى المثنى إلى الجمع والعكس صحيح.

ثالثا : الالتفات في زمن الفعل، من المضارع إلى الماضي إلى الأمر والعكس.

ويشترط في الالتفات :

1 -أن يكون الضمير في المنتقل إليه عائدا إلى نفس المعنى في المنتقل عنه.

2 -أن يتحقق الالتفات في جملتين مستقلتين، وكذلك الالتفات في زمن الفعل.

(أ)– ومن شواهد الالتفات في نوع الضمير ما يلي:

أولا:الالتفات من التكلم إلى الخطاب نحو:{ **وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**}[2]:(ومالي لا أعبد – وإليه ترجعون، مكان: وإليه أرجع).

ثانيا : الالتفات من التكلم إلى الغيبة: {**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصلَ لربّك**}[3]:

(إنا أعطيناك – فصل لربك، مكان :فصل لنا).

ثالثا : الالتفات من الخطاب إلى الغيبة: {حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ}[4].

(كنتم – بهم ، مكان : بكم).

---

[1] - أنظر البرهان في علوم القرآن، الزركشي 325/2-326، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ط2/،دار المعرفة دون تاريخ.
الالتفات في البلاغة القر آنية ، مرجع سابق ، ص12

[2] -يس:22

[3] -الكوثر:1

[4] -يونس :22

رابعا : من الغيبة إلى التكلم:{ **وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ** فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ}[1] (الله الذي أرسل – فسقناه، مكان : فساقه).

خامسا : الالتفات من الغيبة إلى الخطاب:{مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}[2]

(مالك يوم الدين – إياك نعبد، مكان : إياه نعبد)

سادسا : الالتفات من الخطاب إلى التكلم: ومنه قول علقمة بن عبدة [3]:

طحا بك قلب في الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب.

يكلفني ليلي وقد شط وليها وعادت عواد بيننا وخطوب.

(طحا بك – يكلّفني، مكان : يكلفك).

(ب) – من شواهد الالتفات في الضمير من حيث العدد:

أولا:الالتفات من خطاب الواحد إلى خطاب الاثنين نحو:{ **قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ**}[4]

(أجئتنا لتلفتنا – وتكون لكما، مكان : وتكون لك).

ثانيا: الالتفات من خطاب الواحد إلى الجمع، نحو:{ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ**}[5] (يا أيها النبي – إذا طلقتم النساء، مكان : إذا طلقت).

---

[1] - فاطر:9

[2]- الفاتحة : 4-5

[3] - من قصيدة له في ديوانه .

ثالثا : الالتفات من خطاب الاثنين إلى الواحد، كقوله تعالي:{ **قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى**}[1].(فمن ربكما – يا موسى، مكان : أنتما، يا موسى ويا هارون).

رابعا : الالتفات من الاثنين إلى الجمع، نحو:{ **وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ** }[2] (أن تبوآ لقومكما– واجعلوا بيوتكم قبلة)([3]).

خامسا: الالتفات من الجمع إلى الواحد، نحو: {**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**}[4] :

(أقيموا – وبشر، مكان : وبشروا).

وقوله :{**قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ**}[5] .(قلنا – يأتينكم مني، مكان : منا)

سادسا : الالتفات من خطاب الجمع إلى التثنية، نحو:{ **يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**}[6]، (إن استطعتم أن تنفذوا– ربكما تكذبان، مكان ربكم تكذبون)([8]).

ج– <u>ومن شواهد الالتفات في زمن الفعل :</u>

كثيرا ما يقع الماضي موقع المضارع، والمضارع موقع الماضي، سعيا لتحقيق غايات بلاغية عالية، وأسرار معنوية سامية، تظهر للباحث الحثيث وتتجلي للعالم

1- الطلاق : 10
2- طه :49
3- البرهان في علوم القرآن، الزركشي 2/325-326، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ط/2،دار المعرفة دون تاريخ
4-يونس : 87
5- البقرة :38
6- يونس 87
7- البقرة : 38
[8] -الرحمن : 34-35

القدير، من خلال تتبعه للمقامات واستظهاره لمقتضيات الأحوال، وتعمقه في حركة الأسلوب وسياقه، ومن ذلك :

(1)–الالتفات من الماضي إلى المضارع، وفائدته استحضار الصورة الماضية لتكون حاضرة مشهودة، وكأنها تقع الآن أمام ناظريك، كقوله تعالي:{ **إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ** }[1] (سخرنا – يسبحن، مكان: مسبحات)، لأن التسخير والتسبيح قد وقعا وانتهى أمرهما في زمن النبي داوود عليه السلام، فهي حكاية عن قصة ماضية في عمق الزمان، ولكن التعبير عنها بالمضارع:(يسبحن) يجعلها حاضرة ماثلة بالحركة وبالحياة، وكأنها تقع الآن تحت السمع والبصر، وبالصوت والصورة. قال الزمخشري: (فإن قلت : هل من فرق بين يسبحن ومسبحات؟ قلت: نعم، وما اختير يسبحن على مسبحات إلا لذلك، وهو الدلالة على حدوث التسبيح من الجبال شيئا بعد شيء وحالا بعد حال، وكأن السامع حاضر تلك الحال يراها تسبح).([2])

(2)–الالتفات من المضارع إلى الماضي، للدلالة على تحقق وقوع الفعل، حتى كأنه قد وقع وحدث بالفعل، كقوله تعالي:{ **وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ** }[3]، (ويوم ينفخ – ففزع، مكان : يفزع)، لأنه يتحدث عن المستقبل عند قيام الساعة، ولكنه عبر عنه بالماضي إشارة إلى تحقق وقوعه لا محالة، فهو لشدة اليقين في وقوعه بمنزلة الواقع المشهود في الماضي، إذ لا فرق بين الماضي والمستقبل مادام الأمر كذلك([4]).

---

[1] - ص :18

[2] - الكشاف 4/ 78

[3] - النمل : 87

[4] - انظر خصائص التراكيب، مرجع سابق صـ302

وهكذا، يعرض القرآن الكريم كثيرا من وقائع يوم القيامة بصيغة الماضي، وكأنها وقائع ومشاهد قد وقعت وانقرضت، تقريرا مؤكدا لكينونتها، وأن زمن الدنيا عند ربك بمنزلة زمن قد مضى وسلف، أسلوبا حاسما يطوى عنصر الزمن في مواجهة غفلة الغافلين وإعراض المعرضين عن يوم القيامة.([1])

وذكر الزمخشري أن الالتفات من محاسن القول، لأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب، كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع، وأكثر إيقاظا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد، ويمثل الالتفات اتساعا وفسحة في حركة الكلام، وبراعة وتفننا للمتكلم([2])

أولا : الالتفات من الغيبة إلى الخطاب

(1)–التّفنُّنِ في الأسلوب واسْتمالةِ القلوب :

في قوله: **{مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}** [3] (**الفاتحة:** 4–5) **الالتفات** من الغيبة: **{مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}** إلى الخطاب :**{إِيَّاكَ نَعْبُدُ}** قال أبو السعود : فائدته: اتباع نهج البلاغة في افتنان الكلام..لِمَا أنّ التّنقُّلَ من أسلوبٍ إلى أسلوبٍ أَدْخلُ في اسْتجلاب النفوسِ واستمالةِ القلوبِ.([4])

2–تربية المهابة والتّحريضُ على أداء حق النّعمة :

قوله تعالي:{**وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا ...صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ واشكروا لله}** [5]، الالتفات من الغيبة بالحديث عن المشركين المتشبّثين بنهج آبائهم:{ **وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا** }، إلى خطاب المؤمنين بالنداء

[1] - انظر الإيضاح 143/2، وبغية الإيضاح 143
[2] - الكشاف 3/ 386
[3] - الفاتحة : 4-5
[4] - أبو السعود 25/1
[5] - البقرة :171-172

وبالأمر بالأكل من الطيبات:{ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ**} : غرضه تربية المهابة في النفوس والتّحريض على أداء حق النِّعمة([1]).

3-الالتفات للحثّ على الامتثال والالتزام :

قوله :{**فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ، وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ**}[2].

الالتفات من الغيبة:{**فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا** }،إلى مخاطبة الآباء :{ **وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ**} ، الغرض منه : جَذْبُهم إلى الامتثال بما أمروا به ، من عدم إلحاق الضّررِ لا بالأمهات ولا بالآباء، وعدم الاختلاف في شأن إرضاع الأولاد ، والحثُّ على التَوافق والتّراضي بينهما في إرضاعهم وتربيتهم تربية قويمة([3]).

4-كثرة الجنايات توجب المواجهة بالتقريع والتوبيخ:

قوله تعالي:{**يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا، هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا**} [4].، التفات من الغيبة :{يستخفون من الناس} إلى الخطاب: {هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ} والغرض منه: تلوين الخطاب والتفنن فيه، وتوجيهه إليهم رأسا، إيذانا بأن كثرة جناياتهم توجب مشافهتهم بالتوبيخ والتقريع[5].

ونظيره قوله تعالي:{**الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ،كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا**

[1] - انظر أبو السعود 232/1
[2] - البقرة : 233
[3] - انظر أبو السعود 277/1
[4]- النساء : 108-109
[5] - أبو السعود 2/ 194

فَأَحْيَاكُمْ}[1]، الالتفات من الغيبة :{ **أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ** }، إلى الخطاب بصيغة الاستفهام التعجبيّ:{**كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ**}، الغاية منه هي : تعداد قبائحهم وتزايد السخط عليهم إلى درجة توجب مشافهتهم بالتوبيخ والتقريع ، بعد أن بلغت قبائحهم مبلغا يثير الغضب والنقمة عليهم([2]).

ونظيره قوله تعالي:{**ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا ... كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ، ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ}**[3]،الالتفات من الغيبة:{**كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ**}إلى الخطاب:

{**ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ** } غرضه: المبالغة في التوبيخ والتبكيت بما يلاقونه يوم القيامة ، بسبب كفرهم واتخاذهم سبيل شهواتهم وأهوائهم ، واعتصامهم بحبل الشيطان.

ونظيره قوله: {**ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ، فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ}**[4].

التفات من الغيبة وحديثه عن خلق الإنسان في أحسن تقويم ثم ردّه إلى أرذل العمر: {**ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ** }، إلى الخطاب:{ **فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ** } ، غرضه : تشديد التوبيخ وتغليظ التبكيت علي الإنسان الكافر الجاحد لدلائل الربوبية الناطقة في الأنفس قبل الآفاق، أي: فما يجعلك كاذبا بدين الله وإنكاره بعد قيام الدلائل والبراهين من بين يدي الإنسان ومن خلفه، الدالة على أنه الواحد الأحد الفرد الصّمد([5]).

[1] - البقرة : 27-28
[2] - أبو السعود 551/5 – 103/1
[3] - غافر :73-75
[4]- التين : 5-6
[5] - انظر أبو السعود 447/6

5-الالتفات للمبالغة في الوعيد وتشديد التهديد :

كقوله تعالي:{**وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ**} [1]، الالتفات من الغيبة :{**أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ**}، إلى المشافهة بالخطاب:{**فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ** } وغرضه : زيادة الوعيد والتهديد وتشديد الخناق على المشركين ليلتزموا بالعهود ويَفُوا بالمواثيق([2]).

ومنه قوله:{**وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**} [3]، الالتفات من الغيبة:{ **سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ** }، إلى الخطاب:{**وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِير**} غرضه :المبالغة في الوعيد وتشديد التهديد، والإشعار باشتداد غضب الرحمن الناشئ من ذكر قبائحهم([4]).

ونظيره قوله تعالي{ **ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ، ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ**} [5]، **الالتفات من الغيبة:{ ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ}**، إلى الخطاب: **{ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ** }، فائدته: تأكيد الوعيد وتشديد التهديد عليه، بالخزي في الحياة الدنيا والعذاب الحريق في الآخرة، جزاء وفاقا لمن يُضلُّ الناسَ عن سبيل الله([6]).

ونظيره قوله تعالي:{ **إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا،وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا، وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا، فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا**} [7]، الالتفات من الغيبة :**{وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا}** ، إلى الخطاب :**{فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا}** فائدته : إبراز تشديد الوعيد و

---

[1] - التوب : 3
[2] - أبو السعود 122/3
[3] - آل عمران : 180
[4] أبو السعود 73/2
[5] - الحج : 9-10
[6] - 371/4
[7] - النبأ : 27-30

تكثيف التهديد ، المؤكّد بالنفي (بلن) ، الدالة على أن ترك الزيادة من العذاب منفيٌّ نفياً جازما ، وأنه ليس مما لا يدخل تحت دائرة الصِّحة والإمكان ، فهم في مزيد من العذاب أبداً ، دليلا على بلوغ الغضب والسخط أقصا مداه. ، وروى الطبري عن عبد الله بن عمرو: أنّ هذه الآية هي أشدُّ ما في القرآن على أهل النار([1]).

ونظيره قوله تعالي :**{كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى، أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى، إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى}** **[(2)]**، الالتفات من الغيبة وحديثه عن طغيان الإنسان :**{إن الإنسان ليطغى} إلى الخطاب بالرجوع في نهاية المطاف إلى الله حصرا :{إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى}** ،

غرضه : إيقاع الوعيد وتشديد التهديد للإنسان الطاغية الجائر عن حدود الله ، بسبب أفضال الله ونِعمه عليه ، وتحذيره من مغبّة الزيغ والجور والطغيان([3]).

6- الالتفات للمشافهة بالعتاب وتشديد أمره :

قوله تعالي:**{وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا... إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاه وجبريل وصالح المؤمنين}** **[(4)]**، الالتفات من الغيبة:{إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ} ، إلى المواجهة بالخطاب:{ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا}، غرضه : المبالغة في تشديد العتاب وتكثيف اللوم على أمّ المؤمنين عائشة بنت الصديق وحفصة بنت الفاروق رضي الله عنهما، لإِفْشائِهما سرَّ النبيِّ وتظاهرهما عليه في القصة المعروفة الواردة في سورة التحريم ([5]).

ونظيره قوله تعالي: **{عَبَسَ وَتَوَلَّى ،أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ، أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى}**[(6)]، **الالتفات من الغيبة :{عَبَسَ وَتَوَلَّى}** ، إلى الخطاب مشافهةً بالعتاب

---

[1] - انظر الطبري 169/24، أبو السعود 360/6
[2] - العلق :6-8
[3] - أبو السعود 45/6
[4] - التحريم : 3-4
[5] - أبو السعود 267/6
[6] - عبس : 1-4

بالعتاب :{وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى، أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى} غرضه : تشديد العتاب عليه صلي الله عليه وسلم ، لأن المشافهة أدخل في تكثيفه وتعنيفه، وذلك لماّ أعرض النبيُ عليه السلام عن الاستجابة لنداء الصحابي الجليل ، كفيف البصر عبد الله بن أمّ مكتوم رضي الله عنه، وأقبل على نفر من صناديد قريش أملا في إسلامهم، فنزلت الآيات تعاتب وتصحح المسار وتُسّدِدُ التوجيه ([1]).

7-الالتفات من المجابهة بسوء الأقوال إلى المواجهة بسوء الأفعال :

قوله تعالي :{فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ، وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ،كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ، وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ، وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا} [(2)] ، الالتفات من الغيبة وحديثه عن سوء أقوال الإنسان إزاء موقف الابتلاء:{فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ} إلى مخاطبته بسوء أفعاله :{لَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ} ، فائدته : الإيذان باقتضاء تعداد جنايات الإنسان مشافهته بها وتوبيخه وتقريعه وتشنيعه عليها، والمعنى : بل إنّ لكم لأحوالاً وأفعالاً أشدُّ مما ذُكر، وأدلّ على تهالككم على متاع الحياة ، حيث يكرمكم الله تعالي بكثرة المال ، فلا تؤدّون ما يلزمكم فيه من إكرام اليتيم ، والتّحاضّ على إطعام المسكين . والتّعفّف عن أكل أموال اليتامى ظلما.([3]).

8-الالتفات لاستكمال أوجه النِّعَم والامتنان والحثّ على شكرها:

قوله تعالي:{ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا، ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا، فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا... مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ} [(4)] ،بدأت الآيات بتوجيه الامتنان إلى لإنسان ، ثمّ كان الالتفات منه (الغيبة): {فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ} إليه

---

[1] - أبو السعود 377/6

[2] - الفجر : 15-19

[3] - انظر أبو السعود 427/6

[4] - عبس :24-32

في الخطاب، مُوجَّهًا خصوصا إلى أهل مكة:{مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ }، وفائدته: تكميل ذكر أوجه النِّعَم والامتنان المتوالية عليهم وعلى الإنسان عامة ، من لحظة نزوله إلى الحياة الدنيا إلى رحيله عنها إلى الدار الآخرة([1]).

ونظيره قوله تعالي :**{لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ... وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ}** [(2)] الالتفات من الغيبة :**{ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ}**، إلى الخطاب :**{وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً}**، غرضه : تشريف وإعزاز للمخاطبين الذين هم صحابة رسول الله صلي الله عليه وسلم ، وحثّهم على الاعتناء بأفضال الله وبنعمه المتوالية عليهم بالشكر([3]).

ونظيره قوله تعالي :**{مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ، وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ، هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ}**[(4)] ،الالتفات من الغيبة: {مُتَّكِئِينَ فِيهَا} ، إلى الخطاب:{هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ}، غرضه: انتقاء الأسلوب الأَلْيَقُ بمقام الامتنان والتكريم، وهو الخطاب المباشر من ذي الفضل والنِّعمة للمُنعم عليه تفضُّلا وتكريما له ([5]).

9-الالتفات للمبالغة في الإفحام والإلزام:

قوله تعالي:**{قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ}** [(6)]، الالتفات من الغيبة:**{قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا }** إلى الخطاب:**{إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا }**، والغرض منه:

---

[1]- انظر أبو السعود 381/6
[2] - الفتح : 18-20
[3] - أبو السعود 106/6
[4] - ص : 51-53
[5] - انظر أبو السعود 474/1- 364/5
[6] - يونس : 68

مزيد من المبالغة في الإلزام والإفحام، وتأكيدا على التوبيخ والتقريع عليهم لجهلهم واختلاقهم الكذب، وتقوُّلهم على الله بغير علم([1]).

10- المبالغة في التّحريض على القتال وتأكيد وجوبه:

قوله تعالي:{**فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ، وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ}**([2])، **التفات من الغيبة :{فليقاتل في سبيل الله} إلى الخطاب :{ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله}، وغرضه:** المبالغة في التّحريض على القتال وتأكيد وجوبه ، وقد تَقَوَّى هذا المعنى بالاستفهام الإنكارى الدال على معنى النفي، أي نفي وجود الموانع والعوائق التى تحول دون خروج المخاطبين للقتال في سبيل الله([3]).

11- الالتفات للمبالغة في إحقاق الحق وإبطال الباطل:

قوله تعالي:{**وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا}**([4])، التفات من الغيبة:{وإن تصبهم حسنة}، إلى الخطاب:

{ما أصابك من حسنة} والغرض منه: إبراز مزيد الاعتناء بردّ مقالتهم الباطلة ، والإشعار بأن مضمونه مبنيٌّ على حكمةٍ بالغةٍ ، وتحقيقُ المبالغةِ بقطع احتمال سببيّة معصية بعضهم لعقوبة الآخرين([5]).

---

[1] - أبو السعود 259/3

[2] - النساء : 64-75

[3]- أبو السعود 2/ 163

[4] - النساء : 79

[5] - أبو السعود 167/2-168

12- لطف الاستمالة والترغيب في حسن المعاملة:

قوله تعالي:**{وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا}**[1]، التفات من الغيبة :{**فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا** } إلى الخطاب :{ **وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا** } والغرض منه : التّلّطفُ في استمالة الأزواج وترغيبهم في حسن المعاملة مع زوجاتهم ، إمساكا بالمعروف أن تسريحا بالتي هي أحسن([2]).

13- إظهار كمال العناية بالأمر ، وبمضمون الكلام:

قوله تعالي: **{أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا}** [3]، التفات من الغيبة :{ **آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ** }، إلى التكلّم بنون العظمة:{ **فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ** }، والغرض منه : إجراء الكلام على سنن الكبرياء لإظهار كمال العناية بالأمر وبمضمون الكلام، بأنّ حسد المشركين لمحمد صلي الله عليه وسلم، أنْ اصطفاه الله للنبوة والرسالة، هو حسد في غاية القبح والبطلان، فَمِنْ قَبْلِه مَنَّ اللهُ على آل إبراهيم – الذين هم أسلاف محمد وأبناء عمومته- بأنعُمٍ أكثر وأكثر، منها نعمة النّبوة والرسالة، ومنها نعمة الكتاب والحكمة ، وآتاه الله ملكا عظيما، فحسبهم مَنْ حسدهم عليها ، وما كانوا ليضرّوهم في شيء، أَوْ ليغيّروا نعمة الله إلى غير مقصدها([4]).

---

[1] البقرة: 128

[2] - أبو السعود 204/2

[3] - النسا ء: 54

[4] - انظر أبو السعود 11/2

ونظيره قوله تعالي: **{وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ...فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ، مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ}** [1]، الالتفات من الغيبة :{**وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا**}، وغرضه إظهار كمال الاعتناء بمضمون الخبر ، وهو نسبتهم الولد إلى الله وتنزيه الله منه ، وهو زعمٌ وافتراءٌ :{ **تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا، أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ، وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا}** [2]

14- الالتفات لإظهار كمال الغضب والسُّخْط :

قوله تعالى:{ **وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ، بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ، إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ}** [3]

الالتفات من الغيبة:{ **وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا** } ، إلى الخطاب:{ **إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ**} ، والغرض منه : إظهار كمال الغضب والسّخط على المشركين ومن لفّ لفّهم ، بسبب تعنّتهم وجحودهم ، وبنبذهم رسول الله بما هو أبرأ الناس منه ([4]).

15- الالتفات لاقتضاء الحال الإعراض عن المخاطبين وبيان قبائحهم لغيرهم:

قوله تعالي:{**أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ}** [5]، الالتفات من الخطاب:{**أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ**} إلى الغيبة: {**إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ** }، غرضه : الإيذان باقتضاء حال الكافرين المذكورين الإعراض عنهم، وبيان قبائح أفعالهم لغيرهم من الناس، و إظهار الكافرين في موضع الإضمار لذمّهم بالكفر ولتعليل غرورهم به([6]).

---

[1]- الصافات : 258-262

[2] - مريم : 90-92

[3] - الصافات : 36-38

[4] - أبو السعود 419/5

[5] - الملك : 20

[6] - انظر أبو السعود 280/6

16- الالتفات لإظهار مزيد الاعتناء بمضمون الكلام:

قوله تعالي :{**ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا، وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا**} [1]، الالتفات من الغيبة: {أَ **عْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا** }، إلى الخطاب:{ **وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا** } وغرضه : إظهار مزيد الاعتناء بمضمون الكلام، وقد قيل: ليس في الكلام التفات، فهو خطاب للناس جميعا من غير التفات إلى المذكورين، ويؤيد الأول أنه قرُ ِئَ :(وإن منهم إلاّ واردها)([2]).

ونظيره قوله تعالي:{**وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ،فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**}[3]، الالتفات من الغيبة:{ **وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ**} ، إلى الخطاب:{**فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ**}، وغرضه: الإيذان بالاهتمام بمضمون الجملة، وهو النّهيُ عن ضرب الأمثال لله خاصة ، فإن ضرب المثل مبناه تشبيه حالة بحالة ، وقصّة بقصّة ، والمعنى لا تشبّهوا بشأنه تعالي شأنا من الشئون ، فهو من ناحية ليس كمثله شيءٌ ، ومن ناحية أخرى: { **إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**}، وكفي.

17- **الالتفات للتنويه بشرف المخاطبين ويعلوّ درجتهم:**

قولها تعالي:{**يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**}[4]، الالتفات من الغيبة:{**يُطَافُ عَلَيْهِمْ**}، إلى الخطاب:{**وَأَنْتُمْ** الخطاب:{**وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** }،وغرضه : للتنويه بمقام المخاطبين وعلّو درجتهم بتوجيه الخطاب إليهم في مقام الإنعام والامتنان([5]).

---

[1] - مريم : 70-71
[2] - أبو السعود 53/4
[3] - النحل : 73-74
[4] - الزخرف : 71
[5] - أبو السعود 42/6

ثانيا : الالتفات من الخطاب إلى الغيبة :

(1)–التّسجيل على المشركين ضلالَهم الموجبَ للإعراض عنهم :

(أ)–قوله تعالي:{**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ}**([1])، الالتفات من الخطاب في الآية السابقة:{إنما يأمركم..وأن تقولوا..ولعلكم تشكرون} إلى الغيبة:{وإذا قيل لهم}، الغرض منه : التسجيل عليهم بكمال ضلالهم ، وإيذانا بإيجاب تعداد ما ذُكر من جناياتهم لصرف العذاب عنهم ، وتوجيهه إلى العقلاء وتفصيل مساوئ أحوالهم لهم ، على نهج المُبادَئَةِ..والمعنى : إذا قيل لهم على وجه النصيحة والإرشاد اتبعوا كتاب الله المنزّل على رسوله، (قالوا) لا نتبعه ، بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا([2]).

(ب)–ونظيره قوله تعالي :{ **هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ}**[(3)] الالتفات من الخطاب:**{هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ}**، إلى الغيبة:**{وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا }**، وغرضه : الإيذان بأن سوء أحوالهم، إيمانا بالله حين الشدة والابتلاء بالمحن، وكفرا به حين الدَّعةِ والسَّعَةِ والمِنَح، ممّا يُوجِب أنْ يُضْرَبَ عنهم صفحا، وأن تُتْلى سيئاتُ أعمالِهم لغيرهم ، ابتغاءَ استنكارِهم وتَقْبيحِهم لها([4]).

(2)–الالتفات لإسقاط القوم عن درجة الخطاب استهانة بهم لتعدد سيئاتهم:

قوله تعالي:{**هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ، وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ}** [(5)]، الالتفات من الخطاب:{هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا }

---

[1] - البقرة: 170
[2] - أبو السعود 230/1
[3] يونس : 22
[4] - انظر أبو السعود 227/3
[5] - الرعد :13

إلى الغيبة:{وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ } ، غرضه الإيذان بإسقاطهم عن درجة الخطاب إعراضا عنهم ، وتعديدا لجناياتهم لغيرهم ممَّنْ يستحقّ الخطاب والمشافهة بالكلام ، فكأنه قيل : هو الذي يفعل أمثال هذه الأفعال العجيبة من إراقة البرق، وإنشاء السحاب الثقال، وإرسال الصواعق، وكلّها تدلُّ على كمال قدرته ، يعقلها من يعقلها من المؤمنين([1]).

ونظيره وقوله:{ **هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ}** [(2)]، الالتفات من الخطاب في قوله :{واعلموا أنّ الله عزيز حكيم} ، إلى الغيبة في قوله: {هل ينظرون} ، وغرضه الإيذان بأن سوء صنيعهم موجب للإعراض عنهم([3]).

ونظيره قوله تعالي:{**أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا، وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا}**[(4)]

التفات من الخطاب:{**أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ**}، إلى الغيبة:{**لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا**} وغرضه: الإيذان باقتضاء الحال أن يُعْرَض عنهم وتُحْكَى للسامعين سوءُ أعمالهم وجناياتهم([5]).

ونظيره قوله تعالي:{**اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ، الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}** [(6)]، الالتفات من الخطاب:{ **اصْلَوْهَا الْيَوْمَ**}، إلى الغيبة:{**الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ**} وغرضه :الإيذان بأن ذكر أحوالهم القبيحة اقتضى الإعراض عنهم، وأن تُحكى فظائع أحوالهم لغيرهم، مع ما فيه من الإيماء إلى أنّ ذلك

---

[1] - أبو السعود 444/3
[2] -البقرة : 210
[3] - أبو السعود 256/1
[4] - الإسراء : 64-65
[5] - انظر أبو السعود 13/4
[6] -يس :64-65

من مقتضيات الختم على أفواههم، لأن الخطاب يقتضي توقّعَ الجواب، ولا جوابَ منتظَراً مِمَنْ ختم اللهُ على أفواههم([1]).

ونظيره قوله تعالي:{ **إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ}** [2] ،الالتفات من الخطاب:{**سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ**} إلى الغيبة :{**إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ** } ، وغرضه : الإيذان بأن كثرة سيئات أعمالهم تقتضي الإعراض عنهم، وإسقاطهم عن مرتبة الخطاب، وحكاية سيئاتهم لغيرهم، أي : لا يتبعون فيما يقولون ويفعلون إلا الوَهْم ، وليس لهم فيه سندُ من عقل أو نقل..([3])

ونظيره قوله تعالي: {**ذَلِكُمْ بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ** [4]، الالتفات من الخطاب: { **ذَلِكُمْ بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ**}، إلى الغيبة:{**فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا**} وغرضه: الإيذان بالإعراض عنهم وإسقاطهم عن رتبة الخطاب استهانة بهم، أو بنقلهم من مقام الخطاب المشهود إلى غيبة النار و غياهبها([5]).

ونظيره قوله تعالي:{**وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ، فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ}** [6]، الالتفات من الخطاب :**وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ} إلى الغيبة:{فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ** } ، فائدته : الإيذان باقتضاء حالهم الإعراض عنهم وأن يُحكى سوءُ حالهم لغيرهم ، أو للإشعار بإبعادهم عن دائرة الخطاب، وقَذْفِهم سحيقاً بعيدًا في دركات النار و بئس المصير([7]).

---

[1] - انظر أبو السعود 400/5
[2] - النجم : 23
[3] - أبو السعود 157/6
[4] - الجاثية : 34-35
[5] - أبو السعود 14/6
[6] فصلت : 22-23
[7] - انظر أبو السعود 565/5

ونظيره قوله:{**أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ، فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ**} [1]. الالتفات من الخطاب:{ **أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ** }، إلى الغيبة:{ **وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا** }، والغرض منه: الإيذان بانقطاعهم عن الجواب، وسقوطهم عن درجة الخطاب، واقتضاء حالهم أن يُضرب عنهم صفحا، وتُحكى جناياتهم لآخرين([2]).

(3)-هزُّ الوجدانِ وتنشيطُ الرغبةِ في كسب الخيرات:

قوله:{**وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ**} [3]، الالتفات من الغيبة :{ **فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا** } ، إلى الخطاب:{ **وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ**}، وغرضه:هزّ النفوس وتنشيط الرغبات في الظّفر بما هو خير([4]).

ومنه قوله تعالي :{ **وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ، الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ**}[5].

الالتفات من الخطاب :{إنك إذا لمن الظالمين}، إلى الغيبة {يرفونه كما يعرفون أبناءهم} غرضه الإيذان بأن المراد ليس معرفتهم له عليه السلام ذاتاً ونسباً، ولكن معرفتُهم له مذكورا في الكتب السابقة ، منعوتا فيها بالنعوت التى من جملتها أنه عليه السلام يصلّي إلى القبلتين ، فكأنه قيل :الذين آتيناهم الكتاب يعرفون مَنْ وصفناه فيه ، وبهذا يظهر جزالة النظم الكريم([6]).

ومنه قوله:{**تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ، وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا**} [7]. الضمير في قوله: {وقالوا} لأهل

---

[1] - الصافات : 156-158

[2] - أبو السعود 442/5 ،

[3]- البقرة : 184

[4] - انظر أبو السعود 242/2

[5]- البقرة : 145-146

[6] - انظر أبو السعود 216/1

[7]- البقرة : 134-125

الكتاب ، التفاتا من الخطاب: {ولا تسألون عما كانوا يعملون..} إلى الغيبة: {وقالوا}، وسرّه بيان أنّ تنويعَ المعنى اقتضى تنويعَ الأسلوبِ وتجديدَه، فقد جاء الالتفات شروعاً في بيان لون آخر من ألوان كفرهم وعُتُوّهم، المتمثّل في السعي لإضلال غيرهم ، بعد بيان ضلالهم في أنفسهم ، وهو حال يستوجب إبعادهم عن مقام الخطاب، والإعراض عنهم ، وتعديد جناياتهم عند غيرهم([1]).

4-الالتفات لدفع توهُّمِ معنى غير مقصود:

قوله تعالي:{**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ، ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ**}[2]، التفات من الخطاب:{فريقا منكم} إلى الغيبة: {من ديارهم}، الضمير عائد إلى الفريق ، والالتفات إلى ضمير الغيبة لدفع توهّم جواز أن يكون الضمير خطابا تبعا للسياق العام الذي نشأ مِنْ أَخْذِ الميثاق: {وإذ أخذنا ميثاقكم}، احترازا من أن يكون المرادُ إخراجَهم من ديار المُخاطَبِيْن ، من حيث هي ديارهم ، لا من حيث هي ديار المُخْرَجِين([3]).

قوله تعالي:{**وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**} [4]، الالتفات من الخطاب:{كلوا من طيبات ما رزقناكم} ، إلى الغيبة:{ وما ظلمونا} للإيذان باقتضاء جنايات المخاطبين الإعراضَ عنهم ، وتعداد قبائحهم عند غيرهم على طريق المباغتة([5]).

---

[1] - انظر أبو السعود 204/1 ، المراد (بالجِنّة) الملائكة، ، قالوا: الجنس واحد، ولكم منْ خبُث من الجنّ ومَرَد وكان شرًا كلّه فهو شيطان، ، ومن طهُر منهم ونسك وكان خيرا كلّه فهو ملك، وإنّما عبَّر عنهم باسم (الجِنّة) وضْعاً وحطاً من شأنهم، مع عظم شأنهم بين الخلق.

[2] -البقرة : 84-85

[3] - أبو السعود 159/1

[4] البقرة : 57

[5] - أبو السعود 137/1

5-الالتفات لبيان ما بين الثواب والعقاب من تفاوت وتباين:

قوله تعالي :{**إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ، فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ}** [1]، الالتفات من الخطاب :{ثمّ إليّ مرجعكم فأحكم بينكم} ، إلى الغيبة:{ فأمّا الذين كفروا فأعذّبهم عذابا شديدا..} وغرضه : بيان ما بين الثواب والعقاب من تفاوت ، وما بين الجنة والنار من اختلاف في المظهر وفي الجوهر، وتباين في المعنى وفي المبنى([2]).

6- **إبعاد القوم عن رتبة الخطاب إعراضا عنهم:**

قوله:{**أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ، وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ}**[3]

التفات من الخطاب:{**فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ** } ، إلى الغيبة:{ **وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ** }، الغرض منه :الإشعار بإبعادهم بعيدا عن رتبة الخطاب والمشافهة بالكلام ، بعد ما فُصّلَ من مخازيهم الموجبة للإعراض عنهم ، وحكاية نظائرها لكل من يفهم بطلانها وقباحتها من أهل الحق([4]).

7- النعي على المتفرقين شيعا في دينهم:

قوله:{**إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ، وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ}**[5]، الالتفات من الخطاب:{ **إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً** } إلى الغيبة:{ **وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ**}، وفائدته: النعي على القوم بما أفسدوا من أمر دينهم، وكانوا شِيعًا مُمزَّقةً ،

---

[1] - آل عمران : 55-56

[2] - انظر أبو السعود 377/1

[3] - البقرة : 87

[4] - أبو السعود 162/1

[5] - الأنبياء : 92

وإبلاغ قبائح أفعالهم إلى الآخرين، كأنه قيل: ألا ترون إلى عظيم ما ارْتَكَبَ هؤلاء في دين الله الذي أجمعتْ عليه كافةُ الأممِ ، لقد فرّقوا شملَه وقطّعوا أمرَه([1]).

8- **تربية المهابة والإشعار بعلَّةِ الحُكم:**

قوله تعالي: { **رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ}**[(2)]، أسلوب الالتفات من الخطاب:{**رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي**} إلى الغيبة بلفظ الجلالة:{**وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ**} غرضه : تربية المهابة في النفوس بإظهار لفظ الجلالة المستجمعة للصفات العَّلِيّة ، وإدخال الروعة في القلوب ، مع فيه من الإشارة إلى علّة الحكم([3]).

9- الالتفات لتسجيل الظلم على القوم وإظهار السخط عليهم:

قوله تعالي:{**أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا}** [(4)]، الالتفات من الخطاب:{ **وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ** }، إلى الغيبة:{ **بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا** } غرضه : الإيذان بكمال السخط وتسجيل الظلم عليهم ، مسنودا بوضع الظاهر موضع الضمير مع فعل الذّمّ ([5]).

10- **الالتفات لتأكيد التوبيخ وتكثيف التقريع :**

قوله تعالي:{**فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ، فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ}** [(6)]، الالتفات من الغيبة: { **فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ** }، إلى الخطاب:{**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ** } غرضه: تأكيد التوبيخ وتكثيف التقريع بالمواجهة بالخطاب الذي يشي بغير قليل من الخشية والوعيد من أن يعيثُوا في الأرض فسادا ،

---

[1] - أبو السعود 356/4
[2] - إبراهيم :38
[3] - انظر أبو السعود 495/3
[4] - الكهف :50
[5] - أبو السعود 196/4
[6] - محمد : 21-22

وأن يقطّعوا الأرحام التي أمر الله بها أن توصل، وأن يضربوا أحكام الله عرض الحائط([1]).

ثالثا : الالتفات من التكلّم إلى الغيبة :

(1)-الالتفات لإظهار قُوَة الإيمان واللُّطْفِ والاعتناء بالمذكور:

قوله تعالي:{**وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ، إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**} ([2])، الالتفات من التكلم بضمير العظمة:{ولقد اصطفيناه}، إلى ضمير الإفراد:{إذ قال له ربه}، للإيذان بكمال قوّة إسلامه، حيث أيقن حين النظر بشمول ربوبيّته للعالمين قاطبة ، لا لنفسه وحده كما هو المأمور به ، وفي التعرّض لعنوان الربوبيّة والإضافة إليه عليه السلام، لإظهار اللطف به والاعتناء بتربيته([3]).

2- الالتفات بغرض تربية المهابة في النفوس وإدخال الروعة في القلوب:

(أ)-وقوله:{**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ**} ([4])، الالتفات من التكلم بنون العظمة: (أنزلنا – بيّنا) إلى الغيبة : {يلعنهم الله} مع إظهار اسم الذات في مقام الإضمار ، الجامع للصفات السّنية ، غرضه : تربية المهابة في النفوس، وإدخال الروعة في القلوب، والإشعار بأن مبدأ صدور اللعن عنه سبحانه نابع من صفةُ الجلال، المغايرةُ لما هو مبدأ الإنزال والتّبيين من وصف الجمال والرحمة([5]).

---

[1] - أبو السعود 90/6

[2] - البقرة :131

[3] - انظر أبو السعود 201/1

[4] -البقرة : 159

[5] - أبو السعود 224/1

(ب)–ونظيره قوله تعالي:{**وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ**} [1]. الالتفات من ضمير العظمة :{نزّلنا على عبدنا}، إلى ضمير الاسم الظاهر المفرد الغائب:{ من دون الله} ، وغرضه : تربية المهابة في النفوس وإدخال الروعة في القلوب([2]).

ج– ونظيره قوله تعالي :{ **كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ**} [3]، الالتفات من ضمير العظمة في التكلم:{كذبوا بآياتنا} إلى المفرد الغائب: {فأخذهم الله}، جريا على سنن الكبرياء بإظهار لفظ الجلالة ، لتربية المهابة في النفوس ، وإدخال الروعة في القلوب([4]).

د– ونظيره قوله تعالي: { **وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّه**}[5]، التفات من التكلّم بنون العظمة: {**وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ** } إلى الغيبة:{ **مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّه** } ، والغرض منه: بيان أن الالتفات إلى الاسم الجليل يوجب تربية المهابة في النفوس ، وإدخال الروعة في القلوب، إيمانا وخشيةً لله عزّ وجلّ ، القادر على كل شيء([6]).

هـ ومنه قوله:{**وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ**}[7]، الالتفات من التَّكلُّم بضمير العظمة: {**وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا**}،إلى الغيبة بلفظ الجلالة:{**مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ**}، وغرضه : تربية المهابة في النفوس وإدخال الروعة في القلوب، فهو لا يكون إلها حتى يكون معبوداً، وحتى يكون خالقا ورازقا ومدبّرا([1]).

---

[1] - البقرة : 23
[2] - أبو السعود 89/1
[3] - آل عمران : 11
[4] - أبو السعود 340/1
[5] - الأنعام : 111
[6]- أبو السعود 431/2
[7]- الرعد : 37

و– ومنه قوله تعالي:{**وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ**}([2])، الالتفات من التكلّم بضمير العظمة:{ **وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ**} إلى الغيبة بلفظ الجلالة :{**مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ** }، فائدته: تربية المهابة وإدخال الروعة في النفوس بما لاسم الجلالة من كافة الصفات المستجمعة لمعانى الألوهية والربوبية([3]).

ز– قوله تعالي:{ **أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ**}[(4)].

الالتفات من التكلّم بضمير العظمة:{ **أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا** }،إلى لفظ الجلالة:{**وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ**} وفائدته : تربية المهابة في النفوس وإدخال الروعة في القلوب، مع ما فيه من تحقيق مضمون الجملة بالإشارة إلى العلّة ، فهو الحاكم الحكيم الذي لا مُعقِّب ولا رادّ لحكمه([5]).

ح– ونظيره قوله تعالي:{**ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**}[(6)]، الالتفات من نون العظمة:{ **ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ** }، إلى الغيبة بلفظ الجلالة:{ **فَتَبَارَكَ اللَّهُ** } ، وغرضه: تربية المهابة في النفوس وإدخال الروعة في القلوب ، والإشعار بأنّ ما ذُكِر من الأفعال العجيبة البديعة من أحكام الألوهيّة ، وللإيذان بأنّ حقَّ كلِّ من رأى أو سمع ما فُصِّلَ من آثار قدرته تعالي أن يبادر إلى الإيمان وإلى التّحدّث بها شكرا وإعظاما لله عزّ وجلّ([7]).

---

[1] - أبو السعود 463/3
[2] - الرعد : 37
[3] - انظر أبو السعود 463/3
[4] - الرعد : 41
[5] - انظر أبو السعود 465/3
[6] - المؤمنون : 14
[7] - انظر أبو السعود 405/4

و– ومنه قوله: { **إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ}** [1]، الالتفات من ضمير العظمة في التكلم:{وتلك الأيّام نداولها} ، إلى لفظ الجلالة :{وليعلم الله} ، وغرضه : تربية المهابة في النفوس ، الناشئة من إسناد الفعل إلى اسم الذات المستجمع للصفات العلية ، والإشعار بأنّ صدور كلّ واحد ممّا يذكر بصدد التعليل من أفعاله تعالي، باعتبار مَنْشإ مُعيَّنٍ من صفاته تعالي مُغايِر لمنشإ الآخَر [2].

3 – <u>الالتفات لتعظيم الهداية و تشنيع الضلالة:</u>

قوله تعالي :**{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}** [3]، الالتفات من ضمير العظمة في التكلّم : {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ}، إلى الغيبة بلفظ الجلالة:{فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ}، وفائدته: تعظيم شأن الهداية وتفظيع الضلال عن سبيل الله وترشيحِ مناطِ كلٍ منهما لمشيةِ اللهِ تعالي([4]).

ومنه قوله :**{مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا}** [5] ، الالتفات من التكلم:{وأرسلناك}، إلى الغيبة:{وكفي بالله شهيدا}، والغرض منه: تربية المهابة في النفوس وتقوية الشهادة[6].

ونظيره قوله:{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [7] ، التفات من التكلّم بنون

---

[1]- آل عمران : 140
[2]- أبو السعود 2/ 78
[3]- إبراهيم : 4
[4] - انظر تفسير أبي السعود 3/ 470
[5] - النساء : 79
[6] أبو السعود 2/ 168
[7]- الإسراء : 1

العظمة:{ الذي باركنا حوله}، إلى الغيبة:{ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} والغرض منه : تربية المهابة في النفوس وإدخال الروعة في القلوب([1]).

ونظيره قوله:{وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ} [(2)]، الالتفات من ضمير العظمة :{وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} إلى لفظ الجلالة:{فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا} وغرضه : تربية المهابة في النفوس وإدخال الروعة في النفوس([3]).

4-الالتفات لتربية المهابة والإيذان بدوران المشيئة على صفة الألوهيّة:

قوله تعالي:{سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى، إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى، وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى}[(4)]، الالتفات من التكلّم بنون العظمة: {سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى} ، إلى الغيبة بلفظ الجلالة :{إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ} ، غرضه : تربية المهابة ، والإيذان بدوران المشيئة على عنوان الألوهيّة المستتبعة لسائر الصفات. قيل : المراد بالنسيان هو النسيان في الجملة ، على قلّة ذلك وندرته[(5)].

5- الالتفات للإشعار بعلة الحكم ومناطه:

قوله تعالي:{وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ} [(6)]، التفات من التكلّم بنون العظمة:{حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا} ، إلى لفظ الجلالة:{ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ}، والغرض منه : الإشعار بعلّة الحكم ، فإنّ الألوهية من موجبات ألاّ يغالبه أحدٌ في فعل من الأفعال ، كما لا يقع منه تبارك وتعالي خُلْفٌ في قول من الأقوال([7]).

---

[1] - أبو السعود 111/4
[2] العنكبوت :3
[3] - أبو السعود 191/5
[4] - الأعلي : 6-8
[5] - أبو السعود 6/ 414
[6] - الأنعام:34
[7] - أبو السعود 376/2

6- الالتفات للإشعار بعِلِيَّة الوصف بالربوبية:

قوله تعالي:**{نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ، وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ}** [1]. الالتفات من التكلّم:{ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ} إلى الغيبة:{ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ}، وفائدته: الإشعار بعِلّيّةِ وَصْفِ "الربوبية" كَعِلّةٍ لإيمان الفتية ، ولمراعاة ما صدر عنهم في قولهم:{ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ}[2].

7- الالتفات للإشعار بعلّة الرحمة المسداة، والتشريف بالإضافة :

قوله تعالي:**{مَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}** [3]، الالتفات من ضمير العظمة:{وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا} إلى الغيبة بلفظ الربوبية:{وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ} وغرضه الإشعار بعلّة الرحمة المهداة لرسول الله وكليمه موسي عليه السلام، وتشريفه بالإضافة إليه[4].

8-الالتفات للإيذان بكمال الاعتناء بالمعنى وبمضمون الكلام :

قوله تعالي:**{وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا}**[5]، التفات من الغيبة: {وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ}، إلى التكلّم بنون العظمة:{وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ} والغرض منه : الإيذان بكمال الاعتناء بأمر الحشر والبعث يوم القيامة ، يوم الفصل بين الخلائق فيما عملوا من حسنات ومن سيّئات في الحياة الدنيا([6]).

---

[1]- الكهف : 13-14

[2] أبو السعود 4/ 175

[3] - القصص : 46

1- أبو السعود 5/ 170

[5] - الإسراء : 97

[6] - أبو السعود 159/4

9- التنويه بأيام الله مع بيان عدم اختصاصها بقوم معينين:

قوله تعالي:{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ} [1] ، الالتفات من ضمير العظمة في التكلّم :{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا} ، إلى الغيبة بلفظ الجلالة:{وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ}، وغرضه :الإيذان بفخامة شأنها وعظيم خطرها، والإشعار بعدم اختصاصها بالمخاطب وقومه، فهي سنة جارية في العالمين ، وأيامُ الله هي وقائعُه التي كتبها على الأمم الغابرة فكان منها ما كان.([2])

10 – بيان أنّ مخافة الله بحسب الصفات كما هي بحسب الذات:

قوله تعالي: {طه، مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى، إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى ، تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى} [3]، الالتفات من ضمير العظمة في التّكلّم :{مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى}، إلى الغيبة:{تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى} ، غرضه: بيان أنّ مخافة الله تكون بصفاته وأفعاله الجليلة، إثر بيان كونها بحسب الذات السّنيّة، مُؤْثِرًا أسلوب الإبهام بالاسم الموصول(مِمَّنْ) ، ثم التفسير والبيان عقبه لإزالة الإبهام، ابتغاءَ استقرار المعنى وتمكّنه في النفس أيّ تمَكُّنٍ([4]).

11- الالتفات لأبراز سنن الكبرياء ولتربية المهابة وإظهار اللطف :

{وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ} [5].، الالتفات من الغيبة:{وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ} إلى التكلّم بنون العظمة:{لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ}، غرضه : إجراء الأسلوب على سنن الكبرياء لتربية المهابة في النفوس وإدخال الروعة

---

[1]- إبراهيم : 5

[2]- أبو السعود 3/ 472

[3] - طه : 1-4

[4] - أبو السعود 268/4

[5] الكهف : 46

في القلوب ، وإظهار اللُّطف به عليه السلام ، وقد تعزّز المعنى ببناءِ الفعل للمفعول ، والتّعرّضِ لعنوان الرّبوبيّة مضافا إليه ، عليه الصلاة والسلام[1] .

12- الالتفات للإشعار بأن أفعال الله المنتظمة تصدر من حيثيات مختلفة:

قوله تعالي : {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا،وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا}[2].

الالتفات: من التكلّم بنون العظمة:{إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ} ، إلى الغيبة بلفظ الجلالة:{ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ}، لدلالة على أنّ كلَّ فعلٍ من أفعاله يصدر عنه من حيثيّةٍ غير حيثية الآخر مُرتّباً على صفةٍ من صفاته، مُبرِهناً عليه بإظهار لفظ الجلالة المستجمع للصفات السنيّة كلِّها([3]).

رابعا : الالتفات من الغيبة إلي التكلم :

1-تربية المهابة وإدخال الروعة في النفوس:

قوله تعالي:{وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَءتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ، فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى} [4]، قوله:{فقلنا اضربوه} عطفا على :{ **فَادَّارَءتُمْ**}، والالتفات من الغيبة:{واللهُ مخرِجٌ} إلى ضمير العظمة:{فقلنا} لإفادة تربية المهابة في النفوس وإدخال الروعة في القلوب([5]).

ونظيره قوله تعالي:**{وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ}** [6]، الالتفات من الغيبة:**{وَمَا كَانَ رَبُّكَ}**

---
[1] - أبو السعود 189/4
[2] - الفتح : 1-3
[3] - أبو السعود 98/6
[4] - البقرة : 72-73
[5] - أبو السعود 147/1
[6] - القصص : 59

رَبُّكَ} إلي نون العظمة:{يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا } غرضه : تربية المهابة في النفوس وإدخال الروعة في القلوب بنسبة الآيات المتلوّة إليه سبحانه وتعالي وتفخيم شأنها([1]).

وقريب منه قوله تعالي:{ **وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ}**[2]، الالتفات من الغيبة:{ **إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ** } ، إلى التكلّم:{ **فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ** } ، وفائدته: تربية المهابة، وإلقاء الرهبة في القلوب، وهو معنى معزّزٌ من تقديم المفعول:(إيّاي)، وتكرار الفعل مُقَدّرًا : {إنْ كنتم راهبين شيئاً، فإيّاي فارهبون}([3]).

(2)–الالتفات لإفادة معنى التعريض بمَنْ شغلتْهم الغنائم عن الأوامر :

ومنه قوله تعالي:{ **وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ}** [4]، الالتفات من الغيبة لفظ الجلالة:{إلا بإذن الله}، إلى ضمير العظمة في التكلم:{نؤته منها.. وسنجزى الشاكرين} والغرض منه : هو والتّعريض بمَنْ شغلتهم الغنائمُ غافلين عن أمر القيادة العليا بعدم مغادرة مواقعهم، مما كان له أسوأ العواقب، وجعل كِفّةَ المعركةِ كادتْ تميلُ لصالح المشركين، وإن كسب المسلمون الحربَ.

الآيات تتحدث عن غزوة أحد والأحداث التي وقعت فيها ، بما فيها الإشاعة بمقتل رسول الله صلي الله عليه وسلم ، وانشغال بعض المسلمين بجمع الغنائم قبل أن تضع الحرب أوزارها مخالفين أوامر القيادة في عدم مبارحتهم أماكنهم مهما كان الأمر([5]).

ومنه قوله:{**بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ، سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا}** [6]، الالتفات من الغيبة:{ بل الله مولاكم} إلى

---

[1] - انظر أبو السعود 177/5
[2] - النحل : 51
[3] - انظر أبو السعود 69/4
[4] - آل عمران : 145
[5] - انظر أبو السعود 43/2
[6] - آل عمران : 150 -151

التكلم بضمير العظمة:{ سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب}، الغرض منه : الجريُ على سنن الكبرياء لتقوية المهابة وزرع الخشية في القلوب، والسين لتأكيد إلقاء الرعب في قلوب الكافرين([1]).

قوله:{**فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ**}([2])، الالتفات من الغيبة:{فاستجاب لهم} إلى التكلم:{لا أُضيع عمل عامل} والغرض منه: إظهار كمال الاعتناء بشأن الاستجابة وتشريف الداعين بشرف الخطاب والمشافهة بالكلام ، والمراد تأكيدها ببيان سببها، والإشعار بأنّ مدارها أعمالهم التي قدّموها على الدعاء لا مجرّد الدعاء ، وتعميم الوعد لسائر العاملين ، وإن لم يبلغوا درجة أولى الألباب لتأكيد استجابة الدعوات المذكورة([3])

3- إظهار كمال العناية بالمعنى وبمضمون الكلام:

قوله:{**وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ، تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ**} ([4])، الالتفات من الغيبة:{ تلك آيات الله} ، إلى التكلم بضمير العظمة:{ نتلوها عليك بالحق} هذا، مع كون التلاوة إنّما كانت على لسان الروح الأمين جبريل عليه السلام، والغرض منه : إبراز كمال العناية بالتلاوة، وتخيم شأنها عند الله عزّ وجلّ([5]) .

4- **الالتفات للإشعار باختلاف نوع الأسلوب لاختلاف حال المعنى:**

قوله تعالي :{**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ، وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**} ([6])،

---

[1] - انظر أبو السعود 47/2
[2] - آل عمران : 195
[3] - أبو السعود 87/2
[4]- آل عمران : 107-109
[5] - أبو السعود 16/2
[6] - النحل : 75

الالتفات من الغيبة بلفظ الجلالة :{ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا}، إلى التّكلّم بنون العظمة:{وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا}، فائدته: الإشعار باختلاف حالَيْ ضربِ المثل ، بين عبدٍ مملوكٍ لا حول له ولا قوّة ، وبين مَنْ رزقه الله رزقا طيبا، ينفقُ منه في سبيل الله كلَّ وقتٍ وآنٍ سرا وجهرا ، ابتغاءَ مرضاةِ الله، هذا الاختلاف الهائل بين المثلين ، اقتضي اختلافا في نوع الأسلوب الأليق للتعبير عنه فكان الالتفات من الغيبة إلى التكلّم ، لإيقاع الفرق بين المعنيين[1].

5 – إبراز كمال الاعتناء باتخاذ الشهداء :

قوله تعالي:**{وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ، وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ}** [2]..

الالتفات من الغيبة:{وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ} إلى نون العظمة في التكلّم: {وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا} غرضه : إبراز كمال الاعتناء بشأن نزع شهيدٍ من كلّ أمة ليكون شاهدا عليها، وتهويل أمره وبيان خطره على الأفراد والأمم جميعا([3]).

6- الالتفات لتهويل الخطب وتربية المهابة:

قوله تعالي:**{إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ.. لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ}** [4]، الالتفات من نون العظمة في التكلّم:{إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ} ، إلى الغيبة بلفظ الجلالة:{ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ}، وغرضه: تهويل الخطب وتربية المهابة في النفوس لقذف الخشية فيها من عذاب الله([5]).

---

[1] - أبو السعود 4/ 79

[2] - القصص : 74-75

[3] - أبو السعود 181/5

[4] - لقمان : 72-73

[5] - انظر أبو السعود 320/5

7-الالتفات لإبراز الاعتناء بأمر الخلق وإنزال الماء من السماء:

قوله تعالي:{خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ} [1].

الالتفات من الغيبة:{خَلَقَ السَّمَاوَاتِ} إلى ضمير العظمة في التكلّم:{وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا} ، غرضه: إبراز الاعتناء برفْع السَّمواتِ السّبع بغير عَمَد مرئيّة ، وإظهار الاهتمام بإنزال الماء من السماء الذي أنبت الله منه كلَّ زوج كريم وكل زرع بهيج ([2]).

ونظيره قوله تعالي :**{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ}** [3]، الالتفات من الغيبة بلفظ الجلالة:{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً} إلى ضمير العظمة في التكلّم:{فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا}، فائدته: إظهار كمال الاعتناء بمضمون الفعل ، لما فيه من الخلق والتكوين ، ومن الصنع البديع المنبئ عن كمال القدرة وتمام الحكمة ، ما كان له أن يكون إلا من ربٍّ عليمٍ حكيمٍ ، وهو على كلّ شيءٍ قديرٌ ([4]).

ونظيره قوله تعالي :**{إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ،وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ}** [5]، الالتفات من الغيبة بلفظ الجلالة:{كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا} إلى ضمير العظمة في التكلّم:{وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً} ، وفائدته: إظهار كمال الاعتناء

---

[1] - لقمان : 10
[2] - انظر أبو السعود 252/5
[3] - فاطر : 27
[4] - أبو السعود 364/5
[5] - النحل : 120-122

بشأن النبيّ إبراهيم أبي الأنبياء عليه السلام ، وما آتاه الله من أفضال وأَنْعُم ومآثر، تفخيماً لمكانه وإعلاءً لدرجته في الصالحين([1])

8- الالتفات لإبراز معانى العظمة والقدرة والكبرياء:

قوله تعالي:{**وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ**}[2] ، الالتفات من الغيبة بلفظ الجلالة :{إلا بإذن الله} إلى ضمير العظمة في التكلم:{نؤته منها وسنجزى الشاكرين}، والغرض منه : إبراز معانى العظمة والكبرياء ، والقدرة على الإماتة والإحياء، وعلى توزيع الثواب للأهل الخير والصلاح، والعقاب لأهل الزيغ والفساد([3]).

ونظيره قوله تعالي:{**قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا**} [4]، الالتفات من الغيبة:{ **كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ**} إلى التكلّم بضمير العظمة:{وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا } وغرضه : إظهار جلالة القدرة وعظمة الربوبية المطلقة على الخلق والإيجاد بطريق الأسباب والسّنن الكونية أو بدونها([5]).

9- إظهارُ كمال العناية بما أُنْزِلَ الماءُ من أجله:

قوله تعالي:{**وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ**} [6]، التفات من الغيبة:{**وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ** } إلى التّكلّم بنون العظمة:{ **فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ** } والغرض منه : إظهار كمال العناية بشأن ما أُنْزِلَ الماءُ من أجله ، والمعنى : فأخرجنا بعظمتنا بذلك الماء الواحد نبات كل شيء من أصناف النجم وألوان الشجر في الكمّ والكيف ، وكافة الخواص والطعوم ومختلف المنافع الأشكال والألوان([7]).

---

[1] انظر أبو السعود 102/4
[2] - آل عمران : 145
[3] - انظر أبو السعود 43/2
[4] - مريم : 21
[5]- أبو السعود 4/ 236
[6] - الأنعام : 99
[7] - أبو السعود 420/2

10- الالتفات للتنبيه على كمال القدرة وبالغ الحكمة:

قوله تعالي :{**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى**} [1]، الالتفات من الغيبة : {**وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً**}، **إلى التكلّم بضمير العظمة:{ فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا** } فائدته: التنبيه على ظهور ما فيه من كمال القدرة وبالغ الحكمة، ثم الإيذان بأنّه لا يتأتّى إلا من قادر مطاع عظيم الشأن ، تنقاد لأمره وتذعن لمشيئته كلُّ صغيرة وكبيرة([2]) .

11- الالتفات لأجل تهويل الخطب وتفخيم شأنه:

قوله تعالي:{**كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ**}[3]، الالتفات من الغيبة:{**كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ**} ، إلى إلى التكلّم بضمير العظمة:{ **فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ** } ، الغرض منه : الجريُ على سنن الكبرياء والعظمة، تهويلا للخطب وتفخيما لأمر إهلاك فرعون وإغراقه ، بعد أن علا في الأرض وتجبّر، وسام أهلها سوء العذاب، وادّعى الألوهية على أهل مصر([4]).

ونظيره قوله تعالي :{**فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**}[5] **خَبِيرٌ**}[5] الالتفات من الغيبة:{ **فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ**}،**إلى التكلّم بنون العظمة:{وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا}**، غرضه: إبراز كمال العناية وبالغ الاهتمام بشأن إنزال الله لهذا النور، ثم بيان أهميّة مَنْ اصطفاه اللهِ لُنوره ليُخرجَ الناسَ من الظلمات إلى النور([6])

12- الالتفات لتقرير المعنى وتحقيقه:

---

[1] - طه : 53
[2] - أبو السعود 286/4
[3] - الأنفال : 54
[4] - انظر أبو السعود 105/3
[5] - التغابن : 8
[6] - أبو السعود 256/6

قوله:{**ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ، ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ**} [1]، التفات من الغيبة: {**ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ**} إلى التكلّم بنون العظمة:{**ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا**}، والغرض منه : تقرير الوصيّة وتحقيق أمرها، تمهيدا لما يعقبه من ذكر القرآن المجيد([2]).

<u>13- الالتفات لإظهار كمال التشريف والاعتناء بالرسول وبالوحي :</u>

قوله تعالي:{**شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى**}[3]، الالتفات من الغيبة:{ **شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ** } إلى التّكلُّم بنون العظمة:{ **وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ** }، وغرضه: إظهار كمال الاعتناء بوحي الله إلى رسوله محمد صلي الله عليه وسلم، وهو السرّ في تقديمه على إبراهيم وموسي عليهما السلام مع تقدّمِهما عليه زمانا ، ثم التنبيه على أنّه تعالي شرع لنا الدين على لسانه صلي الله عليه وسلم ، أمّا تقديم توصية نوح عليه السلام ، فللمسارعة إلى بيان أنّ الشريعة قديمة و عريقة من لدن نوح عليه السلام، أوّل المرسلين من أولى العزم([4]).

<u>14- إبراز العناية بالإرادة والمشيئة في الأمر كلّه:</u>

قوله تعالي:{**أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ، وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ**}[5]، الالتفات من الغيبة: {أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ} ، إلى التكلّم بضمير العظمة:{وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ} ، وغرضه: إبراز العناية بالإرادة والمشيئة الإلهية فيما كان وفيما يكون([6]).

---

[1] - الأنعام : 154
[2] - أبو السعود 462/2
[3] - الأحزاب : 13
[4] - انظر أبو السعود 6/11-12
[5] - محمد : 29-30
[6] - أبو السعود 93/6

الفصل الثالث

أساليب الإنشاء في تفسير أبي السعود

توطئة حول أساليب الإنشاء:

سبق القول بأن الإنشاء هو صنو الخبر، وعرفه علماء ا بأنه : الكلام الذي لا يحتمل الصدق والكذب لذاته ، ولا يصح تسمية قائله بأنه صادق فيه أو كاذب، وينقسم الإنشاء إلى قسمين([1]) :

(1)- إنشاء طلبي : وهو ما يستدعى مطلوبا غير حاصل وقت الطلب ، لامتناع تحصيل الحاصل ، وله تسعة مطالب هي: الأمر ، والنهي ، والاستفهام ، والدعاء ، والعرض ، والتحضيض ، والتمني ، والترجي ، والنداء .

(2)- إنشاء غير طلبي : وهو ما لا يستدعى مطلوبا غير حاصل وقت الطلب ، ومن مباحثه : أفعال المقاربة ، أفعال التعجب ، أفعال المدح والذم ، وصيغ العقود ، والقسم ، ورب ، وكم الخبرية ، وعلماء البلاغة لا يعنون كثيرا بهذا القسم ، لقلة الجوانب المتعلقة بعلم البلاغة فيه ، وهي من صميم علم النحو ، وأكثر مباحثه أخبار نقلت إلى معنى الإنشاء .

أولاً: الأمر : وهو مفرد ، وجمعه أمور، وأوامر، والمقصود به هنا الثاني.

و الأمر اصطلاحا : هو طلب الفعل على وجه الاستعلاء حقيقة أو ادعاء ، أي بأن يكون الآمر أعلى رتبة حقيقة أو ادعاء من المأمور، وله أربع صيغ هي [2]:

أ -فعل الأمر بجميع تصريفاته .

ب-المضارع المقرون بلام الأمر، ويسميه بعضهم بلام الطلب.

---

[1] بغية الإيضاح 269/2.، وانظر علم المعانى ، مرجع سابق، ص282-283

[2]- الأساليب الإنشائية في النحو العربي ، عبد السلام محمد هارون، ص13، ط5، 1421هـ/ 2001، مكتبة الخانجي، القاهرة.-

ج- اسم فعل الأمر.

د- المصدر النائب عن فعل الأمر.

دلالة الأمر: الأمر الحقيقي: هو ما تحقق فيه شرطان :

(1) - أن يكون الآمر أعلى درجة من المأمور حقيقة أو ادعاء كما سبق.

(ب) - أن يدل الأمر على وجوب الفعل وحظر الترك.

غير أن الأمر يخرج عن مدلوله الحقيقى إلى معان مجازية كثيرة، يعاد إليها في مظانها من كتب البلاغة.

ثانيا :النهي : وهو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام ، وله صيغة واحدة ، وهي المضارع المقرون بلا الناهية .

دلالة النهي:

يكون النهي حقيقيا إذا كان الناهي أعلى رتبة من المنهي عنه ، وكان مقتضاه وجوب الكفّ عن الفعل وحظر ارتكابه ، ويخرج النهي إلى معان مجازية عديدة مدوّنة في مظانها من مصادر البلاغة[1].

ثالثا: الاستفهام

الاستفهام : هو طلب الفهم لأن الهمزة والسين والتاء إذا زيدت في الفعل الثلاثي أفاد معنى الطلب.

---

[1] - بغية الإيضاح 2/ 272 ، وانظر الأساليب الإنشائية ، مرجع سابق ، ص 15

واصطلاحا: هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل بأدوات خاصة ،تدخل على الجملة الخبرية فيسأل بها عن أحد أجزائها ، وهي المسند والمسند إليه أو أحد المتعلقات ، كما يسأل بها عن النسبة ، وهي : الحكم أو المعنى المستفاد من الجملة ، أي المعنى المستفاد من نسبة المسند إلى المسند إليه ، وعلى هذا الأساس تنقسم أدوات الاستفهام إلى ثلاثة أقسام[1] :

1 - الهمزة : ويطلب بها التصور تارة ، وهو السؤال عن أحد المفردات ، والتصديق تارة أخرى ، وهو السؤال عن النسبة.

2 - هل : و يطلب بها التصديق.

3 - بقية أدوات الاستفهام ، يطلب بها التصور : وهي: ومن، وما، وكيف، وكم، وأين، وأيان، ومتى.

4 - إذا كانت الهمزة لطلب التصديق كان جواب الاستفهام بنعم، أو بلا، ولا

5 - ولا يذكر معها معادل ، ويليها الفعل غالبا نحو: أعاد زيد من سفره ؟

فالجواب يكون : بنعم ، إذا عاد ، أو بلا إذا لم يعد .

الأرجح في استعمال "هل" أن يليها الفعل لفظا أو تقديرا، ولا يأتي اسم بعدها إلا لأسرار بلاغية نفيسة ، كجعل ما سيقع بمثابة الواقع القائم كقوله تعالى:{ **وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ**}[2]

---

[1] - انظر المرجع السابق.

[2] - الأنبياء : 80

المعاني المجازية للاستفهام [1]:

يخرج أسلوب الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى معان مجازية عديدة ، تستنبط من سياق الكلام، وتفهم من فحوى المقام.

رابعا: النداء : وهو طلب الإقبال بحرف يقوم مقام "أدعو"، والأصل أن يكون نداء القريب بالهمزة ، و بأي، و نداء البعيد ببقية الأدوات وهي : يا، وآ، وآي، وآيا، وهيا، و"وا" .

(والياء) هي أكثرها دورانا في القرآن الكريم وفي كلام الناس ، وكثيرا ما يحذف حرف النداء إيجازا للكلام ما دام فيه ما يدل عليه.

قد يعكس الأمر تحقيقا لأسرار بلاغية عالية وحكم معنوية بديعة، فينادى القريب بنداء البعيد ، و البعيد بنداء القريب ، في مقامات وسياقات مختلفة منها ، بغية تحقيق معانٍ وأغراض شتّى[2].

[1] - انظر علم المعانى لبسونى ، مرجع سابق ، ص305-307، والأساليب الإنشائية ، مرجع سابق ، ص 17

[2] - علم المعانى عبد الفتاح بسيونى ، ص319،

المبحث الأول: الأمرُ ومعانيه في تفسير أبي السعود

النظم القرآنيّ	البيان والتحليل
{وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} البقرة:23	صيغة الأمر: { فأتوا بسورة من مثله} ، يفيد معنى التعجيز وإلقام الحجر، فكأنّه قيل : إنْ كان الأمر كما زعمتم أنّ القرآن من كلام البشر، فأتوا بمثله ، لأنّكم تقدرون على ما يقدر عليه سائر البشر، لكنّهم لم ينبتوا بنت شفة. انظر 87/1
{قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ} البقرة:258	صيغة الأمر:{ فأت بها من المغرب}، معناه التعجيز التام، إذْ لم يشأ إبراهيم أن يجادله فيما قال لأنّه من تحصيل الحاصل ، بل أراد تعجيزه وإلقامه الحجر، بما لا يجد فيه مجالا للتمويه والتلبيس، فبهت الذي كفر. 300،87/1
{وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ}} البقرة : 25	صيغة الأمر:{ وبشّر الذين آمنوا} يدلُّ على عظمة المُبَشَّر به وفخامته ، إلى حدّ يستوجب التبشير به لكلّ مَنْ بلغ ، وأن يُبَشِّرَ به كلُّ مَنْ عَلِمَ ، وتعليق التبشير بالموصول للإشعار بأنّه معلَّلٌ بما في حيّز الصّلة . انظر 1/ 93

{وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ} البقرة:80	صيغة الأمر:{قل اتّخذتم عند الله عهدا} يدلّ على معنى التبكيت في زعمهم المستحيل، والتوبيخ على افتراء الكذب، على معنى أنّ ما يزعمونه بقولهم:{لنْ تمسّنا النار إلا أيّاما معدودة} لا يكون إلا بناءً على عهد من الله . انظر 156/1
{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} البقرة:91	صيغة الأمر:{قل فلم تقتلون}، يفيد الأمر معنى التبكيت والإفحام من قِبَلِه تعالي، ببيانه التناقض الشّديد بين أقوالهم وأفعالهم ، بعد بيانه التضارب الواقع بين أقوالهم بعضها ببعض، أي : إن كنتم مؤمنين بالتوراة – حسب زعمكم– فلأيّ شيء كنتم تقتلون أنبياء الله من قبل وهو فيها حرام مطلق. انظر 165/1
{وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} البقرة:93	صيغة الأمر{قل بئسما يأمركم به إيمانكم}، يدلّ على معنى التوبيخ والتقريع لحاضري اليهود إثر ما تبيّن من أحوال رؤسائهم الذين يقتدون في كلّ ما يأتون وما يذرون انظر 166/1
{قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} البقرة:94	صيغة الأمر:{ قل} تكراره مع قرب العهد بذكره ، يدلّ على معنى التبكيت والتقريع بإظهار كذبهم على الملأ ، كشفا لعوارهم. انظر 167/1

الآية	الدلالة
{وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كنتم صادقين} البقرة: **111**	صيغة الأمر :{قل هاتوا برهانكم} ، يدلّ على معنى التبكيت والتقريع ، بطلب برهانهم وميثاقهم مع الله على دعواهم الاختصاص بدخول الجنّة على مَنْ كان يهوديا أونصرانيّا انظر 184/1
{الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} آل عمران: **168**	صيغة الأمر في قوله:{ قل فادرؤوا} ، يدلّ على معنى التبكيت وإظهار معدن الكذب فيهم وفيما قالوا، والمعنى: إنْ كنتم رجالا قادرين على دفع أسباب الموت وتفادى مظانه ، فادفعوا عنكم جميع أسبابه حتى لا يدرككم أبدا ، كما دفعتموه عنكم –في زعمكم –في هذا السّبب الخاص ، بالقعود خلاف رسول الله ، وعدم الخروج للجهاد والقتال في سبيل الله. انظر 63/2
{قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ} آل عمران.183	صيغة الأمر في قوله:{ قل قد جاء كم رسل من قبلي} يدلّ على معنى التبكيت في الحجاج ، والدفع لإظهار القوم وهم يفترون الكذب فيما يقولون وفيما يفعلون. انظر 74/2
{لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ	الأمر في قوله: {قل فمن يملك}، يدلّ على معنى التبكيت وإظهار فساد قولهم، وإلقام الحجر في أفواههم، فلا يبدؤون ولا يعيدون قولا بعده. انظر 252/2

الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ} **المائدة: 17**	
{بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} النساء:138	صيغة الأمر فى قوله:{ بشّر المنافقين} ، هو مِنْ وَضْعِ التبشير موضع الإنذار، تهكّمًا بهم وسخريةً منهم ، جزاءً وفاقا لما كانوا يفعلونه بالمؤمنين في الحياة الدنيا. انظر 2/ 209
{قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ}الأنعام:12	صيغة الأمر في قوله: {قل لمن ما في السموات} غرضه الإلجاء والتبكيت ، والإفحام في المحاججة ، بإقامة البراهين القاطعة الجازمة في موضع التّزاع. انظر 360/2
{قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} المائدة:76	صيغة الأمر{قل أتعبدون} ، يدلّ على معنى الإلزام والتبكيت ، إثر تعجيبه من أحوالهم ، وقوله{ وهو السميع العليم} حال من فاعل (أتعبدون) مؤكّد لمعنى الإنكار والتوبيخ في الاستفهام، ومقرّرٌ للإلزام والتبكيت المفاد من الأمر. انظر 2/ 307
{وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي	صيغة الأمر: { قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسي}، يدلّ على معنى التبكيت وإلزام الحجَة القاطعة

جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ} الأنعام:91	وإلقام الحجر، فلا يبدئ الخصم بعده ولا يعيد. انظر 414/2
{قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ} الأنعام:135	صيغة الأمر{اعملوا على مكانتكم}، يدلّ على معنى التهديد والوعيد، وإيراده في صيغة الأمر مبالغة فيه، فكأنّ المخاطب راغب ومتطلّعٌ إليه، فيحمله الأمر إلى تحقيق رغبته وإنجاز أمنيّته. انظر 447/2
{قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}الأنعام:143	قوله:{قل آلذكرين حرّم–نبئونى بعلم} صيغة الأمر المكرر للإلزام وتثنية التبكيت والإفحام ، والمعنى : أخبرونى بأمر أو خبر معلوم صادر من الله تعالي، أو مدوّنٍ في كتاب من كتبه المنزلة ، أو جاء على ألسنة المرسلين ، يدلّ على أنّه حرّم شيئا مما تقولون. انظر 2/ 453.

{فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَ قَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ}الأعراف:77	صيغة الأمر{يا صالح ائتنا بما تعدنا} يدلّ على معنى التعجيز والإفحام حسب قصدهم، اعتقادا منهم بأنّ صالحا ليس جديرا بالتصديق والإيمان، وليس بقادر على الوفاء بما يعدهم به من عذاب الله ، لأنّه عندهم ليس من المرسلين ، وفي أحسن أحواله مشكوك في رسالته ، بدليل الشرط بإنْ:{إن كنت من المرسلين} انظر2 /512
{إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}. الأعراف: 194	صيغة الأمر{ فادعوهم فليستجيبوا لكم}، يدلّ على معنى التبكيت والتعجيز ، وجه التبكيت هو : في الأمر بدعائهم، وليس من طبيعتهم أن يسمعوا دعاءً ، ووجه التعجيز هو: في طلب الاستجابة منهم ، وليس من طبعهم الاستجابة. انظر 68/3
{وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ } التوبة:3	صيغة الأمر{ وبشّر الذين كفروا بعذاب أليم }، للدلالة على معنى التهكّم والسخرية منهم ، باستخدام التبشير في موضع الإنذار والترهيب من عذاب الله الواقع عليهم. انظر 122/3
{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}	صيغة الأمر{قل فأتوا بسورة مثله} ،يدلّ على معنى التبكيت والإفحام ، وإبراز فساد منطقهم وبوار مقولتهم ، في أنّ القرآن حديثٌ مفترى من تلقاء الرسول وأنّه من

يونس:38	عند نفسه ، والمعنى : إنْ كان الأمر كما تقولون ، فافعلوا كما فعل واتوا بسورة واحدة مثل قرآنه ، ولكن هيهات هيهات. انظر 240/3
{قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} يونس:18	صيغة الأمر{ قل أتنبئون الله بما لا يعلم} ، يدلّ على معنى التبكيت والتهكّم و تقريعهم ، بزعمهم بأنّ الأصنام هي شفعاؤهم عند الله ، وهو أمر لا يعلمه الله واقعا لا في السموات ولا في الأرض، وما لا يعلمه الله فيهما فهو كذبٌ صُراحٌ وباطل بواحٌ. انظر 225/3
{وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ } هو:93	صيغة الأمر :{ ويا قوم اعملوا على مكانتكم} ، يدل على معنى التهديد والوعيد، فالمعنى : اعملوا غاية جهدكم واستطاعتكم ، وذلك ردّا على رميهم له بالضعف وأنّه فيهم غير مكين ، وادعائهم القوة على الفعل والسيطرة ، وأّنهم مقبلون على رجمه بالحجارة ازدراءً له وتقليلا من شأنه ، دون خوف أو خشية من أحد. انظر3/ 346
{وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ} إبراهيم:30	صيغة الأمر{ قل تمتعوا} يراد به التهديد والوعيد ، لألئك الذين اتخذوا لله أندادا ، والمعنى : تمتعوا وتنعّموا بمتاع الحياة الدنيا ومغرياتها، فأنتم أحقاء بأن يُضرَب عنكم صفحا ، ويُعْطفَ عنكم عنان الموعظة، فإن مثواكم نار

	جهنّم و لبئس المصير. انظر486/3
{ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ، لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ} النحل: 54-55	صيغة الأمر: {فتمتعوا فسوف تعلمون} ، يدلّ على معنى التهديد والوعيد على شركهم بالله في السّراء ، ولجوئهم إليه في الضرّاء ، ذلك أنّ تمتّعَهم في ظروف السّراء والنّعماء لن تدوم لهم ، وإنّ عاقبتَها وخيمة. انظر 4/ 70
{أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} النمل:64	الأمر في قوله {قل هاتوا برهانكم}، يدلّ على معنى التبكيت والإفحام ، وقطع دابر الحِجَاجِ الذي لا حجة ولا برهان يسنده، والمعنى: هاتوا برهانا علقليا أو نقليا يدل على أنّ مع الله إلها آخر، لا على أنّ غير الله يقدر على شيء ممّا ذكر من أفعاله ، فإنهم لا يدعون صريحا أنّ ذلك من لوازم الألوهيّة. انظر 1/ 13
{وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ} الكهف:29	صيغة الأمر في الآية ، يدلّ على معنى التهديد والوعيد، وإظهار الاستغناء عنهم وعن إيمانهم وجودا وعدما، وقوله{إنا أعتدنا للظالمين} ، تأكيد للوعيد وتشديد للتهديد ، وزجرٌ أكيدٌ عن سبيل الكفر والكافرين. انظر 187/4

{إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ} الأنبياء:92	الأمر في قوله:{ فاعبدون} مُوجَّهٌ للمرسلين الذين يتحدّث السياق عنهم، وغرضه: تهييج الرسل وتحميسهم على الثبات على الحقّ المبين حتى يأتيَ أمرَ الله . انظر 419/4
{لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ} الحج:28	صيغة الأمر{فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير}، يدلّ على معنى الإباحة ، ورفع الحظر الذي كان عليه في الجاهليّة ، كما يحتمل معنى الندب ومواساة الفقراء ومساواتهم بذوى اليسر والغنى أيام العيد. انظر 4/ 379
{يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} المؤمنون:51	صيغة الأمر:{كلوا من الطيبات}، يدلّ على الإباحة والترفيه ، والتمتّع بنِعَمِ الله التى أسداها لعباده، وطيبات من الرزق، والمعنى: لا جناح عليكم في أكل ما يُستطابُ ويستلذُّ من مباحات المأكل والمشرب، حلالا طيبا. انظر 418/4
{فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ}	صيغة الأمر{ فذرهم في غمرتهم حتى حين} أمر للرسول صلي الله عليه وسلم، بالصبر والتّصبّر على القوم الكافرين وعدم استعجال عذابهم ، فيكون معنى الأمر هنا: هو النهيّ عن استعجال عذابهم والجزع أو

المؤمنون:53-54	التّضجّر من تأخيره :{إنّما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار}. انظر 420/4
{قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ} المؤمنون:86-87	الأمر في قوله: { قل أفلا تتّقون} للدلالة على معنى الإفحام والتوبيخ على عدم إيمانهم ، وابتعادهم عن أسباب تقوى الله وخشيته والخشوع له بالطاعة . انظر 429/4

{لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ} الفرقان:14-15	صيغة الأمر :{ قل أذلك خير} يراد منه معنى التقريع والتّهكّم بأهل الشرك والكفر والزيغ والفساد ، إظهارا لحسرتهم وندامتهم على ما فاتهم من الإيمان والعمل الصالح في حياتهم الدنيا. انظر499/4
{وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ} القصص:64	صيغة الأمر :{ ادعوا شركاءكم} يدلّ على معنى التّهكّم والتبكيت، لأنّ شركائهم في الغالب أصنام وأوثان، وهي جمادات جامدة ، ليس من طبيعتها أن تسمع دعاء الداعين فضلا من أن تستجيب ، فهو غاية التهكّم والتبكيت لمن كان له قلب أو ألقي السمع وهو شهيد. انظر 180/5

{وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ } الروم:33-34	{ ليكفروا بما آتيناهم} ، المضارع المقرون بلام الأمر صيغة من صيغ الأمر ، يدل على معنى التهديد والوعيد الشديد على من يكفر بنعم الله وآلائه ، ومعنى الأمر هنا متّسق مع معناه في الجملة المعطوفة بعدها:{ فتمتّعوا فسوف تعلمون}. وقيل : اللام للعاقبة وليست للأمر . انظر 239/5
{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا} الأحزاب:1	صيغة الأمر:{ يا أيها النبي اتق الله}، يدلّ على طلب الازدياد من معنى الفعل ، ما دام المطلوب حاصلا قبل وقت الطلب، فالتقوى مستقرّ فيه من كلّ وجه على خير وجه ، فهو أتقي الناس لله وأخشاهم له ، فكان الأمر بالتقوى أمرا بالازدياد من معنى الفعل والمواظبة عليه. انظر 277/5
{احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ } الصافات:23	صيغة الأمر{فاهدوهم إلى صراط الجحيم}، الهداية الدلالة بلطف على ما يوصل إلى البغية والمرتَجَى ، ولذلك اْختُصَّتْ بالخير، فكان الأمر بالهداية في الآية واردا على سبيل التهكّم والسخرية ، باستخدام فعل الهداية إلى الخير لمعنى السوق والقذف في النّار. انظر 27/1

{قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ} الزمر:8	صيغة الأمر:{قل تمتّع بكفرك}، يدلّ على معنى التهديد والوعيد من مغبة التّمادي في ملّة الكفر والإعراض عن الإيمان بالله ، فإنّ مصيره أليم شديد، والمعنى: تمتّع أيها الكافر تمتعا قليلا مقدارا وزماناً، فإنّ عاقبتَك النارُ و بئس المصير. انظر 492/5
{وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ} غافر:26	صيغة الأمر:{ ذروني أقتل موسى} يدلّ على معنى التّمويه والإيهام ، قصد به فرعون إيهام قومه والتدليس عليهم أنّهم مَنْ منعوه من قتل موسى والتّخلّص منه ، و لولى منعهم له لقتله وأراح الناس منه ومن دعوته ، والحقّ أنّ الذي منعه من قتله هو إيمانه في قرارة نفسه أنّه رسول من الله حقاّ، وأنّ الله سيأخذه أخذ عزيز مقتدر إنْ هو أقدم على قتل رسوله. انظر 533/5
{أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُوْنَ بَصِيْر} فصلت:40	صيغة الأمر{ اعملوا ما شئتم} ، يدلّ على معنى التهديد والوعيد الشديد ، من عاقبة انتهاج الشرك والكفر دينا، واقترافِ الآثامِ الموبقاتِ سبيلا ، فإنّ الله بصير بأفعال العباد وهو مجازيهم عليها ، إنْ خيرا فخيرا، وإنْ شرّا فشرّا، وليس من يأتي ربّه يوم القيامة آمنا كمنُ يلقي في النّار. انظر 572/5

{ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ} **الدخان:48-49**	صيغة الأمر{ ذقْ إنَك أنت العزيز الكريم} ، جاءت الآية إثر تعداد صنوف العذاب الأليم التى أعدّها الله جزاءً لأهل الكفر والعصيان ، ومعنى الأمر هو السخرية والتقريع من هذا المصير المهين ، لمن كان في الدنيا يعدّ نفسه عزيزا كريما ، هو اليوم ذليلٌ مَهِيْنٌ. انظر 6/ 53
{قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا} الأحقاف:4	صيغة الأمر:{ أروني ماذا خلقوا} ، وفي قوله :{ ائتونى بكتاب من قبل هذا}، يدلّ كلّ منهما على معنى التعجيز والتبكيت ، بعجز المخاطبين عن تقديم برهان عقليّ أو دليل نقليّ يُشرّعُ لهم ما يعبدون من دون الله، وإنهاء الآية بالشّرط بإنْ يدلّ على استبعاد صدقهم مع أنفسهم فيما يعبدون من أصنام وأوثان. انظر 6/ 67
الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ} الحشر:16	صيغة الأمر:{ إذْ قال للإنسان اكفر} ، الأمرُ يدلُّ على معنى الإغراء وإرادة الإغواء، وجرِّ الآمرِ للمأمورِ إلى الكفر بالله وإبعاده عن حظيرة الإيمان. انظر 231/6
{فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (10)	صيغة الأمر:{فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله}، يفيد الأمر معنى الإباحة برفع الحظر الواقع فيه بقوله تعالي:{وذروا البيع}. انظر 249/6

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ} الطلاق:1	صيغة الأمر:{ فطلقوهنّ لعدتهنّ وأحصوا العدّة واتقوا الله} ، أمر حقيقي صادر من الأعلى إلى الأدنى ومقتضاه وجوب الفعل، ووصفه تعالي بصفة الربوبية:{ ربّكم} تأكيد للأمر بتقواه ، ومبالغة في إيجابه و التّقيّد بمقتضاه. انظر 560/6
{انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ} **المرسلات:30**	صيغة الأمر:{ انطلقوا} يدلّ على معنى التوبيخ والتقريع على كذبهم ليوم الدين وكفرهم المستمر بيوم الفصل والجزاء، وقد أعيد الفعل(انطلقوا) لتخصيص الوِجهة التى يتجهون إليها، وهي ظلٌّ غير ظليل من دخان نار جهنّم، وهي من الشّدة والغلظة على ما نصّت الآيات، ولا مزيد عليها. انظر 250/6

المبحث الثاني : الاستفهام ومعانيه في تفسير أبي السعود

حَظِي أسلوبُ الاستفهام في النظم القرآني بنصيب الأسد من بين الأساليب الإنشائية في تفسير أبي السعود ، فقد عُنِيَ بها شيخ الإسلام عناية فائقة ، مبيّنا المعاني المختلفة التى يدلّ عليها كل أسلوب في موقعه من النظم القرآني ، وهي معان سياقية تُستنبَطُ من فحوى الكلام ، ومِنْ حركة المقامِ ونَظْمِ المقال ، ويمكن تقسيم المعاني التي أشار إليها إلى قسمين :

الأول : معان كثيرة التكرر والورود في النظم القرآني، مثل : الإنكار التوبيخي (إنكار الواقع)، الإنكار التكذيبي (إنكار الوقوع)، التبكيت والتقريع ، التقرير ، النفي ، التّعجب والتّعجيب ، التهديد والوعيد.

الثانى : معان قليلة التكرر والورود ، مثل: التسوية، التحقير وتقليل الشّأن، التفخيم والتهويل، التشويق و التأنيب، الأمر والنهي.

كثيرا ما يعدّد شيخ الإسلام أبو السعود معنيين إلى ثلاثة معان لأسلوب واحد في مقام واحد ، على أنّها معانٍ مترادفة حينا، أو على أنّها معانٍ وأسرار متزاحمة حينا آخر، يدلّ عليها الأسلوب جميعا في سياقه ، بناء على القاعدة التى تقول: "إنّ المعاني البلاغية تتراكم ولا تتزاحم". وفي الجداول التالية يسعى الباحث إلى إظهار تلك المعانى وتوضيحها وتوجيهها لتكون قريبة المأخذ سهل التناول والتداول.

أولا: دلالة الاستفهام على معنى النفي:

النظم القرآني	التحليل والبيان
{صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ} البقرة:138	الاستفهام:**{وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً}**، صبغة الله ، قيل : معناه دين الإسلام، وقيل معناه : ملّة الله ، وقيل : تطهير الله وتزكيته للمؤمن ، والاستفهام إنكارى ومعناه النفي ، والمعنى : لا صبغةَ ولا ملّةَ ولا تطهيرَ أحسنَ ولا أسْمى وأجلَّ من دين الله وملّة الإسلام ، ولا شيْءَ يطهّر المرءَ من درن الكفر والفسوق ، ومن رجس الشرك والعصيان أكمل وأحسن من صبغة الله ودين الإسلام. انظر 207/1
{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}البقرة:140	الاستفهام يفيد معنى الإنكار والنفي، والآية في سياق الحديث عن أهل الكتاب ، إنكارٌ ونفيٌ أن يكون أحدٌ من الناس أكثرَ ظلماً ممّن كتم شهادة حقٍّ ثابتة عنده من كتاب الله في التوراة والإنجيل، وتقديم الصفة :(عنده) مع تأخره في الوجود على الأخرى (من الله) مع تقدمه في الوجود لأجل مراعاة التّرقّي من الأدنى إلى الأعلى، فكون الشهادة ثابتة وكونها صادرة من الله ، لمن أقوى الدواعي إلى إقامتها وأشدّ الزواجر على عن كتمانها. انظر 1/ 209
{هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ	{ **هَلْ يَنْظُرُونَ**} استفهام إنكارى بمعنى النفي ، أي لا ينتظر الكفرة المعاندون إلاّ أن تأتي كبار علامات الساعة الدالة على انقضاء الآجال وقيام القيامة ، وطيّ صفحة الحياة في السماء والأرض. انظر 1/ 256

الْأُمُور} البقرة:210	
{وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ} آل عمران:135	**{وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ }** استفهام إنكارى يفيد معنى النفي ، أي لا أحد يغفر ذنوب المذنبين ويعفو عن التائبين إلا الله وحده ولا أحد سواه ، والمراد بالذنوب جنسُها صغيرها وكبيرها. انظر 34/2
{مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا} النساء:147	**{مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ }** استفهام إنكاري يفيد معنى النفي، أي لا يفيدُ اللهَ شيئا أن يعذبّ عباده ، فهو لا يتشفّى بعذابهم ، ولا يطفئ به غيظا ، ولا يجلب به نفعا أو يدفع به ضراً، فلا شيءَ يحمله على تعذيب العباد ، ما داموا قد أدوا واجب الشكر لأنعم الله عليهم ، ودخلوا في حظيرة الإيمان واستسلموا لطاعته مخلصين له الدين. انظر 212/2
{قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} الأنعام:14	**{أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا}** استفهام إنكارى يفيد معنى النفي ، أي : لا أتخذ وليّا من دون الله، وتقديم المفعول على فعله، وتسليط النفي عليه للدلالة على أنّ المنكر هو اتخاذ غير الله ولياً ، وليس اتخاذ الوليّ في حدّ ذاته ، ونظيرها قوله:{ **أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا}** وقوله:{ **قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ}**. انظر 361/2
{فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ }يونس:17	الاستفهام بمَنْ يدلّ على معنى الإنكار والنفي و الجحد ، أن يكون أحد أشد ظلما ممّنْ افترى على الله كذابا، فهو أظلم من كلّ ظالم، ولكن النظم القرآنيّ لم يشرْ إلى وجود مساوٍ له في الظلم أو نفيه. انظر 224/3
{وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ	الهمزة تفيد معنى الاستفهام الإنكارى بمعنى النفي، والمعنى:

إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ،وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ} يونس 42-43	أيستمعون إليك فأنت تسمعهم ، لا إنكارا لاستماعهم فإنّه أمر محقق، بل إنكارا ونفيا لوقوع الاستماع عقيب ذلك وترتّبه عليه حسب العادة الكليّة ، فالمقصود هو نفيَ إمكانه أيضا ، كما يُنْبئُ عنه وضعُ الصّمّ موضع ضميره. انظر 243/3
{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْفِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ } يونس:99	همز الاستفهام تفيد معنى الإنكار والنفي، نفي قدرته الرسول – صلي الله عليه وسلم– خصوصا على إكراههم على الإيمان، وفي إيلاء الضمير أداة الاستفهام إيذان بأنّ إكراههم على الإيمان أمرٌ ممكنٌ، ولكن ليس في حق النبيّ بل في حق فاعل آخر هو الله عزّ في علاه. انظر 3/ 275
{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ } هود:18	الاستفهام بمَنْ يدلّ على معنى الإنكار والنفي و الجحد ، أن يكون أحد أشد ظلما ممّنْ افترى على الله كذابا، فهو أظلم من كلّ ظالم، ولكن النظم القرآنيّ لم يشرْ إلى وجود مساوٍ له في الظلم أو نفيه. انظر 298/3
{أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا } الإسراء:68	الاستفهام إنكاريٌّ بمعنى النفي، أنجوتم من الغرق بحرا، فأمنتم من الخسف برّا، والذي هو مأمنكم ومستقرّكم، أو يرسل عليكم فيه ريحا من الحجارة تقضي على كلّ منكم فردا فردا، وفي ذكر كلمة: (جانب)، دليل على تساوى مخاطر الهلاك وتوقّعه بين الجوانب والجهات دون فرق بين بحر وبرّ. انظر 145/4
{وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا	استفهام إنكارى بمعنى النفي، وهو إنكار الكافرين ونفيهم للبعث

مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا} **مريم"66**	بعد الموت، وفي تقديم ظرف الزمان وإيلاؤه أداة الاستفهام:(أإذا) للإيذان بأنّ اعتقادهم منصبّ على إنكار ونفي فترة ما بعد الموت أن يكون زمنا للحياة. انظر 251/4
{ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا} الفرقان:40	الاستفهام يدلّ على معنى الإنكار والنفي ، إنكار ونفي عدم رؤيتهم لها فقد رأوها ، ولا يزالون مع قيام الموجب وهو تكرار إتيانهم ومرورهم بتلك الديار، والمعنى: ألم يكونوا ينظرون إليها فلم يكونوا يرونها إبّانَ مرورهم ليتعظوا بما كانوا يشاهدونه من آثار العذاب والدمار، وعليه يكون الإنكار في الآية منصبّا على ترك النظر وانعدام الرؤية معا، كما يحتمل أن يكون الإنكار منصبّا على عدم الرؤية مع تحقق . النظر 29/5–30
}أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ،وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ} القصص:148	الاستفهام إنكارى بمعنى النفي، بأن يتركوا آمنين مطمئنين يرفلون في النعم ورغد العيش، على كفرهم بالله ورسله ، وجحودهم لأنعم الله وأفضاله عليهم، والمعنى: لن تتركوا كذلك. انظر 84/5
{أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيل} الشعراء:197	الاستفهام الإنكارى بمعنى النفي، والمعنى : ألم تكن آية لهم أن يكون علماء بني إسرائيل على علم وافر بأخبار النبيّ، وأنّ القرآن العظيم هو تنزيل من رب العالمين ، وأنّه في زبر الأولين ، والمعنى : لقد كان ذلك آية لهم لو كانوا يعقلون. انظر 92/5
{ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ مَا أَغْنَى	الاستفهام الإنكارى بمعنى النفي، {ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون} والمعنى: أيُ شيءٍ أو أيُ إغناء أغنى عنهم بذلك التمتّع المديد بعدما حلّ بهم العذاب ، أي : إنّ لك لم يُغن عنهم شيئا ،

عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ} الشعراء:205-207	لا قليلا ولا كثيرا، وكأنّ تمتّعهم بالحياة الدنيا لم تكن يوما ما. انظر 95/5
{أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} النمل:63	الاستفهام في قوله:(أإله مع الله) إنكاري بمعنى النفي، والمعنى : إنكار عليهم اتخاذهم إلها أو آلهة مع الله، نفي أن يكون مع الله آلهة أخرى: { تعالي الله عما يشركون} تقرير وتحقيق لمعنى النفي. انظر 5/ 135
{وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } القصص:50	استفهام إنكاري بمعنى النفي ، نفي أن يكون أحد من الناس أكثر ضلالا ممن اتبع هواه ، واتخذه إلهاً يأمره وينهاه ، معرضا عن الهدي ، وإنّ الهدى هدى الله. انظر 175/5
{أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} العنكبوت:51	{ **أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ**} استفهام إنكارى بمعنى النفي، إي: إنّ إنزال القرآن إليهم آيةٌ كافيةٌ ومعجزةٌ شافيةٌ لا مزيد عليها، فهي معجزة مُغنيةٌ عن كلّ معجزة. انظر 212/5
{أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ	استفهام إنكارى ، استفهام يدلّ على معنى التوبيخ والتقرير للمعنى المنفي بلم ، والمعنى: أقعدوا ولم يسيروا في الأرض ؟ إنّهم قد ساروا في أقطار كثيرة ، وشاهدوا كيف كان عاقبة الذين

} الروم:9	من قبلهم ، ولكنهم لم يتعظوا ولم يعتبروا. انظر 225/5
{ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ} السجدة:18	استفهام إنكارى بمعنى النفي ، وهو مصرّحٌ به في قوله: لا يستوون، تأكيدا بالعبارة لما دلّ عليه الاستفهام بالمعنى والفحوى ، تمهيدا لبناء ما بعده عليه، والمعنى : أبعد ظهور ما بين المؤمن والكافر من تباين واختلاف يتوهّم متوهّمُ أن يكون جزاءُ المؤمن القائم على أمر الله كجزاء الفاسق المنشق المنغمس في فسقه وفجوره:{ لا يستوون}. انظر 272/5
{ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ} سبأ:17	استفهام إنكارى بمعنى النفي، والمعنى : لا نجازى هذا الجزاء الأليم إلا لمن بالغ في كفرانه ، كقوم سبأ في مسكنهم ، الذين بطروا في معيشتهم وكفروا النعمة وسئموا العافية ، فطلبوا الكدّ والمشقّة كما طلب بنوا إسرائيل الثوم والبصل بدلا من المنّ والسلوى فاستجاب الله لكلّ قوم بما طلب، وكان ما كان. انظر 332/5
{وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} سبأ:33	{هل يجزون إلا ما كانوا يعملون} استفهام إنكارى بمعنى النفي ، ومعناه : لا يجزون إلا جزاء ما كانوا يكسبون من سيئات الأعمال ، وقبائح الأفعال . انظر 342/5
{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ	{ هل من خالق غير الله} ، استفهام إنكارى بمعنى النفي ، والمعنى : لا خالق غير الله موجود يسبغ عليكم نعمه ظاهرة و باطنة ، ويفجّر لكم ينابيع الخير من السماء والأرض.

مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} **فاطر:3**	انظر 353/5
{وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ} فاطر:37	قوله:{ أولم نعمّركم} ، استفهام إنكارى بمعنى النفي ، والمعنى : ألم نهملكم ونؤخّركم عمرا مديدا يتذكّر فيه من شاء أن يتذكّر، لقد فعلنا ذلك ولكنّكم تغافلتم وغرّتكم الحياة الدنيا عن الآخرة. انظر 370/5
{أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً} **فاطر:44**	الاستفهام إنكارى بمعنى النفي ، والمعنى : أقعدوا في مساكنهم ولم يسيروا في الأرض فينظروا مصير الذين كفروا من قبلهم ، من الأمم الأكثر قوّة وتأثيرا منهم على وجه الأرض، أهلكهم بذنوبهم ولم يُبقِ لهم أثرا ولا عينا، أي : لقد سِرْتُمْ في الأرض فرأيتم ذلك بأمّ أعينكم. انظر 373/5
{أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ} يس:23	{ أأتّخذ من دونه آلهة} استفهام إنكارى بمعنى النفي، أي: لا أتّخذُ آلهةً من دون الرحمن، فهو مالك النفع والضّرّ، ونفي أن يكون هو بمثابة من يفعل ذلك. انظر 282/5
{أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ} **يس:81**	استفهام بمعنى النفي مستفادا من اقتران ليس بهمزة الاستفهام ، والمعنى : إنّ الذي خلق السموات والأرض لقادرٌ على أن يخلق أناسا آخرين مثل هؤلاء ، بل وخيرا من هؤلاء إذا شاء ذلك واقتضت به قدرته، وإنّ بديهة العقل تقضي بأنّ من قدر على خلقهما فهو على خلق الناس أقدر . انظر 382/5

{أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ} ص:28	استفهام إنكاري بمعنى النفي، وهو إنكار التسوية بين طرفين غير متفقين أصلا، ونفيها بأبلغ وجه و آكده ، والمعنى: لن نجعل المؤمنين الذين كسبوا الأعمال الصالحات ، كالمفسدين الذين اقترفوا السيئات والمنكرات ، ولنْ نسوّيَ في الجزاء بين تقيّ نقيّ وبين فاجر شقيّ. انظر 463/5
{قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ} الزمر:9	استفهام إنكارى بمعنى النفي، إنكار ونفي التسوية بين أهل العلم والذّكر وبين أهل الجهل و الكفر، وفي الآية تنبيهٌ على أنّ الأوّلين في أعلى مراتب الخير والآخرين في أسفل درجات الشرّ ، وهو واردٌ على سبيل التشبيه ، فكما لا يستوي العالمون والجاهلون كذلك لا يستوي أهل الطاعة وأهل المعصية انظر 493/5
{أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ} الزمر:19	استفهام إنكارى بمعنى النفي، والمعنى : أأنت مالكُ أمرِهم فمن وجبت عليه كلمة العذاب تسعى إلى الذود عنه و إنقاذه، وكُرِرَتْ همزة الاستفهام لتأكيد الإنكار وتذكيره، والمحكوم عليه بالنار كالواقع فيها . انظر 498/5
{وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ} الأحقاف:5	الاستفهام إنكارى يفيد معنى النفي، إنكار على أولئك الذين يدعون غير الله ممّن لا يستجيب لهم إلى يوم القيامة، ونفيٌ أنْ يكون هناك من هو أكثر ضلالا منه، حيث أعرضوا عن الله الخالق الرازق المجيب ، إلى عبادة ما لا يسمع ولا يبصر ولا يستجيب. انظر 67/6
{أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى	الاستفهام إنكارى ، يفيد معنى النفي ، إنكار على الكفرة الذي ن

فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى} النجم:24-25	يتمنّون ما لا ينالون ، فليس للإنسان كلّ ما يشتهي و يتمناه ، ولا يكون له إلا ما قُضِيَ له وقُدِّرَ، وكان من بين ما طمحوا إليه في هذا السياق ، أن تكون آلهتهم شفعائهم عند الله ، ممّا سبيل له في الأرض ولا في السماء . انظر157/6
{هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ} الرحمن:60	الاستفهام يفيد معنى النفي، مؤكدا بالنفي والاستثناء ، والمعنى: ليس جزاء الإحسان إلا الإحسان ، فالجزاء من جنس العمل انظر182/6
{ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} الملك:14	استفهام إنكارى بمعنى النفي ، والمعنى : ألا يعلم الله كنه مخلوقاته ، خباياها وخفاياها ، وهو اللطيف الخبير، والمعنى : إنّه عليم بمن خلق ، خبير بكلّ صغيرة وكبيرة في مخلوقاته لا تخفي عليه خافية. انظر 278/6
{يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ، أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً} النازعات:10-11	استفهام إنكارى بمعنى النفي ، إنكار للبعث بعد الموت ونفيه البتة ، بنسبته إلى حالة منافية له ، وهو تحوّل أجساد الموتى إلى عظام بالية وهي رميم ، وهي – في ظنهم – حالة مناقضة للبعث بعد الموت. انظر 367/6
{أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى} عبس:5-7	الاستفهام إنكار بمعنى النفي، إنكار لإعراضه عليه السلام عن ابن أمّ مكتوم، احتفاءً منه بصناديد قريش طمع في إسلامهم ، وكان قد تزامن وجودُهم مع قدومه رضي الله عنه ، ونفيٌ عن النبيّ عليه السلام المسئوليةَ والتّبعةَ في إسلامه من عدمه. انظر377/6
{وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ	استفهام إنكارى بمعنى النفي(ألم)، المدلول عليه بالهمزة ، متلوّةً

فَتَرْضَى، أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى} الضحي:5-6	(بلم) وتقرير المنفي وتأكيده على أبلغ وجه ، فكأنّه قيل: قد وجدك يتيما فآوى . انظر 445/6
{أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ } الشرح:1-2	الاستفهام الإنكارى بمعنى النفي (ألم) ، المدلول عليه بالهمزة متلوّةً (بلم) تقريرا للمعنى المنفيّ وتأكيد ثبوته ووقوعه، مؤذنا بأنّ ثبوته من الوضوح والظهور بحيث لا يقدر أحد إلا أن يلهج بكلمة (بلي). انظر 443/6

ثانيا :دلالة الاستفهام على معنى التبكيت والتقريع والتوبيخ والتشنيع

النظم القرآنيّ	البيان والتحليل
{وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ} البقرة:80	الاستفهام يفيد معنى التقرير والتبكيت لتحقق العلم بأنّهم ليسوا على من الله، بل يفترون عليه الكذب الصراح ، هذا على اعتبار (أم) متصلة ، ويصحّ أن تكون منقطعة مفيدة لمعنى التوبيخ الإنكارى ، إنكار اتخاذهم عهدا مع الله البتة ونفيه. انظر 156/1
{أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ ببَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ..} البقرة:85	الاستفهام يفيد معنى الإنكار التوبيخي لأهل التوراة، الذين نقضوا ميثاق الله عليهم عروة عروة، حيث يؤمنون إيمانا انتقائيا، يؤمنون بما جاء في التوراة من فداء الأسرى، ويكفرون بما جاء فيها من حرمة القتل وإجلاء الناس من ديارهم بغير حق، وغيره من منكراتهم وقبائح أفعالهم . انظر 160/1
{أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ} البقرة:40	الاستفهام في قوله { أأنتم أعلم أم الله} جاءت عق قوله:{ قل أتحاجوننا في الله} ، إعادة الأمر (قُلْ) لتأكيد الإنكار والتوبيخ، ثمّ الإيذان بأنّ ما بعده ليس متصلا بما قبله، بل بينهما فاصل كلام. انظر 208/1
{قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ	الاستفهام {أرأيتم – أرأيتكم} ، مكررا في الآيتين أمرٌ لرسول الله صلي الله عليه وسلّم ، بأنْ يبكّتهم وُيلقّمهم الحجر بما لا

عَلَى قُلُوبِكُمْ ... قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً} الأنعام:46-47	سبيل لهم إلى النكير والكاف حرف جيء به لتأكيد الخطاب فمعنى الإنشاء أمر بتبكيتهم إثر تبكيت إلزاما للحجة وإفحاما لأفواههم. 2/ 381
{إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا } الأعراف: 194-195	الاستفهام في قوله :{ ألهم أرجل يمشون بها} يفيد معنى التبكيت والتقريع، مُؤكّدا بما يفيده الأمر التعجيزيّ المصاحب له ، تكرار للتبكيت وتثنية للتقريع ، وإشعارا بأنّ انتفاء كل واحدة منها منفردا كافٍ في الدلالة على استحالة الاستجابة، كدليل قاطع على بطلان عبادتهم. انظر3/68
{قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} يونس:18	الاستفهام يدلّ على معنى التبكيت والتقريع والتّهكّم بهؤلاء الذين يزعمون أنّ أصنامهم هي شفعاؤهم عند الله ، وهو من المحال الخارج عن دائرة الصّحة والإمكان ، وقوله:{ بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض} ، لتأكيد المعانى السابقة ، وأنّ ما لا يوجد فى إحداهما أو في كلتيهما هو في العادة منتفٍ لا وجود له. انظر3/225
{قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ	الاستفهام في قوله : {فأنى تؤفكون} يدلّ على معنى التبكيت والتوبيخ والإلزام ، إلزاما بعد إلزامٍ وتبكيتا إثر تبكيتٍ ، وإفحاما عقب إفحام ، بعد الاستفهام "بهل" الذي يتمحور حول المعانى

الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ} يونس:34	ذاتها، قطعا لدابر الحجاج والأعذار الفارغة والشُّبه الواهية. انظر3/ 237
{قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ} يونس:59	الاستفهام يدلّ على معنى التقرير والتبكيت لتحقق العلم بالشق الأخير علما قاطعا، وهو أنّهم يفترون على الله الكذب، وأنّه لم يأذن لهم فيما قالوا، وإحلال الظاهر لفظ الجلالة، محل الضمير، وتقديمه على الفعل للدلالة على كمال قبح الافتراء على الله والتّقوّل عليه ، تأكيدا للتبكيت إثر تبكيت عليهم. انظر 252/3
{وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ} إبراهيم: 20-21	الاستفهام يدلّ على معنى التوبيخ والتقريع والتبكيت ، حسرةً على المصير الأليم الواقع على الذين اَتبَعُوا والذين اتُبِعُوا سواء، دون أن يُغني أحدُ عن أحدٍ شيئا. انظر3/ 480
{أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ، وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} المؤمنون:72-73	الاستفهام جاء انتقالا من الإنكار التكذيبي في قوله:{أم يقولون به جنة} إلى إنكار بوجه آخر وهو الإنكار التوبيخي ، توبيخهم على عدم إيمانهم بالرسل ، الذي لا يكلّفهم نفقةً ولا خراجًا ولكنّه هدايةٌ محققةٌ دون أجر أو مقابل:{ فخراج ربك خير}، ومع ذلك لا يغتنمون الفرصة فيؤمنون انظر427/4

الآية	التعليق
{قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ } القصص: 71	الاستفهام في قوله:{ أإله غير الله يأتيكم بضياء} يل على معنى التبكيت والإلزام، كما في قوله {من يرزقكم من السماء والأرض} وقوله:{فمن يأتيكم بماء معين} وقد قصد به انتفاء الموصوف بانتفاء الصفة، وقد أوثر:(من إله؟) على هل إله ؟ مجاراة لهم، إيرادا للتبكيت والإلزام على حدّ زعمهم. انظر 182/5
{وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ، أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ} يس: 59-60	الاستفهام في قوله :{ ألم أعهد إليكم يا بنى آدام} يفيد معنى التقريع والإلزام والتبكيت ، بين الأمر بدخول الأمر بدخول نار جنهم:{هذه جهنّم التى كنتم توعدون} انظر398/5
{قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ، وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} الصافات:95-96	استفهام إنكارى توبيخى لاتخاذهم أوثانا نحتوها بأيديهم آلهةً لهم ، والحال أنّ الله هو خالقهم وخالق ما يعبدونه من أصنام وأوثان، فأين منطق العقول ؟ وأين حكمة الرجال؟ انظر430/5
{ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ،اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ} الصافات:125-126	استفهام إنكارى توبيخي لهؤلاء الذين اتخذوا بعلا – وهو اسم صنم كان لأهل مدينة(بكّ) من بلاد الشام ، ونسب الصنم إليها فسُمّيتْ (بعلبك)- إلها معبودا، وهو من نحت أيديهم، ويعرضون عن عبادة الله أحسن الخالقين الذي خلقهم وخلق آبائهم السابقين، إنّ أمر خارجٌ عن حدود العقل والتّدبر في

	الأمور. انظر 436/5
{فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ، فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ، أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ} الصافات:149-250	الاستفهام:{ ألربك البنات ولهم البنون} يفيد معنى الإنكار والتبكيت ، بأسلوب الاستفهام عن أمر منكر خارج عن حدود العقل ومنطق الأشياء ، وهي القسمة الجائرة التى يسندون فيها ما يكرهون من البنات إلى الله ، ويسندون ما يحبّون من البنين إلى أنفسهم، إنكارا عليهم وتبكيتا لهم على فساد منطقهم، وانحراف سلوكهم في التّعاطى مع الأمور. انظر 440/5
{أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ} الزمر:9	الاستفهام يدلّ على معنى التبكيت والنفي ، التبكيت بواقع الجواب الملجئ إلى الاعتراف بما بينهما من التباين البيّن والنّفي الجليّ من عدم استوائهما، فكأنّه قيل : بل أَمَّنْ هو قانت لله بالعبادة والطاعة أفضلُ أَمَّنْ هو كافرٌ مارقُ عن حظيرة الإيمان وعن طاعة ربّه ؟ انظر 493/5
{أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ} الشورى:21	الاستفهام يدلّ على معنى التّقرير والتّقريع ، إذْ المعنى : بل ألهم شركاء من الشياطين، يسوّلون لهم من الدّين ما لم يأذنْ به الله ، كالشرك وإنكار البعث والنشور. انظر 15/6

{وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ} الجاثية:30-31	الاستفهام يدلّ على معنى التوبيخ والتقريع:{ أفلم تكنْ آياتى تتلي عليكم}،أي : أفلم يكن رُسُلي يتلون عليكم آياتي فاستكبرتم عن الإيمان بها ، فها أنتم أولاء تلقون جزاء استكباركم وكفركم لآيات الله . انظر 63/6
{قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ، أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ} الزخرف:51-52	الاستفهام:{أم أنا خير من هذا الذي هو مهين}،" أم " منقطعة ، والاستفهام تقريري ، كأنّه قال إثرَ ما عدّد أسباب فضله ومبادئ خيريّته ، أثبت عندكم واستقرّ لديكم أنّه خير، وهذه حالي من هذا الذي هو مهين . وإمّا أن تكون "أم" متصلة ، فالمعنى: أفلا تبصرون، أم تبصرون، خلا أنّه وضع قوله: {أنا خير} موضع تبصرون، لأنّهم إذا قالوا له: أنت خير فهو عنده بصراء، من باب تنزيل السبب منزلة المُسَبَب. انظر 6/ 37
{قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ} فصلت:9	استفهام إنكارى يدل على معنى التوبيخ والتشنيع على الكفرة الذين اتخذوا مع الله آلهة أخرى، دون حجة أو سلطان، في وقت تتجه كلُّ الحقائق الموضوعية والدلائل العقلية إلى الإيمان بالله الواحد القهار الذي من أفعاله المجيدة أنّ خلق الأرض في يومين. انظر 557/5
{سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ	الاستفهام في قوله:{ أولم يكف بربك) إنكارى توبيخي، على القوم الذين يبحثون عن شهادة حقٍّ بعد شهادة الله ، الشهيد الحقّ على كلّ صغيرة وكبيرة، ولا شهادة أكبر ولا أعظم من

الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} فصلت:53	شهادة الله سبحانه وتعالي. انظر578/5
{وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ}الأحقاف:34	الاستفهام في قوله {أليس هذا بالحق ؟} يفيد معنى التهكّم والتوبيخ من القوم المكذبين بيوم الدين، وقد بدا التهكّم مضاعف الشّدة والوجع باسم الإشارة { أليس هذا؟} مقرونا بهمزة الاستفهام الذي لا جواب له سوى الإقرار بالحق المبين. انظر 80/6
{قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} الحجرات:16	الاستفهام في قوله:{أتعلّمون الله بدينكم} يفيد معنى الإنكار والتشنيع على المخاطبين ، الذين يدّعون الإيمان بالله ، وهو أعلم بإيمان من آمن وكفر من كفر به ، والجملة الحالية بعده مؤكدة لمعنى الإنكار والتشنيع عليهم . انظر120/6
{هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُون أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ} الطور:14-15	استفهام يدلّ على معنى الإنكار والتوبيخ والتقريع، بالإشارة إلى النار التى ظلوا ينكرونها بعناد وصمود، وقد قُدِّمَ الخبر وسُلِّطَ عليه همزة الاستفهام لأنّه محطّ الإنكار ومدار التوبيخ والتقريع. انظر6/ 145
{أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَ الْعُزَّى ، وَ مَنَاةَ الثَّالِثَةَ	الاستفهام يدلّ على معنى الإنكار على اتخاذهم الأصنام آلهة، وتوبيخ وتبكيت لهم عليها، وقوله { ألكم الذكر وله

الْأُخْرَى ، أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى ، تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى} **النجم:19-22**	الأنثى}، إنكار على إنكار وتبكيت فوق تبكيت، آثروا لأنفسهم البنين ونسبوا البنات إلى الله. انظر156/6
{وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} الحديد:8	استفهام مسوقٌ لتوبيخهم على الإعراض عن الإيمان بالله وبدعوة الرسول وبما أمروا به ، ونفيٌ أن يكون لهم عذرٌ ظاهرٌ يحول دون إيمانهم، وهو كقوله:{وما لكم ألاّ تنفقوا في سبيل الله} إنكار توبيخي على ترك الإنفاق في سبيل الله كما أمروا به. انظر201/6
{تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ} الملك:8	الاستفهام في قوله :{ ألم يأتكم نذير} ، يدل معنى التوبيخ والتقريع على هؤلاء القوم ، ليزدادوا عذابا وحسرة وندامة على كفر هم بالرسل وعنادهم ، بسؤالهم : ألم يبعث الله إليهم رسولا هاديا بشيرا بالجنة ونذيرا من النار، التى تجدون أنفسكم اليوم تتقلّبون في أمعائها، وتحترقون بلهيبها؟ انظر276/6
{أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ} **الملك :20**	الاستفهام يدل على معنى التبكيت والتقريع المُفْضِي إلى النفي ، تبكيت لهم بتبكيت لهم بإظهار عجزهم عن نصرة أنفسهم أو نصرة آلهتهم لهم ، ونفيا أن يكون لهم نصير أو وليّ ينصرهم إذا أراد الله خذلانهم وعقابهم بعذاب من عنده. انظر 279/6
{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ	الاستفهام يدلّ على معنى التوبيخ والتبكيت ، والخطاب مُوجهّ

يَخْشَى ، أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا } النازعات:26-27	لأهل مكة مُنْكِرِيْ البعثِ والنشور، لاستحالة تحققه بزعمهم، بعد ما تبيّن لهم يسره وسهولته بالنسبة على قدرة الله:{ فإنّما هي زجرة واحدة فإذاهم بالساهرة}، والمعنى : أَخَلْقُكم بعد موتكم أشقُّ على الله في تقديركم من خلق السموات والأرض على عظمتها واشتمالها على عجائب الأمور وبدائع الشئون التى حارت بها العقول وخضعت لها. انظر 370/6

ثالثا : دلالة الاستفهام على معنى التقرير:

النظم القرآنيّ	البيان والتحليل
{مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} البقرة:106	الاستفهام في قوله: { ألم تعلم أنّ الله على كلّ شيء قدير} يفيد معنى التقرير ، تقريرُ عِلْمِ المخاطب بقدرة الله المطلقة ، أي : أنت تعلم أنّ الله على كلّ شيء قدير ، لا يعجزه شيء في السموات و لا في الأرض ، والمراد هو: الاستشهاد بعلمه بقدرة الله على النسخ والإثبات ، وعلى الإتيان بكلّ ما خيرٌ من المنسوخ ، و بكلّ ما هو مفيدٌ لمصلحة البشر جميعا ، أو بما هو مثله و نظيره في الخيرية وتحقيق مصالح العباد.انظر 180/1
{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ}	الاستفهام يفيد معنى التقرير لمن سمع بقصّتهم من أهل الكتاب ، فإنّ سماعهم لها بمنزلة الرؤية النظرية أو العلميّة ، أو لكلّ أحدٍ ممّنْ له حظٌّ من الخطاب ، إيذانا بأنّ قصّتهم من الشّهرة والشيوع بحيث يحقُّ لكلّ أحدٍ أنْ يُحْمَلَ على الإقرار برؤيتهم وسماع قصّتهم ويعجب بها، وإن لم يكنْ ممّنْ رآهم أو سمع منهم بقصّتهم ، فإنّ هذا الكلام قد جرى مجرى المثل في مقام

البقرة:243	التعجيب. انظر 1/ 284
{أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ} البقرة:246	الاستفهام يدلّ على معنى التقرير والتعجيب ، قُطِعَ عمّا سبق للإيذان باستقلاله في التعجّب ، مع أنّ له مزيد ارتباط بما وُسِّط بينهما من الأمر بالقتال، ووجه التّعجّب هو نكوص القوم عن القتال بعدما طلبوا من نبيّهم أن يكتب الله عليهم القتال، فلمّا كتب عليهم القتال تولّوا. انظر 423/1
{قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ } آل عمران:15	الاستفهام {قل أؤنبّئكم بخير من ذلك} يفيد معنى التقرير بأنّ ما يخبر به هو خيرٌ وأبقي ، ممّا ذُكِر من زينة الحياة الدنيا ، والمعنى : أأخبركم بما هو خيرٌ ممّا فُصِّلَ من تلك المستلذّات المزيّنة ؟ إنى لمخبركم ومنبّئكم إيّاه. فاعلموا: أنّ الله قد أعدّ للمؤمنين المتّقين جنات وأنهارا لهم فيها دار الخلد ، وأزواج مطهّرة ، ونِعَمٌ لا عينٌ رأتْ ولا أذنٌ سمعتْ ، ولا خطر على قلب بشر. انظر 345/1
{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ	الاستفهام يدلّ على معنى التعجيب والتقرير، تعجيب الرسولِ محمدٍ ولكلّ من تتأتّى منه الرؤية وحسن التدبّر من حال أهل

الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ} آل عمران:23	الكتاب وسوء صنيعهم، وتقريرٌ لما سبق من أنّ اختلافهم في الإسلام إنّما كان بعد ما جاءهم العلم بأنّ الإسلام حقٌّ وأنّ النبيّ حقٌّ، والمعنى: ألم تنظرْ يا محمد إلى اليهود الذين آتاهم الله التوراة يُدْعَون إلى كتاب الله المنزّل عليهم ليحكم بينهم بحكم الله ورسوله، ثم تتولى طائفةٌ منهم معرضين عنه، وهو أمر مقرّرٌ و ثابت، ويثيرُ ما يثيرُ من علامات التعجب والاستغراب. انظر 351/1
{أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ } الأنعام:6	الاستفهام { ألم يروا كم أهلنا} يفيد معنى التقرير، تقريرُ الرّؤية ، وهي رؤية عرفانية تتطلّب مفعولا واحدا، والمعنى : ألم يعرفوا بمعاينة الآثار وسماع الأخبار كم أهلكنا من الأمم السابقة قبل أن تقوم لأهل مكة قائمة ، كعاد وثمود وغيرهم ، ممّن مكّن الله لهم في الأرض ما لم يُمكّنْ به لأهل مكة هؤلاء ، بكثرة المال والأعمال ، وبسعة الجاه وبسط السلطان ، ومع ذلك أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر لماّ عَصَوا أمرَ ربّهم ، وأكثروا الفساد في البلاد. انظر 390/2
{وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ} الأنعام:53	الاستفهام :{أليس الله بأعلم بالشاكرين} يفيد معنى تقرير إحاطته بكلّ شيء علما ، ومنه علمه المحيط بعباده الشّاكرين لأنعُم الله عليهم ، والكافرين لها جحودا ونُكرانا، إنّه تبارك وتعالي عليم بهم مطّلعٌ عليهم. انظر 390/2

{قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا} يوسف:90	{أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ } الاستفهام يفيد معنى التقرير مؤكَّداً بإنّ وباللام ، إعرابا منهم لشدّة الاستغراب والدّهشة التى انتابتهم من هَوْل المفاجأة ، فيوسفُ في اعتقادهم قد هلك في غيابة الجبّ وُطويتْ صفحةُ حياته فيها منذ أمد بعيد، فالمفاجأة هنا مزدوجة : كونُ يوسف على قيد الحياة، ثم اعتلاؤه للمنصب القيادة والريادة في مصر، في دولةٍ هو فيها أجنبيٌّ غريبٌ، فكان الاستفهام التقريريّ المؤكّد للتثبّت من الحقيقة، هذه وتلك. انظر 426/3
{قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ} الحجر:68-70	الاستفهام { ألم ننهك عن العالمين} يدلّ على معنى الإنكار المفيد للتقرير ، و الخطاب موجهٌ لنبيّ الله لوط – عليه السلام، فالمعنى : لقد نهيناك عن التعرّض لنا وعن الحيلولة بيننا وبين الغرباء ، وما تذكره من الفضيحة والخِزْيِ إنّما جاءك من قبلك لا من قبلنا ، إذ لولا تعرّضُك لِمَا نريد لَمَا أصابك ما أصابك ، ذلك أنّ قومه كانوا يتعرّضون بالسوء والفحشاء للغرباء ، وكان عليه السلام ينهاهم عن ذلك. انظر 29/4
{يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي} طه:86	{ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ } الاستفهام للإنكار ويدلّ على معنى التقرير على أبلغ وجهٍ و آكده ، والمعنى : لقد وعدكم ربّكم وعداً حسنا ، وأنتم مقرّون بذلك معترفون به ، ولا سبيل إلى إنكاره ، فهل طال عليكم زمانُ إنجازه وتحقّقه ، فعصيتم الله لأجل ذلك ، و ارتكبتم ما ارتكبتم من مخالفة عهدكم مع نبيّكم موسي عليه السلام ، ليكون ذلك سببا لحلول غضب الله عليكم. انظر 301/4

{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ}	{ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً}** الاستفهام يفيد معنى التقرير والإثبات ، لقد رأيتَ وشاهدتَ أيّها المخاطب أنّ الله أنزل ماءً كثيرة من السماء ، يُحْيى به الأرض بعد موتها، وفي حياةِ الأرضِ حياةُ الخلائقِ والعوالم التى تعيش على ظهرها. انظر 394/4
{أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} الحج:70	{ **أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ}** استفهام إنكارى يفيد معنى التقرير، تقرير علمه صلي الله عليه وسلم ، وعِلْمِ المؤمنين الصادقين في إيمانهم ، بأنّ الله عليمٌ بما في السماء وما في الأرض ، محيطٌ بكل ذرّةٍ فيهما من الأزل إلى الأبد. انظر 396/4
{أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا} الفرقان:45	**{ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ }** الاستفهام يفيد معنى التّقرير، والخطاب للرسول ولكلّ من هو صالحٌ للنظر والتّدبّر، والتّعرّض للربوبيّة ، ثمّ إضافته إليه تشريف له وإعزاز، وإيذانٌ بأنّ ما يعقبه هي من آثار ربوبيّته ورحمته ، والمعنى : لقد رأيت بديع صنع ربّك كيف مدّ ظلَّ كلِّ شيء ، وأنشأه ممتدا ومنقبضا بكرةً وعشيّاً. انظر 33/5
{وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ، وَأَنَّهُمْ	{ **أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ}** الاستفهام يفيد معنى التقرير وإثبات المراد ، والمعنى : لقد رأيتَ وعلمتَ أن الشعراءَ في كلّ وادٍ من أودية القول ، وفي كلّ شِعْبٍ من شُعَب الوَهْم والخيال ، وفي كلّ مسلكٍ من مسالك الغيّ والضلال يهيمون فيها على

يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ} الشعراء:224-226	وجوههم ، ولا يتحرَّوْنَ سبيل الحقّ والصّواب فيما يقولون. انظر 100/5
{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِين} العنكبوت:68	{ **أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِين}** استفهامٌ يفيدُ معنى التقرير، تقريرٌ لحقيقةِ أنّ مثوى الكافرين ومأواهم في نار جهنّم لا في غيرها، جزاء وفاقا لما اقترفتْ أيديهم وألسنتهم من سوء الفعال من الافتراء على الله الكذب ، وجحود الحقّ المبين ،وتكذيب الرّسل عليهم الصلاة والسلام. انظر 219/5
وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ،أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ، إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ}الصافات: 57-59	الاستفهام { أفما نحن بميّتين} ، يفيد معنى التقرير والتّعجّب ، والمعنى : أنحن مخلّدون متنعّمون أبد الدهر، وليس من شأننا أنْ نتجرّع كأسَ الموتِ إلاَّ مَوْتَتَنَا الأولى في الدُّنيا ، قاله تصديقاً لقوله تعالى:{لاَ يَذُوقُونَ فِيهَا الموت إلاَّ الموتة الاولى}. وقيل : إنَّ أهلَ الجنَّةِ لم يكونوا يعلمون أنَّهم لا يموتون ، فَيُؤْتَى بالموت على صُورة كبشٍ أملحَ فيُذْبحُ ، ونُودي يا أهلَ الجنَّةِ خلودٌ فلا موتُ ويا أهلَ النَّارِ خلودُ فلا موتَ ، فيقولون ذلك تحدُّثاً بنعمة الله تعالى واغتباطاً بها. انظر 423/5
{فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ أَهُمْ	الاستفهام يفيد معنى التقرير، وهو ردٌّ على مقولة الكافرين في الآية السابقة : (فأتوا بآبائنا إن كنتم صادقين) والمعنى : إنّ

خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ} الدخان:36-37	أولئك أقوى من آبائكم وقد أهلكهم الله بكفرهم وبذنوبهم التى اقترفوها وإنّ الأمر في هؤلاء أهونُ وأيْسرُ . انظر 52/6
{أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍمِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ} محمد:14	{أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ } استفهام إنكارى يفيد معنى التّقريرلتأكيد حالة التّباين بين مآل المؤمنين ومصير الكافرين ، وكون الأوّلين في أعلي علّيّين والآخرين في أسفل سافلين ، والمعنى: من كان على حجّة ظاهرة من ربّه ليس كمن اتخذ إلهه هواه، وسار في سبيل الغَيِّ والغِواية، أي : ليسوا سواء، لا في المبدأ ولا في المعاد ، لا في العمل ولا في الجزاء. انظر 86/6
{أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} محمد:24	{ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ } أمْ في الآية منقطعة ، وما فيها من معنى بل للانتقال من التوبيخ بعدم التّدبّر والتّفكّر إلى التوبيخ بكون قلوبهم مقفلة لا تقبل دخول التّدبّر أم التّفكّر إليها ، وإضافة الأقفال إلى القلوب للدلالة على أنّها أقفالٌ مخصوصةٌ ، غير مجانسة للأقفال المعهودة ، وتُفيد همزةُ الاستفهام معنى التوبيخ و التَقرير، أي تقريرُ حالةِ انغلاقِ قلوبِهم في وجهِ التّدبّر والتّفكّر في القرآن وآياته المبينة. انظر 91/6
{أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ	{أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ} استفهام إنكاري ، يفيد معنى التقرير، الدال على أنّ أحداً من الأحدين لا يريد ذلك قطعا. وقد حفل

مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ} الحجرات:12	الأسلوب بما يجعل الغيبة من أنكر المنكرات، منها إسناد الفعل إلى أحد ، دليلاً على أحد الأَحَدَيْنِ لا يقبل ذلك ، تعليق المحبّة بأمر هو في غاية الكراهة ، وتمثيل اغتياب أكل لحم الإنسان ، وجعل المأكول أخا مَيْتاً للآكل. 118/6
{أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ، أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ} الواقعة:58-59	الاستفهام يفيد معنى التّقرير والإيجاب، والمعنى : إنّ الماء الذي يقذفه الأزواجُ في أرحامهنّ إنّما يقتصر دورهم في قذفه لا يتعداه إلى عمليّة الخلق والتكوين، الله جلّ جلاله هو من يخلق منه ما يشاء من البنين والبنات على الحال والشكل والصورة التي يشاء، فتبارك الله أحسن الخالقين. انظر340/6
{هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا} الإنسان:1	**{هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ}** الاستفهام يفيد معنى التقرير والتقريب ، فإنّ معنى "هل أتى" قد أتى ، و" قد " تدلّ مع الماضي على وقوع الفعل من عهد قريب غير بعيد ، والمعنى : قد أتى على الجنس الإنسانيّ منذُ زمنٍ قريبٍ غير بعيد، حينٌ من الدهر لم يكن فيه شيئا موجودا ولا مذكورا، وكان الكونُ خاليا منه ، أي قبل خلق أبينا آدم أبي البشر عليه السلام. انظر340/6
{أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ، وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا،وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا} النبأ:6-8	الاستفهام يفيد معنى التقرير والإيجاب، بأنّ الله تعالي جعل الأرض ممهّدا للناس يستطيعون الحركة والبناء والسير على ظهرها، وتقرير والإيجاب بأنه جعل الجبال كالأوتاد للأرض أن تميد بمن عليها، كما خلق النّاس وغيرهم أزواجا ذكورا وإناثا لحكم عديدة لا يحيط بها إلا هو، من أبرزها بقاء النوع بالتزاوج والتناكح والتناسل. انظر355/6

{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ، أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ} الفيل: 1-2	{ أَلَمْ تَرَ – أَلَمْ يَجْعَلْ} الاستفهامان للدلالة على معنى التقرير الذي يراد به النفي، والرؤية هنا هي رؤية علمية، وهي متحققة وثابتة ، أي : ألم تعلم علما جازما متاخما للمشاهدة والعيان بالإصغاء إلى الأخبار المتواترة ومعاينة الآثار الظاهرة، ويفيد الاستفهام الثانى لتقرير النفي وتقرير المعنى وإثباته ، والمعنى: لقد جعل كيدهم في ضلال وبوار بأنْ دمّرهم تدميرا وأرسل عليهم طيرا أبابيل تهلكهم فرادا فردا. انظر 472/6

رابعا: دلالة الاستفهام على معنى التّعجب والتعجيب:

النظم القرآني	البيان والتحليل
{يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ} آل عمران: 106	الاستفهام { أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ } يفيد معنى التوبيخ على ما أقدموا عليه من الكفر بعد الإيمان ، والتّعجب من حالهم الذي صاروا إليه بسبب ما اقترفت أيديهم ، والظاهر أنّهم أهل الكتاب، كفروا بعد إيمان أسلافهم ، أو أنّهم كفروا بالرسول محمد صلي– الله عله وسلم– بعد أن آمنوا به قبل مبعثه ، وِفْقَ ما جاء في التوراة والإنجيل. ا نظر 15/2
{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا	الاستفهام يفيد معنى التوبيخ والتعجب ، بإظهار كمال المباينة بين ما يقولون وما يفعلون، بين ما يدّعون وبين ما يصنعون، وهو أمر مثير للتعجب والتعجيب داعٍ إلى الاستقباح والاسترذال .

أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ} النساء:60	انظر 155/2
{أَ فَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} المائدة:50	الاستفهام{ أفحكم الجاهلية يبغون} يفيد معنى الإنكار والتّعجب ، إنكارٌ عليهم ابتغاءَ حكم الجاهلية ، وحكم الله في التوراة بين أظهرهم فيه هدى ونور ، وهم عليه مؤتمنون ، فالتولّي عن حكم الله وشريعته التى هي أحسنِ الشرائعِ وأكثرِها نزاهةً وعدلاً ، أمرٌ مثيرٌ للعجب والتعجيب لدى كلّ مؤمن ومؤمنة ، ومما يزيد الأمر قبحا كونُ مطلوبِهم هو حكم الجاهلية خصوصا. انظر 282/2-283
{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ} المائدة:104	الاستفهام :{ أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا}، يفيد معنى الإنكار و التعجيب ، الإنكارُ عليهم بقبح قولهم وسوء اختيارهم ، والتعجب والتعجيب من إيثارهم نهج آبائهم الجهلة الضالين على وجه التّحقيق ، على منهج الله ورسوله ، الذي يخرجهم من الظلمات إلى النور ، ومن الضلال إلى سبيل الهدى والرشاد. انظر 328/2-329
{قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ}	الاستفهام {قل أغير الله أبغيكم}، يفيد معنى الإنكار التّعجبي، ودخول الهمزة على المفعول:(غير) للدلالة على أنّ محطّ الإنكار والتّعجب هو في كون المُبْتَغَى غير الله، وليس ابتغاء إلهٍ من حيث

الأعراف:140	المبدأ، لأنّ ابتغاء الله إلها هو مطلبٌ مشروعٌ للعالمين. انظر 3/ 25
{أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ} يونس:35	الاستفهام في قوله:{فما لكم كيف تحكمون}، يفيد معنى الإنكار والتوبيخ والتّعجب، التّعجّب من حالهم حيث يُعْرِضُون عن الاستجابة لنداء الحقّ وُيقْبِلون نحو سبل الغواية والضلال، مع وضوح المبدإ والمعاد. 239/3
{وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ} الكهف:50	الاستفهام{**أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ**} يفيد معنى الإنكار والتّعجّب ، والفاء للتعقيب ، ووجه التعجّبِ هو اتخاذُ إبليس وليًّا من دون الله في حال أنّ اللهَ هو الوليّ ، وإبليس وجنده هو العدوّ، إنّها لَمُفارقةٌ غريبةٌ عجيبة. انظر 196/4
{قال أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا} الكهف:63	الاستفهام في قوله:{ **أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ** } يفيد معنى التّعجيب والاستغراب ، تعجيب موسي وإثارة استغرابه مِمّا وقع مِنْ نسيان الحوت ومِنْ سلوكه الطريق عائداً إلى البحر، وهو من نوادر الأمور والعظائم التى لا تُنْسي ، وقد اعتبر موسي فُقدانَه علامةً على وُجْدانِ المطلوب ، وقوله:{ إنّي نسيتُ الحوت} فيه تأكيدٌ لمعنى التّعجب واستعظامٌ لِلْمَنْسِيِّ. انظر 202/4

{أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ،أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا} مريم: 77-78	الاستفهام:{ **أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا** } يفيد معنى التعجيب من حاله المفرط في الشناعة ، والإيذان بأنّها من الغرابة والفجاجة بحيث يجب أن تُرى وأنْ يُقْضَي منه العجبُ كلُّه. والمشهور في استعمال(أرأيت) فى معنى أخبرنى بطريق الاستفهام ، جاريا على أصله أو مُخْرَجا إلى ما يناسبه من المعانى. انظر256/4
{أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا} الفرقان:43	الاستفهام يفيد معنى تعجيب الرسول – صل الله عليه وسلم– من شناعة حالهم ، بعد حكاية قبائح أعمالهم وسوء أقوالهم ، وبيان عاقبة أمرهم فكان عاقبةُ أمرهم خسرا، والتنبيهُ على أنّ ذلك من الغرابة بحيث يُرَى ويُتَعَجّبُ منه ، وقد قُدِمَ المفعول الثانى(إِلَهَهُ) على الأوّل(هواه) للاعتناء بالمُقدَّم لأنّه الذي يدور عليه أمر التّعجيب. انظر 31/5
{قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَ أَكْثَرُجَمْعًا} القصص:78	الاستفهام{ **أَوَلَمْ يَعْلَمْ**} يفيد معنى التوبيخ والتعجيب ، توبيخٌ من الله تعالي لقارون على اغتراره واستعلائه على الله وعلى عباده ، مغرورًا بسلطانه وبكثرة ماله ، مع علمه بما كان من عاقبة الجبابرة المتكبّرين من سوء العاقبة ، مما ورد في التوراة أو على لسان موسى عليه السلام ، ثم تعجيب منه ومن حالته الموغلة في الغرور والجبروت . انظر185/5
{أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا	الاستفهام بقوله :{ **أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ** } يفيد معنى الإنكار و التّعجيب ، أولم يعلموا علما يقينيّا متاخما للمعاينة :(أنّا خلقنا لهم)

أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ} يس:71	أي لأجل منافعهم مما خلقت أيدينا أنعاما يملكونها وينتفعون بها أيّما انتفاع ، مأكلا ومشربا سفرا وإقامة ، إنّه لشيءُ منكرٌ أن يكفروا بالنعم الواقعيّة المشاهدة، ومثيرٌ لِعَجَبِ العُجّاب إصرارهم على العنادوالجحود. انظر 403/3
{أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ، وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ} يس:77-78	الاستفهام يدلّ على معنى الإنكار و التّعجيب ، والمعنى : ألم يتفكر الإنسان ويعلم علما يقينيا ، أنّا خلقناه من نطفة من ماء مهين ، ألا يعلم الإنسانُ حقيقةَ أصْلِه الذي خُلِق منه حتى يتجرّأ على الكفر بالله ، إنّه لأمرٌ منكرٌ ومثيرٌ لتعجّب المتعجبين، وغرابة المستغربين. انظر 406/5
{وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ} ص:21	الاستفهام يفيد معنى التشويق والتعجيب ، التعجيب من غرابته وندرته وتشابك الأمور والمعانى فيه ، ما بين العلم والحكمة ، والفتنة المظنونة ، والتشويق إلى استماع ما في حيّزه ، إيذانا بأنّه من الأنباء البديعة والقصص ذات الدلالات البعيدة ، التى من حقّها أن تُذاعَ وأنْ تشيعَ بين النّاس . انظر 59/5
{ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ} غافر:69	الاستفهام { أَلَمْ تَرَ } يفيد معنى التعجيب من أمرهم وأحوالهم الشنيعة ، تمهيدا لما يعقبه من بيان تكذيبهم بالقرآن كلِّه ، وبسائر الكتب والشرائع السماوية ، مصروفين عن النّهج القويم ، ومُبْعَدِين عن طريق الحق المبين. انظر 549/5

{أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا} الزخرف:32	الاستفهام { **أَهُمْ يَقْسِمُونَ** } يفيد معنى الإنكار والتّعجب من اعتراضات المشركين على اصطفاء الله من عباده رسلا ، وادعائهم بأنّهم أحقُّ بالرسالة والنبّوة ، وهو مثار التّعجب و التعجيب ، أيْ : تحكّم هؤلاء على الله وتطاولهم عليه ، والله أعلم حيث يجعل رسالته. انظر33/6
{أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} الزخرف:40	الاستفهام يفيد معنى الإنكار والتعجيب ، ومدار التعجيب هو : أن يكون الرسول عليه السلام بمثابة من يقدر على هداية المشركين ، الذين هم في درجة الصّمّ البُكْم في غمرة الضلال المبين والتيه البعيد. 35/6
{أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ} الجاثية:23	الاستفهام يدلّ على معنى الإنكار والتعجيب ، إنكارٌ على هذا الذي أعرض عن الهدى واتّبع الهوى ، عابدا طائعا منقادا تابعا ، بعد أن آتاه الله العلم وأزاح عنه الجهل ، إنّه لأمرٌ يثيرُ تعجّبَ المتعجِّبِيْن واستغراب المستغربين على المدى. انظر 61/6
{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ	الاستفهام يفيد معنى الإنكار التوبيخي التعجّبي ، إنكار لمقولتهم الباطلة بأنّ القرآن حديث مفترى من لَدنْ محمد رسول الله ، وتوبيخٌ لهم على عدم اعتمادهم فيما يقولون ، على حجة من عقل أو

شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُم} **الأحقاف:8**	برهان من نَقْل ، و تعجيبٌ لكلِّ منْ يصحُّ منه التّعجّب إلى أبعد مدىً، ولو كان الأمر كما يقولون لكفاهُمُ شرَّ القتالِ ، ولَلأَخَذَهُ الله باليمين وقطع منه الوتين. انظر 68/6
{فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ} **الذاريات:26-27**	الاستفهام في قوله:{ **أَلَا تَأْكُلُونَ**} يدلّ على معنى الإنكار والتّعجّب ، إنكار عليهم لعدم إقبالهم على أطايب الطعام الذي قُدِّمَ ضيافةً و تكريمًا لهم ، وتَكَّلَفَ فيه مضيفُهم ما تكلّف وتجشّم ما تجشّم ، وتعجَبٌ واستغرابٌ من طبيعة الضيوف ومن سلوكهم ، مَنْ هؤلاء ؟ ومَنْ يكونون ؟ ولماذا لا يأكلون؟ انظر 137/6
{كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ، أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ} **الذاريات:52-53**	الاستفهام في قوله:{ **أَتَوَاصَوْا بِهِ** }، يدلّ على معنى الإنكار والتّعجب، بل والتّعجيب، إنكارٌ عليهم تواطؤ أجيالهم المتعاقبة على: "كلمةِ جوابٍ "بعينها لأنبياء الله ورسله، لا تختلف من جيل إلى آخر، رغم تقادم الأزمان واختلاف القرون، وكان قولُهم منكرا وزورا، حيث اتهموا الأنبياءَ خيارَ الخلقِ بالسحر والجنون، إنّ توافقهم على ذلك مثير للعجب والتّعجب ومدعاة للتساؤل المستمرّ، ومهما يكن من شيء ، فهم قومٌ طاغون، متجاوزون لحدود الله ، فلا عجب إذا توارثوا الكفر والعصيان أباً عن جدٍّ قروناً بعد قرونٍ. انظر 141/6
{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ	نزلت الآية في اليهود والمنافقين ، كانوا يتناجون بالإثم والعدوان ، ويتغامزون بأعينهم إذا ما رأوا المؤمنين ، فنهاهم رسولُ الله فلم يمتثلوا وعادوا لفعلتهم تارة أخرى، فالاستفهام يفيد معنى التّعجيب

وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ} المجادلة: 8	من حالهم وإصرارهم على الغيّ رغم التنبيه والتّحذير، وصيغة المضارع لاستحضار صورتهم العجيبة الغريبة ، بعودتهم إلى ما نُهُوا عنه مرّةً بعد أخرى. انظر 217/6
{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}المجادلة:14	الاستفهام:{ أَلَمْ تَرَ} يفيد معنى التّعجيب من حال المنافقين الذين اتخذوا اليهود أولياء مقرّبين ، بهدف إيذاء بالمؤمنين بالغمر واللّمز بالغيبة وتدبير مكر السَّوء' إنّ المنافقين قوم مذبذبون ليسوا من المؤمنين في شيء ، وليسوا من أهل الكتاب في شيء، ولا يتقوّلون الكذب فحسب، بل يحلفون عليه وهم أوّل العالمين بأن حلفهم على الكذب المبين. انظر 219/6
{أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ،مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ، أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ } القلم:35-36	الاستفهام في قوله:{أفنجعل} يفيد معنى الإنكار التّعجّبي، إنكارٌ وتعجّبٌ مِمَّنْ يحكمُ معتقدا أنّ حساب المسلمين وعاقبتَهم كحسابِ المجرمين وعاقبتِهم، والمعنى: أنحيفُ في الحكم ونجورُ في الحساب فنجعل جزاء المسلمين الصادقين، كجزاء المجرمين الظالمين، إنّه لشيء عجابُ أن يظنّ ذلك في الله ظانٌّ ، فضلا من أنْ يعتقده ويحكم به. 289/6
{وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ، أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ، لِيَوْمٍ عَظِيمٍ} المطففين:3-5	الاستفهام في قوله:{ **أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ** } يفيد معنى الإنكار التّعجّبي، إنكار على هؤلاء الذين يخسرون الكيل والوزن على الناس، ويوفونهما لأنفسهم ، واستخدام أسلوب: {ألا يظنّ}، ووصف اليوم بالعظيم، وقيام النّاس لرب العالمين، فيه من حسن البيان وبلاغة الكلام على عظم الذنب وتفاقم الإثم في تطفيف الكيل والوزن ما لا مزيد عليه. انظر 395/6

{هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ، وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ، تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ} الغاشية:1-4	الاستفهام {**هَلْ أَتَاكَ**)، يفيد معنى التعجيب ممّا في حيّزه ومحتواه ، والتشويق إلى الإصغاء إليه بحبٍّ وشَغَفٍ ، بعد الإشارة والإشعار بأنّه من الأحاديث البديعة والقصص الجميلة، التى من حقّها أن يتناقلها الرواة ويتنافس عليها الوعاة. والغاشية : هي الداهية ، التى تَغْشي بشدائدها أحلام النّاس ، وتُغْشِي بأحوالها أبصارهم ، وهي القيامة وما أدراك ما القيامة ؟! انظر418/6
{أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ،فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ، وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ} الماعون:1-3	الاستفهام { **أَرَأَيْتَ**} يفيد معنى تشويق السامع إلى مضمون الجملة وتعجيبه منه ، سواء تعلّق الخطاب بالرسول أو تعلّق بغيره مِمَنْ يتأتّى منه الرّؤيةُ والتّأمّلُ والنّظرُ في الأمور، التّعجب ممنْ يجعل من تكذيبه للدين – وهو يوم القيامة – دفعَ اليتيم وزجره ونهره ، وهو أحوج الناس إلى الرأفة والرحمة ، ولا يحضّ نفسه أويحثّ القادرين على إطعام المساكين ، وهم فئة مستضعفة في المجتمع ي حاجة إلى منْ يعطف عليهم ويشفق، إنّ من يفعل هذا أو ذاك هو مكذّبُ بيوم الدين يوم الحساب والجزاء، غير مصدٌق به مهما قال ومهما فعل . انظر 6/ 375

خامسا : الاستفهام بين التفخيم والتهويل

وبين التحقير وتقليل الشأن

تعرّض شيخ الإسلام لمعنى التفخيم والتهويل كمعنى من معانى أسلوب الاستفهام في النظم القرآنيّ الكريم ، كما ذكر التحقير وتقليل الشأن كغرض من أغراضه.

النظم القرآنيّ	التحليل والبيان
{هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ، إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ} الذاريات:24-25	الاستفهام:**{هَلْ أَتَاكَ}** يفيد معنى التشويق للإصغاء إليه ، والتفخيم من شأنه ومضمونه ، والتنبيه على أنّه حديث ذو خصوصيّة خاصة ، لا سبيل إلى علمه والإحاطة به إلا عن طريق الوحي المنزَّل عليه صلى الله عليه وسلّم. انظر136/6
{وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ، فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ} القمر:15-16	الاستفهام بقوله: { فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ} يفيد تهويل العذاب النازل بهم و تفظيعه ، بحيث بلغ من شدّة الهول الشدّة مبلغا لا يمكن وصفه ، و تعجيبٌ لكلّ مَنْ يصحّ منه التّعجّب من فظاعته ومن شدائده . انظر168/6
{فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ، وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ} الواقعة:8-9	الاستفهام الأول: يدل على معنى التعجيب من حسن أصحاب اليمين ومن فخامة ثوابهم وعظمة عاقبتهم عند الله ، والثانى : يدلّ على التعجيب من أصحاب الشمال، ومن هَوْل عاقبتهم وفظاعة حالهم ، وسوء منقلبهم يوم القيامة ، مما لا يمكن للواصفين وصفه ، وقد زاد من بلوغ المعنى نهاية غايته لدى الفريقين ، الاستفهام "بما" ، التى

	يُطلب بها شرح الصّفة على حقيقتها ، ولكن لا أحدَ قادرٌ على ذلك. انظر 352/6

{الْحَاقَّةُ ، مَا الْحَاقَّةُ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ} الحاقة: 1-3	الاستفهام في قوله:{ **الْحَاقَّةُ ، مَا الْحَاقَّةُ** } يفيد معنى التهويل والفظاعة للحاقة وهي يوم القيامة التي ثبت وقوعها حقّاً لا ريب فيه ، ووضع الظاهر :(ما الحاقة) موضع الضمير : (ما هي)، لزيادة بيان هولها وفظاعتها ، على معنى أنها خارجٌ عن دائرة علوم الخلائق لا تبلغه دراية أحد ولا خياله ، وكيفما قدّرتَ أو تصوّرت حالها فهي أعظم وأبعد. 293/6
{عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ، عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ، الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ} النّبأ:1-3	الاستفهام بقوله:{ **عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ** } يدل على معنى التفخيم والتهويل للمسئول عنه ، وخروجه عن حدود التصور والخيال ، وعن نطاق كلّ معهود لديهم، والمعنى : عن أيّ شيء عظيم الشأن رفيع القدر يتساءلون ، وكانوا يتساءلون عن حقيقة البعث والنشور ويخوضون فيه بالتشكيك والإنكار، فكانّه قيل: عن أي شيء عظيم يتساءلون هل أخبركم به ؟ فقيل عن طريق الجواب: عن النّبأ العظيم. انظر 352/6
{قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ، مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ، مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ} عبس:17-19	الاستفهام في قوله:{ **مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ} يفيد** معنى التحقير وتقليل شأن المادة التى خُلِق منها الإنسان ، على كفره واستعلائه على خالقه العليّ الأكرم ، والمعنى من ماء حقيرٍ مهينٍ خلقه ، وهيّأه لما يصلح له ويليق به طورا بعد طور، وركّب له من الأعضاء والأشكال والصّور ما شاء له أن

	يركّب ، وأخرجه إلى الأرض في أحسن تقويم واستخلفه فيها، فتبارك الله أحسن الخالقين. أنظر 379/6
{وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ، ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ} **الانفطار:17-18**	الاستفهام يدلّ على تفخيم يوم الدين وتشديد أهوالها الذي يكذّب به المجرمون ، ببيان أنه خارج عن دائرة دراية الخلق، فهو على أيّ صورة تصوّروه فوقها ، وكيفما تخيّلوه فهم أطمُّ منها وأعظم ، والمعنى : أيّ شيءٍ جعلك داريا عارفا ما يوم الدين ؟ أي شيء عجيب غريب هو في الهول والشّدة والفظاعة. انظر 391/6
{وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ، النَّجْمُ الثَّاقِبُ} الطارق:1-3	الاستفهام :{ **وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ}** يفيد التنويه بالمسئول عنه وتفخيم شأنه ، بعد الإشادة به وتعظيمه بالقسم:{والسماء والطارق}، إشارة إلى أنّ رفعة قدر النّجم الثّاقب ، لا يحيط بها إدراكُ الخَلْقِ أجمعين، قيل : النّجم الثاقب هو زحلُ حين نزوله وصعوده ، وقيل : هو نجمٌ شديدُ الإضاءةِ كأنّه يثقب الظلامَ أو الأفلاك من شدّة ونفاذ ضوئه ، وقيل : المراد جنس النّجم. انظر 6/ 410
{الْقَارِعَةُ ، مَا الْقَارِعَةُ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ} **القارعة:1-3**	القارعة هي القيامة تقرع الآذان وتصعق القلوب ، ويفيد الاستفهام معنى التعجيب من أمرها، وتفخيم أهوالها وتعظيم شدائدها، ومدار التهويل و التّفظيع في استعمال:"ما" الدالة على شرح الحقيقة التي لا طاقة لأحدٍ من الخلق على شرحها وبيانها كما هي ، فهي خارجة عن نطاق إدراك البشر حتى يدريك بها. انظر 463/6

سادسا : الاستفهام بين إنكار الواقع

توبيخا وإنكار الوقوع تكذيبا

قسم الإمام عبد القاهر الاستفهام الإنكارى إلى قسمين ، من حيث دلالته على المعنى المقصود إنكاره ([1]):

الأول: الاستفهام الإنكاري التوبيخي: و يكون المقصود منه تقريرٌ لفعل قد وقع، وإنكارٌ لوقوعه وتوبيخٌ لفاعله، على معنى أنّه ما كان ينبغي أن يقع ويحدث هذا الفعل أصلا ، أو ما كان ينبغي أن يصدر من الفاعل الذي صدر منه ، وقد أطلق عليه أبو السعود إنكار الواقع ، ومنه قوله تعالي: { **وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّه}**([2]) ، **فقوله:{ أَأَنْتَ قُلْتَ؟}** استفهام إنكارى توبيخي، ومحطّ الإنكار والتوبيخ هنا هو الفاعل : أي ما كان ينبغي أن تقول أنت خصوصا اتخذوني وأمّي إلهين من دون الله ، ولذلك حرص عيسى عليه السلام على تبرئة ساحته:**{قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ}**[3]

الثاني: الاستفهام الإنكاري التكذيبي: وهو أن يكون الإنكار لفعلٍ لم ولن يقع أصلا، وقد سمّاه أبو السعود إنكار الوقوع أو استبعاده ، فهو ردٌّ وتكذيبٌ لمن يزعم وقوعه ماضيا أو مستقبلا ، وبذلك صحّ القول إنّ شيخ الإسلام ذهب مذهبا أبعد في تحليل وشرح الاستفهام الإنكارى في النظم القرآني ، تُسجَل له فيه براعة اختراع .

---

[1] - انظر دلائل الإعجاز ، ص 114

[2]- المائدة:116

[3] - المادة : 116

ومن شواهده قوله تعالي:{**أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا**}([1])، هذا إنكارٌ وتكذيبٌ لهم ، بأنّ ما يدّعونه لم يكن ولم يحدث أصلا ، أي : كذبتم وما كان لكم أن تكذبوا على الله بغير أدنى شبهة من حجة أو أثارة من علم ، ونظيره في المضارع ، قول : امرئ القيس([2]):

أيقتلني و المشرفيُّ مضاجعي ومسنونةٌ زُرقٌ كأنياب أغوال

هذا تكذيبٌ منه لمن يتهدّده بالقتل ، وإنكارٌ أن يقدر على تنفيذ تهديداته ، لأنّ الشّاعرَ مسلّحٌ بما يكفي من أسلحة الرّدْعِ والدفع ، رماحا زُرْقا كأسنان الغول ، وسيوفا مشرفيةً هي خير ما جاد به الزمان([3]).

وبناءً على ما سبق ، يمكن معالجة الاستفهام الإنكارى من خلال المطلبين التاليين:

(أ): الاستفهام الإنكاري التوبيخي : إنكار الواقع واستقباحه.

(ب) : الاستفهام الانكاري التكذيبي : إنكار الوقوع واستبعاده.

---

[1] الإسراء:40

[2]- البيت لإمرئ القيس

1-انظر دلائل الإعجاز ، ص117

(أ) : الاستفهام الإنكارى التوبيخي : إنكار الواقع واستقباحه

النظم القرآني	البيان والتحليل
{وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ} البقرة:170	الاستفهام:{ **أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا} يفيد إنكار واقع القوم المتشبّث** باتباع نهج آبائهم واستقباحه بعد أنْ ثبت يقينا بأنّهم كانوا من غير أهل النُّهى والألباب وعلي غير سبيل الهدى والرشاد. انظر 230/1
{أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا}	الاستفهام:{ **أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ** } تفيد معنى إنكار واقع أهل الكتاب واستقباحه ، القائم على الحقد والحسد لرسول الله على نعمة الرسالة وشرف النبوّة ، فقد كانوا يطمعون أنْ يكون النبيّ الموعود من بنى إسرائيل، فلّما خصّ الله تلك الكرامة غيرهم حسدوهم على ما آتاهم الله من فضله. 151/2
{أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} النساء:82	الاستفهام:{ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ** } يفيد معنى الإنكار التوبيخي واستقباح أمرهم ، بعدم تدبّرهم للقرآن وإعراضهم عن التّأمّل في موجبات الإيمان و دواعى التصديق ، فرارا من الوقوف على الحقيقة الواضحة وضوح الشمس في رابعة النهار. انظر 2 / 169

{قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} الأعراف 28:	الاستفهام:{ **أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ** } يفيد معنى إنكار مقولتهم واستقباحها وتوبيخهم عليها ، والتوبيخ موجّهٌ إلى تقوّلهم على الله دون علم أو سلطان أتاهم ، وإذا كان إسناد ما لا يُعلمٌ صدوره من الله إليه –عز وجلّ – منكرا كبيرا، فإنّ إسناد ماُ يعلمُ عدمُ صدورِهِ منه أشدَّ إنكارا وقبحا. انظر2/ 488
{أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا... أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى...أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ} الأعراف: 97-99	همزة الاستفهام تفيد إنكار ركون القوم إلى الأمن والأمان من عذاب الله دون عهد أو ميثاق منه ، مع تماديهم في الكفر والعصيان وتكذيب الرسل ، والاستفهامات المتتابعة لأجل تشديد التوبيخ والاستقباح. انظر67/3
{أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ} الأعراف:191	الاستفهام مسوقٌ لتوبيخ المشركين، واستقباح إشراكهم به سبحانه وتعالي، وتفصيل أحواله القاضية ببطلان ما اعتقدوه في حقّه، والمعنى :{أيشركون به تعالي ما لا يخلق شيئا وهو لا يخلقون}، إنّه لأمرٌ منكرٌ ومستقبحٌ حقّا. انظر 67/3
{أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ	الاستفهام في قوله:(ألا تقاتلون قوما – أتخشونهم)، يفيد معنى الإنكار والتوبيخ ، إنكارُ واقعهم المتثاقل إلى الأرض وعدم النفير للقتال في سبيل الله ، ضدّ قومٍ نَكثُوْا عهدهم مع الرسول والمؤمنين ، وإنكارُ خشيةِ بعضِ المؤمنين لمواجهة

أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} التوبة:13	الكفرة المعاندين ، وتوبيخ لهم على هذا وعلى ذاك ، ممّا لا ينبغي أن يكون من صفات المؤمنين الصادقين، فهم أشدّ خشية لله. انظر 129/3
{أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً} التوبة:16	الاستفهام إنكاريٌ توبيخيٌّ ، و " أمْ " منقطعة ، جيء بها للدلالة على الانتقال من توبيخ إلى آخر أشدَّ منه ، إنكارُ حسبانهم أن يُتركوا دون تمحيصِ لدعوى الإيمانِ، وتوبيخٌ لهم على ذلك، لأنّهم دلَّلُوْا به على عدم معرفتهم بسُنَنِ الله في خلقه، وابتلائه لعباده بالخير والشّر، المؤمنين منهم قبل الكافرين. انظر 130/3
{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ} التوبة:38	الاستفهام يفيد معنى الإنكار التوبيخي ، إنكارٌ على واقع المؤمنين المتثاقلين عن الاستجابة لنداء النفير والقتال في سبيل الله ، المتشبثين بنداء الأرض والركون إلى مُتَعِ الحياة الدنيا إيثارا لها على الحياة الآخرة. انظر 147/3
{أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ	الاستفهام:{ أَفَلَا تَتَّقُونَ } يفيد إنكار عدم تقواهم لله ونفورِهم عن الدخول في طاعته ، توبيخاً لواقعهم واستقباحا لمنطقهم المتمرّدِ على كلّ الدلائل ، المخالفِ لتواتر البراهين والحجج العقلية والكونية ، وفي أنفسهم ذاتها. انظر 236/3

الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ} **يونس:31**	
{قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ، أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ آلْآنَ } يونس: 50-51	الاستفهام (قل أرأيتم – أَثُمَّ إذا ما وقع آمنتم)، يفيد في الموضعين معنى الإنكار التوبيخي ، إنكارٌ عليهم ما هم فيه من عدم إيمانهم بالله إلى حين نزول العذاب جهارا ومشاهدتهم له عيانا ، والمعنى : أَبَعَدَ ما وقع العذاب وحلَّ في دياركم ورأيتموه رأي العين آمنتم ؟! حين لا ينفع نفسا إيمانُها لم تكن آمنت من قبل، إيذانا بما يتبعه من الحسرة والندامة. انظر 239/3
{قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ} **يونس:77**	الاستفهام الإنكارى التوبيخي ، إنكارٌ لمقولتهم الجائرة في إلْصاقِ تهمة السحر بالحق المبين ، وتوبيخٌ لهم على عنادهم وجحودهم ، الذي لا يتّفق مع ما لهم من عقول تُفكِّرُ وحكمةٍ تُدبّرُ، وقوله:{أَسِحْرُ هذا} إنكارٌ وتوبيخٌ لهم آخر، وهو من مقولة موسي عليه السلام ، تكذيباً لهم في وصفهم للحقّ الذي بَعَثَ اللهُ به الرُسلَ بأنّه سحر، تجهيلا لهم إثر تجهيل وتوبيخا بعد توبيخ. انظر266/3
{قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ {مِنْ	الاستفهام { **قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ}** يفيد إنكارهم فِعْلَتِهم في اتخاذ أولياء من دون الله ، لا يملكون لأنفسهم ولا لعابديهم ضرا ولا نفعا لا قليلا ولا كثيرا، مع اعتقادهم الجازم

دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا} الرعد:16	بربوبيّة الله لهم وللكون الذي يعيشون فيه، وينعمون بخيراته الوفيرة وبمنافعه الكثيرة. انظر 448/3
{أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا} الرعد:31	الاستفهام يفيد معنى إنكار واقع المؤمنين في إلحاحهم على إيمان المشركين وتوبيخهم على ذلك، وهو على معنى : أولم يعلموا بلغة هوازن ، والمراد: أَلَمْ يعلموا أنَّ اللهَ تعالي لو شاء هدايتهم جميعا لفعل ، وأنّه لم يشأْ ذلك ، فالمعنى متوجّهُ إلى تَرَتُّبِ المعطوف على المعطوف عليه ، أي تخلّف العلم الثاني عن العلم الأوّل ، فالإنكار إنكارُ وُقُوعِ عدم علمهم بذلك الأمر. انظر 458/3
{أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ} النحل:48	الاستفهام يفيد معنى الإنكار عليهم في عدم النظر والتّأمل في مخلوقات الله وتوبيخهم على ذلك ، والمعنى : ألم ينظروا ويشاهدوا بأبصارهم إلى مخلوقات الله ، من كلّ شيءٍ له ظلٌّ يرجع شيئا فشيئا حسبما تقتضيه مشيئةُ الله وإرادتُه ، يتفيأ ظلاً ذات اليمين وذات الشمال ، سجودا لله وتجاوبا مع إرادته ومشيئته في مدّها وجزرها ، في بسطها وتقلّصها ، والحالُ أنّ هؤلاء القوم منقادون خاضعون أيضا لإرادته ومشيئته. انظر 66/4
{أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا	الاستفهام:{ **أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا** } يفيد معنى إنكار حسبانهم الباطل الذي أدى بهم إلى اتخاذ عبادِ اللهِ معبودين لهم ، وتوبيخهم على ذلك الفعل المرذول بعواقبه الوخيمة ، نزلاً في

أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا} الكهف:102	نار جهنّم للعابدين والمعبودين على حدٍّ سواء. انظر220/4
{قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا} مريم:46	الاستفهام يفيد معنى الإنكار التوبيخي ، إنكارٌ على إبراهيم –عليه السلام – وتوبيخٌ له على رغبته عن آلهة قومه ومعاداته لها ، إنكارا مرفقا بسيل من التهديدات الغاضبة رجماً بالحجارة، ونفياً من أرض الوطن ومجمع الأهل. انظر243/4
{أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا} طه:89	الاستفهام يفيد معنى الإنكار والتوبيخ والتقبيح ، إنكارٌ على بنى إسرائيل اتخاذهم العجل معبودا لهم من دون الله ، أصمُّ أبكمُ لا يبدئ قولا ولا يعيده ، ولا يملك لنفسه ولا لعابديه ضرا ولا نفعا ، وتوبيخٌ لهم على ضلالهم وتقبيحٌ لقلّة صبرهم وكثرة جزعهم ، وانعدام شكرهم لله المُنعم المتفضّل عليهم بنعمة الأنبياء والرسل ، وتفضيلهم على العالمين في زمانهم. انظر 302/4
{قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ،أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي} طه:92-93	الاستفهام في قوله :{ أفعصيتَ أمرى} ، يفيد معنى الإنكار التوبيخي ، والمعنى: أَلَمْ تتَبَعْنِي أوْ أخالفْتَنِيْ ، إنكارٌ من موسي –عليه السلام – لأخيه هارون عدم تصديّه لضلال بني إسرائيل واتخاذهم العجل إلهاً يعبدونه من دون الله وتوبيخٌ لهم على ذلك. انظر304/4
{وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا	الاستفهام يفيد معنى الإنكار التوبيخي ، إنكارٌ على المؤمنين بالرّسول المصدّقين برسالته وتوبيخٌ لهم ، كونَهم تغافلوا أنّ

إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ} الأنبياء:3	محمدا بشرٌ مثلهم ، والبشر – بزعمهم – لا يكون مرسلاً من الله ، فهو إنكار على الإيمان وتوبيخ على غفلتهم وتجاهلهم بشريّة مَنْ يدّعي الرسالة ، والرسالة والبشرية أمران لا يجتمعان في عقولهم المريضة انظر 4/ 323
{لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} الأنبياء:10	الاستفهام في قوله:{ أفلا تعقلون}، يفيد معنى الإنكار التوبيخي، إنكارً على القوم تعطيلَ عقولِهم وتفريطِهم في مهمّتها الأولى ، وهو التّفكر في المسائل وتعقّل الأمور، وتوبيخً لهم على عدم التّدبّر والتّفكّر في القرآن الكريم ، في فنون مواعظه ، وفي أساليب زواجره وقوارعه النازلة على الأمم السابقة واللاحقة. انظر 32/4
{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ} المؤمنون:23	الاستفهام في قوله:{ **أَفَلَا تَتَّقُونَ** } يفيد معنى إنكار عدم تقواهم لله الواحد الأحد، وتوبيخ لهم على إعراضهم عن رسول الله إليهم نوح عليه السلام ، تقبيحاً لصنيعهم بعد أن تواترت عليهم أدلة الحق الذي يدعو إليه ، وكثرتْ المواعظ والعبر الناطقة بمصارع الكافرين ومصائرهم. انظر 410/4
{أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ ، نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ}	الاستفهام في قوله:{ **أَيَحْسَبُونَ**} يفيد إنكار واقع حسبانهم بأنّ الله إنّما يمدّ الكافرين بالأموال والبنين وكافة متاع الحياة الدنيا حباً فيهم أو طلبًا لمرضاتهم ، وتوبيخٌ لهم واستقباحٌ لحسبانهم هذا، المجافي للحقيقة مجافاة كاملة ، وهو إنّما يمهلهم ولا يهملهم ، ليوم تشخص فيه الأبصار، ولكنّهم قوم

المؤمنون:54-56	لا يشعرون بحقيقة ما يجرى لهم. 420/4
{أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ}المؤمنون: 68-69	الاستفهام:{ **أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ** } يفيد إنكار واقع الكافرين المعاندين في عدم تفكّرهم وتدبّرهم في آيات القرآن وفي أقوال الأنبياء والمرسلين من بني جلدتهم ، يدعونهم إلى الهدى ويحذرونهم من الضلال ، توبيخا لهم واستقباحا لهذا النهج غير القويم، واستنكارا لسبيلهم غير المستقيم. انظر 425/4
{ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} النور:49-50	الاستفهام يدلّ على معنى الإنكار على أهل الكتاب الذين يبادرون إلى التحاكم إلى الله ورسوله إذا كان الحق حليفهم، ويعرضون عنه إذا لم يكن كذلك، وهذا الإيمان الانتقائيّ المجزّأ لا يكون إلاّ ممّنْ كان مريضا بالنفاق مصابا بضعف الإيمان وهزال الاعتقاد، وهو أمر جدير بالتوبيخ والاستقباح، فمدار الإنكار والاستقباح هنا ليس ما وليته الهمزة وأم ، من المسائل الثلاث، بل هو الأرض المنبتة لها فكأنّه قيل : أذلك ، أي إعراضهم المذكور، أم لأنّهم مرضي القلوب والنفوس بالكفر والنفاق . انظر 474/4-475
{أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا}	الاستفهام يفيد معنى الإنكار التوبيخي، إنكارُ على واقع هذا الحسبان من المخاطب وهو النبي – صلي الله عليه وسلم– على معنى أنه ما كان ينبغي أن يصدر منه هذا الحسبان ، في أنّ هؤلاء يسمعون ما يتلَى عليهم من الآيات البيّنات أو

الفرقان:44	أنّهم يعقلونها على فرض أنّهم سمعوها ، والحال أنّ أقوالهم وأفعالهم وسلوكياتهم تدلّ على غير ذلك ، فلا تطمع في إيمانهم. انظر 32/5
{أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ} الشعراء:7	الاستفهام يفيد معنى الإنكار التوبيخي ، إنكارٌ على هؤلاء الذين اقترفوا ما اقترفوا من الإعراض عن آيات الله ، وتكذيبها والاستهزاء بها دون أن يُكلِّفوا أنفسهم عناء النظر إلى الأرض وعجائبها الزاجرة عمّا فعلوا، الداعية إلى الإقبال على ما أعرضوا عنه ، وإلى الإيمان بالله الواحد القهار. انظر 52/5
{أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ، أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ، ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ} الشعراء:204-206	الاستفهام يفيد معنى الإنكار التوبيخي، إنكارٌ على واقعهم المستعجل لعذاب الله و المستبطئ لنزوله ، وهو واقعٌ بهم لا محالة ، وتوبيخٌ لهم على تطاوُلهم عليه سبحانه وتعالي ، وجهلهم المُطبِق لأيّام الله ، وتقديم الجار والمجرور وتسليط الهمزة عليه :(أفبعذابنا) للإيذان بأنّه مَصبُّ الإنكار والتوبيخ ، وكون المستعجل به هو عذاب الله تعالي القادر إلى إلحاقهم بهم أنّي شاء وكيف شاء. انظر 94/5
{فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ} النمل:36	الاستفهام {أتمدّونني بمال} يفيد معنى الإنكار التوبيخيّ، إنكار لبلقيس ورجاله على طبيعة تفكيرهم وردّهم ، حيث ردّوا رسالته المقدّسة بجواب ماديّ هو إلى الرشوة أقرب ، مع علّو شأنه وسعة سلطانه ، وتوبيخ لهم على هذا الجواب المسيء في حقّ سليمان إساءةً بالغةً :{فما آتاني الله خير ممّا آتاكم}. انظر 121/5

{وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ، أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ} النمل:54-55	الاستفهام:{أتأتون الفاحشة – أإنّكم لتأتون الرجال شهوة} يفيد معنى الإنكار التوبيخي ، إنكار على فعلتهم الشنعاء جهارا نهارا على مرأى ومسمع من الجميع:(وأنتم تبصرون)، والجملة الحالية تفيد تأكيد الإنكار والتّقزّز ممّا يصنعون، لأنّ اقتراف الأعمال المُنْكَرَة تكون أشدَّ قُبْحًا ونُكْرانًا في العلن ، وتوبيخٌ لهم تبديل خلق الله ، وإفساد مكارم الأخلاق التى تعارف عليها الأمم جميعا ، وهو ما دعا إلى تثنية الإنكار وتكرار التوبيخ في الآية. انظر131/5
{حَتَّى إِذَا جَاءُواقَالَ كَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} النمل: 83-84	الاستفهام يفيد معنى الإنكار التوبيخي ، إنكارٌ عليهم تكذيبهم بآيات الله تعالي من دون علم أتاهم ، فقوله: {ولم تحيطوا بها علما} جملة حالية تفيد زيادة التشنيع عليهم وتقبيح ما يفعلون، ومؤكّدة لمعنى الإنكار والتوبيخ اللّذين دلّ عليهما الاستفهام. انظر143/5.
{أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ } العنكبوت:19	الاستفهام يفيد معنى الإنكار التوبيخي، إنكارٌ عليهم عدم رؤيتهم لعجائب الخلق والتكوين ابتداءً وانتهاءً، الموجب لتقرير الإيمان في القلوب والإذعان في النفوس لعظمة المخلوق ويسره على الخالق جلّ وعلا . انظر199/5
{أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ	الاستفهام :**{أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا}** يفيد معنى الإنكار والاستقباح لأمر هؤلاء ، في قِصَرِ نظرهم و التفريط في مصيرهم ، بعدم

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ} الروم:8	التفكّر والتّدبّر ، لا في ذوات أنفسهم ، ولا في ملكوت السماوات والأرض ، وهو أمر حقيقٌ بالإنكار والتوبيخ والاستقباح ، لأنّهم لو فعلوا لعلموا أنّ الله هو الحقّ ، و لآمنوا بلقاء رّبهم ولم يكونوا من الكفرة الفجرة. أنظر 223/5
{وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ} لقمان:2	الاستفهام يدلّ على معنى الإنكار التوبيخيّ ، إنكارٌ على القوم انتهاجهم لنهج آبائهم الأوّلين الذين كانوا مشركين بالله عُبّادًا للشيطان ، وكان مصيرهم عذاب السعير، وبئس المصير، وتوبيخٌ لهم على هذا التّقليد الأعمى ، وعلى إعراضهم المستمرّ لنداء العلم والهدى ، والدعوة إلى نور الإيمان. انظر 257/5
{مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ} السجدة:4	الاستفهام يدلّ على معنى الإنكار التوبيخي ، إنكارٌ لحال هؤلاء المنكرين لآيات الله الكونيّة الدالة على قدرته ووحدانيّته ، المعرضون عن آياته المتلوّة بمواعظها وزواجرها ، وأخبار الأمم الغابرة التى نالها نصيب من عذاب الله ، فالإنكار مُنْصَبٌّ على عدم السّماع وعدم التّذكّر معا ، ويصحّ أن يكون مُنْصبًّا على عدم التّذكّر مع تَحَقّ͏ّ͏ُقِ ما يُوجِبه من السّماع. انظر 265/5
{وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ	الاستفهام :{ **أَفَلَا يَشْكُرُونَ** } يفيد معنى الإنكار والاستقباح ،

مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ، لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ} يس:34-35	إنكارُ عدمِ شكرِهم لأَنْعُمِ اللهِ المتوالية عليهم ليل نهار، واستقباحٌ لحالتهم المشينة في مقابلة النِّعَمِ المتواترة عليهم بالجحود والكفران. انظر387/5
{قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ} ص:75	استفهام يفيد معنى الإنكار التوبيخي ، إنكارٌ على امتناع اللعين إبليس من السجود للآدم ورفض الامتثال لأمر الله، وتوبيخ له على استعلائه واستكباره على الله، وبسببه استحقّ اللعنة إلى يوم الدين. انظر481/5
{أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ } الزمر:43	الاستفهام في قوله:{ **أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا** } يفيد معنى الإنكار والاستقباح ، على عبادتهم للأوثان واتخاذهم لها شفعاء ، والمعنى: أتتخذونهم شفعاء ولو كانوا لا يملكون ولا يفعلون ولا يقولون شيئا مهما كان حقيرا، هذا فضلا عن أن يكونوا شفعائهم عند الله تعالي انظر409/5
{سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} فصلت:53	الاستفهام في قوله:{ أَوَلَمْ يكفِ بربّك أنّه على كلّ شيء شهيد} يفيد معنى الإنكار التوبيخي، إنكارٌ عليهم إعراضَهم عن القرآن ، و عنادهم المحوج إلى سَرْدِ الآيات في الآفاق وفي أنفسهم ، وتوبيخهم على عدم اقتناعهم بشهادة الله على حقيقة القرآن ، وعلى صدق النبيّ المرسل إليهم ، مع أنّ شهادته تعالي هي أكبر شهادة ، وهو خير الشاهدين. انظر 5/6

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ، كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ} **الصف:2-3**	استفهام يفيد معنى الإنكار التوبيخي ، على عدم مطابقة القول للفعل ، والمعنى: لأيّ شيء تقولون نفعل ما لا تفعلون من الخير والمعروف بين الناس، على أنّ مدار التوبيخ والإنكار في حقيقته هو عدمُ فعلهم ، وإنّما وُجّه الإنكار والتوبيخ إلى قولهم تنبيها على تضاعف معصيتهم ، ببيان أنّ المنكر ليس تركَ الخير الموعودَ فقط ، ولكن أيضا الوعد به ، وقد كانوا يحسبونه معروفا ، ولو قيل : لم لا تفعلون ما تقولون لفُهِمَ منه أنّ المنكرَ هو تركُ الموعود فحسب. انظر 242/6
{أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ ، بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ} **القيامة:3-4**	الاستفهام:{ **أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ**} يفيد معنى الإنكار والاستقباح من وقاحة الإنسان الكافر وتبجّحه على خالقه. والمعنى: من مساوئ الإنسان الكافر وقبائحه أن يحسب أنّ الله عاجزٌ عن جمع عظامه وبعثه بعد موته ، فذلك حسبانٌ باطلٌ منكرٌ صدوره من الإنسان. انظر 335/6
{أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ} الغاشية:17-18	الاستفهام يفيد معنى الإنكار التوبيخى، إنكارٌ على مشركي العرب عدمَ نظرِهم نظرةَ تدبّرٍ وتفكّرٍ إلى الإبل التي هي ألصق شيء بهم ، لاتصال حياتهم بها في حلّهم وترحالهم ، كيف خُلقتْ خلقا عجيبا بديعا معدولا به عن سنن الخلق و مألوفاته ، كي يكون ذلك منهم هاديا إلى الإيمان وإلى طريق الله . انظر 6/420-421

(ب) : الاستفهام الدال على إنكار الوقوع واستبعاده

النظم القرآنيّ	البيان والتحليل
{كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}البقرة:28	**{كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ }** الاستفهام إنكاري يفيد معنى إنكار الوقوع واستبعاده ، إنكار وقوع الكفر من المخاطبين على أيِّ وجهٍ كان ، و من أوجه المبالغة على استبعاد وقوع الكفر منهم : توجيه الإنكار إلى نفس الكفر بكيف التي تنفي كلّ كيفيّات وقوعه ، والجملة الحالية المؤكدة المتضمّنة لعلّة استبعاد وقوعه. انظر 104/1
{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِين} البقرة:114	الاستفهام:{ **وَمَنْ أَظْلَمُ** } يفيد معنى الإنكار والتوبيخ ، إنكار عليهم الظلم بمنع مساجد الله عن عبادته ورفع شعائره ، واستبعادٌ أنْ يكون أحدٌ أشدَّ وأكثرَ ظلماً ممّنْ اقترف تلك الخطيئة المنكرة ، أو حتى مساويا له في جرمه . انظر 185/1
{أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاء} البقرة:214	الاستفهام:{ **أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا** } "أم " فيه منقطعة ، والهمزة تفيد معنى الإنكار والاستبعاد ، إنكارٌ علي المؤمنين حسبانَهم أن يدخلوا الجنةَ دون فتنة وتمحيص كما فُتِنَ ومُحِّصَ المؤمنون من قبلهم بالفتن والشدائد ، واستبعادٌ أنّ يقع ما حسبوه ويتحققّ لهم. انظر 259/1

{وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ} آل عمران:101	قوله:{كيف تكفرون} يفيد إنكار النطق بكلمة الكفر منهم واستبعاد وقوعه ، وفي توجيه الإنكار والاستبعاد إلى كيفية وقوع الكفر منهم ، من المبالغة ما ليس في توجيهه إلى نفسه ، بأن يقال: أتكفرون ؟ لأنّ كلّ موجود لا بدّ أن يكون وجوده على حال من الأحوال ، فإذا أُنكر ونُفِي جميع أحوال وجوده ، فقد انتفي وجوده بالكليّة بالطريق البرهانيّ. انظر 11/2
{أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا}النساء:53	الاستفهام إنكارى تكذيبي ، يفيد إنكار ما يدّعيه اليهود من الُملْكِ ، وإبطالُ ما زعموا بأنّ الملكَ صائرٌ إليهم وواقعٌ بأيديهم ، وتكذيبهم في ذلك، ويصحً أن يكون الإنكار للواقع وتوبيخه وليس إنكارَ الوقوعِ ، على معنى : إنكار ادعاءاتهم تلك وتوبيخهم عليها، لأنها غير لائق بهم وقوع الملك في أيديهم لأنّهم إذا ملكوا لن يؤتوا الناس نقيرا. انظر 150/2
{قُلْ آ لذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} الأنعام 143:	الاستفهام:**{آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ }**، استفهام إنكارى تكذيبي ، إنكارٌ عليهم وقوع تحريم من الله فيما زعموا ، وأنّهم إنما يتقوّلون علي الله في التحريم والتحليل دون سلطان آتاهم ، وتكذيب لهم فيما قالوا، والمعنى : كذبتم لم يحرّم الله أياّ منهما، لا الذكرين ولا الأنثيين. انظر 2/453-454
{لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ} الأعراف:88	الاستفهام إنكارى تكذيبي:{ **أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ** }، أي كذبتم ، لن تُخرجونا ولن نعود إلى ملّتكم فنحن لها كارهون، أي إنكار وقوع ما تتهدّدوننا به . انظر 4/3

{رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا} **الأعراف:155**	الاستفهام إنكارى تكذيبي:{ **أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا** } يصحّ اعتبار الهمزة لإنكار وقوع الهلاك، من باب الثقة بالله وبلطفه على عباده. وتصحّ الهمزة أن تكون لمعنى الاستعطاف والرجاء ، في ألاّ يُهلك اللهُ عبادَه بفعلِ زمرةٍ قليلةٍ من السفهاء، وكلا المعنيين وجيهٌ وجديرٌ بالاعتبار. انظر 36/3
{كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} التوبة:7	الاستفهام "بكيف"، يدلّ على إنكار وقوع الفعل وحدوثه ، أي لا يصحّ عقدُ عهودٍ ومواثيقَ مع المشركين باسم الله ورسوله ، ولا استمرار ما كان منها مبرمة قائمة ، لأنّهم لا يحترمون عهدا ولاَ يفُوْنَ بميثاق ، إلا من وقع في دائرة الاستثناء والتّخصيص، والشّاذ لا حكم له. انظر 125/3
{فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ} **يونس:32**	الاستفهام في قوله:{ **فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ**} يفيد إنكار وقوع الحدث وتكذيبه ، أي ليس بعد وقوع الحق شيءٌ إلا وقوع الضلال ، فليس بين الهدى والضلال والحقّ والباطل منزلة بين المنزلتين وسطى. انظر 236/3
{قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ} **يونس:95**	الاستفهام:{ **آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ** } يفيد معنى الإنكار التكذيبي، إنكارٌ عليهم تحليل بعض أرزاق الله على عباده وتحريم أخرى ، وتكذيبٌ لهم فيما جعلوا من الحلال والحرام ، إذْ لا حرام إلا ما حرّم الله ولا حلال إلا ما أحلّ الله ، كأنّه قيل : كذبتم إنّ ذلك لم يقعْ ولم يحدثْ ، لم يأذنْ الله لكم بل تفترون عليه سبحانه الكذب ، وفي وضْعُ الظاهر موضع المضمر، وتقدّيم الفعل دلالةً على قُبْح افترائهم وتأكيدا لتبكيتهم إثر تبكيت. انظر 252/3

الآية	التحليل
{وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ} الرعد:5	الاستفهام يفيد معنى الإنكار والاستبعاد التّام ليوم البعث، مُدلّلٍ عليه بتقديم الظرف ، وتكرار الهمزة(أإذا– أإنّا) تأكيدا للإنكار واستبعادا له بنفي ظرف زمانه ، وبتوجيه الإنكار إلى حالة منافية للحياة – في نظرهم– وهي حالةُ تحلّلِ الأجسامِ إلى ترابٍ والعظام إلى رفات . انظر 439/3
{قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}إبراهيم:10	الاستفهام في قوله:{ **أَفِي اللَّهِ شَكٌّ** } إنكارى تكذيبي ، يفيد معنى تكذيب وقوعِ شكٍّ من الشّكوكِ في وجود الله عزّ وجلّ، لأنّ كلّ الدلائل تشير إليه وإلى أنّه واحد ، وتسليط الهمزة على الجار والمجرور للدلالة على أنّ محور الإنكار والتكذيب ليس في الشك ، بل الشّكّ في الله على وجه الخصوص. انظر 475/3
{أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا}الإسراء:40	الاستفهام في قوله: { أفأصفاكم} يفيد معنى الإنكار التكذيبي ، إنكارٌ على المشركين في قسمتهم الجائرة بنسبة البنات إلى الله و اختيار البنين لأنفسهم ، وتكذيبٌ لهم فيما اعتقدوا ونطقوا ، لأنّه لا واقع ولا حقيقة له ، فهو منكرٌ من القول وبهتان مبين: {مَا كَانَ لِلّه أنْ يتّخذ مِنْ ولدٍ سُبْحَانَه} . انظر 132/2
{وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى} طه:133	الاستفهام في قوله :{ أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى} إنكارى تكذيبي ، إنكار مقولتهم بعدم مجيئ الآيات والرسل إليهم تكذيبا لدعواهم وتقريرا لمجيئها إليهم ، فقد جاءتهم آياتُ وبيّناتٌ ما في الصّحف الأولى، التى أنزلها الله على رسله

	مثل : صحف إبراهيم وموسى وغيرها، وهي من الوضوح بحيث لا يتأتى لأحد إنكارها، وإن اجتروا على إنكار سائر الآيات مكابرة وعنادا . انظر 319/4
{مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يؤمنون} **الأنبياء:6**	الاستفهام في قوله :{ **أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ}** استفهام إنكارى تكذيبي، إنكار لإيمانهم ونفي توقّع وقوعه ، فهم على نهج السابقين الأوّلين من آبائهم في عدم الإيمان ، والمعنى : إنّه لم تؤمن أمةٌ من الأمم حين استُجِيبتْ لما اقترحوا وطلبوا من رسلهم من الآيات البّينات والمعجزات الناصعات ، فهل يتوقع أحدٌ أنْ يؤمن هؤلاء ؟ كلاّ ثمّ كلا. انظر4/ 234
{وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ} **السجدة:28-29**	الاستفهام هنا يفيد معنى الاستعجال ليوم القيامة على سبيل الاستهزاء والتكذيب ، على معنى أنّ القول بيوم القيامة هو حديث عن يوم لا يأتي البتة ، بل مجرد كلام لا أساس له ، وِفْقاً لمنطقهم الأعوج:{ إنْ هِيَ إلاَّ حَياتُنَا الدُّنْيَا نَمُوْتُ وَنحْيَا وما يُهْلِكُنَا إلاَّ الدَّهْرُ}. انظر 276/5
{وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ **أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ}** **الصافات:15-16**	الاستفهام في قوله: {أَإذا مِتْنَا وكنَا تُرابا} ، يفيد معنى الإنكار التكذيبي ، إنكار للقول بالبعث بعد الموت وتكذيب لقائله، حيث وجّهوا الأمر إلى حالة منافية للبعث بعد الموت غايةَ المنافاة ، وكان هذا هو السّر في تكرار همزة الاستفهام: (أإذا– أإنّنا) ، وتوكيد الجملة بإنّ وباللام . انظر415/5
{أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ	الاستفهام يفيد معنى الإنكار التكذيبي ، إنكارُ منهم على إنزالِ الوَحْيِ على محمد –صلي الله عليه وسلم – دون غيره من

ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ} ص:8	صناديد القَرْيَتَيْنِ مكةَ والطائف ، وتكذيب أن يكون ذلك واقعا حقيقة ، و أنّه أَمْرٌ لا يليق ولا يكون بزعمهم ، ردّا على من يقول ذلك أو يعتقده كما زعموا: { أَهُمْ يَقْسِمُوْنَ رحْمةَ ربِكَ}. انظر 452/5
{وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ، أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ} الواقعة:47-48	الاستفهام في قوله:{ **أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ، أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ** } يفيد معنى الإنكار التكذيبي، إنكارهم لوقوع البعث والنشور وتكذيبهم له، بمقارنتهم لحالة منافية له تمام المنافاة ، وهو الموتُ وتحلّلُ الأجسامِ إلى ترابِ وعظام نَخرةٍ بالية ، وتكرار همزة الاستفهام ، وتحلية الجملة بإنّ ، للإشارة إلى بلوغهم غاية المنتهى في إنكار البعث وجوده ، لا في أنفسهم ولا في آبائهم الأوّلين. انظر 191/6

الفصل الرابـع

التّقديم والتّأخيرفي تفسير أبى السعود

توطئة : حول التقديم والتأخير

أفرد ابن جني (392هـ) بابا في كتابه الأشهر الخصائص ، سماه: "شجاعة العربية"، تحدّث فيه عن التقديم والتأخير، و أوضح ما يجوز وما لا يجوز تقديمه أو تأخيره قياسا ، وما لا يجوز إلا اضطرارا ، فخلص إلى أن الوحدات النحوية من حيث التقديم والتأخير على ضربين:

الأول : ما يقبله القياس: كتقديم المفعول على الفاعل تارة ، وعليه وعلى الفعل تارة أخرى ، نحو : كتب الرسالة زيد، والرسالة كتب زيد. (1) ، ومثله تقديم خبر كان وأخواتها على أسمائها ، وعليها وعلى أنفسها ، ويقرر بن جنى: أن خبر المبتدأ لم يتقدم على عامله ، لأنه مرفوع بعاملين ، هما: المبتدأ ، والابتداء ، فلم يتقدم الخبر عليهما معا وإنما تقدّم على أحدهما وهو المبتدأ، وبذلك تظلّ القاعدة القائلة : " ليس في الدنيا معمول يتقدم على عامله" قاعدةً صحيحة ومستمرة.

الثانى: ما لا يجوز فيه التقديم إلا اضطرارا، فلا تتقدم الصلة على الموصول ، ولا المعطوف عطف نسق على المعطوف عليه إلا اضطرارا(2).

ركز البلاغيون بحثهم في باب التقديم والتأخير على ثلاثة مباحث هي :

1-تقديم المسند إليه على خبره الفعلي: هذا هو التعبير البلاغي عن الفاعل المقدم على فعله، فهو وإن أعربه النحاة مبتدأ، لكنّه هو الفاعل المعنوي للفعل بعده ، نحو : الله أنشأ الخلق.

---

[1] - الخصائص لأبي الفتح بن جني384/2، ت : محمد على النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1407هـ/1987م.

2- يطلق الدرس اللغوي الحديث على المواقع النحوية المستقرة مصطلح : " الرتبة المقيدة أو المحفوظة" كموقع الفعل من الفاعل، والمضاف من المضاف إليه..الخ، ووصل بها ابن السراج إلى ثلاث عشرة رتبة، كما يطلق على المواقع النحوية المتحركة اسم:" الرتبة الحرة أو غير المحفوظة" مثل رتبة المفعول، والجار والمجرور ، والحال والظرف، والفاعل المعنوي المخبر عنه بفعل، ويشمل كل ما كان معمولا لفعل متصرف، أو كان خبرا لمبتدأ سوى ما استثني، انظر الأصول لابن السراج222/2، والأشباه والنظائر للسيوطى209/2 اللغة العربية معناها ومبناها، د/ تمام حسان،ص208،

3- انظر الخصائص ، لابن جنى، مصدر سابق ، 2/ 384

2- تقديم المفعول : المفعول هو : اسم منصوب وقع عليه فعل الفاعل، ورتبته الأصلية أن يقع بعدهما. وهي رتبة حرة غير محفوظة، تقول : أكرم زيدٌ الضيفَ، وأكرم الضيفَ زيدٌ، والضيف أكرم زيد، في المثال الأول جاء التركيب على أصله، فلا يسأل عن علته ، وفي الثاني توسط المفعول بين الفعل والفاعل، وفي الثالث تقدم عليهما، وأخيران عدول عن الأصل، وهو جائز في سعة الكلام، وهو دليل الرتبة الحرة، ولا يعل عن الأصل ما لم تدع إليه علة حاجة لفظية أو نكتة بلاغية توجب تقدمه أو توسطه(1).

3- تقديم الخبر على المبتدأ : إذا كان المبتدأ: هو الاسم المرفوع في أول الجملة المجرد من العوامل اللفظية الأصلية ، المخبر عنه بحكم تتم به فائدة الكلام ، فإن الخبر هو ذلك الاسم المرفوع المتمم لمعنى المبتدأ، فهو الشطر الثاني المكمل للجملة ، وعليه يقع معنى التصديق والتكذيب ، فإذا ما قلت : زيد حاضر ، فالتصديق والتكذيب إنما يقعان على الحكم المسند إلى زيد، وهو الحضور، ولا يقعان على الذات، لأن الذوات أمرها جلي بين رتبة الخبر أن يقع بعد المبتدأ، لأنه يدل على حقيقته أو حكمه أو صفته، ودرجة الصفة أن تقع بعد الموصوف، فإذ قلت : زيد فقيه ، فالفقيه هو زيد وزيد هو الفقيه ، ولكنك إذا قلت : زيد فقيه أبوه، فالخبر ليس حقيقة المبتدأ كما أن الحكم ليس مسندا إليه، بل إلى أبوه لأنه هو الفقيه. وقد صح الإخبار بهذه الجملة الصغرى، لما بينهما من سبب متصل وصلة قريبة ، ورتبة الخبر حرة غير مقيدة ، فيجوز تقديمه على المبتدأ متى شاء المتكلم ذلك، لأن الأصل عدم موجب التقدم ، وعدم مانعه أيضا(2).

علم المعاني فمجال عمله هو القسم الثالث ، منطقة جواز التقديم والتأخير، حيث يهتم بالبحث والتقصي في منطقة الجواز ابتغاء الكشف عن علله وأسراره ، وعن النكت البالغة الكامنة وراء التقديم.

ويمكن تقسيم التقديم والتأخير إلى قسمين(3):

---

1 - انظر دلال الإعجاز ، ص123، ومواهب الفتاح 2/ 137

2 - أنظر المرجع السابق.

3 انظر دلائل الإعجاز ، ص 106.

(1)– التقديم على نيّة التّأخير: وهو كلّ كلمةٍ تحتفظ بحكمه وإعرابه الذي كان عليه قبل التّقديم، كتقديم الخبر عل المبتدأ نحو:{أراغب أنت)، و المفعول على فعله.

(2)– التقديم على غير نيّة التّأخير: وهو كلّ كلمةٍ يتغيّر حكمها وإعرابها بعد التّقديم عمّا كان عليه قبل التّقديم ، مثل: تقديم الاسم على خبره الفعلي، وتقديم أحد المعرفتين اللّتين يصحُّ كلّ منهما مبتدأ أو خبرا. يتناول هذا الفصل مواقع التقديم والتأخير التي تناولها أبو السعود، سواء ما تعلّق منها بالمواقع الصنعة الوظيفية في عِلْمَيْ النّحوِ و البلاغة ، أو ما تعلّق منها بالمواقع السّياقيّة ، التي أوثر فيها تقديم لفظ أو معنى على آخر لاعتبارات معنوية واسعة المجال ، كثيرة الأغراض والمقاصد ، وقد قسّمته إلى أربعة مباحث:

المبحث الأول : تقديم المسند إليه.

المبحث الثانى: تقديم المسند.

المبحث الثالث: التقديم بين متعلقات الفعل.

الرابع: التقديم والتأخير في سياق النظم القرآنيّ.

المبحث الأوّل: تقديم المسند إليه :

ذكر الإمام عبد القاهر الجرجانى، أنّ تقديم الاسم المُخبَر عنه بجملة فعلية نحو : زيدٌ قد فعل، وأنا فعلتُ ، يقتضي أن يكون القصدُ منه متعلّقاً بالاسم المقدّم ، وقال إنّ هذا التركيب يدور حول معنيين [1]:

الأول: أن يكون القصد منه الدلالة على معنى القصر، قصر معنى الفعل على الاسم المقدّم ، وأنْ تجعله له دون سواه ، زعما وادعاءً بأنّه هو فاعله دون غيره.

الثاني: أن يكون القصد منه تنبيه السامع على المحدّث عنه ، وتأكيد وقوع الفعل منه تحقيقًا للأمر وتقويةً له ، وقطعا للشكّ باليقين.

وقد وقف أبو السعود إزاء ما ورد من هذا التركيب في آيات الذكر الحكيم ، بالشرح والبيان ، واستنباط الأسرار و المعاني البلاغية الظاهرة منها والكامنة ، ممّا أشار إليه الجرجانى وأكثر ، وفيما يلي عرضٌ لشواهد معبّرةً عن الأفق البعيد الذي طار إليه شيخ الإسلام أبو السعود في ذلك:

إفادة معنى التوكيد والتخصيص

- قوله تعالي:{**وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ**}[2]، تقديم الجار والمجرور والضمير: " وبالآخرة هم" ، وبناء الفعل: " يوقنون " عليه، ينبئ عن توكيد إسناد هذا النوع من الإيمان إليهم وتخصيصه بهم، وتعريض بمن عداهم من أهل الكتاب، فإن اعتقادهم في أمور الآخرة بمعزل عن الصحة فضلا عن الوصول إلى مرتبة اليقين.[3]

---

[1] - انظر دلائل الإعجاز صـ128

[2] - البقرة: 4

[3] - انظر أبو السعود 1/ 38، والتحرير والتنوير 1/ 118، مرجع سابق.

إفادة معنى القصر والاختصاص:

- قوله تعالي:{**تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ**}[1]، اللهُ يعلمُهُمْ : تقديم الاسم (الله) وبناء الفعل عليه ، يفيد معنى القصر والاختصاص، إذْ المعنى: الله يعلمُهم لا غيره ، ويلاحظ أن الجملة المنفية المقوّية لمعنى القصر سابقة على المثبتة في الذكر:{ **لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ**}، ما يقطع بدلالة التركيب على معنى القصر والاختصاص.[2]
- قوله تعالي:{**وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ**} [3]، تقديم الضمير(نحن) وبناء الفعل عليه(نحيي ونميت)، لإفادة معنى القصر والحصر ، أي: إنّ الله وحده هو من يحيي ويميت لا غيره استقلالا أو اشتراكا، بحيث لا تتعداه هذه الصفة إلى أحدٍ سواه.[4]
- **قوله تعالي:{ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ** }[5]، تقديم الاسم:(إنّ ربّك)، وبناء الفعل عليه:(يحشرهم)، لإفادة معنى القصر، والضمير لتأكيد المعنى ، سواء اعْتُبر فصلا أو بدلا ، أي : هو القادر على حشرهم والمتولّي له لا غيره.[6]
- قوله تعالي:{**إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ** }[7]، تقديم الاسم الجليل: (الله) ، وبناء الفعل عليه خبرا له:(يقدّر)، لإفادة معنى القصر والاختصاص، على معنى أنّ تقدير الليل والنّهار مما لا يقدر عليه أحدٌ سواه، لا من الإنس ولا من الجنّ ،

---

[1] - الأنفال: 60
[2] - أبو السعود 110/3
[3] - الحجر: 23
[4] - أبو السعود 15/4
[5] - الحجر: 25
[6] - انظر أبو السعود 15/4
[7] - المزمل: 20

فهو عمل مقصورٌ عليه مختصٌّ به سبحانه وتعالي ، وهذا المعنى مسندٌ بقوله بعده :{علم أن لن تحصوه} ، فهو في قوّة النفي بعد الإثبات.[1]

التخصيص والتنبيه على كمال المباينة بين حالتين

- **قوله تعالي:{أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ}** [2]، تقديم الضمير:(هم) وبناء الفعل عليه خبرا له:(ينشرون)، لإفادة معنى التخصيص، والتنبيه على كمال مباينة حالهم للإنشار وهو البعث والنشور الموجبة لمزيد الإنكار، أي: هل آلهتُهم التى اتخذوها من الأرض هم خصوصا يبعثون الموتى دون الله رب العالمين.[3]

الدلالة على معنى التسخير والتسيير

- قوله تعالي :**{ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ}** [4]، تقديم الاسم وإيلاؤه حرف النفي: (لا الشّمسُ) ، وبناءُ الفعل عليه:(ينبغي لها) للدلالة على أنّ الشّمّس مسخّرةٌ لا مخيّرة في مدارها ، مسيرة فلا يتيسّر إلاّ ما قُدِّرَ لها على وجه التحقيق والتأكيد.[5]

تفخيم المعنى وتعظيم شأنها

- قوله تعالي:{ **اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ**}[6] ، تقديم الاسم لفظ لفظ الجلالة:(الله)، وبناء الفعل عليه (نزّل) لأجل تفخيم المعنى وإعلاء مقامه ، وإقامة الحجّة على أحسنيّته:(أحسن الحديث)، تأكيدا لاستناده إلى الله تعالي ، فهو من عنده لا من عند غيره ، مع التنبيه على أنّه وحيُ معجزٌ.[7]

---

[1] - انظر أبو السعود 324/6
[2] - الأنبياء: 21
[3] - انظر أبو السعود 330/4
[4] - يس: 40
[5] - انظر أبو السعود 389/5
[6] - الزمر: 23
[7] - أبو السعود 501/5

المبحث الثاني : تقديم المسند:

أولا – تقديم المسند لإفادة معنى القصر

- قوله تعالي:{**تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ}** [1]، أفاد تقديم المسند (لها– ولكم) على المسند إليه: (ما كسبت– ما كسبتم) "ما"اسم موصول أو موصوفة ، أفاد التقديم معنى القصر، لأنّ المراد: للأمّة السابقة ثوابُ ما كسبت من الأعمال الصالحة ، لا يتعداها إلى غيرها من الأمم ، وللأمة اللاحقة أجرُ ما عملت من الحسنات لا يتعدّاها إلى غيرها[2]، فلا ينفعهم انتسابهم للأوّلين وإنّما ينفعهم اتباعهم على درب الإيمان والعمل الصالح، وفي ذلك قطع لأطماعهم الفارغة من الانتفاع بحسنات الأمة الخالية دون اقتداء بسيرهم.[3]
- قوله تعالي :**{وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ}** [4]، تقديم الجار والمجرور الواقع خبرا على المبتدأ:(وإليك المصير)، لإفادة معنى القصر، إذ المعنى: الرجوع بعد الموت والبعث إليك لا إلى غيرك، وهو تذييل لما قبله مقرّرٌ للحاجة إلى المغفرة ، لِمَا أنّ الرجوع لأجل الحساب والجزاء.[5]
- **قوله تعالي:{قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}**[6] قوله(بيدك الخير) تعريف الخير لإفادة معنى التعميم والشمول، وتقديم الخبر لإفادة معنى القصر والاختصاص، والمعنى : بقدرتك الخير كلّه لا بقدرة أحد سواك، تتصرّف فيه قبضا وبسطا حسبما تقتضيه المشيئة أزلا وأبدا.[7]

---

[1] - البقرة: 134

[2] - اعتبر أبو السعود معنى القصر في الأول وقلل من احتمال دلالة الثاني عليه، بحجة أن المقام لا يساعده، مع أن المقام واحد وليس متعددا، كما أن المراد من الآية يبدو متحدا في الجملتين، وهو نفي انتفاع أمة بعمل أمة أخرى سابقة أو لاحقة، من غير أن تكون على درب الإيمان والعلم الصالح، فتأمل.

[3] - أبو السعود 204/1

[4] - البقرة: 285

[5] - أبو السعود 327/1

[6] - آل عمران: 26

[7] - انظر أبو السعود 352/1

- قوله تعالى:{**وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا** }[1] تقديم خبر كان:(كذلك) على اسمها ضمير المخاطبين في:(كنتم)، لإفادة معنى القصر، أي ما كنتم إلا كذلك ، فمنّ الله عليكم بالإيمان، وهو من قصر الموصوف على الصفة المذكورة وهي صفة الكفر وعدم الإيمان.[2]
- قوله تعالي: { **إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**} [3]، وقوع (هؤلاء) اسما لإنّ، وتقديم الخبر(متبّر) من الجملة الواقعة خبرا للاسم الإشارة ، وتأخير المبتدأ:(ما هم فيه) لإفادة معنى القصر، قصر التّبار والبوار وبطلان الأعمال عليهم ، لا يتعدّاهم البتة إلى غيرهم ، وأنّه عليهم ضربةُ لازب.[4]
- **قوله :{وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ** }[5]، قوله:{وإن قوله:{وإن تعجب فعجبٌ قولهم}، تقديم الخبر:(فعجبٌ) على المبتدأ:(قولهم) من قصر الموصوف على الصفة، والمعنى : لا عجب إلاّ عجبهم ، ولا عجب أعجب منه حقيقٌ بأنْ يقصر عليه التّعجّب ، أي إنْ تعجبْ من إنكار البعث ومن حجّة المنكرين له فلا عجب إلا قولهم:{ **أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ}**[6].
- قوله:{**وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ**} [7] تقديم الخبر الجار والمجرور: (لله) على المبتدأ:(عاقبة الأمور) لإفادة معنى القصر والتخصيص، قصر رجوع الأمور وعاقبتها إلى حكم الله وتقديره، لا إلى أحد سواه.[8]

---

[1] - النساء: 94
[2] - انظر أبو السعود 181/2
[3] - الأعراف: 139
[4] - انظر أبو السعود 25/3
[5] - الرعد: 5
[6] - انظر أبو السعود 439/3
[7] - الحج: 41
[8] - انظر أبو السعود 385/4

- قوله تعالي :{ **وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ** }[1] ، تقديم الخبر على المبتدأ:(كذلك الخروج)، لأجل إفادة معنى القصر والاختصاص ، قصر صفة خروج الناس من قبورهم يوم البعث على المشار إليه باسم الإشارة ، من إنزال الماء من السماء وإحياء الأرض بهذا الماء بعد موتها وإنبات النبات منها خَضِرةً نَضِرةً ، والمعنى : مثل تلك الحياة البديعة نكون حياتكم بالبعث من القبور لا شيء مخالف لها. وفي التعبير عن إخراج النبات من الأرض بالإحياء، وعن بعث الموتى بالخروج تفخيمٌ لشأن الإنبات، وتهوينٌ لأمر البعث وتحقيق المماثلة بين إخراج النبات وإحياء الموتى ، لتوضيح منهاج القياس وتقريبه إلى أفهام النّاس.[2]
- قوله تعالي:{ **يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** }[3]، تقديم الخبر الجار والمجرور(له) على المبتدأ:(الملك) يفيد قصر الملك والحمد على الله وحده ، وإعادة الخبر(له)، لتأكيد استقلاليّة كلّ منهما وقصره على الله دون تعلّقه أو ارتباطه بالآخر ، بحيث لا يتجاوزه إلى غيره.[4]

<u>ثانيا– إفادة معني العناية والاهتمام:</u>

- قوله تعالي:{ **أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ** }[5] تقديم خبر كان:(عجبا) ، على اسمها:(أن أوحينا) المصدر المؤوّل من أنْ والفعل، أي : أكان وحيُنا عجبًا للنّاس، غرضه إبراز الاهتمام بالخبر والاعتناء به، لكونه مدار الإنكار والتوبيخ عليهم، في تعجّبهم في غير مُتَعَجَّب ، ولأجله سبق الاستفهام فكان أولى بالتقديم.[6]

---

[1] - ق: 11
[2] - انظر أبو السعود 124/6
[3] - التغابن: 1
[4] - انظر أبو السعود 255/6
[5] - يونس: 2
[6] - انظر أبو السعود 208/3

- قوله تعالي:{**وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ**} [1] تقديم الخبر على المبتدأ:(أحقٌّ هو) ، غرضه إبراز الاهتمام به والاعتناء به ، بالنظر إلى أنّ بيان الحقّ والاهتداء إليه، هو غاية القصوى من إنزال الكتب وإرسال الرسل ، وهو ضالّةُ كلِّ أريبٍ ولبيب في كلّ عصر ومصر، فمنهم من هُدِيَ إليه ومنهم من ضَلّ عن سبيله.[2]
- قوله تعالي:{**وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ**}[3] ، تقديم الخبر:(وآيةٌ لهم) على المبتدأ:(الأرض الميتة)، لإبراز الاهتمام بسرد الآيات وتعداد البراهين، خاصة هذه الآية المذكورة " بعث الحياة في الأرض موتها"، وهي آيةٌ يعايشها النّاس على درجة سواء موتَها ثمّ إحياؤها بعد إنزال المطر من السماء ، وإخراج الأرزاق من الأرض ممّا يأكل الناس والأنعام.[4]

1 - يونس: 53
2 - انظر أبو السعود 250/3
3 - يس: 33
4 - انظر أبو السعود 386/5

المبحث الثالث : تقديم متعلقات الفعل

أولا– تقديم المفعول على الفعل والفاعل

- **تقديم المفعول لإفادة معنى القصر :**

قوله تعالي:{ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}** [1]، (إيّاك) في الجملتين ضمير نصب منفصل مفعول به مقدّم على فعله وفاعله: (نعبد– نستعين) ، الغاية من التقديم إفادة معنى القصر والتّخصيص، مع ما فيه من التّعظيم والاهتمام بالمقدم، والمعنى : نخصّك بالعبادة دون سواك ، ونخصّك بالاستعانة دون غيرك، أي على وجه القصر والحصر، وتكرار الضمير للتنصيص على تخصيصه تعالي بكلّ من العبادة والاستعانة مستقلاّ غير مرتبط بالآخر، مع ما في التكرار من الاستلذاذ بالخطاب وبالمناجاة.[2]

- قوله تعالي:{**وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ}**[3]، تقديم المفعول: (إيّاي) لإفادة معنى القصر والاختصاص، أي : ارهبوني ولا ترهبوا أحدا سواي، وهذا أكثر تأكيدا من السابق في سورة الفاتحة ، لتكرار المفعول مقدّما ومؤخّرا، ثمّ باقترانه بالفاء الدالة على تضمّن الكلام معنى الشرط، كأنّه قيل: إن كنتم راهبين شيئا فارهبوني.[4]

- قوله تعالي:{**وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ** }[5]

قوله:(كذلك) الكاف في محلّ النصب، إمّا على أنّها نعتٌ لمصدر محذوف وقُدِّم على فعله:(قال) لإفادة معنى القصر، والمعنى : قولا مثل ذلك القول بعينه لا قولا مغايرا له:{**قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**}، ويحتمل إعرابا آخر لا قصر فيه.[6]

---

[1] - الفاتحة: 5
[2] - انظر أبو السعود 26/1
[3] - البقرة: 40
[4] - انظر أبو السعود 127/1
[5] - البقرة: 113
[6] - انظر أبو السعود 185/1

- قوله تعالي :{**قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ**} [1]، قوله:{ كذلك الله يفعل ما يشاء} ، أي : يفعل الله ما يشاء أن يفعله فعلا مثل ذلك الفعل العجيب والصنع البديع الذي هو خلق الولد من شيخ فانٍ وعجوزٍ عاقر، وقُدّم اسم الإشارة على العامل لإفادة معنى القصر بالنسبة إلى ما هو أدنى من المشار إليه، أي قصر إضافي قلب، واعتبرت الكاف مقحمة لتأكيد ما أفاده اسم الإشارة من الفخامة.[2]
- قوله تعالي:{**وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ**} [3]، كلاًّ : مفعول به مقدّم، على فعله(هدينا)، لإفادة معنى القصر، قصر إضافي قلب ، وتأويله: ما هدينا إلا كلاً منهما، لا أحدهما دون الآخر، لكن ليس بالنظر إلى غيرهما مطلقا، بل بالظر إلى أحدهما إسحاق ويعقوب ، ردّا على مَنْ يعتقد أنّ هداية الله كان لأحدهما، والواقع أنّها كانت لهما.[4]
- قوله تعالي:{ **كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا**}[5]، تقديم المفعول(كلاًّ) على فعله :(نمّد) لإفادة معنى القصر، قصر إمداد الله على كلتا الطائفتين لا على إحداهما، وذلك دفعا لتوهّم اختصاصها بالفريق الأوّل، فإنّ تخصيص إرادتهم لها ووصولهم إليها بالذكر من غير تعرّض لبيان النسبة بينها وبين الفريق الثانى إرادة ووصولا، مما يُوهِمُ اختصاصها بالأوّلين، فالمعنى: كلّ واحد من الفريقين نمدّ بالعطايا العاجلة لا من ذكرنا إراداته لها فقط.[6]
- قوله تعالي :{ **قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ، لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ**}[7]، تقديم المفعول(الحقَّ) على فعله(أقولُ)، لإفادة معنى القصر، قصر صفة القول على كونه حقّا مبينا، والمعنى: لا أقولُ إلا الحقَّ.[1]

---

[1] - آل عمران: 40
[2] - انظر أبو السعود 365/1
[3] - الأنعام: 84
[4] - انظر أبو السعود 410/2
[5] - الإسراء: 20
[6] - انظر أبو السعود 121/4
[7] - ص: 84-85

- قوله تعالي :{ **بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ** }[2]، تقديم لفظ الجلالة الواقع مفعولا:**(**بل الله**)**، على فعله:**(**فاعبد**)** لإفادة معنى القصر والاختصاص، أي: فالله وحده لا شريك له خصّصْ عبادتك واقصرها عليه سبحانه وتعالي، بحيث لا يتجاوزه إلى غيره لا استقلالا ولا اشتراكا.[3]
- **<u>تقديم المفعول لرعاية الفواصل القرآنية:</u>**

قوله تعالي :{**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ}** [4] تقديم المفعول الواقع أسمَ موصل(وممّا**)** بمعنى "الذي"، على الفعل والفاعل (يتفقون**)**، لأجل رعاية حسن الإيقاع في الفاصلة القرآنية ' التى انتهت بها الآيات الواردة في السياق([5])

- **<u>تقديم المفعول لتهويل الخطب:</u>**

قوله تعالي:{**فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ}**([6])، تقديم المفعول فيه ، ظرف الزمان:{ ويوم القيامة} ، على الفعل والفاعل، لإفادة معنى تهويل الخطب ، وتفظيع الحال من أوّل وهلة ، من أهوال ذلك اليوم وشدائده التى يشيب لها الولدان [7].

- قوله تعالي :{**أَفَكُلَّمَا جَاءَ كُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ}** [8]، تقديم المفعول:(فريقًا) على الفعل والفاعل في الموضعين، لإفادة معنى الاهتمام وتشويق السامع إلى ما صنع هؤلاء القومُ بالمُرسلِيْنَ من بني جلدتهم، وفي استخدام المضارع (تقتلون**)**، إيماءةٌ إلى أنّهم لا يزالونُ يبيّتون نيّةَ القتل في أنفسهم ضدّ أنبياء الله ورسله والصالحين من عباده، وقد ظهر ذلك

---

[1] - انظر أبو السعود 484/5
[2] - الزمر: 66
[3] - انظر أبو السعود 516/5
[4] - البقرة: 3
[5] - أبو السعود 46/1
[6] - البقرة: 85
[7] - انظر أبو السعود 61/1
[8] - البقرة: 87

جليّاً حين هَمُّوا بما لم ينالوا، ودبّروا محاولةَ قتلِ النبيّ محمد – صلي الله عليه وسلم – خاتم النبيّين بالمدينة النبوية.[1]

- **تقديم المفعول لإبراز الاهتمام ورعاية الفواصل:**

قوله تعالي:{**صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ**}([2]) تقديم الجار والمجرور:(له) ، على عامله :(عابدون)، لأجل إبراز الاهتمام والعناية بالإله المعبود، مع ما فيه من رعاية الفاصلة وحسن الإيقاع والانسجام مع بقيّة الآيات ، وإيثار الجملة الاسمية للإشعار بدوام عبادتهم له[3].

- **تقديم المفعول للمسارعة إلى إنكارالمعنى واستبعاده:**

قوله تعالي :{**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ**} [4]، تقديم الجار و المجرور:(بربّهم) على الفعل والفاعل، لإفادة مزيد الاهتمام بربوبيّه ، والمسارعة إلى تحقيق الإنكار والاستبعاد ، والمحافظة على الفواصل في النظم القرآنيّ.[5]

---

[1] - أبو السعود 162/1
[2] - البقرة: 138
[3] - انظر أبو السعود 208/1
[4] - الأنعام: 1
[5] - انظر أبو السعود 349/2

ثانيا– تقديم المفعول على الفاعل

- **إظهار إحكام السيطرة والتّمكّن:**

قوله تعالى:{**كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ** }[1]، تقديم المفعول (أحدَكم) على الفاعل (الموتُ) لإفادة إحكام سيطرة الموت وتمكّنه من المحتضر ممّنْ جاء أجله وانقضي عمره.[2]

- **تقديم المفعول على الفاعل لإبراز الاهتمام به:**

قوله تعالى:{**أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ**}[3]، تقديم المفعول: (يعقوبَ) على فاعله:(الموتُ) ، لإبراز الاهتمام به وبوصيّته لبنيه حين موته، كخير وصيّة يوصي بها والدٌ بنيه حين رحيله عن هذه الدنيا.[4]

- **كمال العناية بأمر التربية وحسن الكفالة:**

قوله تعالى :{فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا} [5]، تقديم الجار والمجرور:(عليها)، والمجرور:(عليها)، على الفاعل:(زكريا) لإظهار عنايته بأمر تربيته لمريم وحسن كفالته لها ، تنفيذا لتشريف الله له بذلك إذ اختاره لكفالتها دون غيره من الراغبين في ذلك.[6]

- **إبراز الاعتناء والتشويق:**

قوله تعالى:{**قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ** }[7]، تقديم الجار والمجرور(لي) على اسم يكون ، للاعتناء بما قُدّم والتشويقُ لما أُخِّر، ووجه الاعتناء به هو كونُ نبيّ الله زكريا

---

[1] - البقرة: 180
[2] - انظر أبو السعود 239/1
[3] - البقرة: 133
[4] - انظر أبو السعود 202/1
[5] - آل عمران: 37
[6] - انظر أبو السعود 362/1
[7] - آل عمران: 40

كان قد يئس من الذّرّية لكبر سِنِّهِ وعُقْرِ أهله ، ووجْهُ التشويق هو كونُ المُبَشّر به هو أكبر مأمولٍ وأظهرُ ميئوسٍ منه وهو الولد.[1]

الاعتناء بالمقدّم والتّشويق للمؤخّر:

قوله تعالي:{**قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ**}[2] ، تقديم الجار والمجرور (لي) عن اسم كان (ولدٌ) لإبراز الاعتناء بالمقدّم ، وهو من يُرزق بولدٍ دون أن يمسسه بشرٌ وهو من العجب العُجاب ، والتشويق للمؤخّر، وهو المبشّرُ به (ولدٌ) ، بلا والد[3]

- **تعجيل المسرّة وإبراز العناية:**

قوله:{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ**}[4]، تقديم الجار والمجرور (لكم)، على القائم مقام الفاعل:(بهيمةُ الأنعامِ)، الأنعامِ)، تعجيلا للمسرّة في كون ما يذكَر بعده لمصلحتهم وحلال لهم خصوصا، والتّشويقُ إلى المؤخَّر، فإنّ ما حقَّه التّأخير إذا قُدِّمَ تبقي النفسُ مترقّبةً إلى وروده ، فإذا جاء تمكّن في النفوس فضل تمكّن[5].

- **المسارعة إلى بيان عُلُوّ المصدر:**

قوله تعالي:{**قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ**}[6]، تقديم الجار والمجرور (من الله) على الفاعل:(نورٌ) لأجل المسارعة إلى بيان علّو المصدر وكونُه من العليّ المتعال، والتّشويق إلى الجائي:(نورٌ وكتابٌ مبينٌ) ، كما أنّ فيه نوعَ تطويلٍ يُخِلُّ بسببه تقديمُ الفاعل بحسن تجاوب النظم الكريم وسهولة انسيابه.[7]

---

[1] - أبو السعود 365/1
[2] - آل عمران: 47
[3] - انظر أبو السعود 369/1
[4] - المائدة: 1
[5] - انظر أبو السعود 233/2
[6] - المائدة: 15
[7] - انظر أبو السعود 251/2

- **الاهتمام والمحافظة على حسن تجاوب النّظم:**

قوله تعالي:{ **إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا**}[1]، تقديم الجار والمجرور:(بها) على الفاعل:(النبيّون) لأجل الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر، والمحافظة على حسن تجاوب النظم الكريم ، بالنظر إلى وجود قدر من الطول في متعلقات الفاعل المؤخر، يؤدى تقديمه إلى نوعَ خلخلةٍ في سلاسة الكلام.[2]

- **التعجيل بالمكروه والمبادءة بما يسوء :**

قوله تعالي:{**وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**}[3]، تقديم المفعول:(الذّين سخروا) على الفاعل اسم الموصول:(ما كانوا به..) وغرضه: المسارعة إلى بيان إلحاق الشّر بهم، ومبادئتهم بما يكرهون[4].

- **إبراز الاهتمام بالمقدّم والتشويق للمؤخّر:**

قوله تعالي:{**أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ**} [5]، تقديم الجار والمجرور:(بها) على الفاعل:(هؤلاء)، لأجل إبراز الاهتمام بالمقدّم وإعلاء درجته :(الكتاب- الحكم- النبوّة)، والتّشويق لمعرفة المؤخّر وهم كفّار مكة:(هؤلاء)، الذين تجرّؤا على الكفر بأعظم نعمة أسداها الخالق على مخلوق ، وتنكير قوما للتفخيم وتعظيم أمرهم ، ففى إيمانهم مندوحة عن إيمان هؤلاء.[6]

---

[1] - المائدة: 44
[2] - انظر أبو السعود 276/2
[3] - الأنعام: 10
[4] - انظر أبو السعود 359/2
[5] - الأنعام:89
[6] - انظر أبو السعود 412/2-413

ثالثا– تقديم أحد المتعلقات على المفعول الصريح

- **التعجيل بالبشارة مع التشريف بالخطاب:**

قوله تعالي:{**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ** }[1]، تقديم الجار والمجرور: (عليك)، على المفعول الصريح:(الكتاب) لأجل تعجيل البشرى والمسرّة باختياره مبلّغا عن الله، وإبراز تشريفه لهذا المقام السامي، الذي يكون دونه أيّ مقام.[2]

- **الاعتناء ببيان المصدر والمبدأ الأوّل:**

قوله تعالي: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً** }[3]، تقديم الجار والمجرور:(منهما) على المفعول الصريح:(رجالا كثيرا ونساء) ، إعراباً عن شدّة الاعتناء ببيان المصدر الأولّ للخلائق رجالا ونساء، ومبدأ الخلق والانتشار البشري على وجه الأرض.[4]

- **التعجيل بالمساءة :**

قوله تعالي :{**إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا** }[5]، تقديم الجار والمجرور:(لهم)، على المفعول الصريح:(عذابا أليما) لأجل المسارعة بالمساءة إليهم وإدخال الفزع في قلوبهم ، ببيان أنّهم هم مَنْ أُعِدَّ لهم العذابُ الأليم لا لغيرهم.[6]

- **المسارعة إلى بيان موقع الضرر وغائلته:**

قوله تعالي:{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ** }[7]، المراد ببسط الأيدي إليهم هو : الضرب

---

[1] - آل عمران: 7
[2] - انظر أبو السعود 335/1
[3] - النساء: 1
[4] - انظر أبو السعود 92/2
[5] - النساء: 18
[6] - انظر أبو السعود 113/2
[7] - المائدة: 11

والقتل ، وإلحاق الأذى والضرر، وتقديم الجار والمجرور: (إليكم) على المفعول الصريح(أيديهم) ، لأجل المسارعة إلى بيان موقع الضرر والأذى جراء بسط أيديهم وغائلته ، وهو أنتم معاشر الصحابة المخاطبين ، حملا لهم من أوّل وهْلةٍ إلى تقديم الشكر لآلاء الله ونعمه عليهم.(1)

- **تعجيل المسرة ورعاية سلاسة النظم و انسجامه :**

قوله تعالي:{**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَ كُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ**}(2) ، إيقاع المفعول الصريح :(كثيرا) ، موقع الجار والمجرور:(لكم) غرضه تعجيل المسرّة بتقديم ما هو نافع للمخاطبين، والتشويق إلى المؤخّر ليتمكّن عند وروده فضل تمكّن ، مع ما فيه من نوع طول وتفصيل، ربّما يخلّ تقديمه بحسن سلاسة النظم الكريم وانسجامه.(3)

- **تعجيل المسرة بتقديم المنفعة:**

قوله تعالي: {**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**}(4) ، تقديم الجار والمجرور في:(لكم –عليكم– لكم)، على المفعول الصريح:(دينكم–نعمتي– الإسلام دينا)، للإيذان من أوّل الأمر بأنّ إكمال الدِّيْنِ وإتمام النّعمة والرضا بالإسلام دينا قيما للمخاطبين إنّما كان لمصلحتهم ومنفعتهم لا لغيرهم(5)

- **تقوية النظم ورعاية حسن انسجامه:**

قوله تعالى: { **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَيِّمًا**} (6)

تأخير المفعول الصريح:(الكتاب)،عن الجار والمجرور:(على عبده) الذي كان من حقّه التقدم، بغرض يسلسل النظم وينسجم باتصاله بما بعده {**وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا**}(7).

---

[1] - انظر أبو السعود 244/2
[2] - المائدة: 15
[3] - انظر أبو السعود 251/5
[4] - المائدة:3
[5] - انظر أبو السعود 238/2
[6] - الكهف: 1
[7] - انظر أبو السعود 166/4

إبراز الرغبة وإلحاح الحاجة:

قوله تعالي:{**إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا**} [1] ، تقديم الجار والمجرور:(من أمرنا) عن المفعول الصريح:(رشدا) غايته إبراز الرغبة والاعتناء، وإظهار إلحاح حاجة أمرهم إلى الرشد والرشاد، إعرابا عن شدّة التّطلع إلى حصوله وإنجازه.[2]

رابعا- تقديم المعمول الثاني على الأول

- **تقديم من كان مدار القصة:**

قوله تعالي :{**مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ** }[3] ، أصل العبارة : (أنُ ينزَّلَ من خير من رّبكم عليكم)، تقديم الجار والمجرور:(عليكم) على قوله:(من خير من ربكم) مع أنّ حقّه التقدم ، لإظهار كمال العناية بالمقدّم لأنّه مُتنزَّلُ الخير والمقصود به، وهو مدار العلّة في عدم ودِّهم رؤيةَ الخير مُنزَّلاً على المؤمنين من ربهم، ولكن لو كان الخير نازلا من الله إليهم أهلَ الكتابِ أو المشركين، أو إلى حلفائهم من المنافقين لما كان لديهم أيّ اعتراض، فالاعتراض ليس على نزول الخير من الله، ولكن على مَنْ قُصِدَ به وتنزَّل عليه ، لما في التّعرض لعنوان الربوبية من إشعار بعليّته لتنزيل الخير إليهم، والإضافة إلى ضمير المخاطبين لتشريفهم والإشادة بهم[4]

- **التقديم لترتيب الحجة من الأدنى إلى الأعلي:**

قوله تعالي:{**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**}[5]، تقديم الظرف(عنده) مع أنّه متأخّرٌ في الوجود، وتأخير الجار المجرور(من الله) مع أنّ حقّه التقدّم في الكلام لتقدّمه في الوجود، وغرضه

---

[1] - الكهف: 10
[2] - انظر أبو السعود 171/4
[3] - البقرة: 105
[4] - انظر أبو السعود 178/1
[5] - البقرة: 140

مراعاة طريقة الترقّي من الأدنى إلى الأعلى، فإنّ ثبوت الشهادة عنده لاحقةٌ على صدورها من الله ، وثبوت صدورها من الله –عزّ وجلّ– هو من أقوى الدواعي إلى إقامتها وأشدّ الزواجر عن كتمانها.[1]

- **<u>التقديم لإبراز الاهتمام ورعاية سلاسة النظم:</u>**

قوله تعالي :{**وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى** }[2]، تقديم المفعول الثانى(المالَ) على المفعول الأول(ذوى القربي) لإبراز الاهتمام بإنفاق المال على الأقربين تقرّبا إلى الله و زُلْفى، واكتساباً لمرتبة البرّ والأبرار، وفي المفعول الثانى نوعٌ طولٍ لو رُوْعِيَ الترتيبُ لفاتَ حسنُ تجاوبِ أطراف النظم الكريم ، وهذه العلّة هي السّبب في تقديم الحال(على حبّه) عليه أيضا.[3]

- **<u>التقديم استعظاما لاتخاذ الشركاء:</u>**

قوله تعالي:{**وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ** }[4] ، قُدِّم المفعولُ الثانى:(شركاء) على الأوّل(الجنّ)، والغرض منه إبراز درجة استعظام أن يُتّخذَ لله سبحانه وتعالي شركاء ، و(لله) متعلقٌ بشركاء ، وقُدِّم عليها لمزيد الاستعظام والتهويل.[5]

- **<u>المبادرة إلى المكاشفة بالمكروه:</u>**

قوله تعالي:{**قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ** }[6]،

تقديم الظرف الثانى:(عليكم) على الأول(من ربكم) بالنظر إلى أنّ مبدأ الشيء ومصره سابق على منتهاه ومصيره، والغرض منه : المسارعة إلى مبادءة القوم بما يسوؤهم ومكاشفتهم من أوّل وهلة بما يكرهون، وهي العلّة ذاتها في تأخير

---

1 - انظر أبو السعود 209/1
2 - البقرة: 177
3 - انظر أبو السعود 235/1
4 - الأنعام: 100
5 - انظر أبو السعود 422/2
6 - الأعراف: 71

الفاعل:(رجسٌ وغضبٌ) ، مع ما فيه من التشويق إلى المؤخّر، وفي النظم أيضا نوع تطويل بما عطف على الفاعل ، ربّما كان يُخلُ تقديمه بحسن تجاوب النظم وسلاسته.[1]

- **<u>التقديم لأجل سلاسة النظم وإنسجامه:</u>**

قوله تعالي:{**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ**}[2] ، ضُمّنَ الفعل "ضرب" معنى جعل فعُدّيَ إلى مفعولين، وتأخير المفعول الثانى(قرية) وتقديم الأول(مثلا)، لئلا يحول الثانى بين الصفة (قرية) وبين الموصوف جملة(كانت آمنة مطمئنّة) حفاظا على سلاسة النظم وحسن انسجامه وتجاوب أطرافه.[3]

---

[1] - انظر أبو السعود 507/2

[2] - النحل: 112

[3] - انظر أبو السعود 94/4

المبحث الرابع : التقديم والتأخير في سياق النظم القرآنيّ

يتناول هذا المبحث أسرارا كثيرة ولطائف متنوعة، وراء حركة التقديم والتأخير للألفاظ والمعاني في سياق النظم القرآني المجيد ، بعيدا عن قوالب الصناعة النحوية والبلاغية.

وهي أسرارٌ ولطائف اجتهادية دقيقة ، استنبطها شيخ الإسلام أبو السعود وأشار إليها في مواطن كثيرة على وجه التّدبر والتفكّر في آيات الله ، اجتهادا منه لاستجلاء العلل الكامنة وراء تقديم ما قُدّم وتأخير ما أُخّر في سياق النظم ، قد يتفق مع اجتهادات أخرى وقد يختلف ، ولكنّها تظلّ في كلتا الحالتين واحدا من أبرز جوانب التجديد والإبداع البلاغيّ لدى شيخ الإسلام أبو السعود، التى تمنح القارئ المتعة والفائدة ، وتعمّق من آفاق البحث في حقل الإعجاز البيانيّ للقرآن العظيم، ونصب الدلائل العملية من واقع التحليل والتعليل والتوجيه ، وفقًا لما تقتضيه اللغة وأصولها وقواعدها المشهورة ، و يُعدُّ هذا البعد غايةَ الغايات وأمّ المقاصد التى يتوخّاها أبو السعود في تفسيره.

1- الختم على القلوب أولاً وعلى الأسماع ثانياً :

قوله تعالي:{**خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**}[1] ، إعادة الجار والمجرور (وعلى سمعهم) للتأكيد والإشعار بتغاير الختمين ، وتقديم ختم قلوبهم للإيذان بأّنها الأصل في عدم الإيمان وللإشعار بأنّ ختمها ليس بطريق التبعيّة بختم سمعهم ، بناءً على أنّه طريق إليها ، فالختم عليه ختمٌ عليها ، بل هي مختومةٌ بختمٍ مستقلّ على حدة.[2]

---

1 - البقرة: 7

2 - أبو السعود 54/1

2- تقديم الإضلال على الهداية:

قوله تعالى:{**يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ**}[1] ، ذَكر الإضلال على الهداية مع تقدّم حال المهتدين على حال الضالّين فيما قبله ، ليكون أوّلُ ما يقرع أسماعَهم من الجواب أمرًا فظيعًا يسوءهم ويفتّ في أعضادهم.[2]

3- تقديم الإثم على المنفعة:

قوله:{ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا**}([3])، تقديم بيان الإثم ووصفه بالكبر، وتأخير ذكر المنافع وتخصيصها بالناس دلالة على غلبة الإثم قبل النطق به في قوله:{**وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا**}.([4])

4-الحكمة من تقديم ذكر المفسد على المصلح:

قوله:{**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ** }[5]، ورد قوله:{ **وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ** } مورد التهديد والوعيد من التعدّى على اليتامى أو على أموالهم بغير حقّ ، والحكمةُ من تقديم ذكر المفسد لأنّه المقصود أساسا بالتهديد المشدّد والوعيد المؤكّد ، أمّا المصلح فله حسن الجزاء وجزيل الثواب.([6])

5-سرّ ترتيب مفردات الدعاء:

قوله تعالى:{ **وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**}([7])، رُوْعِيَ في تقديم معاني الدعاء ومفرداته : تقديم إفراغ

---

[1] - البقرة:26
[2] - انظر أبو السعود 101/1
[3] - البقرة: 219
[4] - أبو السعود 263/1
[5] - البقرة: 220
[6] - انظر أبو السعود 265/1
[7] - البقرة: 250

الصّبر عليهم ،لأنّه ملاك الأمر، ثمّ سؤال تثبيت القدم المتفرع عليه ، ثم سؤال النصر الذي هو الغاية القصوى والمقصد الأسمى.([1])

6-تقديم الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله:

قوله تعالي:{**فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى**}([2]) تقديم الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله، بسبب توقّف الإيمان بالله على الكفر بالطاغوت أولا، فالتخلية متقدّمة على التّحلية ، أي التخلّي عن الكفر أولا، والتّحلّي بالإيمان ثانيا.([3])

7-تقديم السِّنة على النوم:

قوله تعالي:{**اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ** }([4])، قُدّم ذكرُ السِّنة للمحافظة على ترتيب الوجود الخارجي لهما ، فالسِّنةُ أولا والنّوم تالياً لها في حقّ المخلوقين ، على أنّ المراد من الآية هو بين انتفاء اعتراض شيء منهما لله عزّ وجلّ ، لأنّهما من صفات النقص في المخلوقين، وتوسيط حرف النفي(لا) بين المعطوفين للتنصيص على شمول النفي لكلّ منهما منفردا ومجتمعا مع الآخر.([5])

8-تقديم الليل على النهار، والسّرّ على العلانية:

قوله تعالي :{**الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**} ([6])، لعلّ الحكمة من تقديم الليل على النهار، والسّرّ على العلانية، للإيذان بمزيد الإخفاء على الإظهار، والمعنى: أنّهم يَعُمُّون الأوقاتِ والأحوال بالخيرات والصدقات.([7])

---

[1] - أبو السعود 290/1
[2] - البقرة: 256
[3] - أبو السعود 298/1
[4] - البقرة: 255
[5] - أبو السعود 296/1
[6] - البقرة: 274
[7] - أبو السعود 315/1

9-تقديم الإحاطة بأحوال الأرض على أحوال السماء:

قوله:{**إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ** }([1]) ، تقديم ذكر إحاطة علمه سبحانه وتعالي بأحوال أهل الأرض على أحوال أهل السماء، لإظهار الاعتناء بشأن أهل الأرض وتوسيط حرف النفي بينهما(ولا) ، للدلالة على التّرقّي من الأدنى إلى الأعلي ، باعتبار القرب والعبد منّا نحن معشر البشر ، لا بالنسبة إلى الله ، فالبعد والقرب عنده سواء.([2])

10-تقديم الأموال على الأولاد:

قوله تعالي :{**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ**}[3] ، تقديم ذكر الأموال على الأولاد مع توسيط حرف النّفي بينهما، إمّا لعراقة الأولاد في كشف الكروب، أو لأنّ الأموال أوّل عدّة يفزع إليها عند نزول الخطوب وحلول الكروب.[4]

11-تقديم السجود على الركوع:

قوله تعالي :{ **يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ** } [5] ، تقديم السّجود على الرّكوع ، قد يكون مردُّه ما كان الترتيب عليه في شريعتهم ، وإمّا لكون السجود أفضل أركان الصلاة وأقربها زلفى إلى الله ، مع ملاحظة التجانس الاشتقاقي بين

(اركعي والراكعين) ، للإشعار بأنّ من لا ركوع له في صلاته فليس من المصلين في شيء.[6]

---

[1] - آل عمران: 5
[2] - انظر أبو السعود 335/1
[3] - آل عمران: 10
[4] - أبو السعود 339/1
[5] - آل عمران: 43
[6] - أبو السعود 367/1

12-تقديم الأبناء والنساء على الأنفس في المباهلة:

قوله تعالي:{**فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ** }[1] ، تقديم ذكر الأبناء والنساء على الأنفس في المباهلة ، التي هي من أبواب المهالك ، ومظان التّلف مع أنّ الرجل يخاطر لهم بنفسه ، ويحارب دونهم ، للإيذان بكمال أمنه وتمام ثقته صلي الله عليه، وقوّة يقينه بأنّه لن يصيبهم في ذلك شائبة مكروه أصلا، وهو السّرُّ في تقديم جانب المخاطبين في كلّ من المقدّم والمؤخّر.[2]

13- سر تقديم المغفرة على العذاب:

قوله تعالي:{ **وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ**}([3])،

الحكمة من تقديم ذكر المغفرة على العذاب ، للإيذان بسبق رحمته تعالي غضبه ، وتفضيل الثواب على العقاب.([4])

14- **تقديم الوصيّة على الدَّيْنِ:**

قوله تعالي:{**فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ**} [5]

تقديم الوصيّة على الدَّيْنِ ذكرا، مع تأخّرها عنه حكما ، لإظهار كمال العناية بتنفيذها ، لكونها مظنّةً للّتفريط في أدائها بخلاف الدَّيْن ، بالنظر إلى مطالبة الدائنين ولما لهم من أولوية.([6])

---

[1] - آل عمران: 61

[2] - أبو السعود 378/1

[3] - آل عمران: 129

[4] - أبو السعود 31/2

[5] - النساء: 11

[6] - أبو السعود 105/2

15- ذكر الإيمان مقدما ومؤخرا:

قوله تعالي:{**وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا، وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ**}[1]، تقيم ذكر الإيمان بالله واليوم الآخر، لأهميّته في نفسه من ناحية، ولعدم الاعتداد بالإنفاق بدونه، وأمّا تقديم إنفاقهم رئاء النّاس على عدم إيمانهم في بداية الآية مع عدم إيمانهم بهما، مع كون المؤخّر أقبح من المقدّم ، فللأجل رعاية المناسبة بين إنفاقهم ذلك، وبين ما قبله من بخلهم وأمرهم للناس بأن يبخلوا مثلهم.[2]

16- سر تقديم الخيرّية على الأحسنيّة:

قوله تعالي:{**فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا** }([3])، تقديم خيرّية المخاطبين في رّد المنازع عليه إلى الله ورسوله، على أحسنيّته في نفسه ، لتعلّق أنظارهم إلى بما ينفعهم ، والمراد بيان اتصافه في نفه بالخيرية الكاملة وبالحسن الكامل في حدّ ذاته ، من غير اعتبار فضله على شيء يشاركه في أصل الخيرية والحسن.([4])

17-سر تقديم صفة الرسالة على الخلق والتكوين:

قوله تعالي:{**إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْه**}[5] ، تقديم ذكر صفة الرسالة المتأخرة في الوجود، على حالة الخلق والتكوين ، المتمثلة في إلقاء كلمة الله وروحه إلى أمه مريم بنت عمران، بهدف تحقيق الحقّ من أوّل الأمر بما هو نصّ فيه بإثبات رسالته سدّا لذرائع التأويل الزائغ عن الحقّ. [6]

---

[1] - النساء: 38-39
[2] - انظر أبو السعود 136/2
[3] - النساء: 59
[4] - أبو السعود 155/2
[5] - النساء: 171
[6] - أبو السعود 226/2

18–تقديم ذكر الفوز بالجنة على نيل الهداية:

قوله تعالي:{**فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا** }[1] ، تقديم ذكر الوعد بإدخالهم في رحمته بالجنّة ، على الوعد بهدايتهم إلى سبيله ، خلافا لترتيب تحقق وجود الأمرين ، بغرض المسارعة إلى التبشير بما هو المقصد الأصليّ والغاية القصوى للهداية إلى الله.[2]

19–تقديم السمع على البصر:

قوله تعالي:{**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ**} [3]، السمع والبصر طريقان للوصول إلى القلب، فنهما يرد ما يرد إليه من المدركات، وأخذهما سدٌّ لباب القلب سدّا تاما، وهو السّرُّ في تقديم أخذهما على ختمهما، وأمّا تقديم السمع على الأبصار، فللأنّه موردُ الآيات القرآنيّة، وإفراده لما أنّ أصله مصدر. [4]

20– تقديم الأمر على النّهي:

قوله تعالي:{**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** }[5]، أُخِّر النهيُ عن الأمر بالتعاون على البرّ والتقوى، مع الأصل أن تُقدَّم التّخليةُ على التحلية ، لأجل المسارعة إلى إيجاب المقصود الأصليّ من الكلام، فإنّ المقصود من النّهي عن التعاون على الإثم والعدوان إنّما هو تحصيل وتحقيق التعاون فعلهما وإنجازهما واقعا معاشا بين المؤمنين.[6]

---

[1] - النساء: 175
[2] - انظر أبو السعود 233/2
[3] - الأنعام: 46
[4] - أبو السعود 383/2
[5] - المائدة: 2
[6] - انظر أبو السعود 236/2

21- التبرير بالاتباع أولا وبالأمر ثانيا:

قوله تعالى:{**وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**}[1] ، لعلّ تقديم تعليل اقترافهم الفحشاء بزعمهم:{**وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا** } على التبرير الثاني:{ **وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا** }، إشارةً منهم بأنّ آبائهم إنّما كانوا يفعلونها بأمر الله ، من باب المغالطة والتّضليل ، على أنّ ضمير:(أمرنا بها) لهم ولآبائهم ، وحينئذٍ يظهر وجه الإعراض عن الأوّل في ردّ مقالتهم بقوله :{**قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ**}.[2]

22-تقديم الضرر على النفع :

قوله تعالى:{ **قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا** }([3]) سرّ تقديم ذكر عدم امتلاك المعبودين الضّرر على النفع ، هو أنّ التّحرّز عن الضّرر أهمّ وأولى من تحرّي النفع،([4]) ، على قاعدة :" دفع المفاسد مقدّمٌ على جلب المنافع".

23-تقديم ذكر الإنجاء على الإغراق:

قوله تعالي :{ **فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ** }([5]) ، تقديم ذكر الإنجاء على الإغراق لأجل التعجيل بالمسرّة ، والإيذان بسبق رحمته – التى هي مقتضى الذات- غضبه ، مصداقا لقوله:{ **و رحمتي وسعتْ كلّ شيء**}.[6]

---

[1] - الأعراف: 28
[2] - انظر أبو السعود 488/2
[3] - المائدة: 76
[4] - أبو السعود 306/2
[5] - المائدة: 64
[6] - انظر أبو السعود 504/2

24- تقديم ذكر الضالين على المهتدين:

قوله تعالي:{ **إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** }[1]، تقديم ذكر الضالين على من اهتدى، سببه أنّ مساق الكلام فيهم ، وعليهم يدور الحديث، وإيراد الضلال بصيغة الفعل الدال على الحدوث ، لِما أنّه تغييرٌ لفطرة الله التى فطر النّاس عليها ، وذلك أمر عارضٌ بخلاف الاهتداء، الذي هو عبارة عن الثبات على الفطرة الأولى، لذا جيئَ به على صيغة الاسم الدال على الثبات والاستقرار.[2]

25- تقديم الليل على النهار:

قوله تعالي:{**وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ** }[3]، تقديم ذكر الليل على النهار ، فائدته مراعاة الترتيب الوجوديّ، فالليل ينسلخُ منه النهار، وفي الليل تظهر غُرَرُ الشهور، فكان أولى بالتقديم[4].

26- تقديم ضمير الأولاد على ضمير المخاطبين:

قوله تعالي:{**وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا**}[5] ، تقديم ذكر ضمير الأولاد على ضمير آبائهم في قوله:{ **نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ** }، للإشعار بأصالة الأولاد في إفاضة الرزق، أو لأنّ الباعث على القتل هناك هو الإملاق الناجز الجاثم بدليل قوله:{مِنْ إِمْلاقٍ} ، وهنا الإملاق ليس واقعا بل متوقَّعاً مُنتظَرًا بدليل قوله:{خَشْيةَ إِمْلاقٍ} ، فكأنّه قال: نرزقهم من غير أن ينتقص من أرزاقكم شيٌ فيعتريكم ما تخشونه ، وإيّاكم يعنى رزقا على رزقكم.[6]

---

1 - النحل: 125

2 - انظر أبو السعود 105/4

3 - الإسراء: 12

4 - انظر أبو السعود 115/4

5 - الإسراء: 31

6 - انظر أبو السعود 127/4

27- تقديم الإنذار على التبشير:

قوله تعالي:{**لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا**}[1]، تقديم الإنذار على التبشير، لإظهار كمال العناية بزجر الكفار عمّا هم عليه مع مراعاة تقديم التخلية على التحلية وتكرير الإنذار.[2]

28- تقديم الخفض على الرفع:

قوله تعالي:{**إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ، لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ، خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ**} [3]، تقديم الخفض: (خافضة)، على الرفع:(رافعة)، لإبراز شدّة الهول وفظاعة الموقف، فكأنّها تخْفِضُ الإنسانَ من مكانه سحيقاً قبل أنْ ترفعه عالياً، دليلا على شدّة الأهوال وفظاعة الأحوال.[4]

29- تقديم التراب على العظام:

تقديم احتماليّة الرجم على الإعادة إلى ملّة القوم:

قوله تعالي:{**إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا**}[5]، تقديم احتماليّة رجمهم على احتماليّة إعادتهم إلى ملّة القوم ، لأنّ الظاهر من حالهم هو الثبات على دينهم وعدم التزحزح عنه قيد أنملة، والثبات على المبدأ غالبا ما يقتضي تضحيات قاسية وأليمة ثمنا له. [6]

30- تأخير ذكر تفجير النّهر عن ذكر إتيان الأكل:

قوله تعالي :{**كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا**} ، لعلّ تأخير ذكر تفجير النّهر، وتقديم ذكر إتيان الجّنتين للأرزاق وافيةً غيرَ منقوصة ، مع أنّ الترتيب الخارجيّ يقتضي تقديم المؤخّر وتأخير المقدّم ، للإيذان باستقلال كلٍّ منهما في تكميل محاسن الجنتين ، ولو عُكِس لتبادر إلى الذهن أنّ المجموع واحدة ، بعضها

[1] - الكهف: 2
[2] - أبو السعود 167/4
[3] - الواقعة: 1-3
[4] - انظر أبو السعود 6/ 186
[5] - الكهف: 20
[6] - انظر أبو السعود 180/4

مترتِّبٌ على بعض ، فإنّ إيتاءَ الأكل متفرّعٌ عن السّقْي عادة ، وفي الآية إيماءٌ إلى أنّ إيتاءَ الأكلِ غيرُ متوقّفٍ على السّقْيِ. [1]

31- تقديم ذكر الظرف على المخصّص عليه:

قوله تعالي:{**وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا**}[2]، تقديمُ ظرف الزمان :(إذْ) ،على المخصّص عليه، للإيذان بتحتّم القول حين الدّخول من غير رَيْثٍ أو مهملة. [3]

32- تقديم المال على البنين:

قوله تعالي:{**الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا**}[4]، تقديم ذكر المال على البنين مع كونهم أعزُّ منه ، لبيان عراقة المال فيما فيما نيط به من الزينة:{ **زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** }، وعموم الحاجة إليه بالنسبة إلى الأفراد والأوقات ، فإنه زينة وممّدٌ لكلّ أحدٍ من الآباء والأبناء في كلّ وقت وحين. [5]

33- تقديم ذكر سَقْيِ الأنعام على سَقْيِ النّاس:

قوله تعالي:{**وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا، لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا**} [6] قدم ذكر سقي الأنعام على سقي النّاس، لأنّ الأنعام هي قنيةُ للإنسان وعامة منافعهم ومعايشهم منوطة بها من الأسفار وحمل الأثقال، والانتفاع بلحومها وألبانها وحتى رفثها و أبوالها يستفاد منها منافع شتّى، فكأنّ سقيَ الأنعامِ هو سقيٌ من سقْيِ الناس، لأنّ مردودها راجعة إليهم. [7]

---

[1] - انظر أبو السعود 189/4
[2] - الكهف: 39
[3] - أبو السعود 190/4
[4] - الكهف: 46
[5] - أبو السعود 193/4
[6] - الفرقان: 48
[7] - أبو السعود 36/5

34- تقديم ذكر الآلهة المعبودة على عابديها :

قوله تعالى:{**فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ** }[1]، تقديم ذكر إلقاء آلهتهم المعبودين في الجحيم على عابديها التابعين لها ، للإشارة إلى أنّهم يُؤَخّرون عنها في الكبكبة ليشاهدوا سوء حال آلهتهم من الأصنام وغيرها ليزدادوا غمّاً إلى غمّهم.[2]

35- تقديم ذكر التراب على العظام البالية:

قوله تعالى:{**وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ، قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ،لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ**}[3]، تقديم ذكر التراب على على العظام ، لعراقته في استبعاد البعث والنشور، وانقلابه من الأجزاء البادية والبالية، وفي تقديم الأوّلين في الرّد عليهم، من باب المبالغة في الرّد وتوكيده ، حيث كان إنكارهم لبعث آبائهم أشدّ من إنكارهم لبعثهم لطول الأمد، مع ما فيه من مراعاة الترتيب الوجوديّ، حيث مضى الأوّلون ثمّ تبعهم الآخرون. [4]

36- تقديم الغيب على الشهادة:

قوله تعالي:{**هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ**} [5]، تقديم علم الغيب على علم الشهادة ، إمّا بسبب تقدّمه في الوجود، وتعلّق العلم القديم به ، أو من باب تقديم المعدوم على الموجود والسرّ على العلانيّة.[6]

37- تقديم الكفر على الإيمان:

قوله تعالي :{ **هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** }[7]، جاء تقديم ذكر الكافر أوّلا والمؤمن ثانيا، لأنّ الكافرين أكثر عددا من المؤمنين فيما بين المخاطبين، كما أنّه الأنسب والأليق في مقام التوبيخ والإنكار عليهم ولوغهم في الكفر [8].

---

1 - الشعراء: 94-95
2 - أبو السعود 75/5
3 - الواقعة: 47-50
4 - انظر أبو السعود 191/6
5 - الحشر: 22
6 - أبو السعود 232/6
7 - التغابن: 2
8 - انظر أبو السعود 255/6

38-تقديم السرّ على الجهر:

قوله تعالي:{**وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**} [1]، تقديم السرّ على الجهر للإيذان بافتضاحهم ووقوع ما يحذرونه مكشوفا من أوّل الأمر، والمبالغة في بيان شمول علمه المحيط بجميع المعلومات ، وكأنّ علمه تعالي بما يسرّونه أقدرُ منه بما يجهرون به ، مع كونهما في الحقيقة على حدّ سواء ، وقد تكون العلّةُ هي أنّ مرتبة السّرّ مُتقدّمةٌ على مرتبة الجهر، إذّ ما من شيءٍ يُجْهَرُ به إلاّ وكان مضمرا يتعلّق به الإسرار غالبا، وتعلّق علم الله بحالته الأولى متقدّمٌ على تعلّقه بحالته الثانية.[2]

39- تقديم ذكر إخراج الماء على إرساء الجبال:

قوله تعالي:{**وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ، أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ، وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ، مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ**}[3] ، لعلّ تقديم ذكر إخراج الماء والمرعى على إرساء الجبال ، مع أنّ إرسائها سابقٌ على إخراج الماء والمرعى، كما أنّه شديد الارتباط من حيث المعنى بدحو الأرض ، وغرضه: إبراز كمال الاعتناء والاهتمام بشأن المأكل والمشرب ، مع ما فيه من دفع توهّم رجوع ضميري الماء والمرعى إلى الجبال.[4]

---

[1] - املك : 33

[2] - أبو السعود 278/6

[3] - النازعات: 30-33

[4] - انظر أبو السعود 271/6

الفصل الخامس

أساليب القصر في تفسير أبي السعود

المبحث الأول: القصر تعريفه وطرقه :

تعريف القصر لغة واصطلاحا:

القصر لغة : مصدر قصر يقصر قصرا، وهو الحبس والمنع ، يقال : امرأة قاصرة الطرف، أي لا تمدّ بصرها إلى غير بعلها،[1].

واصطلاحا : تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص [2] ، أي حصر موصوف في صفة ، أو حصر صفة في موصوف، ففى نحو : ما محمد إلا أسوة حسنة، وما أسوة حسنة إلا محمد، قصرنا في المثال الأول محمد على صفة، وهي كونه أسوة حسنة، ونفينا عنه ما يناقض ذلك من الصفات، وفي المثال الثانى قصرنا الصفة وهي كونه أسوة حسنة على الموصوف " محمد"، ونفيناها عن غيره، وقد تحقق هذا المعنى بأسلوب مخصوص وطريق معيّن هو النفي والاستثناء.

استخدم الرعيل الأول من البلاغيين في هذا الباب ثلاثة مصطلحات، هي القصر، الحصر والاختصاص، أو التخصيص، على أنها مترادفات للمعنى الاصطلاحي للقصر[3]

---

[1] - لسان العرب لابن منظور ، مادة (ق ص ر) ، وأساس البلاغة للزمخشري ، مادة (ق ص ر)

[2] - انظر مفتاح العلوم للسكاكي ، ص 288، ضبطه وشرحه نعيم زرزور، ط 1، 1403هـ، دار الكتب العلمية بيروت. والإيضاح للخطيب القزوينى 12/3 ، وكتاب التعريفات للشريف الجرجانى، ص 75، ط1، 1306هـ ، المطبعة الخيرية بمصر.

[3]- انظر عبد القاهر الجرجانى في دلائل الإعجاز، ص 339، في معرض تفريقه بين تقديم المفعول وتأخيره وأنهما ليسا سواء، و عند حديثه عن معنى القصر المستفاد من الخبر المعرف بالألف واللام لإفادة معنى الجنس، فقد ذكر فيه مصطلح القصر ، انظر في الصفحات : 179، 180 ، 181. ، أما السكاكى فقد تقيد بمصطلح القصر في الباب كله، ولم يكد يستعمل غيره، وفاقا مع نزعته المنطقية التي لا ينسجم معها إشاعة مصطلحات كثيرة لمعنى واحد، أما الخطيب و الشراح من بعده، فقد انتشر لديهم استعمال القصر والاختصاص ، انظر السبكى 2/ 166، والدسوقي 2/ 166، مطبوعان ضمن شروح التلخيص ، دار السرور –بيروت

<u>طرق القصر</u>

تحدّث البلاغيون عن ستة طرق للقصر الاصطلاحي، كلها تدّل على معنى القصر والحصر بدرجات مختلفة، وهي :

<u>أولا : النفي والاستثناء:</u>

الاستثناء هو : الإخراج بإلا أو إحدى أخواتها، لما كان داخلا في الحكم السابق عليها دخولا حقيقيا أو تقديريا[1].

والنفي والاستثناء هو الطريق الأمّ لأساليب القصر، بدليل أن بقية الطرقُ تَرَدُّ إليها للتحقق من تضمنها ودلالتها على المعنى القصر.[2]

<u>ثانيا : إنما</u> [3] أجمع جمهور النحاة والبلاغيين على أنّ "إنما" تفيد معنى القصر، إلا أنهم مختلفون في نوع دلالتها على هذا المعنى :

قيل : إنها تدل على معنى القصر بالوضع ، أي بلفظها المنطوق (إنما)، المؤلف من : (إنّ+ما) الزائدة.

2-وقيل : تدل(إنّما) على معنى القصر بالفحوى ، ومعونة القرائن المحيطة بها في السياق، لفظية كانت أو معنوية. [4]، إلا أن المعتمد هو ما ذكره الإمام عبد القاهر وسار عليه كثير من المحققين، أن وجه دلالتها على القصر هو تضمنها معنى: (ما وإلا) التي هي أم الباب.

---

[1] - انظر شرح الكافية للشريف الرضي224/1، ط بولاق، والأشمونى 2/ 141 ط، الحلبي ، القاهرة

[2] - انظر دلائل الإعجاز ص328

[3] - انظر طرق القصر في دلال الإعجاز ص 328، والسبكى 2/ 191، والدسوقي 2/ 191

[4] - انظر المقتضب للمبرد 2/ 53، ت د/ محمد عبد الخالق عضيمة، ط 1399هـ ، المجلس الأعلي للشئون الإسلامية- القاهرة ، وانظر الكتاب لسيبويه 2/ 138، 3/ 130، ت : عبد السلام هارون- ط3 ، 1408هـ/ 1988، الخانجى- القاهرة

ثالثا : العطف، ببل ولا، ولكن[1]

تحدث الإمام عبد القاهر حديثا عابرا عن العطف "بلا" في سياق حديثه عن إنما، أما العطف بـ:(بل ولكن)، فقد ضرب عنهما صفحا. في حين تحدث السكاكي والخطيب عن العطف (ببل ولا) حديثا مقتضبا، وكان نصيب العطف بلكن عندهما مثالا واحدا نقله اللاحق عن السابق.

يقتصر الحديث في باب القصر على أحرف العطف الثلاثة: بل، ولا، ولكن، دون سواها من أحرف العطف، و الضابط الذي يجمعها هو: أن يقتضي حرف العطف ثبوت حكم قبله مضاد لما بعده ، أو إثبات حكم لما بعده مضاد لما قبله، بأن يكون الحكم مثبتا لأحد المتعاطفين منفيا عن الآخر، ويظهر أن اشتمالهما على هذين المعنيين، النفي والإثبات هو السر في اعتدادهما ضمن طرق القصر الاصطلاحية.

رابعا : ضمير الفصل[2]

يطلق النحاة ضمير الفصل على ضمائر الرفع المنفصلة، الواقعة بين المبتدأ والخبر المعرفتين، أو ما كان أصلهما المبتدأ والخبر من معمولات النواسخ، ويقع ضمير الفصل أيضا بين(ما)الحجازية وخبرها.

يطلق البصريون عليه " ضمير فصل"، لفصله بين الاشتباه بين النعت والخبر، أو الخبر والتابع ، والأول أشهر و الثاني أدق وأحكم ، لأنه يشمل التوكيد والبدل في نحو: قوله تعالي:{كنت أنت الرقيب عليهم}. أما الكوفيون فيسمونه : عمادا أو دعامة ، لأنه يعتمد عليه في إتمام معنى الكلام أو لكونه حافظا ما بعده ، فلا يسقط عن الخبرية ، كالعماد يحفظ السقف من السقوط[3].

---

[1] - انظر انظر المغنى لابن هشام 1/ 392، والجنى الدانى في حروف المعانى للمالقي ، ص586

[2] - انظر الإنصاف في مسائل الخلاف للأنبارى 706/2 ، وشرح الكافية في النحو للرضي 2/ 24، والمغنى لابن هشام 494/2

[3] - انظر الخلاف في مسائل الخلاف 2/ 707، والمغنى لابن هشام 2/ 494

ضمير الفصل عند البلاغيين:

يدرس البلاغيون ضمير الفصل مع أحوال المسند إليه ، والظاهر أن أحق الأبواب به هو باب القصر، أو أضرب الخبر في الإسناد الخبري ، باعتباره واحدا من مؤكدات الجملة الخبرية التي ترتقي أحيانا إلى مستوى القصر والاختصاص ، ففي ذلك ضبط للباب و جمع للأشباه والنظائر في مكان واحد ، وقد مثل له السكاكى [1] من بين ما مثل بنحو: زيد هو يذهب ، ورد ده الخطيب [2]. وجعل السهيلي من بين شواهده قوله تعالي:{**وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى، وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وأَحْيَا** }[3] ، وغير خاف أن الضمير لم يقع بين مبتدأ وخبر معرفتين، بل بين مبتدأ وخبره الفعلي ، مضارعا في مثال السكاكى وماضيا في تمثيل السهيلي ، وهو ما يعنى أن البلاغيين وسّعوا من دائرة ضمير الفصل ليشمل : ضمير الرفع المنفصل الواقع بين المبتدأ وخبره الفعلي.

وقد اعتبر العلماء معنى القصر والاختصاص في ضمير الفصل حينا، كما جعلوا دلالته مُنصبّاً على تقوية الإسناد وتوكيد معنى القصر المستفاد من تعريف الطرفين أحيانا كثيرة.

خامسا : تعريف الطرفين :

تحدث النحاة عن أصل المبتدأ والخبر من حيث التعريف والتنكير، فقالوا إن الأصل في المبتدأ أن يكون معرفة لأنه محكوم عليه ، والحكم على المجهول غير مفيد فائدة تامة ، أما الخبر فالأصل فيه أن يكون نكرة ، لأنه حكم يفيد به المتكلمُ المخاطبَ المعنى الذي يتضمنه ، فإذا جاء المبتدأ معرفة والخبر نكرة ، فهو أصل الكلام ، وإذا جاء الشيء على أصله لا يسأل عن علته ، نحو : عمر صحابيٌّ ، والحسن تابعيٌّ ،

---

[1] - انظر مفتاح العلوم للسكاكى ص 191.

[2]- انظر الإيضاح 2 للخطيب القزوينى 2/ 50

[3] - النجم: 43-44

أمّا إذا جاء كلا الطرفين معرفة ، نحو : زيد العادل ، وبكر الورع ، فهو محظور في الصناعة النحوية[1].

غير أنّهم أجازوا مجيء الخبر معرفة شَرْطَ أن يفيد فائدة تامة ، وأن يفيد معنى جديدا زائدا على ما يفيده الخبر النكرة ، ومن ذلك:

1-أن يفيد معنى القصر والاختصاص.

2- أن يرد مورد التقوية والتأكيد لمعنى الإسناد.

3- أن يكون في مقام إبراز التذلل والخشوع.

4- أن يكون في مقام ألإقرار و الإذعان.[2]

أنواع القصر:

ينقسم القصر بالنظر إلى عموم المنفي في الحقيقة والواقع ، أو خصوصيته بالنظر إلى شيء آخر معينٍ يراد نفي المعنى عنه إلى قسمين:

الأول: القصر الحقيقي: وهو تخصيص المقصور بالمقصور عليه ، بحيث لا يتجاوزه إلى غيره على وجه الحقيقة واليقين، فالمعنى هنا عام يشمل جميع ما عدا المقصور عليه، وهو ضربان :

1-قصر حقيقي تحقيقي : وهو أن يختص المقصور بالمقصور عليه، بحيث لا يتجاوزه إلى غيره في حقيقة الأمر، نحو: لا خطيب في البلد إلا بكر، إذا لم يكن فيه في الحقيقة والواقع خطيب سواه.

ب- القصر الحقيقي الادعائي: (المجازى): وهو أن يختص المقصور بالمقصود عليه بحيث لا يتجاوزه إلى غيره على وجه الادعاء، باعتبار ما سواه شيئا غير معدود

---

[1] - انظر الأصول في النحو لابن السراج 1/ 66، ت: د . عبد الحسين الفتلي، ط3، 1408هـ/ 1988، مؤسسة الرسالة

[2] - انظر المرجع السابق.

بالقياس إلى المقصور، ومنه قوله تعالي:{**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**}[1] ، حيث قصرت الآية خشية الله على العلماء بحيث لا تتجاوزهم إلى غير هم قصرا حقيقيا ادعائيا ، بالنظر إلى أن غير الله قد يخشون الله ، ولكنّ خشيتهم كلا خشية بالنظر إلى خشية أهل العلم.[2]

ثانيا : القصر الإضافي: وهو تخصيص المقصور بالمقصور عليه بالنظر والإضافة إلى شيء آخر معينا، يحدده المقام ويهدي إليه السياق، نحو : إنما الفقيه الشافعي، إذا أريد نفي صفة الفقه عن البخارى مثلا ، وإثباتها للشافعي.

<u>أقسام القصر الإضافي:</u>

ينقسم القصر الإضافي باعتبارين اثنين إلى ثلاثة أقسام ، هما[3]:

أ –حال المخاطب واعتقاده في الحكم.

ب – الحقيقة والواقع الماثل، الذي يستند إليه المتكلم في تصحيح أو تصويب اعتقاده المخاطب المخالف للحقيقة والواقع.

<u>أما الأقسام الثلاثة للقصر الإضافي فهي[4] :</u>

أولا: قصر إفراد: وهو أن يعتقد المخاطب الشركة في الحكم بين اثنين فأكثر، والواقع يشهد بغير ذلك، كقوله تعالي في حق النصارى:{ **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ** }[5]، هم يعتقدون أن الله ثالث ثلاثة : (الأب، الابن، وروح القدس) فخوطبوا بأسلوب القصر الإضافي إفرادا، استنادا إلى الحقيقة والواقع .

---

[1] - فاطر : 28

[2] - انظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور 22/ 304، ط3، 1983، الدار التونسية للنشر.

[3] - انظر الدسوقى 166/2 ، والإيضاح 3/ 13، وانظر دلالات التراكيب ، د/ محمد أبو موسى، ص23 ، 45

[4] - انظر الإيضاح 3/ 13، ودلالات التراكيب ، مرجع سابق ، ص 24-25

[5]- المائدة :73

ثانيا : قصر إضافي قلب: وهو اعتقاد المخاطب عكس الحكم القائم و الواقع ، ومنه قول الشاعر : ليس عار أن يقال فقير إنما العار أن يقال بخيل

الكلام موجهٌ لمن يعتقد بأن الفقر مذمة وعار، وأنّ البخل شطارةٌ وحسنُ تدبير ، فقلب الشاعر هذا الاعتقاد المجافي للحقيقة، مقررا بأنّ المذمّة والعار هو في البخل وشحّ النفس.(1)

ثالثا : قصر تعيين: وهو أن يكون المخاطب مترددا بين أمرين فأكثر ، بين ما هو حقيقة واقعة وبين ما هو خيال حالِمٌ ، كأنْ يتردّد مترددٌ بين أن يكون يوسف عليه السلام من بنى إسرائيل أو من أقباط مصر ، فتقول: إنما يوسف من بني إسرائيل(2)

[1]- انظر الفروق الاستعمالية و الدلالية بين طرق القصر الاصطلاحية ، نور الدين باشا، ص21.
[2]- انظر المرجع السابق، ص21-22

المبحث الثاني: أساليب القصر في تفسير أبي السعود

تقدم الحديث عن التقديم والتأخير الذي هو أحد طرق القصر ، في الفصل الرابع من هذا البحث ، سواء ما تعلق منه بالمسند إليه أو المسند أو متعلقات الفعل، جمعا للأشباه والنظائر، وضبطا لأطراف الموضوعات.

أما طريق العطف ببل ولا ولكن ، فلم يجد الباحث شيئا مذكورا ممّا يتعلق بموضوع القصر والاختصاص لدى شيخ الإسلام أبي السعود ، حين تعرّضه بالتفسير للآيات التي ورد فيها العطف بأحد الأحرف الثلاثة في النظم القرآني الكريم [1] ، ما يدّل على ضعف انتمائها لباب القصر وعدم رسوخ قدمها في ميدانه [2]، يورد الباحث في ما يلي طائفةً من أساليب القصر والمعاني المصاحبة له ، معتمدا على ما ذكره أبو السعود ، ومستعينا بغيره من أئمة التفسير البياني.

أولا : النفي والاستثناء :

- **حصر مهمّة المرسلين في التبشير والإنذار:**

قوله تعالي:{ **وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ** }[3]، أسلوب قصر بالنفي والاستثناء ، حيث قصرت صفة إرسال الله للمرسلين على موصوف واحد ، هو مهمّةُ التبشير بالإيمان وبالجنّة والنعيم ، والإنذار من الكفر ومن العقوبة والجحيم ، وهو قصر إضافي إفراد ، أي ليست لهم مهماتٌ متعددة أو مفتوحة ، من قبيل الإكراه وحبّ السيطرة والهيمنة على النّاس ، بل مهمّة واحدة لا يتعدّونها إلى غيرها.[4]

---

[1] - انظر تفسيره للآيات : البقرة: 135، آل عمران : 67، 169، الأحزاب : 40

[2] - انظر الفروق الاستعمالية والدلالية ، نور الدين باشا ، ص 114-116

[3] - الأنعام : 48

[4] - انظر أبو السعود 5/ 385

- **حصر مصدر النصر والتمكين في الله وحده :**

قوله تعالى :{وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ}[1]، في الآية أسلوب قصر بالنفي والاستثناء ، وهو قصر صفة النصر المخصوص على الوجه المُعلّل به في الآية على موصوف واحد هو الله ، أيْ كائنا وواقعا منه لا من غيره ، فهو الذي يبعث من لدنه النصر والتأييد ، ويرسل من عنده الطمأنينة والبشرى به لا من عند غيره.[2]

قصر مغبّة عدم الإيمان على ذات الفرد:

وله تعالي:{**وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ}** [3]، أسلوب قصر بالنفي والاستثناء ، من قصر الصفة على الموصوف ، حيث قصرت صفة إهلاك القوم على موصوف واحد هو أنفسهم ، لا يتعدّونها إلى إهلاك أنفس غيرهم ، فمن عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ، وهو قصر حقيقي مجازا ، بالنظر إلا أنّهم قد يهلكون غيرهم معهم ، خاصة إذا كانوا من الكبراء المتبوعين ، ولكنّ إهلاك المرء نفسه دونه أيّ إهلاك آخر ، فكلّ إهلاك سواه هو كلا إهلاك ، لأنّ الأصل أن يهلك المرء غيره كي ينجو بنفسه وجلده.[4]

قصر اعتقاد المشركين على الظن:

قوله تعالى:{**وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا}**([5])، أسلوب قصر بالنفي والاستثناء ، حيث حُصِرتْ صفةُ اتباعِ المشركين لآلهتهم واعتناقهم لعقائدهم على موصوف واحد هو الظنّ ، بحيث لا يتعدى اتباعهم لها إلى اليقين ، وهو

---

[1] - آل عمران: 126
[2] - انظر أبو السعود 2/ 29
[3] -الأنعام : 26
[4] - انظر أبو السعود 2/ 369
[5] - يونس 36

قصر إضافي إفرادا، أي بالنظر إلى تردّد عقيدتهم الدينية بين العلم واليقين وبين الشّك والظنّ، فإنّ عقيدتهم واتباعهم لآلهتهم محصورة في الظنّ لا يتعداه أبدا إلى اليقين.[1]

حصر علّة عدم الإيمان في الاحتجاج ببشرية الرسل:

قوله تعالي:{**وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا**}[2]، أسلوب قصر بالنفي والاستثناء ، حيث قصرت الآية علّةَ عدم إيمان المشركين بالله ورسوله إذ جاءهم الهدى ، على موصوف واحد هو إنكارهم أن يبعث الله بشرا رسولا إليهم ، وهو قصر حقيقي مجازا، بالنظر إلى أنّ أسباب عدم الإيمان كثيرة ، ولكنّها غير معتبرة بالقياس إلى علّة إنكار المشركين أن يرسل الله إليهم رسولا من البشر، إمّا من حيث كثرة المتحاجّين بهذه العلّة ، أو لشدّة تشبّث المشركين بها واستمرارهم عليها ، ومواجهة الرسل بها على اختلاف الأمم والقرون ، أو ربّما كان هو المانع بحسب الحال أو عند سماع الجواب منهم.[3]

قصر سبب الضلال على إغواء الغير:

قوله تعالي:{**تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ، إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ**}[4]، أسلوب قصر بالنفي والاستثناء ، المعنى قائم على قصر ضلالهم على كونه بسبب إضلال المجرمين لهم، من غير أنْ يستقلُّوا في تحقُّقَه ، أو يكون بسبب إضلال الغير لهم ، لا على معنى قصر الإضلال على المجرمين دون غيرهم ، كأنّه قال: وما صدر عنّا ذلك الإضلال الفاحش إلا بسبب إضلالهم لنا، والمراد من المجرمين هنا هم سادتهم و كبراؤهم.[5]

---

1 - أنظر أبو السعود 3/ 340

2 - الإسراء : 94

3 - انظر أبو السعود 4/ 158

4 - الشعراء: 97-99

5 - انظر أبو السعود 5/ 76

ثانيا : إنّما : معنى القصر والمعانى المصاحبة:

إظهار الأمر المنكر منزلة الأمر المعروف الذائع:

قوله تعالي:{**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ**} [1]، أسلوب القصر بإنّما ، غرضه : أنْ يجعلوا أنفسهم مقصورين على الإصلاح المحض، بحيث لا تتعلّق به ولا بهم شائبة فساد أو إفساد ، مشيرين بكلمة :" إنّما" إلى أنّ ذلك من الوضوح والجلاء ومن الشيوع والذيوع ، بحيث لا ينكره منكرٌ ولا يرتاب منه مرتابٌ زعما منهم وادعاءً بذلك. [2].

تقليل الشأن وتهوين الأمر:

قوله تعالى:{**وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**} [3] ، أسلوب القصر بإنّما ، يفيد قصر أمر القضاء والقدر في حقّ الله تعالي وحدوث المقدّرات وفقا لتعلّق المشيئة بها على الكاف والنّون: " كُنْ" فيكون، ودلالة القصر ومغزاه هو : تقليل شأن الخلق والإيجاد وغيرهما ممّا يتعلّق بتصريف ملكوت السموات والأرض والتهوين من أمرها عند الله تعالي، في سرعة حصول المأمور به دون توقّفٍ على شيءٍ مّا.[4]

ومنه قوله تعالي:{**يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ، أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً ،قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ،فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ**} [5]، أسلوب القصر بإنما تفيد معنى التعليل يقتضيه إنكارهم لإحياء العظام النخرة ، كما يفيد معنى تقليل شأنه والتهوين من أمره ، فإنّ مدار إنكارهم هو استصعاب حدوثه واستبعاده تمام الاستبعاد، فالمعنى: لا تستصعبوها، فإنّما هي واقعة بصيحة واحدة وهي النفخة الثانية، فإذا هم قيامٌ أحياءٌ على وجه الأرض، فالمسألة عند الله هيّنةٌ يسيرة.[6]

---

[1]- البقرة :11

[2] - انظر أبو السعود 1/ 61، انظر دلائل الإعجاز ، ص 330-331

[3] - البقرة 117:

[4] - انظر أبو السعود 1/ 188، وانظر منه أيضا 493/5

[5] - النازعات: 10-12

[6] - انظر أبو السعود 367/6

قصرٌ إفراد الله في ألوهيته:

قوله تعالي :{فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ}[1]، أسلوب القصر بإنما، من قصر الموصوف

(الله)على صفة الألوهية الحقّة ، قصر إضافي إفراد، لإفراد الله في ألوهيّته ، لأنّ المخاطبين يعتقدون التعدّد في الحكم وأنّهم ثلاثة آلهة : {ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خير لكم}[2]

قصر ولاية المؤمنين على الله ورسوله:

قوله تعالي:{إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ}[3] ، أسلوب قصر بإنما، من قصر الصفة (ولاية المؤمنين) على موصوف هو الله ورسوله، وهو من قصر التعيين فيما يظهر، لأنه لمّا نهاهم الله عن موالاة الكفرة وعلّله بأنّ بعضهم أولياء بعض، وبيّن أنّ من يتولاهم يكون منهم، بيّن وعيّن هنا من هو وليّهم بطريق قصر الولاية عليه.[4]

قصر عمارة المساجد على المؤمنين :

قوله تعالي:{إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ} [5]، سياق الآيات يتحدث عن المسجد الحرام، [6]، هو من قصر الصفة(صفة عمارة المساجد)، على موصوف واحد ، هم المذكورون بصفاتهم النبيلة ، بحيث لا تتعداهم إلى سواهم، وهو قصر حقيقي مجازى، على معنى أنّ عمارة المساجد المعتدّ بها عند الله بالثواب والأجر العظيم ، هي عمارة أهل الإيمان ، أما

---

[1] - النساء: 171

[2] - انظر أبو السعود 2/ 226

[3] - المائدة: 55

[4] - انظر أبو السعود 2/ 289

[5] - التوبة: 18

[6] - وإنّما جمع لأنه قبلة المساجد وإمامها، فعامره كعامرها، أو لأنّ كلّ ناحية من نواحيه المختلفة الجهات بمثابة مسجد قائم برأسه ، بخلاف سائر المساجد، إذ ليس في نواحيها اختلاف الجهات. انظر أبو السعود 3/ 130

غيرهم فعمارتهم إن حصلت فهي غير معتدّ بها ، فهي عمارة كلا عمارة ، فهو قصرُ تحققٍ واعتدادٍ لا قصرَ جوازٍ ووقوعٍ.[1]

القصر الدال على معنى التعليل والبيان:

قوله تعالي :{**إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ}**[2]، أسلوب القصر بإنّما بعد النفي، غرضه : تعليل معنى النفي وبيانه وتفسيره ، بقصر عاقبة القوم المتفرقين في دينهم على الله لا على غيره ، من قصر الصفة على الموصوف.[3]

ومنه قوله تعالي:**{وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ}**([4])، القصر بإنما بعد النّهي ، غرضه : تعليل معنى النهي وبيانه ، بقصر علةِ تأخير الله عقاب الظّالمين على علّة واحدة ، هي تأخيرهم ليوم محدد معلوم تشخص فيه أبصارهم جاحظةً ، والمعنى : فَدُمْ مستمرا على ما كنت عليه من عدم حسبانه تعالي غافلا عن سوء أعمالهم ، ولا تحزن على تأخّر نزول العذاب بساحتهم ، فمعنى القصر ومغزاه هو: تعليل النهي الواقع في صدر الآية بالعلة الكامنة وراء إمهال الله للقوم المجرمين.[5]

ومنه قوله تعالي:{**فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ**}[6] ، أسلوب القصر بإنّما ؛ قصر مهمّة وواجب المخاطب وهو النبي – صلي الله عليه وسلم– على التذكير والبلاغ المبين ، بحيث لا يتجاوزه إلى غيره ، كاتباع أسلوب القسر والإكراه ، أو السيطرة والهيمنة عليهم ، فكان أسلوب القصر بإنّما بعد الأمر " فذّكرْ" تعليلا لمراده وبيانا لمغزاه.[7]

---

[1] - انظر أبو السعود 3/ 131
[2] - الأنعام : 159
[3] - انظر أبو السعود 2/ 468
[4] - إبراهيم : 42
[5] - انظر أبو السعود 65/3
[6] - الغاشية : 21
[7] - انظر أبو السعود 421/6

- **القصر الدال على معنى التّعريض[1]:**

قوله تعالي:{**فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**}[2] ، أسلوب القصر بإنمّا، قصر صفة قبول الأعمال على موصوف واحد هو كونها صادرة من المؤمنين المتقين لا من غيرهم ، جاء هذا بعد أن تهدّده قابيل بالقتل وسفك دّمه ، ومقصوده هو : التعريض به ، بأنّ عمله لن يكون مقبولا عند الله لأنّه ليس من المتقين في شيء ، والتقوى هي شرطُ قبول الأعمال من الله ، فكأنّه قال : إنّما أوتيتَ من قبل نفسك ، من فجورك وتجرّئك على حرمات الله وجُهُوزيّتك للقتل المحرّم.[3]

ومنه قوله:{ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**}[4]، أسلوب القصر بإنّما لقصر صفة التّذكّر والاتّعاظ على موصوف واحد هم أولوا الألباب والنُّهى ، تعريضا بالمشركين المعاندين للحقّ الأبلج ، بأنّهم جنسٌ من البشر كأعجاز نخلٍ خاوية ، أي : إنّما يتّعظ بهذه البيّنات الواضحات أصحاب العقول الخالصة عن شوائب الخلل وهؤلاء بمعزلٍ من ذلك.[5]

---

[1] - ذكر الإمام عبد القاهر أنّ استخدام إنّما في معنى التعريض ، هو أحسن مواقعها وأكثرها علوقا بالقلب ، وأكثرها تأثيرا في النفس، وعرّف الدسوقي التعريض بأنّه : استعمال الكلام في معناه ملوّحا به إلى غيره ، ليفهم منه معنى آخر، فيكون للكلام حينئذ معنيان: معنى نصّيّ ظاهر، وهو غير مراد لشيوعه وتعارف الناس عليه، ومعنى معرّضٌ به من طرف خفيّ وهو المراد الأوّل من الكلام، انظر دلائل الإعجاز، ص354، والدسوقي 2/ 223، والمغربي 2/ 223، وانظر الفروق الدلالية بين طرق القصر الاصطلاحيّة ، نور الدين باشا ، ص202، رسالة ماجستير غير منشورة، 1997، الجامعة الإسلامية العالمية، أسلام آباد.

[2] - المائدة : 27

[3] - أنظر أبو السعود: 260/2

[4] - الزمر : 9

[5] - انظر أبو السعود 5/ 493

ثالثا . تعريف الطرفين:

- **القصر الحقيقي مجازا (ادعاء):**

قوله تعالي :**{الم، ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ}**[1]، يحتمل تأويل الآية أمرين :

الأول : أن يكون المشار إليه باسم الإشارة (ذلك) هي السورة بكاملها، فيكون المعنى: إنّ هذه السورة هو الكتاب ، أي العمدة والقاعدة ، أو هي خلاصة محيطة ومستوعبة لما جاء في الكتاب كلّه ، فكأنّه في إحراز الفضل بمثابة كلّ الكتب المعهودة في التّمام والكمال، على غرار قول النبيّ: " الحجّ عرفة ".[2]

الثانى :أن يكون المشار إليه هو القرآن كلّه ، فيكون المراد بالكتاب الجنس ، واللام للحقيقة ، و المنعى : إنّ ذلك هو الكتاب الكامل الحقيق بأن يختصّ به اسم الكتاب ، لتفوّقه على بقيّة الأفراد في حيازة كمالات الجنس، كأنّ ما عداه من الكتب السّماويّة خارجٌ منه بالنسبة إليه ، كما يقال : هو الرجل ، أي الكامل في الرجوليّة وفي خصالها المُرْضِيَّة ، فالمدح كامنٌ فيه من جهة حصر كمال الجنس في فرد واحد من أفراده ، أي حصر خصال كمال الكلّ في الجزء.[3]

قوله تعالي:**{أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون}**[4]، تعريف الطرفين:

{وأولئك هم الملفلحون}، هم ضمير فصل، يفصل بين الخبر والصفة ويؤكد النسبة، ويفيد اختصاص المسند بالمسند إليه، وتعريف الخبر يفيد: (المفلحون) للدلالة على أنّ المتقين هم الناس الذين بلغك أنهم المفلحون في الآخرة ، أو إشارة إلى ما يعرفه كلّ أحد من حقيقة المفلحين وخصائصهم.[5]

---

[1] - البقرة: 1-2

[2] - أخرجه النسائي في سننه، حديث رقم: (4011) 424/2

[3] - انظر أبو السعود 1: 351-352

[4] -البقرة: 5

[5] - انظر أبو السعود، 48/1-49

قصر صفتي السمع والعلم :

قوله تعالي:{وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}[1]، في الآية أسلوب قصر بتعريف الطرفين:{إنّك أنت السميع العليم}، مؤكدا بضمير الفصل ، حيث قصرت صفة السمع لجميع المسموعات ومن بينها دعاؤهما ، والعلم بجميع المعلومات ومن جملتها أعمالهما ، قصرت على الله عزّ وجلّ ، بحيث لا تتجاوزه إلى غيره ، إظهارا لاختصاص دعائهما بالله وانقطاع رجائهما عمّا سواه انقطاعا كلّيا ، فلا سميع إلا أنت ولا عليم إلاّ أنت على وجه الحصر والتخصيص.[2]،

قصر معنى الخسران:

قوله تعالي :**{الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ}** [3]، أسلوب القصر بتعريف الطرفين:**{كانوا هم الخاسرين}**، من قصر الموصوف وهم الكافرون بشعيب ، على صفة الخسران المبين ، في معركة الحق والباطل والكفر والإيمان ، قصر إضافي تعيين ، حيث حددت الآية الطرف الخاسر من بين طرفين مختلفين مؤمنين بشعيب وكافرين به، واكْتُفِيَ بأسلوب القصر عن ذكر إنجائه عليه السلام.[4]

قصر الفوز في الآخرة على أهل الإيمان:

قوله تعالي :{الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ} [5] تعريف الطرفين في قوله:{وأولئك هم الفائزون} الفائزون} يفيد معنى القصر، قصر موصوف وهم المذكورة صفاتهم الجليلة آنفا: (إيمانا وهجرةً وجهادا بالمال وبالنفس) ، على صفة الفوز هو قصر حقيقي مجازا، على معنى أن كلّ فوز سواه لا اعتبار له فهو كلا فوز، ويحتمل أن يكون من قصر الإضافي

---

1 - البقرة:127

2 - انظر أبو السعود 1/ 199

3 - الأعراف : 92

4 - انظر أبو السعود 7/3

5 - التوبة : 20

تعيين ، بالنظر إلى درجة الفريق الأول وخصالهم الحميدة ممّنْ يتولون سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام.[1]

قصر معنى السحر وحقيقته:

قوله تعالي:{قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ}[2]، أسلوب القصر بتعريف الطرفين ، المبتدأ اسم الموصول: **(ما)**، وخبره المعرفة **:(السحر)**، والمعنى : ما جئتم به هو السّحر، لا ما جئتُ به من آيات الله البيّنات ، وهو من قصر الموصوف على الصّفة، قصر إضافي قلب ، حيث زعم فرعون وسحرتُه أنّ موسي جاءهم بسحر ليسحرهم به ، ويذهب بطريقتهم المثلي ، وهي معتقدات مرذولة ممّا وجدوا عليه آباءهم ، فقلب عليهم الحكم ، وعيّن السحر الحقيقي على وجه الحصر، بحيث لا يتجاوزه إلى غيره .

قصر عاقبة الكافرين على النار:

قوله تعالي:{تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّار} [3]، أسلوب القصر بتعريف الطرفين: {وعقبى الكافرين النار}، أيْ : ما عاقبة الكافرين إلاّ النّار، قصر عاقبة الكافرين على موصوف واحد هو النّار لا غيرها[4].

---

[1] - انظر أبو السعود 3/ 134

[2] - يونس : 80

[3] - الرعد :35

[4] - انظر أبو السعود 3/ 462

الفصل السادس

الفصل والوصل في تفسير أبي السعود

المبحث الأول

الفصل والوصل:التعريف والمواقع

اعتبر البلاغيون قديما باب الفصل والوصل من أدق أبواب البلاغة مسلكا، وألطفها مأخذا ، وأنه لا يحيط علما بأسراره إلا من أُوتِي طبعا سليما ، ورُزِق في إدراك أسرار الكلام ذوقا صحيحا ، وأكّد الإمام عبد القاهر هذا الاعتقاد بقوله:" إنه ما من علم من علوم البلاغة أنت تقول فيه : إنه خفيٌ غامض ودقيق صعب ، إلا وعِلْمُ هذا الباب أغمض وأخفي وأدق وأصعب "[1]

و الوصل : هو عطف الجمل بعضها على بعض بالواو.

و الفصل : هو ترك العطف بين الجمل بالواو.[2]

هذا التعريف متفقٌ مع مذهب الإمام عبد القاهر ومن سلك مسلكه ، في أنّ موضوع الفصل والوصل يقتصر على [3]:

1-العطف في الجمل دون المفردات، وعلة ذلك عندهم أنّ العطف في المفردات أمره واضح جلي، لأنّ الغرض منه إشراك الثاني في إعراب الأول وفي حكمه ، ليس إلا.

2- و على الجمل التي لا محل لها من الإعراب ، دون التي لها محل من الإعراب ، لأن مواقعها هي مواقع المفرد.

---

[1] دلائل الإعجاز ص222

[2] - انظر بغية الإيضاح 278/2

[3] - انظر دلائل الإعجاز ، 223 وما بعدها

3- كما يقتصر على العطف بالواو دون بقية أحرف العطف ، لأنّها تستخدم لتأدية معنى العطف بين الجمل ، و تحقيق معانيها المعروفة الموضوعة لها في علم النحو ، فالفاء : تفيد معنى العطف والترتيب والتعقيب، وثم : تفيد : معنى العطف والترتيب والتراخي، و أوْ : تفيد معنى العطف والتخيير، أو الشك ، وحتى : تفيد معنى العطف وبلوغ الغاية ، أمّا الواو : فقد صرّح النحاة بأنّها تأتى لإفادة معنى: "مطلق الجمع"، وهو معنى عائم ملتبس ، مع أنها أكثر أحرف العطف استخداما في الكلام ، وأكثرها دقّةً في مواقعها ، ممّا جعله موضوعا لبحث البلاغيين في باب الفصل والوصل.[1]

مواضع الفصل:

حدّد البلاغيّون أربعة مواضع للفصل بين الجمل، وهي :

أولا : كمال الاتصال : وهو أن تتفق الجملتان خبرا أو إنشاء، لفظا ومعنى أو معنى فقط ، فيترك العطف بينهما لقوّة اتصالهما وشدة ترابطهما، ويتحقّق ذلك في الصور التالية :

(أ)-أن تكون الجملة الثانية توكيدا لفظيا أو معنويا للأولى.

(ب) – أن تقع الجملةُ الثانية بدلا من الأولى.

(ج) أن تكون الجملة الثانية بيانا للمعنى الوارد في الأولى وتفسيرا له.

[1] - انظر دلائل الإعجاز ص 223-225، وبغية الإيضاح 2/ 278

ثانيا : كمال الانقطاع بلا إيهام: وله ثلاث صور :

(1) –أن تختلف الجملتان خبرا وإنشاء لفظا ومعنى.

(2) –أن تتفق الجملتان في الخبرية لفظا وتختلفان معنى ، بأن يكون معنى إحداهما خبرا ومعنى الأخرى إنشاء، فيُراعَى جانب المعنى على اللفظ فيفصل بينهما.

(3) – ألاّ تتحقّق مناسبةٌ جامعةٌ بين الجملتين، سواء كانتا خبريّتيْنِ أو إنشائيّتين.

ثالثا : شبه كمال الاتصال : ويطلق عليه أيضا ، الاستئناف البياني: وهو أن تكون الجملة الأولى منشأ سؤال ناشئ ومقدّر منها، وتكون الجملة الثانية بمثابة جواب له ، فترتبط الجملتان ارتباط السؤال بالجواب ، وهو ارتباطٌ معنويٌ شعوريٌ وطيد ، وغالبا ما يتحقّق في الجمل المستأنفة بالقول ، وكذا في الجملة الخبرية الواقعة تعليلا وتفسيرا لجملة إنشائية أو خبرّية منفية[1].

رابعا : شبه كمال الانقطاع : حدّد البلاغيّون هذه الحالة من حالات الفصل بين الجمل: بأن تكون الجملة مسبوقة بجملتين، يصح وصلها بالأولى لتحقق مناسبة جامعة، ولا يصحّ عطفها على الثانية لعدم تحقق مسوغ العطف ، فيترك العطف دفعا لتوهّم عطفها على الثانية ، فتصير الجملة الثالثة بمنزلة المنقطعة ، وأبرز شواهده قوله تعالي:{ **وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُون** }[2]، فصلت جملة " الله يستهزئ بهم " عن جملة : " إنا معكم "، لأنه لم يقصد التشريك بينهما في الإعراب ولا في حكمه، فجملة " إنا معكم" هو مقول القول ، وجملة :" الله يستهزئ بهم " إخبار من الله تعالي،

[1] - أكثر أبو السعود من الوقوف على هذا الموطن مكتفيا ببيان وقوع الثانية تعليلا للأولى، مرجّحا كمال الاتصال بينهما على كمال الانقطاع الناشئ من اختلافهما خبرا وإنشاء لفظا ومعنى ، في حين يغلب البلاغيون كونه من مواقع شبه كمال الاتصال، التى تكون الجملة الثانية جوابا لسؤال مقدّر من الجملة الأولى.

[2] - البقرة : 14-15

ولو وصلت بالأولى لأدى إلى توهم أنها من مقول المنافقين، فدفعا لهذا التوهم ترك العطف بينهما، وكان يصح عطفها على جملة (قالوا) **لتحقق مناسبة العطف والحالية**([1]).

خامسا : الفصل بين الجملتين لعدم الاشتراك في القيد:

وهو أن تكون الجملة الأولى مقيدة بقيد، لا يراد تقييد الجملة الثانية به لا في معناه ولا في حكمه، و يستشهدون له بقوله تعالي: {وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون} [2]، حيث فصل بين جملة" الله يستهزئ بهم" عن جملة " قالوا"، لأن قولهم مقيد بزمن، وهو وقت خلوهم إلى شياطينهم، أما استهزاء الله بهم فهو قائم دائم كل حين وآن، فكان الفصل بين الجملتين حتما لازما لعدم اشتراكهما في القيد المدلول عليه بظرف الزمان (إذا).

مواقع الوصل بين الجمل:

الأول : الوصل لدفع الإيهام واللبس : ويكون في كمال الانقطاع بين الجملتين، عند إيهام الفصل فيه معنى غير مقصود، كقولك لأخيك : هل أساعدك ؟ فيقول : لا، وأيدك الله. وهل شفي أخوك من مرضه ؟ فتقول : لا، وعافاه الله. ذلك لأنك إذا تركت العطف سيترشح معنى خلاف المقصود، وكأنك تدعو عليه بعدم التأييد، وبعدم الشفاء، وتروى كتب البلاغة والأدب أن هذه الواو تسمى : " واو أبي بكر "، لأنه أول من نبه إليها، عندما دخل السوق وسأل أحد التجار: أتبيع هذا الثواب ؟ فرد عليه التاجر قائلا: لا سلمك الله. فقال له أبو بكر : قل : لا، وسلّمك[3]

الثاني التوسط بين الكمالين : وهو أن تكون الجملتان وسطا بين حالة كمال الاتصال وحالة كمال الانقطاع، مع تحقق مناسبة جامعة بين الأطراف، وله صورتان:

---

[1] - انظر الكشاف 66/1 ، والتحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور 289/1

[2] - البقرة: 14-15

[3] -

(أ)– أن تتفق الجملتان خبرا أو إنشاء لفظا ومعنى.

(ب) – أن تتفق الجملتان خبرا وإنشاء معنى لا لفظا.

المبحث الثاني: الفصل بين الجمل في تفسير أبي السعود

أولا: الفصل بين الجمل لكمال الاتصال:

(أ)– وقوع الثانية بدلا من الأولى:

فصل بين قوله تعالي :{ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} وبين قوله:{صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ}** [1] ، لأن بينهما كمال اتصال ، فالثانية وقعت بدل بعض من كلّ من الأولى، وهو في حكم تكرار العامل من حيث أنه المقصود بالنسبة، وفائدته : التأكيد والتنصيص على أنّ طريق الذين أنعم الله عليهم – وهم المسلمون – هو المفرد العلم في الاستقامة، بحيث لا يخطر على بال أحد سوا ه عند ذكر الطريق المستقيم.[2]

فصل بين جملة :**{وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ}، وبين جملة :{مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ}**[3]، لأن بينهما كمال اتصال، فالثانية وقعت من الأولى بدل بعض من كلّ، فمن آمن منهم بعضٌ من عموم أهل مكة ، وقد خصّ أهل الإيمان بالدعاء إظهارا لشرف الإيمان وإبانةً لخطره واهتماما بشأن أهله ، ومراعاة لحسن الأدب واللياقة مع الله، كما أنّ فيه ترغيبا لقومه في الطاعة والإيمان ، وزجرا لهم من الكفر والعصيان.[4]

فصل بين جملة :**{وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ} ، وبين جملة:{ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ}**،لأنّ بينهما كمال اتصال، فالثانية وقعت بدلا من الأولى، فالثانية وقعت بدلا من الأولى، ذلك أنّ الكذب الذي تصفه ألسنتكم افتراءً على الله هو قولهم: التحليل والتحريم من غير بيّنة من الله أو أثارة من علم ، فوجب الفصل بينهما لذلك.[5]

---

1 - الفاتحة: 4-5
2 - انظر أبو السعود 1/ 28
3 - البقرة : 126
4 - أنظر أبو السعود 1/ 197
5 - انظر أبو السعود 4/ 100

فصل بين جملة:{**كُلًّا نُمِدُّ**} وبين جملة :**{هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ** }[1]، لأنّ بينهما كمال اتصال، فالثانية وقعت بدلا من الجملة الأولى، فالمقصود هو ما سبق من الفريقين، الفريق المعجّل لهم ما يشاؤن من أمور العاجلة، والفريق الذي شكر اللهُ سَعْيَه ممن يريد ثواب الآخرة ، والجملة الثانية عبارة عن الفريقين مُشارا إليهما باسم الإشارة.[2]

الفصل بين جملة:{ **يَلْقَ أَثَامًا** } وبين جملة:{ **يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** }[3] لأن بينهما كمال اتصال ، فالثانية وقعت بدلا من الأولى، ذلك أنّ الآثام التى يلقاها من يقترف السيئات المذكورة ، هي عبارة عن مضاعفة العذاب عليه يوم القيامة[4].

فصل بين جملة:{**وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ} ،وبين جملة:{يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ** }[5] لأنّ بينهما كمال اتصال، فالثانية وقعت بدلا من الأولى، فيوم يبعث فيه الخلائق ويدعو فيه إبراهيم ربّه أن يقيه شرّ الخزي ، هو ذاته اليوم الذي لا ينفع فيه أحدا ماله ولا ولده وهو يوم البعث والنشور والفصل والجزاء.[6]

الفصل بين جملة:**{قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ } وبين جملة :**

{لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ }[7]، لأنّ بينهما كمال اتصال ، فالثانية وقعت بدلا من الأولى يفيد التوكيد في المعنى ، لأنّ الغرض من طلب النمل الدخول إلى مساكنها هو البحث عن ملاذ آمن ، خشية أن يحطمنّهم سليمان وجنوده بأقدامهم وهو لا يشعرون ،

---

[1] - الإسراء: 20
[2] - انظر أبو السعود 4/ 120
[3] - الفرقان: 68-69
[4] - انظر أبو السعود 5/ 45
[5] - الشعراء: 87-88
[6] - أنظر أبو السعود 5/ 74
[7] - النمل: 18

والنجاة من التحطيم المذكور هو الأمن والسلم المنشودين من الأمر بالاحتماء بالمساكن[1].

الفصل بين جملة:{ **وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ**}[2]، لأنّ بينهما كمال اتصال، فالثانية وقعت بدلا من الأولى، بالنظر إلى أنّ الفضل الذي آتاه الله داود عليه السلام مفسّرٌ بتوجيه الأمر إلى كلٍّ من الجبال والطير أن يسبحن الله معه ، وتليين الحديد الصلب له كي يصنع منه ما يشاء من أدوات الحياة والتمدن ومعدات الحرب والقتال.[3].

الفصل بين جملة:{ **لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ}** وبين جملة :**{جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ}**[4]، لأنّ بينهما كمال اتصال، فالثانية وقعت بدلا من الجملة الأولى، ذلك أنّ الآيتين اللّتين كانتا في مساكن سبإ هما المذكورتان في الجملة الثانية : جنّتان عن يمين وشمال ، فهذه بدل من لأولى.[5]

(ب) – وقوع الثانية بدل اشتمال من الأولى :

فصل بين جملة:{**وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ}** وبين جملة :**{إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ** }[6]، لأن بينهما كمال اتصال ، فالثانية وقعت بدل اشتمال من الأولى ذلك أنّ الغرض من ذكر عبد الله أيوب ليس تلاوة اسمه فحسب، بل ذكره مشتملا على قصّته المذكورة إذْ نادى ربه خاشعا متذللا إليه لما أصابه أنواع الألم والوصب، ومن الأمراض والأسقام، وهي المقصودة بالضرّ في قوله:{إنّي مسّني الضرّ}، وإسناد الفعل

---

[1] - انظر أبو السعود 5/ 112
[2] - سبأ : 10
[3] - أنظر أبو السعود 326/5، يلاحظ أنّ بين الجملتين كمال انقطاع، لأنّهما مختلفتان خبرا وإنشاء، ولكن الشيخ لم يشر إليه.
[4] - سبأ: 15
[5] - انظر أبو السعود 5/ 331
[6] - ص : 41

إلى الشيطان، إمّا مراعاة لحسن الأدب مع الله، وإمّا أنّ المرض أصابه بسبب استجابته لوسوسة الشيطان وهمزاته.[1]

ُفصل بين جملة:{ **وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ} وبين جملة: {إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ}**[2]، لأنّ بينهما كمال اتصال، فالجملة الثانية وقعت بدل اشتمال من الأولى، فالمثل المضروب لأصحاب القرية متضمّنٌ ومشتملٌ على مجيء المرسلين إليهم وما كان بينهم و بين أصحاب القرية من المواقف السالبة والردود الرافضة لرسالات الله.[3]

الفصل بين جملة:{**فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ} وبين جملة :{ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ** }[4] لأنّ بينهما كمال اتصال، فالجملة الثانية وقعت بدلا اشتمال من الأولى، لأنّ سحرة فرعون لمّا خروا سجّدا كان سجودُهم متضمّنا ومشتملا على إقرار قلوبهم بالإيمان، فكان نطقهم باللسان تصديقا لما وقر في قلوبهم واستقرّ تعبيرا عنه مشتملا عليه.[5]

الفصل بين جملة:{**اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ،الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ}** وبين جملة:**{عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}**، لأنّ بينهما كمال اتصال ، فالثانية وقعتْ بدل اشتمالٍ من الأولى ، فتعليم الله الإنسان ما لم يعلم مشتملٌ على تعليمه بالقلم وبدون القلم ، من الأمور الكليّة والجزئيّة ، والجليّة والخفيّة ممّا لم يكن ليخطر له ببال ، أوْ ليحسبَ نفسَه قادرا عليه ، لولا أنْ علّمه الله تعالي.[6]

---

1 - انظر أبو السعود 5/ 469
2 - يس : 380
3 - انظر أبو السعود 5/ 380
4 - الشعراء: 46-47
5 - انظر أبو السعود 5/ 64
6 - انظر أبو السعود 6/ 449

(ج) – وقوع الثانية عطف بيان :

فُصل بين قوله تعالي :**{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ}** وبين قوله :**{يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا}** [1]، لأنّ الثانية وقعت عطف بيان للأولى، حيث بينتْ سرّ المفارقة الصارخة والمعيبة بين القول والفعل من هذه الطائفة من الناس، وهي أنّهم إنّما ينطقون بكلمة الإيمان نفاقاً ومخادعةً لله ورسوله والذين آمنوا.

ويحتمل أن يكون سبب الفصل الاستئناف البياني، فكأنّ سائلا سأل: ما لهم يقولون ذلك وهم غير مؤمنين؟ فقيل له :(يخادعون الله...)[2]، وتفيد صيغة المبالغة :

(يخادعون) مبالغةً في الكيفية من حيث كثرة أساليب المخادعة، وفي الكميّة من حيث كثرة الممارسة ومزاولة فنون الخداع، لأنّ الفعل متى غولب في لفظه فقد بولغ في معناه قطعا.[3]

فصل بين جملة :**{يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ}** وبين جملة: **{يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ}**[4]، لأنّ بينهما كمال اتصال، فالثانية وقعت عطف بيان من الأولى، حيث بيّنتْ نوع وطبيعة العذاب الذي كان فرعون يمارسه ضدّ بنى إسرائيل، وهو قتل أبنائهم واستبقاء بناتهم ونسائهم، إمعانا منه في إفساد الأسرة والمجتمع الإسرائيلي المصريّ يومئذٍ.[5]

1- البقرة: 8-9
2 - انظر أبو السعود 1/ 57
3 - انظر أبو السعود 1/ 133
4 - البقرة: 49
5 - نظر أبو السعود 1/ 133

فصل بين جملة : **{إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ }** وبين جملة:**{خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُون}** [1]، لأن بينهما كمال اتصال، فالثانية وقعت بيانا وتفسيرا لِماَ أُجمِل وأُبهِمَ في المثل وكُنْهِهِ، وهو وجه الشبه في الخلق والإيجاد ، قطعا لدابر الخصم، فإنّ من اعترض على خلق عيسى بلا والد، مع إقراره بخلق آدم بغير والد ولا والدة ، مما لا يستقيم به المنطق.[2] .

الفصل بين جملة:**{إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِين}**، وبين جملة:**{فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ}** [3] ، لأنّ بينهما كمال اتصال، فالثانية وقعت بيانا وتفسيرا للأولى ، بيانا وتفسيرا للإجمال في معنى البركة والهدى ، اللّذَيْنِ أفاض الله بهما على البيت الحرام، وهي آيات بيّنات عديدة من أبرزها مقام إبراهيم ، عليه وعلى نبينا محمد الصلاة والسلام .[4]

فصل بين جملة: **{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ}** وبين جملة :**{تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّه}** [5]، لأنّ بينهما كمال اتصال ، فالثانية وقعت بياناً وتفسيرا للحكمة في خيريّتهم بين الأمم ، كما يقال: زيد كريم، يطعم الناس ويكسوهم ويمشي في حوائجهم.[6]

فصل بين جملة: **{لَيْسُوا سَوَاءً }** وبين جملة :**{مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ }**[7] ،لأنّ الثانية وقعت بيانا وتفسيرا للإبهام الواقع في نفي

---

[1]- آل عمران : 59
[2] - انظر أبو السعود 1/ 377
[3] - آل عمران : 96-97
[4] - انظر أبو السعود 2/ 6
[5]- آل عمران : 110
[6] - انظر أبو السعود 2/ 17
[7]- آل عمران : 113

التسوية بين أهل الكتاب، ببيان أنّ منهم طائفة قائمة على العبادة والطاعة والخشوع لله بالركوع والسجود ، بجانب المجرمين الذين طغوا في البلاد وأكثروا فيها الفساد.[1]

فصل بين جملة: **{لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ}** وبين جملة :**{فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً}** [2]، لأنّ بينهما كمال اتصال ، فالثانية وقعت تفصيلا وبيانا للمعنى المجمل في نفي عدم التسوية بين طائفتين من المؤمنين ، مجاهدين في سبيل الله وقاعدين ، حيث بيّنت الجملة الثانية تفصيل ما بين الفريقين من التفاضل المفهوم من عدم استوائهما إجمالا، ببيان كيفيّة وكميّة هذا التفاضل بين الفريقين عند الله عزّ في علاه.[3]

فصل بين جملة :{ **فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ}** وبين جملة :**{ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ}**[4]، لأنّ بينهما كمال اتصال فالثانية وقعت بيانا وتفصيلا لمعنى التهديد والوعيد الذي أطلقه فرعون ضدّ موسي وقومه، وهو أنّه ليقطعنّ الأيدى والأرجل من خلاف، وليصلبنّهم في جذوع النخل كلّهم جميعا، وهذا البيان المفصّل تحقق في الجملة الثانية.[5]

الفص بين جملة: **{وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ}** وبين جملة :**{إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ }**[6] لأنّ بينهما كما اتصال، حيث وقعت الثانية بيانا وتفصيلا للنبأ اليقين الذي جاء به الهدهد من نواحي سبأ وغاب عن سليمان على نبوّته وملكه، وكان تفصيل النبأ اليقين

---

[1] - انظر أبو السعود 2/ 19
[2] - النساء: 95
[3] - انظر أبو السعود 2/ 184
[4] - الأعراف :123-124
[5] - انظر أبو السعود 3/ 18
[6] - النمل : 22-23

مفاجأة حقًّا، امرأة تحكم قومها ملكا عليهم ، وأوتيت من السلطة والثروة وحطام الملك حظا عظيما.[1]

(د) – وقوع الثانية توكيدا للأولى :

فصل بين جملة:{**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى} وبين جملة :{ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى}** [2]، لأن بينهما كمال اتصال ، حيث وقعت الثانية توكيدا معنويا للجملة الأولى، فالمعنى هو : أن ما ينطق به الرسول من ويتلوه من القرآن الكريم ليس كلاما من تلقاء نفسه أو صادر من هوى ذاته ، وقد تأكّد هذا المعنى بالإثبات بأسلوب القصر بأنّ ما ينطق به وحيٌ يوُحى إليه من الله، رفعا لاحتمال المجاز أو التجوّز في الكلام.[3]

الفصل بين جملة:{ **فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ}** وبين جملة :**{لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ** }[4]، لأنّ بينهما كمال اتصال ، فالثانية وقعت توكيدا معنويا للمعنى في الجملة الأولى، فإذا كانت مهمّة الرسول عليه السلام مقتصرة على التذكير والتبليغ ، لا الإكراه و السيطرة والهيمنة عليهم توكيدا وتقريرا للمعنى في الجملة الأولى.[5]

فصل بين جملة:{ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}** وبين جملة :**{اللَّهُ الصَّمَد** }[6] لأنّ بينهما كمال اتصال، فالثانية وقعت نتيجة مؤكِّدة للمعنى في الجملة الأولى ، ففيها توضّحتْ معنى الألوهيّة المستتبعة لكافة نعوت الكمال ، بما فيها تنزّهه عن شائبة التّعدّد والتركيب ،

---

[1] - انظر أبو السعود 5/ 115
[2] - النجم: 3-4
[3] - انظر أبو السعود 6/ 153
[4] - الغاشية: 21-22
[5] - انظر أبو السعود 6/ 421
[6] - الإخلاص: 4-5

وفي الثانية وردتْ صمدانيّتُهُ المقتضية لاستغنائه الذاتي عما سواه ، وافتقار جميع المخلوقات إليه في وجودها وبقائها وفي سائر أحوالها.[1]

ثانيا : كمال الانقطاع :

كمال الانقطاع بين القولين كما بين قائليهما:

قوله تعالي:**{قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ.. قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ}**[2] ، فُصلَ بين جملة :

{قال عفريت} وبين جملة:{قال الذي عنده علم من الكتاب}، لكمال الانقطاع والتباين بين القائلَيْنِ :(عفريتٌ ماردٌ من الجنّ− رجل من أهل العلم بالكتاب) ، وما بين مقولتيهما من انفصال وتفاوت: و ما قوليهما وكيفيّة إحضار العرش من مملكتها وقدرة كلّ منهما على ذلك مع قياس البون الشاسع والانقطاع التام بين السرعات المتاحة لكلّ منهما مابين:(قبل أن تقوم من مقامك ، وبين قبل أن يرتدّ إليك طرفك من شدّة التباين والتفاوت، ما يجعل مقولة العفريت في درجة الساقط من الاعتبار [3].

ثالثا : شبه كمال الاتصال بين الجمل:

شبه كمال الاتصال، ويطلق عليه الاستئناف البياني، ويغلب وقوعه بعد الاستئناف بالقول، وبعد جملة إنشائية أو خبرية مؤكدة بإنّ في مورد التعليل لها. ()، ويشمل هذا الموقع:

---

[1] - انظر أبو السعود 6/ 488

[2]- النمل: 39-40

[3] - انظر أبو السعود 5/ 123

(2)– الجملة المستأنفة بالقول، لصحّة اعتبارها جوابا لسؤال مقدّر مستنبط من الجملة الأولى، وقد رجّح أبو السعود هذا الاعتبار بعد الاستئناف بالقول.

(3)–الجملة الخبرية الواقعة تعليلا لجملة إنشائية أو خبرية منفية، ترجيحا لجانب التعليل والمُعَلّل له، وهو من كمال الاتصال، وعليه يمكن القول : إنّ شيخ الإسلام فرّق في التطبيقات البلاغية عن شبه كمال الاتصال بين هذين النوعين من الأساليب:

(أ)–الجملة الإنشائية أو الخبرية المنفية المعلَّل لها بجملة خبرية، وقد أشار أبو السعود في النوع الأوّل إلى آيات عديدة ممّا وقعت فيها الثانية تعليلا للأولى، مبينا وجه الارتباط والتلاحم بين السابقة واللاحقة.

(ب)– الجملة الواقعة جوابا لسؤال دلّت عليه الجملة الأولى بالتقدير والفحوى، وكثيرا ما تمحور هذا النوع في الجمل المستأنفة بمادة القول، وقد عُنِي أبو السعود بتقدير الأسئلة المفترضة المقدّرة تقديرا من الجملة الأولى، وتكون الجملة الثانية بمثابة جواب لها، ويفصل بين الجملتين كما يفصل بين السؤال والجواب الملفوظين.

(أ)– الجملة الثانية خبرية تعليلية لجملة إنشائية:

فصل بين جملة : **{وَصَلِّ عَلَيْهِمْ} وبين جملة :{إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ }**[1] الآية في صدد الحديث عن الزكاة، التى أمر الله رسوله أن يأخذها من أموال الأغنياء ويردّها إلى الفقراء، تطهيرا لنفوسهم من شحّها وتزكيةً لأموالهم من حُقوقٍ فيها، وأمره بالصلاة والدعاء لهم، وعلّة ذلك وسببه أنّ صلاة النبيّ ودعائه للمؤمنين فيها سكينة لقلوبهم

1 - التوبة : 102

واطمئنانٌ لنفوسهم على ما بذلوا ويبذلونه في سبيل الله من الأموال وحتى من المُهَجِ والأرواح[1].

فصل بين جملة :{ **قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ}** وبين جملة :**{إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ}**[2]، لأنّ بينهما كمال اتصال بين التعليل و المعلَّل له، فالأولى جملة إنشائية دعائية ، أي: أعوذ بالله معاذاً ممّا تدعينني إليه ، وهذا اجتنابٌ منه على أتم الوجوه وأحسنها، و قوله:{ **إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ}** بيان لعلّة الامتناع والاستجابة لما طلبتْ، وهي أنّ العزيز زوجكِ، قد تعهّدني بحسن الرعاية ولطف الوفادة، وأمركِ بأنْ تكرمِيْ مثوايَ، فكيف أخون منِ ائتمنني وأُسيء إلى من أحسن إليّ ؟! وهذا منه لها تنبيهٌ لطيف وإرشادٌ نظيفٌ بضرورة رعاية حقّه وإعزاز مكانه ومكانته. وقيل: إنّ الضمير في قوله:{إنّه ربي أحسن مثواي}، عائدٌ إلى الله عزّ في علاه[3].

الفصل بين جملة:{ **فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ} وبين جملة: {إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}**[4]، لأنّ بينهما كمال اتصال بين التعليل والمعلّل له، والمعنى نهيٌ عن الإشراك بالله، أيْ: لا تشركوا به شيئاً، والتعبيرُ عنه بضرب المثَل للقصد إلى النهي عن الإشراك به تعالى في شأن من الشؤون، فإن ضربَ المثلِ مبناه تشبيهُ حالةٍ بحالة وقصةٍ بقصة، أي لا تُشَبّهوا بشأنه تعالى شأناً من الشؤون، وعلّة النهي أنّ الله يعلم المثل ومضرب المثل وما يُسفرُ عنه المثل من معان ودلالات، وأنتم أيّها النّاس لا تعلمون ذلك[5]

---

1 - أنظر أبو السعود 3/ 188
2 - يوسف : 23
3 - انظر أبو السعود 3/ 379
4 - النحل : 74
5 - انظر أبو السعود 4/ 78

فصل بين جملة :**{وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا}** وبين جملة:**{إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ }**[1]، لأنّ بينهما كمال اتصال بين التعليل والمعلل له، فالأمر بالتلطّف في الحركة والترّفّق قضاء الحوائج والنهي عن إشعار القوم بهم، سببه وعلّته أنّه إذا اكتشف القومُ أمر الفتية المؤمنة سيرجمونهم بالحجارة رجما، أو سيردونهم إلى ملّتهم ملّة الشرك والكفر بالله، وهم أمران أحلاهما مرّ، فالعلاقة وطيدة بين التعليل والمعلل له، وهو ما سوّغ الفصل بين الجملتين[2].

فصل بين جملة:{ **قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا} وبين جملة:{لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا}**[3]، لأنّ بينهما كمال انفصال بيت التعليل والمُعلّل له، والجملةُ الخبرية في محل التعليل للأمر بإيتاء الغداء، إمّا باعتبار أن النصَبَ إنما يعتري بسبب الضعفِ الناشيء عن الجوع، وإمّا باعتبار ما في أثناء التغدي من نيل قسط من الراحة والاستراحة ، فكان الفصل بين الجملتين حتما لازما[4].

فصل بين جملة :{ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ}** وبين جملة : **{إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ}**[5]، لأنّ بينهما كمال اتصال بين التعليل والمعلّل له، فالأمر إلى الناس قاطبةً بتقوى الله معنونا بعنوان ربوبيّته لهم:{ربّكم}، والمأمورُ به مطلقُ التَّقوى الذي هو التجنبُ عن كلِّ ما يُؤثِّمُ من فعلٍ وتركٍ ، ، تفسيره وعلّته أنّ الساعة آتيةٌ وإنّ زلزلتها شيء لا يمكن وصفها ، وقاية لأنفسكم من أهوال الساعة وشدائدها، التى لا مَلْجأً منها سوى التَّدرعِ بلباسِ التَّقوى ، وذلك خير.[6]

---

[1] - الكهف : 19-20
[2] - انظر أبو السعود 4/ 180
[3] - الكهف: 62
[4] - انظر أبو السعود 4/ 202
[5] - الحجّ : 1
[6] - انظر أبو السعود 4/ 364

فصل بين جملة: { **وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا}** وبين جملة: **{إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا** }[1] لأنّ بينهما كمال اتصال بين التعليل والمعلّل له، وهي النهيّ عن التبذير في الأموال والإسراف في الموارد والنّعم ، وعلّة النهي وسببه هو أنّ من يفعل ذلك فإنّما يتّبعُ خطوات الشياطين ويصبح من قرنائهم وزمرته وأعوانهم، وديدنُ الشيطان هو الكفر بنعم ربّه أبدا ، والمروق عن طاعته دائما[2].

فصل بين جملة: **{وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}** وبين جملة :**{إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ}**[3] لأنّ بينهما كمال اتصال بين التعليل والمعلّل له ، فالله يأمر رسوله ليبلّغ عباده بأنْ يقولوا الكلمة التي هي أحسن حين محاورتهم مع المشركين أو مع قوم آخرين ، ولا يغلظوا ولا يخشّنوا في القول ، وسبب ذلك وعلته هي أنّ الشيطان يهييج الشرّ بينهم ويفسد الودّ ، ويغرى بعضهم على بعض لإيقاظ الفتنة وزرع الشقاق بين صفوفهم[4]

فصل بين جملة :{ **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ}** وبين جملة :**{إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا** }[5]، لأنّ بينهما كمال اتصال ، بين الأمر بذكر إسماعيل في الكتاب وبين الجملة الخبرية المتضمّنة تعليلا فلإنشائية، وإيرادُه عليه السلام بوصف: " الصدق في الوعد"، لكمال شهرتِه به وأنه وعَدَ الصبرَ على الذبح بقوله:{ **سَتَجِدُنِى إِن شَاء الله مِنَ الصابرين}**[6].

فصل بين جملة :**{وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا}** وبين جملة:**{إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ**}[7]، لأنّ لأنّ بينهما كمال الاتصال ، حيث وقعت الثانية تعليلا لمعنى النهي، فقد نهي الله

---

[1] - الإسراء : 26-27
[2] - انظر أبو السعود 4/ 125
[3] - الإسراء : 53
[4] - انظر أبو السعود 4/ 137
[5] - مريم : 54
[6] - الصافات : 102
[7] - المؤمنون : 27

نبيّه نوحا عليه السلام أن يشفع لقومه من الذين ظلموا، بعد أنْ انقطع حبل الرجاء فيهم، وحان موعد حلول العذاب عليهم و إهلاكهم غرقا[1].

فصل بين جملة :**{لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ}** وبين جملة :**{إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ }**[2]، لأن بينهما كمال اتصال بين التعليل والمعلّل له، حيث وقعت الثانية تعليلا للنهي عن الجؤار ، وهو الصياح والصراخ طلبا للنجدة والاستغاثة حين العذاب، وعلّة النهي هي أنّ صياحكم وصراخكم لا طائل من ورائه فإنّه لا ناصر ولا مغيث لكم أبدا[3].

فصل بين الجملة الخبرية المنفية :{ **قَالُوا لَا ضَيْرَ} وبين الجملة الخبرية:{إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ}** لأنّ بينهما كمال اتصال بين التعليل والمعلَّل له، لأنّ الثانية وقعت تعليلا للنفي بعدم الضَّيرِ، والآية جاءت ردا لتهديدات فرعون لسَحَرَتِه لمّا آمنوا بموسى ونطقوا بكلمة الشهادة، أيْ: لا ضيرَ لنا فيما تتوعّدنا به من القتل، بل لنا فيه نفعٌ عظيمٌ لما يحصلُ لنا من أجر الصَّبرِ عليه، من تكفيرِ الخَطَايا ونيل الثَّوابِ العظيم، أو لا ضيرَ علينا فيما تتوعَّدنا به من القتلِ أنه لا بُدَّ لنا من الانقلابِ إلى رَّبنا بسببِ من أسبابِ الموتِ ، والقتلُ أهونُها وأرجاها[4] .

فصل بين جملة:{**أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ}** وبين جملة:**{إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِين }**[5]، لأنّ بينهما كمال اتصال بين التعليل والمعلّل له ، فالثانية وقعت تعليلا للنهي عن عبادة الشيطان تنفيذا لعهد الله إلى بني آدم ، وعلّة النهي هي أنّ الشيطان عدوّ ظاهر لبني آدم ، فكيف تتخذون عدوكم معبودا؟![6]

---

[1] - انظر أبو السعود 4/ 412
[2] - المؤمنون: 64-65
[3] - انظر أبو السعود 4/ 424
[4] - انظر أبو السعود 5/ 64
[5] يس : 60
[6] - انظر أبو السعود 5/ 399

فصل بين قوله تعالي:{**فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي} وبين جملة:{إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ**}[1]، لأنّ بينهما كمال اتصال بين التعليل والمعلّل له ، والمعلّل له هنا أمرٌ ونَهْيَيْنِ كلّها ذات شأن وخطر، أمرٌ من الله لأمّ موسي بأنّ تلقي وليدها في البحر، ثمّ نهيٌ لها أن يتطرق إلى قلبها خوفٌ أو حزنٌ عليه، وتفسيره وعلّته أنّ الله سيردّه إليها، ثمّ يبعثه رسولا إلى بنى إسرائيل، ويلاحظ هنا أنّ الأمر بإلقائه في البحر يقابله ضمان ردّه إليها سالماً، والنّهيٌ عن الخوف والحزن عليه، يقابلهما تشريفه بالرسالة والنّبوّة إلى بني إسرائيل ، فلا مكان لتردّدٍ مع ضمان الرّد، ولا مكان لخوفٍ أو حزنٍ مع التشريف بالرسالة والنبوّة.[2]

فصل بين جملة :{**يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ**} وبين جملة :{**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** }[3]، لأنّ بينهما كمال اتصال بين التعليل والمعلّل له، وهو نّهي لقمان ابنه عن الشرك بالله، وعلّة النهي هي أنّ الشرك ظلم عظيم، أيْ :وضعٌ للعبادة في غير موضعها، فهو ظلمٌ لله الذي خلق فسوي، الذي أمات وأحيى، وظلم للمرء نفسه حيث يعرّضها لعذاب الله[4]

فصل بين جملة :{ **وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ**} وبين جملة :{**إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ**} [5]، لأنّ بينهما كمال اتصال ، حيث وقعت الجملة الخبرية تعليلا للأمرِ على أبلغِ وجهٍ وآكدِه ، مبنياًّ على تشبيه الرَّافعينَ أصواتَهم بالحميرِ ، وتمثيل أصواتِهم بالنُّهاقِ وإفراطٌ في التَّحذيرِ عن رفعِ الصَّوتِ والتَّنفيرِ عنه[6].

فصل بين جملة:{**فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ**} وبين جملة :{**إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُون** } ()، لأن بينهما كمال اتصال بين التعليل والمعلّل له، وهو نهي الرسول عليه السلام عن

[1] - القصص : 7
[2] - انظر أبو السعود 5/ 153
[3] - لقمان : 13
[4] - انظر أبو السعود 5/ 253
[5]- لقمان : 19
[6] - انظر أبو السعود 5/ 256

احتمال الحزن عماّ يقول المخالفون فذلك ديدنٌ منهم لا ينقطع، وعلّة النهي هي أنّ الله عليم بسرّهم وجهرهم ولا يخفى منهم شيء على الله ، والعدوّ مخذول مهزوم مادام مكشوفا سرّه وعلانيته[1]

فصل بين جملة:{ **سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ}** وبين جملة : **{إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِين}**[2]، لأن بينهما كمال اتصال بين التعليل والمعلَّل له ، فالتّكرمة السنيّة والتهنئة السامية لنوح بالسلام عليه في العالمين عبر القرون والأزمان ، علّتها وسببها أنّه كان من عباد الله الصالحين ، من المؤمنين المحسنين في إيمانهم ، وهو قّمة الإيمان والعمل الصالح[3].

فصل بين جملة :**{يا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ}** وبين جملة :**{إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِين}**[4]، لأنّ بينهما كمال اتصال بين التعليل والمعلّل له ، هو طلب ابنة شعيب منه بأن يتّخذ موسى أحيرا لديهن وعلّة ذلك أنّه قويّ وأمين، وهما أهمّ صفتين في الأجراء، قوّةٌ وجَلَدٌ على العمل، وثقة وأمانة على ما يؤتمن عليه[5].

فصل بين جملة:{**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي} وبين جملة: {إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّاب}**[6]، لأنّ بينهما كمال اتصال بين التعليل والمعلّل له، وهو دعاء النبيّ النبيّ سليمان بن داود أن يهبه الله ملكا لا يهبه لأحد سواه ، وعلّل ذلك بأنّ الله هو

[1] - انظر أبو السعود 5/ 405
[2] - الصافات : 79-80
[3] - انظر أبو السعود 5/ 437
[4] - القصص : 26
[5] - انظر أبو السعود 5/ 162
[6] - ص: 35

الوهّاب بصيغة المبالغة ، فهو يهب كثيرا بلا حدود في الكمّ وفي الكيف، فلا يعجزه أن يخصّه بملك ذي خصائص خاصة به ، وقد كان[1].

الفصل بين جملة الإنشاء غير الطلبي هو المدح :{ **إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ}** وبين الجملة الخبرية:**{إِنَّهُ أَوَّابٌ}**[2]، لأنّ بينهما كمال اتصال حيث وقعت الثانية تعليلا للإنشاء غير الطلبي، المتضمّن المدح والثناء الحسن لأيوب عليه السلام على صبره على أقدار الله وابتلائه له في نفسه وأهله وماله، فكان نعم العبد، وتفسيره وعلّته أنّه كان كثير الأوْب والرجوع إلى الله شديد التّضرّع والوقوف بباب الله مستغفرا تائبا إليه[3].

فصل بين جملة:{ **هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ}** وبين جملة: **{إِنَّهُمْ صَالُو النَّارِ}**[4]، لأنّ بينهما كمال اتصال بين التعليل والمعلّل له، الآية تحكى قول خزنة جهنّم جهنّم لأئمة الكفر والعصيان، وأكابر الشرك والطغيان، حين يقتحم عليهم دخولاً بشّدة وعنفوان إلى النّار فوجٌ من أتباعهم، فيقابلونهم بالتّجهّم وبعدم الترحيب:{لا مرحبا بهم}، فيردّ عليهم خزنة جهنّم :أنّكم جميعا لا مرحبا بكم، أي: لا جِئتم مرحبا ولا رحُبَتْ بكم الدار دعاءً عليهم، وعلّته وسببه أنّكم جميعا تصلون النار هي مثواكم وبئس المصير.[5]

فصل بين جملة:{**لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ}** وبين جملة :**{إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}**[6]، لأنّ بينهما كمال اتصال بين التعليل والمعلّل له، وهو النّهيٌ عن القنوط من رحمات الله، خاصة في حق العصاة والمذنبين، وعلّة النهي عن ذلك هي

---

1 - انظر أبو السعود 5/ 468
2 -ص : 44
3 - انظر أبو السعود 5/ 471
4 - ص: 59
5 - انظر أبو السعود 5/ 475
2-الزمر: 53

: أنّ الله قادر على غفران الذنوب جميعها وعلى تكفير السيئات صغيرها وكبيرها، لمن تاب وآمن وعمل عملا صالحا[1].

(ب)- وقوع الجملة الثانية جوابا لسؤال مقدّر

فصلت جملة :**{قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ}** عن جملة :**{إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ }**[2]، لأنّ الثانية وقعت استئنافا مبنيا على سؤال مقدّر ناشئٍ من ادعائهم المعيّة مع شياطينهم ، فكأنه قيل : فما بالكم إذاً توافقون المؤمنين في النطق بكلمة الإيمان؟! فردّوا:**{إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ}**[3]

فُصلت جملة :**{يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ}** عن جملة :**{ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا}** [4]، لأنّ الثانية وقعت بمثابة جواب مقّدر من الجملة الأولى، فكأنّه قيل: فماذا يفعلون في ذلك الموقف المهول؟ فقيل:{ **كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا**}[5].

فصلت جملة:**{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً}** عن جملة: **{ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ }**[6]، لأنّ الثانية وقعت جوابا لسؤال مقدّر من من الأولى، فكأنّه قيل: فبماذا ردتْ الملائكة حينئذٍ ؟ فقيل:{ **قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ**}[7]

فصل بين قول الله تعالي لإبراهيم: **{إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا}** وبين قوله :**{قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي}**[8]، لأنّ الثانية بمثابة جواب عن سؤال مقدّر ، فكأنّه قيل : فماذا كان جواب

---

[1] - انظر أبو السعود 513/5
[2] - البقرة: 14
[3] - انظر أبو السعود 1/ 65
[4] - البقرة: 20
[5] - انظر أبو السعود 1/ 76
[6] - البقرة: 30
[7] - انظر أبو السعود 1/ 110
[8] - البقرة: 124

إبراهيم ؟ فقيل: **{قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي}**، وكأنّ السائل سأل تارة أخرى : فماذا كان ردّ المولى عزّ وجلّ؟ فقيل :**{قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ}**[1]

فصل بين جملة :{**مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا}** وبين جملة:**{قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ}**[2]، لأنّ الثانية وقعت بمثابة جواب عن سؤال مقدّر، فكأنّه قال : فماذا أردُّ عليهم ؟ فقيل:**{قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ}**[3]

فصلت بين جملة**{كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا}** وبين جملة:**{قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ}**[4] لأنّ الثانية وقعت بمثابة جواب عن سؤال مقدّر، فكأنّه قيل : فماذا قال قال زكريا؟ فقيل :{ **قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا}** ثم ألحّ السائل قائلا : فماذا كان ردُّها ؟ فقيل:**{قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ}**[5]

فصل قول الله تعالي في حق المنافقين: **{وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا عن** جملة: **{قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ }**[6]، لأنّ الثانية وقعت جوابا لسؤال مقدّرٍ، فكأنّه قيل: فماذا صنعوا حين خُيّروا بين الخصلتين المذكورتين ؟ فقيل:{ **قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ** }، أي لو نعلمُ فنون القتال وأساليب الكرّ والفرّ والهجوم والدّفاع لخرجنا معكم، قالوا ذلك تدليسا ودجلا واستهزاء بالمؤمنين[7].

فُصل بين جملةُ:{**لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا}** وبين جملة:**{كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُون** }[8]، لأنّ الثانية وقعتْ

---

[1] - أنظر أبو السعود 1/ 193-194
[2] - البقرة: 142
[3] - انظر أبو السعود 1/ 211
[4] - آل عمران : 37
[5] - انظر أبو السعود 1/ 362
[6] - آل عمران : 167
[7] - انظر أبو السعود 2/ 61
[8] - المائدة: 70

بمثابة جواب عن سؤال مقدّر، فكأنّه قيل: فماذا فعلوا بالميثاق وبالرسل؟ فقيل:{ **كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُون}**[1]

فُصل بين جملة : **{لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ}** وبين جملة :**{ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُون }**[2] ، لأن الثانية بمثابة جواب عن سؤال مقدّر من الجملة الأولى، فكأنّ سائلا سأل: لأيّ سببٍ كان ذلك؟ فقيل:{ **ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُون}** ، أي ذلك اللعنُ والطرد من رحاب الرحمة بسبب عصيانهم وتجاوزهم لحدود الله دائما وأبدا.[3]

فصُل بين جملة **{وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ}** وبين جملة :**{قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ}** [4]، لأنّ الثانية وقعت بمثابة جواب عن سؤال مقدّر تقديرا من الجملة الأولى، فكأنّه قيل : فماذا كان ردّ إبراهيم عليهم ؟ فقيل: **{قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ}**[5]

فُصل بين جملة: **{أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا}** وبين جملة:**{ يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ}**[6]، لأنّها وقعت بمثابة جواب عن سؤال مقدّر تقديرا، فكأنّه قيل: ماذا يصنع بذلك النور؟ فقيل: **{يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ}**[7]

فصل جملة : **{فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ}** وبين جملة: **{ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ }**[8]، لأنّ الثانية وقعت بمثابة جواب عن سؤال مقدّر من استثناء امرأته من الإنجاء والنجاة، فكأنّه قيل: فماذا كان مصيرها ؟ فقيل:**{كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ }**[1]

---

[1] - انظر أبو السعود 2/ 302
[2] - المائدة : 78
[3] - انظر أبو السعود 2/ 308
[4] - الأنعام: 80
[5] - انظر أبو السعود 2/ 407
[6] - الأنعام : 122
[7] - انظر أبو السعود 2/ 438
[8] - الأعراف : 83

فصل بين جملة:{**وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا}** وبين جملة:**{قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ** }[2]، لأنّ الثانية وقعت بمثابة جواب عن سؤال مقدّر تقديرا، فكأنّه قيل: فماذا قال لهم عندما جاءهم ؟ فقيل:**{قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ}**[3]

فصل بين جملة:{ **يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ}** وبين جملة: **رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ** }[4] ، لأنّ الثانية وقعت بمثابة جواب عن سؤال مقدّر تقديرا عن الجملة الأولى، فكأنّه قيل: كيف رأيتهم؟ فقيل: { **رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ** }، وإنّما أُجريتْ الكواكب المذكورة مجرى العقلاء في الضمير لوصفها بوصف العقلاء وهو السّجود[5].

فصل بين جملة:{**اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا}** وبين جملة:**{قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوه فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ}** [6] لأنّ الثانية وقعت بمثابة جواب عن سؤال مقدّر تقديرا، فكأنّه قيل : هل وافقوا متفقين على ما عُرض عليهم ؟ فقيل :{ **قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوه فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ}**[7].

---

[1] - انظر أبو السعود 2/ 514

[2] - الأعراف: 85

[3] - انظر أبو السعود 2/ 15

[4] - يوسف: 363

[5] - انظر أبو السعود 3/ 364

[6] - يوسف : 10

[7] - انظر أبو السعود 3/ 368-369

فصل بين جملة :{**وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا**} وبين جملة:**{قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُه**}[1]، لأنّ الثانية وقعت جوابا عن سؤال مقدّر تقديرا، فكأنّه قيل: فماذا قال لهم ؟ فقيل:{ **قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُه**}[2]

فصل بين جملة:{**اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى** } وبين جملة :**{قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي** }[3] لأنّ الثانية وقعت جوابا عن سؤال مقدّر تقديرا، فكأنّه قيل: فما ذا قال حين أُمِر بهذا الأمر المهول؟ فقيل : قال مستعينا بالله:{ **رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي**}[4]

فصلت بين جملة:{**قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى**} وبين جملة:**{قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى}** [5]، لأن الجملة الثانية وقعتْ بمثابة جواب عن سؤال مقدّر، فكأنّه قيل : فما قال لهما ربهما؟ فقيل:{ **قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى}**[6]

وَأَرَى}[6]

فُصل بين جملة:{**قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى**} وبين جملة:**{قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي** }[7] ، لأنّ الثانية وقعت بمثابة جواب عن سؤال مقدّر تقديرا، فكأنّه قيل : الم تتبعني أو أخالفتني فعصيت أمري([8])

---

[1] - هود: 84
[2] - انظر أبو السعود 3/ 340
[3] - طه: 24-25
[4] - انظر أبو السعود 4/ 276
[5] طه : 46-47
[6] - انظر أبو السعود 4/ 283
[7] - طه:91-93
[8] - انظر أبو السعود، 304/4

فُصل بين جملة:{**وَأَسَرُّوا النَّجْوَى**} وبين جملة:**{هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ }** [1]، لأنّ الثانية وقعت بمثابة جواب عن سؤال مقدّر تقديرا ، فكأنّه قيل : فماذا قالوا في نجواهم ؟ فقيل : **قالوا :{هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ}**[2]

فُصل بين جملة :{ **إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ}** وبين جملة :**{ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ** }[3] ، لأنّ الثانية وقعت بمثابة جوال عن سؤال مقدّر تقديرا من الجملة الأولى، فكأنّه قيل : فماذا قالت الملائكة تطمينًا لفزعه ؟ فقيل:{**قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ**}[4]

فُصل بين جملة:{ **وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ}** وبين جملة: **{ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}**[5]، لأن الثانية وقعت بمثابة جواب عن سؤال مقدّر تقديرا، نشأ من نفي التسوية بين الحسنة والسيئة في التعامل بين الناس، فكأنّه قيل : ما أصنع إذا ما أساء أحد في حقي ؟ فقيل:{**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** }[6] ، ادفع السيئة حيث أصابك من بعض أعدائك بأحسن ما يمكن دفعها به من الحسنات، كالإحسان إلى من أساء إليك([7]).

فصل بين جملة:{ **وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ}** وبين جملة: **{لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ** }[8]، لأنّ الثانية وقعت بمثابة جواب عن

---

[1] - الأنبياء: 3

[2] - انظر أبو السعود 4/ 322

[3] - ص: 22

[4] - انظر أبو السعود 5/ 459

[5] - فصلت : 24

[6] - انظر أبو السعود 5/ 570، يصحّ هنا اعتبار آخر للفصل، وإن لم يذكره أبو السعود، وهو كمال الانقطاع، حيث تختلف الجملتان خبرا وإنشاء لفظا و معنى.

[7] - انظر أبو السعود 5/ 570

[8] - ق : 21-22

سؤال مقدّر من الجملة الأولى، فكأنّه قيل : ماذا يُفعل بالنفس إذا ما سِيْقتْ إلى ربها ؟ فقيل : يقال لها:{**لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ**}[1]

فصل بين جملة:**{قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ}** وبين جملة:**{قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيد** }[2] ، لأنّ الجملة الثانية وقعت بمثابة جواب عن سؤال مقدّر ناشئ من تخاصم التابعين مع المتبوعين يوم القيامة ، فكأنّه قيل: فماذا كان حكم الله وقوله فيهم ؟، فقيل:{**قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيد**}[3]

فصل بين جملة:{**وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا}** وبين جملة:**{يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا}** [4]، لأنّ الجملة الثانية وقعت بمثابة جواب عن سؤال مقدّر تقديرا نشأ عن مواظبتهم على تلك الأعمال والعبادات الجليلة ، فكأنّه قيل: ماذا يتوخّون ويرجونه من وراء ذلك ؟ فقيل:{**يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا**}[5]

فصل بين جملة:{ **كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ، إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ}** وبين جملة: **{فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ** }[6] ، لأنّ الثانية بمثابة جواب عن سؤال مقدّر تقديرا بعد استثناء أصحاب اليمين من الحكم العام السابق، وهو ارتهان كلّ نفسٍ بما كسبتْ، فكأنّ سائلا سأل: ما بال أصحاب اليمين؟ فقيل:{ **فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ**}[7]

---

[1] - انظر أبو السعود 6/ 127
[2] - ق : 27-28
[3] - انظر أبو السعود 6/ 128
[4] - الفتح: 29
[5] - انظر أبو السعود 6/ 108
[6] - المدثر : 38-40
[7] - انظر أبو السعود6/ 332

ج/ الفصل بين الجمل لعدم تحقق مناسبة جامعة:

قوله تعالي :**{أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُون }**[1]، فصلت جملة:**{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا}**، عما قبلها لعدم تحقق مناسبة كافية للوصل بينهما، فالجملة الثانية كلامٌ مستأنف سيق لشرحِ أحوالِ الكَفَرة الغواة، إثرَ بيانِ أحوالِ أضدادِهم المتصفين بنعوت الكمال الفائزين في الحال والمآل، وبين الكلامين تنافٍ في الأسلوب وتبايُنٍ في الغرض ، فإن الأول مَسوق لبيان رفعةِ شأنِ الكتاب في باب الهداية ، وأما التعرضُ لأحوال المهتدين به فإنما جاء استطرادا، سواءٌ جُعل الموصولُ موصولاً بما قبله أو مفصولاً عنه، وأما الثاني فمسوق لبيان أحوالِ الكفرة أصالةً ، وبيان أمرِهم في الغَواية والضلالِ إلى حيث لا يُجديهم الإنذارُ والتبشير، ولا يؤثّر فيهم العِظةُ والتذكير، فهم تائهون في الغيِّ والفساد ، وراكبون متن كلّ صعب و ذلول في العِناد، وإنما أوثر هذا الأسلوب ولم يؤسَّس الكلامُ على بيان أن الكتابَ هادٍ للأولين وغيرُ مُجدٍ للآخَرين لأن العنوانَ الأخيرَ ليس مما يورثُه كمالاً حتى يُتعرَّضَ له في أثناء تعدادِ كمالاتِه[2] .

---

[1] - البقرة : 5-6

[2] - انظر أبو السعود بتصرف 1/ 50 ، وانظر فتح القدير 1/ 30

قرر أبو السعود هنا مسألة مهمة في هذا الباب ، وهي أنّ اتفاق الجملتين في الخبرية لفظا ومعنى غير كاف للوصل بينهما حتى تتحقق مناسبة جامعة لما يساق الكلام من أجله ، ونظيره ما يذكره البلاغيون من قول أبي تمام :

لا والذي هو عالم أنّ النوى صبر وأنّ أبا الحسين كريم

قالوا : إنه لا مناسبة جامعة بين كرم أبي الحسين ومرارة النوى، ولا تعلّق لأحدهما بالآخر، وأجيب : بأنّ المناسبة بينهما متحققة ، وهي شبه التضاد، لأنّ مرارة النوى بمثابة الضّدّ لحلاوة الكرم. انظر بغية الإيضاح ، مرجع سابق 2/ 281.

المبحث الثالث: الوصل بين الجمل:

اتفاق الجملتين خبرا مع تحقق المناسبة بينهما:

قوله تعالي:**{أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون }**[1] ، وصل بين الجملتين لاتفاقهما في الخبرية لفظا ومعنى، وقيام مناسبة جليّة بينهما، هي الاتحاد في المسند إليه لفظا ومعنى ومشارا إليه ، ومجيء المسند في الثانية نتيجة ومُسبّا من المسند في الأولى، تكريرُ اسمِ الإشارة لإظهار مزيدِ العنايةِ بشأن المشارِ إليهم ، وللتنبيه على أن اتصافَهم بتلك الصفات يقتضي نيلَ كلٍّ واحدة من تلك الخصلتين العظيمتين ، وأن كلاً منهما كافٍ في تميّزهم بها عمن عداهم ، ويؤيده توسيطُ العاطف بين الجملتين[2]

قوله تعالي :**{فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّار }**[3] ، وُصل بين جملة : (فمن تبع هداي) ، وبين جملة : (والذين كفروا وكذّبوا)، لأنّها قسيمة لها ، فالجملتان متّفقتان خبرا لفظا ومعنى ، وبينهما مناسبة جامعة وهي التقابل بين المعنى في المسند : بين الإيمان واتباع الهدى وبين الكفر واتباع الضلالة ، وفي المسند إليه بين المؤمنين المهتدين وبين المكذبين الكافرين، كأنه قيل : ومن لم يتْبَعْه ، وإنما آثر عليه ما ذكر تفظيعاً لحال الضلالةِ وإظهاراً لكمالِ قُبحِها ، وإيراد الموصولِ بصيغة الجمعِ للإشعار بكثرة الكفرة ، والجمعُ بين الكفر والتكذيب للإيذان بتنوّع الهدى إلى ما ذكر من النوعين[4].

---

[1] - البقرة : 5

[2] - انظر أبو السعود 1/ 49، وانظر التحرير والتنوير 1/ 89

[3] - البقرة : 38-39

[4] - انظر أبو السعود 1/ 124 ، وانظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور 311/1

ومنه قوله:{**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ** }[1]، وُصلت جملة: {**وَيَسْأَلُونَكَ عن المحيض**} على ما تقدّم من الأسئلة:{ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ** } وقوله :{**وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ** }[2] ، وقوله:{ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى** }[3] وصلت بين هذه الأسئلة الثلاثة لاتفاقها في الخبرية لفظا ومعنى ، مسندا ومسندا إليها فيها جميعا، كما تبرز فيها مناسبة المقام الواحد ، لأنّها جميعا وقعت عند السؤال عن الخمر ، وحكاية سواها بغير وصل بينهما لوقوع كلّ منها في قت مغاير على حدة[4].

ومنه قوله تعالي:{ **إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ... وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ... وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا** }[5] ، وصل بين جملة:{ **إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ** } وما بعدها ، وبين جملة:{ **وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا** }، لاتفاقهما خبرا لفظا ومعنى ، وتحقق المناسبة بينها وهي أنّ الآيات يجمع بينها تعدادُ بعض أنواع الوحي الإلهيّ على رسله ، كما يجمع بينها أنّها كلاّ منها تمثّل قصّة من قصص الأنبياء مع أقوامهم[6].

<u>اتحاد الجملتين في حكم إعرابي واحد:</u>

قوله تعالي :**{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ }**[7] ، وُصل بين جملة:{ **يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ** } وبين جملة:{ **وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ** }، لاشتراكهما في المحل الإعرابيّ والحكم الدال ، جملة مستأنفة بعد

---

[1] - البقرة : 222

[2] - البقرة : 219

[3] - البقرة : 220

[4] - انظر أبو السعود 1/ 268، ذهب الزمخشري إلى أنها عطفت على جملة:{ ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنّ} البقرة: 221، بمناسبة أنّ تحريم نكاح المشركات يؤذن بالتنزه عن أحوال المشركين، وكان المشركون لا يقربون نساءهم إذا كنّ حيضا وكانوا يفرطون في الابتعاد منهنّ مدة الحيض ، فناسب تحديد ما يكثر ، انظر الكشاف 1/ 345

[5] - النساء : 163-164

[6] - انظر أبو السعود 2/ 222

[7] - النساء : 44

الجملة الإنشائية، وتشتركان بيان محلِّ التشنيعِ والتعجبِ، من شأن هؤلاء ، وصيغةُ المضارعِ فيهما للدِلالة على الاستمرار التجدّدي ، فإن تجددَ حُكمِ اشترائِهم المذكورِ وتكررَ العملِ بموجبه في قوة تجدّدِ نفسِه و تكرُّرِه ، أي لا يكتفون بضلال أنفسِهم بل يريدون بما فعلوا من كتمان نعوتِه عليه السلام: أَن تَضِلُّواْ – أنتم أيضاً أيها المؤمنون – سبيل الحق والهدى.[1]

ومن قوله:{**وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ** }[2] ، وصل بين جملة:{ **سَوْفَ تَعْلَمُونَ}** وبين جملة:{ **وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ}** على اختلافهما في الفعلية والاسمية للتحقق مناسبة جامعة بينهما، وهي أنّ كذب الكاذب مرتقب في أية لحظة مثله كمثل نزول العذاب ، بل إن ظهور الكذب آكد هنا لأنه استمرار وبقاء ما كان على ما كان[3].

ومنه قوله:{ **لم يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ** }[4] ، وقع الوصل بين الجمل الثلاث لاتفاقهما في الخبرية المنفية لفظا ومعنى، وقيام مناسبة جامعة بينها ، فالمسند إليه فيها متحد، وبين المسند في الجمل الثلاث علاقة وطيدة وهي نفي صفات النقص عن الله تعالي، وهي البنوّة والأبّوة والمثليّة عنه عزّ وجلّ[5]

---

[1] - انظر أبو السعود 2/ 142

[2] - هو : 93

[3] - انظر أبو السعود 3/ 346

[4] - الإخلاص : 3-4

[5] - اكتفي أبو السعود بالقول : (وجه الوصل بين هذه الجمل غنيٌّ عن البيان) انظر أبو السعود 6/ 388، و قد حاول الباحث بيانه مبلغ جهده من العلم.

عطف قصّة المؤمنين على قصّة الكافرين:

قوله تعالي:{**فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** }[1]، وُصلت الجملة الخبرية:{ **أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ** } بالجملة الإنشائية:{**وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا** }، من باب عطف القصّة على القصّة ، وصل قصّة المؤمنين بالقرآن ووصف جزيل ثوابهم ، على قصّة الكافرين وما يحيق بهم من العذاب ، وبهذا يسقط الاعتراض الوارد عليه بكونه من عطف الإنشاء على الخبر [2].

---

[1] - البقرة : 24-25

[2] - انظر أبو السعود 1/ 92

الفصل السابع

الإيجاز والإطناب والمساواة في تفسير أبي السعود

المبحث الأول: الإيجاز والإطناب والمساواة

هذا هو الباب الأخير من الأبواب الثمانية لعلم المعاني كما يرّتبها المصنّفون في كتبهم ، وهو من أظهر أبواب البلاغة دقة وأكثرها دلالة وعمقا، فقد سئل أعرابي عن البلاغة فقال : " البلاغة الإيجاز في غير عجز ، والإطناب في غير خطل "[1].

وقد اعتبر السكاكى موضوع الإيجاز والإطناب أمرا نسبيا، لا يتيّسر الحديث فيه إلا بترك التحقيق والتعيين، والبناء علي أمر عرفي متفق عليه، كالاتفاق على قاعدة معيارية في تأدية المعنى أطلق عليها:(متعارف الأوساط)، مما لا يُحمد ولاُ يذمّ في البلاغة، ليكون معيارا وسطا للإيجاز والإطناب.[2]

ورأْيُ السكاكى– فيما يبدو للباحث– إشكال أحيل إلى إبهام، لأنّ متعارف الأوساط معيار يصعب تحديده والاتفاق عليه، واتخاذه قاعدةً يعاد إليها للقياس والمقارنة، فالكلام الموجز إنّما هو بالنسبة إلى كلام آخر أزيد منه، كما أنّ الإطناب هو بالنّظر إلى كلام آخر أنقص منه، وكل من الإيجاز والإطناب درجات بعضها فوق بعض، تتمايز فيها المواهب والقدرات، كما تتباين فيها المقامات والأحوال.

ويرى بعض الباحثين أنّ كلاًّ من الإيجاز والإطناب والمساواة، أسلوب بليغ إذا ما صدر من الأديب الأريب، موافقا للمقام مستجيبا لمقتضي الحال، فلكل منها مقام لا يغنى عنه غيره.[3] ، يقول هذا قبل وضع النقاط على الحروف بحدود فاصلة بين هذه المستويات الثلاث من الناحية العملية والتطبيقية، فهو يشبه نوعا من الهروب إلى الأمام، لأنّه بالفعل متعذّرٌ على حدّ وصف السكاكى.

---

1 - انظر البيان والتبيين للجاحظ 9/1

2 - انظر مفتاح العلوم للسكاكى، 387

3 - انظر علم المعاني، بسوني عبد الفتاح ، ص 425

أولا : المساواة : "هو تأدية المعاني بألفاظ مساوية لها دون زيادة أو حذف"، ويستشهد له البلاغيون بعدد غير كثير من النصوص العالية في القرآن الكريم والسنة الشريفة، منها قوله تعالي :{وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ }[1]، حيث دلّت الآية بكل لفظة فيها على معنى محدّد بقياس، وهو أن الشر والمكر لا يصيب إلا من يُخطِّطُ له ويسعى إليه، فمن حفر حفرة لأخيه وقع فيها، طال الزمان أو قصر.

ومن الحديث الشريف يستشهدون بقوله:"اتق الله حيث ما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن"[2] ، فالحديث محدّدٌ في ألفاظه مقدّرٌ في معانيه، أمرٌ بتقوى الله في السّر و العلن، في الخلوة و الملأ، في السفر و في الإقامة:"حيثما كنت"، وإذا ما وقعتْ منك سيئةٌ أو خطيئة– وهي لا شكّ واقعة– فبادر بفعل الحسنات، فإن الحسنات يذهبن السيئات، وعش مع الناس–كلّ النّاس– بخلق كريم وأدب جم، وهكذا تتساوى الألفاظ مع معانيها وتقاس الكلمات مع مدلولاتها قياسا لا مزيد عليه.

ويلاحظ أنّ الشواهد التي استشهد بها البلاغيون للمساواة مما سبق وغيرها لم تسلم من النقد، فقد اعتبرها بعضهم راجعةً إلى إيجاز القصر أو إلى الإطناب[3]. وذلك يعنى:

(1)– أن البلاغيين لم يهتدوا –حسب مبلغي من العلم– إلى معيار للمساواة سوى "متعارف الأوساط" الذي أشار إليه السكاكى كأسلوب وسيط بين الإيجاز والإطناب وهو قول لا يشفي غليلا ولا يكفي دليلا.

1- فاطر : 43

2 - أخرجه الترمذي في سننه، برقم (1987) باب معاشرة الناس 355/4

3 - انظر بغية الإيضاح 2/ 324

(2)- أنّ القرآن الكريم بريء تماما من أساليب المساواة، لأنّه لا ينطبق عليه متعارف الأوساط، الذي لا يحمد ولا يذمّ في البلاغة، فأسلوب القرآن كلّه محمود في باب البلاغة، بل هو قمّةُ البلاغة وذروة سنامها.

(3)-إنّ وصف السكاكى ومن وافقه للمساواة بأنّه "متعارف الأوساط"، وأنه لا يحمد ولا يذم في الكلام، هو وصف إلى الذم أقرب، ما يجعله جديرا بأن يعرض عنه، و يضرب عنه صفحا.

ولهذا كلّه ، يرجّحُ الباحث ما ذهب إليه ابن الأثير وجماعة من العلماء في إنكار المساواة وإسقاطه، إذ لا واسطة عندهم بين الإيجاز والإطناب في مستوى الدرس البلاغي، فالكلام البليغ إما إيجاز للمعنى الجمّ الغفير في لفظ أقلّ منه، أو إطناب للمعنى وبسطه في لفظ أزيد منه لفائدة مرجوة، أما المساواة فهو كلام عادي لا شأن لعلم البلاغة به[1]،

ومن حسن الحظّ أنّي لم أجد شيخ الإسلام يشير إلى شيء من ذلك في تفسيره.

<u>ثانيا : الإيجاز :</u>

الإيجاز : هو تأدية المعاني الجمة بألفاظ أقل منها، وهو نوعان[2] :

<u>الأول : إيجاز قصر</u> : "وهو تأدية المعاني الجمة بألفاظ أقل منها دون حذف"، وهذا النوع هو أعلى طبقات الإيجاز مكانا وأعوزها إمكانا، وإذا وجد في كلام بعض البلغاء إنّما يوجد في حالات عزيزة نادرة ، ويكثر في كتاب الله وتعالي[3].

[1] - انظر المثل السائر لابن الأثير 1/ 115

[2] - انظر بغية الإيضاح 332/2، وانظر : علم المعاني صـ394

[3] - انظر البين والتبيين للجاحظ 1/ 9

ومن شواهده قوله تعالي:{ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [1]
معان جمة موجزة بألفاظ قليلة دون حذف، وهي معان غزيرة مكتنزة ، فقد ورد فيها:

أولا: بيان للتشريع : فرض القصاص في القتلى، إقامةً للعدل بين الناس.

ثانيا : ذكر للمشرَّع لهم، وهم المؤمنون المخاطبون في:(لكم – ولعلكم تتقون)

ثالثا : الحكمة من التشريع، وهي : أنّ الإنسان متى علم أنه إذا قتل سيقتل، فإنه يكفّ عن القتل ويرتدع، أي:(توفير الحياة الآمنة المطمئنة للكافة).

رابعا : الفائدة المرجوة من التشريع : سلامة أرواح الناس جميعا وحفظ دمائهم، وتوطيد أسباب الأمن والأمان، الذي هو عماد الحياة وركنها الركين، كلّ ذلك في جملة واحدة لا تزيد ألفاظها عن ثلاث كلمات.

كما استشهد البلاغيون بباقة من جوامع كلمه –صلي الله عليه وسلم– مما قلّ لفظه وكثر معناه، ومنها قوله :(لا ضرر ولا ضرار)[2].

<u>الثاني : إيجاز حذف</u> : وهو تأدية المعاني الجمة بألفاظ أقل منها مع حذف، والمحذوف قد يكون حرفا أو أداةً ، جملةً أو جزءً من جملةٍ ، أو عدّةَ جملٍ أو قصّة كاملة [3].

ويبدو أنّ الإيجاز سجيّة من سجايا العربية، وغاية موطدة أصيلة، ما دامت حاجة المقام إليه واضحة، وحالات المخاطبين إليه داعية، والوفاء بالمعنى ظاهر.

---

1 - البقرة: 179
2 - أخرجه البيهقي في السنن الكبرى وحكم عليه بالإرسال، 158/6
3 - علم المعاني، مرجع سابق، صـ424

ثالثا : الإطناب

الإطناب : مصدر الفعل أطنب يطنب إطنابا، وهو الإسهاب في القول و الطنب : هو حبل الخباء، والأطناب : الطوال من حبال الأخبية[1]

واصطلاحا : هو التعبير عن المعني بألفاظ أزيد منه لفائدة[2].

أي أنه أسلوب فيه زيادة لفظ أو ألفاظ على أصل المعنى لتحقيق فائدة زائدة عليه، وهكذا نجد الكلمة تدور حول : معنى مشترك في اللغة والاصطلاح وهو: معنى الطول والامتداد.[3]

والإطناب إنما هو بيان، والبيان ينبغي أن يكون كافيا شافيا لصدور المتلقين، ولا يتحقّق ذلك إلا بالإقناع والإشباع ، ويرى أبو هلال العسكرى: أن الإيجاز للخواص والإطناب يشترك فيه الخاصة والعامة، والغبي والفطن...، والإطناب بمنزلة سلوك طريق حافل بالبساتين والأزهار الجذابة، يستفيد سالكها منها زيادة إمتاع العين والنفس، زيادةً على وصوله إلى مقصده ، يُحْرَمُ منها مَنْ يسلك طريقا قصيرا في الوصول إلى غايته، خاليا مما يُمتعُ العينَ ويُسعِدُ النفسَ" [4]. والإطناب وادٍ من أودية البلاغة تتجلي فيه قوة التعبير واستقصاء المقصود من كل وجه.

---

[1] - لسان العرب لابن منظور الإفريقي، مادة(ط ن ب).

[2] - انظر الطراز للعلوى 2/ 230-231

[3] - انظر لسان العرب ، مادة (ط ن ب)

[4] - كتاب الصناعتين ، لأبي هلال العسكري، ص191.

وعليه يمكن القول، إن القيمة البلاغية للإطناب تظهر في كونه كلاما يساق لكافة الطبقات من الخاصة والعامة ، وأنه قائم على قوة البيان والإحاطة والشمول لجوانب المعنى، بحيث يلتقطه الجميع كل حسب طاقته[1].

وقد حدد العلماء مواطن كثيرة لوقوع الإطناب في الكلام من أبرزها [2]:

1- الإيضاح بعد الإبهام : وفائدته عرض المعنى في صورتين مختلفتين، ليتمكن في النفس فضل تمكن، لإن المعنى إذا عرض مجملا، تشوقت النفس واشرأبت إلى معرفته مفصلا.

2- عطف الخاص على العام وعكسه : وفائدته التنبيه على فضل الخاص، والإبانة عن تفوقه على أفراد جنسه ، حتى كأنه صار جنسا مغايرا له في الذات كما في الصفات.

3- الاعتراض : وهو أن يؤتى في أثناء الكلام أو بين معنيين متصلين بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب، لتحقيق نكتة بلاغية قيمة، مثل التنزيه والتبجيل.

4- التكرار : وله مواقع كثيرة، منها :

(أ)- التكرار لطول الفصل في الكلام، بين العامل والمعمول أو بين المتعلقات بعضها عن بعض، وفائدته : وقاية النظم من الضعف والتركيب من الركاكة.

(ب)- التكرار بسبب تعدد المتعلّق، فيكون الغرض من التكرار مختلفا عن الآخر.

3- أنظر الإطناب: أنواعه وقيمته البلاغية ، د. محمد القطان، ص 18-19، ط1، 1986، دار التراث، المدينة المنورة

4- انظر بغية الإيضاح 346/3، وعلم المعاني، مرجع سابق، ص405-409.

7- التذييل : وهو تعقيب الجملة بجملة أخري تشتمل على معناها ، وفائدته تقرير المعنى وتوكيده ، وهو نوعان[1]:

(أ) – تذييل لا يجرى مجرى المثل، ولا يمكن فصله و استقلاله عما قبله.

(ب)- تذييل يجرى مجرى المثل، وهو ما يستقل بنفسه، ويصح استخدامه مقطوعا عن سياقه ، وقد اجتمع الضربان في قوله تعالي :{**وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ،كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَ نَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُون** }[2]، في الآية تذييل لا يجرى مجرى المثل وهو قوله:{ أفإن مت فهم الخالدون}، وآخر يجرى مجرى المثل، وهو قوله :{كل نفس ذائقة الموت} فمن الجائز استخدام الثاني عند حلول المصائب ومواقع الموت، مثلا مقطوعا عن الآية أما الأول فلا، وكلاهما جاء لتقرير معنى الآية وتوكيدها.

8- الاحتراس ويسمى أيضا التكميل : وهو أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفع الوهم ويبدّد اللبس[3].

---

[1] - انظر السابق.

[2] - الأنبياء: 34-35

[3] - انظر الإطناب : أنواعه وقيمته البلاغية، مرجع سابق،

المبحث الثاني: الإيجاز في تفسير أبي السعود

(1)- إيجاز قصر وشواهده:

قال تعالي: **{فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ}**[1]، ذكر أبو السعود أنّ في الآية إيجاز قصر معجب، حيث كان الأصل :

- فإن لم تفعلوا فقد صحّ عندكم صدقه.
- وإذْ قد صحّ ذلك، كان لزومكم العناد وعدم الإيمان به سيّئاً مشينا.
- وبذلك تستحقّون العقاب وحلول العذاب.
- فعليكم أن تحترزوا منه :{فاتقوا النّار التي وقودها الناس والحجارة}.[2]

قوله تعالي :**{وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ}** [3]، اعتبر أبو السعود هذه الآية إيجازَ قصر ، لأنّ جوهر المعنى هو :

- لن ترضى عنك اليهود حتى لو تخليت وأعرضت عنهم.
- إلى أن تتبع ملّتهم فتكون يهوديا مثلهم.
- ولن ترضي عنك النصارى حتى ولو تخليت عنهم وضربت عنهم صفحا إلى أن تتبع ملتهم ، فتكون نصرانيّا مثلهم .

  والغايةُ منه المبالغةُ في إقناطه- صلي الله عليه وسلم- من إسلامهم بأسلوبٍ لا مزيد عليه ، ولا غاية تُبْتغَى من ورائه[4].

- قوله تعالي :**{وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا}** [1] ، وردت الآية على سبيل إيجاز القصر، ومعناها موزّع بين الطائفتين بالتساوى :

---
[1] - البقرة : 24
[2] - انظر أبو السعود 1/ 92
[3] - البقرة : 120
[4] - انظر أبو السعود 1 / 190

– قالت اليهود للمسلمين :كونوا هودا تهتدوا.

– وقالت النصارى للمسلمين :كونوا نصارى تهتدوا[2].

فحدف ما حذف لدلالة السياق عليه، وتحقيقا لقيمة الإيجاز في الكلام.

قوله تعالي:{**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَاب**} [3]، ذكر أبو السعود أنّ الآية بيانٌ لمحاسن الحُكْم على وجه بديع لا تنال غايته ، وفصّل بعضًا من المعاني الجمّة التي أوجزت في هذه الجملة القصيرة المحكمة البنيان ، وكان ممّا ذكر [4]:

– أنّها جعل الشيءَ محلاّ لضدّه ، فالقصاص هو قتلُ ، وهو ضدّ الحياة المذكورة.

– وعرّف القصاص ونكّر الحياة ، ليدلّ على أنّ في هذا الجنس نوعا عظيما من الحياة لا يبلغه الوصف.

– وأنّ العلم به يزجر القاتل ويردعه ، فيتسبب ذلك في حياة نفسين على الأقلّ.

–ولأنّ فيه وأْداً للفتنة التي كانت تثور جرّاءَ قتلهم بالثأر أَوِ الجماعةَ بالواحد ، فإذا اقتُصّ من القاتل سلم الباقون، فيكون ذلك سببا لحياتهم.

قوله تعالي: **{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ}**[5] ، أشار أبو السعود إلى تحقق إيجاز قصر في هذه الآية، من حيث أنّ المعنى **هو : (**[6]**)**

– من افترى على الله كذبا فهو أظلم من كلّ ظالم.

– ولا مساوي له في الظلم.

---

[1] - البقرة : 135
[2] - انظر أبو السعود 1/ 2ن3
[3] - البقرة : 179
[4] - أبو السعود 1/ 238
[5] - الأنعام : 93
[6] - انظر أبو السعود 2/ 416

–ومن قال أُوْحِي إلىّ ولم يُوحَ إليه شيء ، هو أظلم من كلّ ظالم.

- ولا مساوي له في الظلم.[1]

قوله تعالي:{**أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ**}[2] ، اجتهد أبو السعود في إيجاز المعانى الهائلة التي تتضمّنها هذا لآية، التي جاءت ردّا على الكفرة الذين كانوا يتّخذون أربابا من دون الله، فبيّن لهم أن المستحق للربوبيّة واحد، هو الله تبارك وتعالي: فقال:

–أنه هو من خلق العالمَ على ترتيب قويمٍ وتدبيرٍ حكيم.

– فأبدع الأفلاكَ ثم زينها بالشمس والقمر والنجومِ.

– وعمَد إلى الأجرام السفليةِ فخلق جسماً قابلاً للصور المتبدّلةِ والهيئاتِ المختلفة.

– ثم قسّمها لصورٍ نوعيةٍ متباينةِ الآثار والأفعالِ ، و{خَلَقَ الأرض فِى يَوْمَيْنِ }.

–ثم أنشأ أنواعَ المواليدِ الثلاثةِ بتركيب موادِّها أولاً، وتصويرِها ثانياً:{وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِىَ مِن فَوْقِهَا وبارك فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أقواتها فِى أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ} أي مع اليومين الأولين.

– ثمّ لمّا تمّ له عالمُ المُلك عمَد إلى تدبيره، فدبّر الأمرَ من السماء إلى الأرض بتحريك الأفلاكِ وتسيير الكواكبِ وتكويرِ الليالي والأيامِ:{أَلاَ لَهُ الخلق والأمر تَبَارَكَ الله رَبُّ العالمين} ثم أمر العباد بأن يدعوُه مخلِصين له الدين.[3]

[1] - شرح الآية على هذا النحو الذي ذهب إليه أبو السعود ، يكون موئله : النفي الحقيقي مجازا، إذا صح هذا الاعتبار، قياسا على القصر الحقيقي المجازى. الباحث.

[2] - الأعراف : 54

[3] - انظر ابو السعود 2/ 498-499

(2) – إيجاز حذف ومواقعه:

حَذفُ المبتدأ للمبالغة في عظمة المعنى :

قوله تعالي:{يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ..} [1] ، وقع في الجملة إيجاز بحذف المبتدأ **وإبقاء الخبر،** وتقديره: نورٌ عظيمٌ كائنٌ على نورٍ عظيمٍ كذلك ، والغرض منه تحقيق قيمة الإيجاز في الكلام ، مع المبالغة في بيان تضاعف ماهيّة نور الله أضعافا مضاعفة غير متناهية لا حدود له معلوم ، ولا نطاق له تحيط به العبارة ، فهو نور على نور وكفي ، وليذهبْ بك الخيالُ والتصور أيَّ مذهبٍ مُتاحٍ [2].

حَذفُ المبتدأ لتحقيق معنى المدح والثناء:

قوله تعالي: **{الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا}** [3] ، وقع في الآية إيجازُ حذفٍ ، حيث حٌذف المبتدأ وذُكر الخبر، في قولهـ:(الرّحمنُ) مرفوعا على الخبرية، والغرض من الحذف هو إظهار قيمة الإيجاز في الكلام، و تحقيق معنى المدح والثناء الحسن لله ، بوصفه ذي الرحمة الواسعة والفضل العظيم على عباده[4].

حَذْفُ المبتدأ لدلالة ما بعده عليه:

قوله تعالي:**{أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ}**[5] ، قوله:{أفمن شرح الله صدره} خبرٌ لمبتدأ محذوف تقديره : أكلُّ النّاس سواءُ، وجاء الحذف تحقيقا لقيمة الإيجاز في الكلام ، ودلالةُ ما بعده عليه دلالةً جليّة[6].

---

[1] - سورة النور : 35
[2] - انظر أبو السعود 4/ 463
[3] الفرقان : 59
[4] - انظر أبو السعود 5/ 41
[5] - الزمر: 22
[6] - انظر أبو السعود 5/ 500

من مواقع الحذف والإيجاز في تفسير أبي السعود:

حذف المعطوفين المتقابلين لدلالة ما ذُكِر عليهما:

قوله تعالي:{قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا} [1] ، في الآية إيجازُ حذفٍ ، بحذفِ أحدِ المتعاطفين المتقابلين من مقابله ، فالمقابل هو : لا أملك لكم ضرّا ولا نفعا ، ولا غيًّا ولا رشدا، وذلك لدلالة ما ذُكِرَ على ما حُذِفَ، وتحقيقا لقيمة الإيجاز في الكلام[2].

حذف المخصوص بالذم لتهويل الأمر وتفظيعه :

قوله تعالي: **{قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَ بِئْسَ الْمِهَادُ}** [3]، في الآية إيجاز حذفٍ بحذف المخصوص بالذّمّ ، تفظيعا لنار جهنّم وتهويلا لحال أهلها ، نعوذ بالله أن نكون من أهلها، والتقدير: وبئس المهاد جهنّم ، أي بئس ما مهّدوا لأنفسهم نار جهنم[4].

حذف جواب القسم :

قوله تعالي :**{ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ}** [5] ، في الآية إيجاز حذفٍ ، بحذف جواب القسم من قوله: (ص ، والقرآن ذي الذكر) ، و هو ما ما يُنبىءُ عنه التَّحدِّي والأمرُ و الإقسامُ به ، من كون المُتحدَّى به معجزا ،وكونِ المأمورِ به واجباً ، وكونِ المقسَم به حقيقاً بالإعظام ، أي: أُقسم بالقرآن ، أو بصادٍ و به ، إنَّه لمعجز أو لواجب العمل به أو لحقيق بالإعظامِ ، وقد حُذف تحقيقا لقيمة الإيجاز في الكلام ، وتعظيما لأمر القسم[6].

---

1 - الجنّ : 21
2 - انظر أبو السعود 6/ 317
3 آل عمران : 12
4 - انظر أبو السعود 1 / 341
5 - ص : 1-2
6 - انظر أبو السعود 5/ 449

حذف جواب "لولا" :

قوله تعالي:**{وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ}**[1] ، في الجملة إيجاز حذفٍ ، بحذفِ جواب لولا ، لدلالة السياق عليه ، وتحقيقا لقيمة الإيجاز في الكلام ، وتقديره : ولولا كراهة أن تُهلكوا ناسا مؤمنين مقيمين بين الكافرين غير مبالين بهم ، فيصيبكم بذلك مكروه ، لما كفّ أيديكم عنهم[2].

حذف جواب " لو" لتهويل المعنى:

قوله تعالي:**{وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ}**[3]، في الآية إيجاز حذف، حيث حُذِف جواب "لو"، تحقيقا لقيمة الإيجاز في الكلام، وإيذانا بهول الموقف وشدّته ولتذهب الفكر والخيال كلّ مذهب في تصوّره ، والمعنى: لو رأيت ذلك لرأيت أمرا مهولا فظيعا فوق القُوى والقُدَر ، ممّا لا يكاد يوصف [4]

حذف الصفة لدلالة السياق عليها :

قوله تعالي :**{وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا}** [5]، في الآية إيجاز حذف ، حيث حذفت الصفة لدلالة الموصوف عليه ، و تحقيقا لقيمة الإيجاز في الكلام ، وحثّا على مزيد التدبّر والتّفكر في البحث عن المحذوف[6].

حذف المضاف وإحلال المضاف إليه مكانه:

قوله تعالي:**{قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ}** [7] ، في الآية إيجاز حذف ، حيث حُذِفَ المضاف: (إنّه ذُو عَمَلٍ) ، وحلّ المضافُ إليه محلَّهُ :(إنّهُ

---

1 - الفتح : 25
2 - انظر أبو السعود 6/ 105
3 - الأنفال :50
4 - انظر أبو السعود 3/ 103
5 - الكهف : 79
6 - انظر أبو السعود 4/ 208
7 - هود : 46

عملٌ)، مبالغة في سوء فِعاله ، حتى اختلط سوءُ أفعاله بشخصه، وصارا كيانا واحدا متخما بالأعمال السّيئات طاغية على شخصه، ممّا سوّغ وسهّل وصفه بأنّه عملٌ غير صالح[1].

حذف المفعول لدلالة المذكور عليه :

قوله تعالي:**{قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا}** [2] ، حذف مفعول:(استمع) لدلالة مفعول:(سمعنا) عليه ، تحقيقا لقيمة الإيجاز في الكلام ، وتفاديا لتكرار اللفظ مع قرب العهد به [3].

حذف المفعول بقصد اعتماد وقوع الفعل ذاته :

قوله تعالي:**{وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ...}** [4]، حذف المفعول من الأفعال: (يسقون- يذودان- يُصْدِر)، تحقيقا لقيمة الإيجاز، وإيذانا بأنّ المراد هو حدوث تلك الأفعال ووقوعها في ذاتها، لا وقوعها على مفعول بعينه، إذْ أنّ وقوعها هو ما دعا موسى عليه السلام إلى القيام بمبادراته الحميدة، أي أنّه أشفق على بِنتَيْ شُعيبٍ لكونهما على الذود والعجز والعفّة، وكونهم على السقي غير مبالين بهما، ولم يشفق موسى عليهما لكون مذودهما غنما ومسقيّهم إبلاً [5].

---

1 - انظر أبو السعود 3/ 318
2 - سورة الجنّ : 1
3 - انظر أبو السعود 6/ 314
4 - القصص : 23-24
5 - انظر أبو السعود 5/ 160

ونظيره قوله تعالي :{وَالصَّافَّاتِ صَفًّا فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا} [1]، حذف المفعول من :الصافات و الزاجرات ، إيذانا بأنّ المقصود هو الفاعلات لصفوف والفاعلات الزجر، على معنى أنّ المقصود هو إيقاع نفس فعل الاصطفاف والزجر من غير قصد إلى المفعول، من قبيل تنزيل المتعدى منزلة اللازم[2].

حذف المفعول لتفخيمه كمّا وكيفا:

قوله تعالي:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ...} [3] ، حذف مفعول الفعل:(لنبيّن لكم) ، لأجل تفخيمه كمًّا كيفا ، أي : خلقناكم على هذا النمط البديع لنبيّن لكم بذلك ما لا تحصره العبارة من الحقائق والدقائق التى من جملتها سرّ البعث والنشور ، فإنّ من تأمّل في الخلق المتدرّج للبشر تأمّلا حقيقيّا أدرك جازما ، بأنّ منْ قدر على خلق الناس أولا من تراب لم يشمّ رائحة الحياة قطّ وإنشائه على وجه ، مصححٌ لتوليد مثله مرّة بعد مرّة[4].

---

[1] - الصافات : 1-3

[2] - انظر أبو السعود 5/ 410

[3] - الحج : 5

[4] - انظر أبو السعود 4/ 367

- **حذف جملة :**

حذف جملة الشرط:

قوله تعالي:**{مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ}** [1] ، حذف من الكلام جملة الشرط وأداته لدلالة ما قبله عليه ، وتقديره: ولو كان معه إلهٌ آخر كما يزعمون، إذا لذهب كلُّ إلهٍ بما خلقه واستبدّ به ، وامتاز ملكه عن ملك الآخرين ، ولوقع بينهم التغالب والتحارب[2].

حذف جواب الشرط:

قوله تعالي : **{قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}** [3] ، حذف من الكلام جملة جواب الشرط ، ثقةً بظهوره واتضاح أمره بمعونة الاستفهام ، وتقديره: (إن كنتم تعلمون فأخبروني) ، وفيه مبالغة جليّة في وضوح الأمر وفي تجهيلهم ، لذا نطق بالجواب بدلاً عنهم قبل أن ينطقوا فقال :{سيقولون لله}[4].

قوله تعالي:**{يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ}**[5] ، حذف من الكلام جملة شرطية ، لدلالة المذكورة عليها ، وتقديرها : يكاد زيتها يضيء لو مسّته نار ولو لم تمسسه نار ، أي يوشك أنُ يضيئَ على كلِّ حال.

حذف جواب " لمّا " :

قوله تعالي:**{فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا}** [6] ، في الآية إيجاز حذف حيث حذف جواب لمّا، إيذانا بعدم وفاء الكلام حقّه، فكأنّه قيل : فكان ما كان ممّا لا يحيط به نطاق البيان ، ولا يبلغ كُنْهَهُ النطقُ باللسان ، استبشارا

---

[1] - المؤمنون : 91
[2] - انظر أبو السعود 4/ 430
[3] -المؤمنون : 84
[4] - أنظر أبو السعود 4/ 429
[5] - النور : 35
[6] - الصافات : 103-105

وشكرا لله على ما أنعم وأولى ، من دفع البلاء بعد حلوله وسدّ باب الفتنة والابتلاء في الدين بعد مثوله ، ونعمة التوفيق والاستسلام لأمر الله مخلصين له الدين[1].

قوله تعالي :**{خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ}**[2]، وقع في الكلام حذفُ جملةٍ ، ثقةً بظهور معناه مما ذُكِر، وتقديره : أنّهم كانواُ يدْعَون إلى الصلاة والسّجود لله ، وهم في أتمّ الصّحة والعافية ، ولكنّهم كانوا لا يستجيبون[3].

- **حذفُ عدّةِ جملٍ :**

قوله تعالي:**{قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى}**[4]، وقع في الكلام حذفُ عدّة جمل، منها:

- فخضعا لأمر الله طائعَيْنِ.
- فأتياه وبلّغاه بأنّهما رسولان من ربّهما إلى بني إسرائيل.
- فردّ عليهما فرعون قائلا:{فَمَنْ ربّكما يا مُوسي}.

قوله تعالي: **{وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ}**[5] ، وقع في الكلام حذف عدّة جملٍ منها :

- فتوجّه فريقٌ من مبعوثِيْ الملكِ إلى السّجْنِ حيث يوجد يوسف.
- فأخبروا يوسفَ أمْرَ الملكِ بإحضاره إليه.
- فوافق يوسف وتقبّله بقبول حسن.
- وانطلق معهم إلى دار الملك ومقّر سلطانه وحكمه.

---

1 - انظر أبو السعود 5/ 433
2 - القلم : 43
3 - انظر أبو السعود 6/ 290
4 - طه : 49
5 - يوسف : 54

- فلمّا جاءه وكلّمه قال:{ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ}. وكان من حكمة الإيجاز بالحذف وسرّه ، الإيذانُ بسرعة تنفيذ أمر الملك في الإتيان به ، فكأنّه لم يكن بين الأمر بإحضاره والخطاب معه زمان أصلا [1].

قوله تعالي: **{مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظ}** [2] ، ذكر الشيخ أن في الآية إيجاز حذف بارعا ، يتمثّل في :

- أنّ الله ناصر رسوله في الدنيا والآخرة.
- وأنّ ذلك حكمٌ ماضٍ وقضاءٌ نافذٌ.
- فمن رغم أنفه واغتاظ ساخطا من أعدائه وحسّاده ظانّاً منه أنّ الله مخزيه ، فليبذلْ قصارى جهده لمنعه والحيلولة دون وقوعه.
- وليخنقْ نفسَه بحبلٍ ممدودٍ إلى السّماء ، ثمّ ليقطعْ ذلك الحبلَ كي يرتطم بالأرض جثّةً هامدةً ، ليكون ذلك دليلا شاهدا على غيظه وحقده ، ومناهضتِه لنصرة الله وتأييده لرسوله محمد صلي الله عليه وسلم[3].

قوله تعالي:**{قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ}**[4]، وقع في الآية إيجاز حذف عدّة جمل وقعا بين قوله:(إذهب بكتابي هذا ... وبين : قالت ياأيها الملأ) ، منها:

- فذهب الهدهد سريعا.
- قاصدا دار ملكة سبأ
- فألقي إليها كتاب سليمان.

---

[1] - انظر أبو السعود 3/ 406، أشار أبو السعود بما يفيد أن المحذوف جملة واحدة ، وبالتأمل والنظر تبيّن أن المحذوف عدة جمل.
[2] - الحجّ : 15
[3] - انظر أبو السعود 4 / 273
[4] - النمل : 29

- فقفل مبتعدا آيبا إلى مقّره.
- فقرأتْ الكتابَ ودُهشتْ ممّا جاء فيه.
- وقرّرتْ أنْ تجمع كبار رجال دولتها للتشاور وتبادل الرأي.
- فجمعتهم وقالت لهم :{إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ...}[1]

أشار أبو السّعود إلى أنّ الغرض والنكتة من إيجاز الحذف ، هو الإشارة إلى كمال مسارعته إلى تنفيذ ما أمِر به من الخدمة ، إشعارا باستغنائه عن التصريح به لغاية ظهوره[2].

[1] - انظر أبو السعود 5/ 118

[2] - انظر أبو السعود 5/ 118

المبحث الثالث: الإطناب في تفسير أبي السعود

الإطناب بالاحتراس ومزاياه:

قوله تعالي: **{ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا}** [1]، قوله:**{وكلاً وعد الله الحسنى}**، جملة اعتراضية وقعت إطنابا في القول بين الجملتين المتعاطفتين ، وفائدته : الاحتراس من أن يتوهّم متوهّم معنى غير مقصود، بأنّ تفضيل الله لأحد الفريقين بالثواب على الآخر، هو حرمان للفريق الثانى المفضول عليه من الثواب والجزاء بالحسنى.[2]

ومنه قوله تعالي :**{إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ }** [3]، **قوله:{ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ}** ، جملة اعتراضية وقعت بين مزاعم المنافقين وبين ردّ الله عليهم فيها، وفائدته: احتراس من فهم خاطئ غير مقصود، بأن يكون نفي اللهِ وإنكاره لمزاعمهم هو نفيٌ وإنكارٌ لرسالة النبيّ محمد صلي الله عليه وسلّم ، فجاءت الجملة الاعتراضية دفعا لهذا الوهم وتقريرا وتحديدا لما نيط به التكذيب، وهو قولهم :"نشهد إنك لرسول الله " فهم كاذبون في ذلك بزعهمهم أنهم يشهدون لمحمد صلي عليه وسلم **بالرسالة**[4].

---

[1] - النساء : 95

[2] - انظر أبو السعود 2/ 185

[3] - المنافقون : 1

[4] - انظر أبو السعود 6/ 250-251

ونظيره قوله تعالي :**{ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ}**[1]، قوله:**{ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ}**، جملة اعتراضية ، وقعت إطنابا في القول، وفائدته : الاحتراس من مغبّة الوهم ومن سوء الفهم، بأن يكون مقصودهم :" برب العالمين" هو فرعون ، لأنّه كان أعلن للمصرين باستخفاف شديد :{ما علمتم لكم من إله غيري}، فجاءت الجملة الاعتراضية لدفع هذا التّوهم وإبعاد مقولتهم من سوء الاستغلال، فإيمان السحرة هو برب موسي وهارون ، لا بفرعون اللعين[2].

ومنه قوله تعالي :**{فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آَتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا}**[3]، قوله:**{وكلاّ آتينا حكما وعلما}**، جملة اعتراضية ، وقعت إطنابا في الكلام، وفائدته : الاحتراس من مغبّة الوهم ومن سوء الفهم، ناتجا من تخصيص سليمان عليه السلام بالتفهيم، خشية أن تلتصق تهمة عدم الفهم لداود وأحكامه ونزع الشرعيّة عنها، فقررت الآية إطنابا في القول أن الاثنين كليهما آتاه الله الحكم الصائب والعلم النافع([4]).

الإطناب بالإيضاح بعد الإبهام وفوائده:

قوله تعالي :**{كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ}**[5] ، قوله:{مِنَ الْحَقِّ}، إطناب في القول، وفائدته : بيان الإبهام والإجمال الواقع

[1] - الأعراف : 120-122
[2] - انظر أبو السعود 3/ 17
[3] -الأنبياء 79
[4] - انظر أبو السعود 4/ 350
[5] - البقرة: 123

في الاسم الموصول وصلته: **{لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ}**، فالذي اختلفوا فيه معنى مجمل كان في حاجة إلى بيان وفائدة جلّى تحققت بالبيان السابق ذكره [1].

ونظيره قوله تعالي: **{وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ ،مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ}**[2] ، **قوله: {وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ والحكمة}**، يفيد الاسم الموصول (ما) إبهاما للمعنى وإجمالا في حاجة إلى بيان وتفصيل، وجاء قوله:{ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ} إطنابا في القول، لفائدة : التوضيح والبيان للإجمال والإبهام السابق [3].

ومنه قوله تعالي :**{وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ}**[4]، قوله :**{أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ}** وقعت إطنابا في القول، وفائدته: بيان وتوضيح المعنى المجمل المبهم الواقع في الجملة الأولى المصدرة بالاسم الموصول:

{بما تعلمون}، فما يعلمه الناس من نعم الله وإمداده كثير كثير، فجاءت الآية لتوضيح المقصود منها في هذا السياق المجمل.[5]

ونظيره قوله تعالي: **{إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ}** [6]، وقع قوله:{ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ} إطنابا في القول، وفائدته : بيان وتوضيح المعنى المجمل المبهم في الجملة الأولى، المتضمّن تقرير الحق بالجملة الخبرية الإنكارية، فتبيّن وتوضّح المعنى بالجملة

---

1 - انظر أبو السعود 1/ 258
2 - البقرة : 231
3 - انظر أبو السعود 1/ 275
4 - الشعراء : 132-134
5 - انظر أبو السعود 5/ 83
6 - ص : 64

البيانية الواقعة إطنابا، أنّه تخاصم أهل النار في النار وتشاجرهم فيها ، بين الضالّين والمضلّين ، بين التابعين والمتبوعين[1].

الإطناب بعطف الخاص على العام ومزاياه:

قوله تعالي :{يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ}[2]، النعمة المذكورة هنا مَقْرونة بالْأَمر بالْوَفَاءِ بعهْد اللهِ ، وبالْوَعْد بالْجَزاء عليه ، والْأَمْر بالْخشْية منْه والرَّهْبَة لَه وحدهُ ، (وهي آيَةُ 40)، وقوله:{ **وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} ، إطناب في القول من عطف الخاص على العام ، وفائدته: بيان مزيّة الخاص على العام، وقد كان تفضيل الله** لبنى إسرائيل بما آتاهم الله من علم وإيمان وعمل صالح، وجعل منهم أنبياء وملوكا مقسطين، ورفعهم درجات على أمم زمانهم، في عصر موسي وهارون عليهما السلام، ولا شكّ أنّ هذه النعمة أخصّ وأجلّ وأكمل ممّا سبق ، كان هذا قبل أن تبدّل بنوا إسرائيل كلام الله عن مواضعه ، ويشتروا بآيات الله ثمنا قليلا ويركبوا متن كلّ غواية وشطط، ولله الأمر من قبل ومن بعد [3].

ومنه قوله تعالي :**{مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ}**[4]، عطف جبريل وميكال على الملائكة هو من عطف الخاص على العام، لأنهما داخلان ضمن مسمّى الملائكة، وفائدته : التنويه برفعة مقامهما وعلّو شأنهما على سائر الملائكة، تنزيلا للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الجنس، وللتنبيه على أنّ معاداة أحدهما هي معاداة للآخر، حسما لمادة اعتقادهم الباطل في حقهما، بأّنهما

---

[1] - انظر أبو السعود 5/ 477
[2] - البقرة : 47
[3] - انظر أبو السعود 1/ 131
[4] - البقرة : 89

خصمان متعاديان يبغي أحدهما على الآخر، ثمّ التأكيد على أنّ معاداة واحد من الملائكة كمعاداة الكلّ, وأنّ ذلك موجب لسخط الله وعداوته[1].

ونظيره قوله تعالي: **(وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}** [2] ، **عَطفُ جملتَيْ:{وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ}**، على جملة :**{ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ}**، هو من عطف الخاص على العام ، لأنّ الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر هما من أجلِّ أوْجهِ الدعوة إلى الخير، وفائدته: بيان مرتبة الخاص وارتفاع مقامه وعلّو درجته ضمن أفراد جنس العام. لذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو رأس الأمر في الدعوة إلى الخير وإصلاح الناس للّذى هو أقوم[3].

ومنه قوله :(إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ}[4] ، عطفُ الصلاة على ذكر الله هو إطناب في القول ، من عطف الخاص على العام، لأنّ الصلاة هي أمّ الذكر وأساسه، وفائدته : تعظيم مكانة الصلاة في الإسلام وضرورة إقامتها والمحافظة عليها ، فهي عماد الدين ، والفرق الذي بيينا وبينهم[5].

ومنه قوله تعالي:{إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ} [6] ، قوله:**{وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ}**، إطناب في القول ، لأنّ الشمس والقمر هما من جملة الكواكب بل من أظهرها، فهو من عطف الخاص على

[1] - انظر أبو السعود 1/ 169
[2] - البقرة : 104
[3] - انظر أبو السعود 2/ 14
[4] - المائدة : 91
[5] - انظر أبو السعود 317
[6] - يوسف : 4

العام، وفائدته : بيان شرف الخاص وعظيم مزيّته على العام، والشمس والقمر من أكثر الكواكب الطوالع فائدة وقربي لدى بنى الإنسان [1].

ومنه قوله:**{وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا}** [2] ، عطف قوله:{ **وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ}** على النبيين ، هو إطناب في القول ، من عطف الخاص على العام ، لأنّ هؤلاء المذكورون هم من الأنبياء بل هم صفوة الأنبياء ، وفائدته : بيان مزيّة الخاص وعلّو منزلته لدى العام ، فهؤلاء المذكورون هم أولى العزم من الرسل ، أكثرهم بلاء وابتلاء، وأكثر هم صبرا واحتسابا، وقد لقوا من أممهم من العناد والتكذيب ، بل ومن القتال والحروب ، ما لم يتلقاه غيرهم، فاستحقوا بها هذه المرتبة السنيّة[3].

<u>الإطناب بعطف العام على الخاص وخصائصه:</u>

قوله تعالي :{فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ} [4]، عطف اجتناب قول قول الزور وهو معنى عام، على اجتناب الرجس من الأوثان هو معنى خاص ، والجزء داخل في الكلّ ، فهو من عطف العام على الخاص ، وإنّ عبادة الأوثان هو رأس الزّور ومعدنه ، ولا زور أكبر أن شرك العبد بربه وخالقه أوثانا لا تضرّ ولا تنفع لا تسمع ولا تبصر ، فائدته : التنبيه على فضل الخاص وامتيازه على العام في بابه ، والإبانة عن تفوقه على أفراد جنسه ، حتى كأنه صار جنسا مغايرا له في الذات كما في الصفات.[5]

الصفات.[5]

[11] - انظر أبو السعود 3/ 364

[2] - الأحزاب : 7

[3] - انظر أبو السعود 5/ 281

[4] - الحج : 30

[5] - انظر أبو السعود 4/ 380

ومنه قوله تعالي :**{وَلَقَدْ آَتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآَنَ الْعَظِيمَ}** [1]، عَطفُ القرآن العظيم وهو عام شامل لكلّ آيات القرآن وسور، على السبع المثاني، وهي جزء من القرآن العظيم هو إطناب في القول [2] ، لأنّ الجزء داخل في الكلّ ، فهو من عطف العام على الخاص ، وفائدته: التنبيه على ارتفاع مكانة الخاص وسموّ درجته ، والإبانة عن تفوّقه على أفراد جنسه ، حتى كأنه صار جنسا مغايرا له في الذات كما في الصفات. [3]

وقوله تعالي :{رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} [4]، عطف المؤمنين والمؤمنات وهما لفظان عامان، على والديه ولمن دخل بيته مؤمنا، وهما لفظانا خاصان، لأنّه لا يفترض أن يكون كلّ مسلم أو مسلمة قد دخل بيته، وهما داخلان في عموم المؤمنين والمؤمنات، هو من عطف العام على الخاص، وفائدته: التنبيه على فضل الخاص وعلّو درجته وتفوّقه على العام، والإبانة عن تفوقه على أفراد جنسه ، حتى كأنّه صار جنسا مغايرا له في الذات كما في الصفات. [5]

<u>الإطناب لطول الفصل ودلالاته :</u>

قوله تعالي :**{وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ}**[6]، في الآية إطناب بالتكرار في قوله تعالي: { فَلَمَّا جَاءَهُمْ}، بسبب طول الفصل بتوسّط الجملة الحالية :{ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا} بين:

---

[1] - الحجر : 87

[2] - قيل : السبع المثانى : هي سورة الفاتحة وعدد آياتها سبع ، وقيل : هي السور السبع الطوال : البقرة ، آل عمران، النساء، المائدة ، الأنعام، الأعراف، والأنفال والتوبة معا، فهما بمثابة سورة واحدة، ولأجل ذلك لم يفصل بينهما بالبسملة.

[3] - انظر أبو السعود 4/ 32

[4] - نوح : 28

[5] - انظر أبو السعود 6/ 312

[6] - البقرة 89

(لماّ) وجوابها، وفائدته : وقاية النظم من الركاكة والضعف بين الشيء وجوابه[1].

ومنه قوله تعالي :**{ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ،وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا}** [2] ، وقع في الآية إطناب بالتكرار في قوله :{ بِكُفْرِهِمْ}، وسببه طول الفصل بالاستطراد ، وقاية للنظم القويم من التفكك والضعف ، وفي تكرار ذكر كلمة " الكفر"، إيذانٌ بتكرّر كفرهم مرّة بعد أخرى ، حيث كفروا بموسى ثمّ عيسى فمحمد صلي الله عليهم وسلّم أجمعين.[3]

ونظيره قوله :**{أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُوله فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ}**[4]، الإطناب بتكرار العامل:(أنّ) ، لطول الفصل بين أنّ واسمها وبين الخبر لوقوع جملة: {مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُوله} فاصلا بينهما، وفائدته : وقاية النظم من الركاكة والضعف بسبب طول الفصل بين العامل ومعموله.[5]

وقوله تعالي:**{ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ}** [6] ، وقع في الآية إطناب بالتكرار في وقوله:{ **إِنَّ رَبَّكَ}** ،تكرار إنّ واسمها بسبب طول الفصل بينها وبين خبرها بعدّة جمل، وفائدته : تأكيد الوعد وإظهار كمال العناية بإنجازه ، والتّعرض لوصف الربوبيّة مع الإضافة إلى ضميره

---

[1] - انظر ابو السعود 1/ 163
[2] - النساء : 155-156
[3] - انظر أبو السعود 2/ 217
[4] - التوبة : 63
[5] - انظر أبو السعود 3/ 165
[6] - النحل : 119

عليه السلام مع إصرار التائبين على توبتهم ، لبيان أنّ إفاضة آثر الربوبيّة عليهم مرهون بتوسطه عليه السلام والاعتماد على سنتّه الشريفة[1].

وقوله تعالي :**{ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ}** [2] ، في الآية إطناب بالتكرار، تكرار إنّ واسمها : (أَنَّكُمْ)، بسبب طول الفصل بين إنّ واسمها وبين خبرها، واقية للنظم الكريم من الضعف ومن الركاكة والالتباس وصعوبة الفهم[3].

قوله تعالي:{**وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ}**[4]، تكرار حرف النفي في قوله :**{ وَلَا الْمُسِيءُ}** هو إطنابٌ في القول ، وفائدته : تأكيد النفي في عدم استوائهما تأكيدا قاطعا لأنّه نُفي مرتين ، ولما فيه من طول الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بتوسط الصلات والمتعلقات ، ولو لم يكرر النفيُ لاعترى النظمَ نوعٌ من أسباب الضعف والركاكة في الكلام([5]).

قوله تعالي:**{ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ، مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ ، الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ}**[6] ، وقع في الآية إطناب بالتكرار في قوله :{ :{ فَأَلْقِيَاهُ}، وفائدته : وقاية النظم الكريم من أسباب الضعف والتفكك، مع ما فيه من توكيد المعنى ذاته ، وهو إلقاء كلِّ كفّارٍ في جهنّم حيث النآرُ الحريقُ و العذابُ الشديدُ[7].

قوله تعالي:**{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ}**[8]

---

[1] - انظر أبو السعود 4/ 101
[2] - المؤمنون : 35
[3] - انظر أبو السعود 4/ 414
[4] - غافر :
[5] - انظر أبو السعود 5/ 546
[6] - ق: 24-26
[7] - انظر أبو السعود 6/ 128
[8] - العلق : 1-3

الإطناب في قوله:{ اقْرَأْ }، بالتكرار، وسببه طول الفصل لوقوع جمل فاصلة بين المتعاطفين ، وفائدته : تأكيد للإيجاب والدعوة المبكّرة إلى التعلّم والقراءة، والتمهيد لما يعقبه من قوله:{ **وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الذي علّم بالقلم..}** ، وهو محور التعلّم والقراءة المأمور بها[1].

الإطناب بالجملة الاعتراضية وأسرارها:

قوله تعالي :{**اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ}** [2]

وقعت قوله :**{ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ}** جملة اعتراضية إطنابا في القول، حيث اعترضت بين الجملتين المتعاطفتين : (اتبع– وأعرض)، وفائدتها : تقرير كلمة التوحيد، والتأكيد على وجوب اتباع الوحي ، خاصة في مسائل الاعتقاد وقضايا الإيمان ، فهي مبنية على الاتباع والاقتداء بما جاء به الوحي، ولا يصحّ فيها الاجتهاد والابتداع بما تشتهيه الأهواء[3].

ومنه قوله تعالي: {لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ}[4]،

وقعت قوله:{ **لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ** } جملة معترضة إطنابا بين المعطوف المعلق بالعاجل والمعطوف عليه المتعلق بالآجل : (ليقطع – أو يتوب)، وفائدتها: تحقيق حقيقة أنّه لا تأثير واقعا من المنصورين في الحرب بعد بيانه أنه لا تأثير من المنتصرين، ولا فيما تئول إليه الأمور بعد أن تضع الحرب أوزارها من تقرير مصائر القوم ، وتحقيق النفي مع الرسول :{ليس لك من الأمر شيء} بأسلوب تلوين الخطاب ،

---

[1] - انظر أبو السعود 6/ 449
[2] - الأنعام : 106
[3] - انظر أبو السعود 2/ 426
[4] - آل عمران : 127-128

للدلالة على أنّ انتفائه من غيره من باب أولى، وإنّما خُصّ عليه السلام بالاعتراض بالنظر إلى موقعه في النبوة والرسالة و القيادة ، ولأنّ ما قبله من القطع والكبت قد يوحي أنّ له أو لغيره من المقاتلين دخْلٌ فيما وقع من انتصار المسلمين وهزيمة المشركين في موقعة بدر الكبرى(1).

ومنه قوله:**{وَإِذَا بَدَّلْنَا آَيَةً مَكَانَ آَيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}**()، قوله:{**وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ}**، جملة اعتراضية وقعت إطنابا في القول بين الشرط:**{وَإِذَا بَدَّلْنَا} وجوابه :{ قَالُوا** }، وفائدتها : التنبيه على فساد قولهم في القرآن وبطلان اعتقادهم فيه وفي الرسول صلي الله عليه وسلّم ، المنزَّل عليه القرآن، وفي الالتفات إلى الغيبة مع إسناد الخبر إلى الاسم الجليل المستجمع لصفات الكمال ، ما لا يخفى من تربية المهابة في الصدور وتحقيق معنى الاعتراض والرّدّ على مزاعم المشركين(2).

ومنه قوله تعالي:{وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ} (3) ، وقعت جملة : { وقليل ما هم} معترضةً إطنابا في القول ، وفائدته : إبرازُ قلّةِ إقامة العدل والقسطاس المستقيم بين الناس حتى بين الفئة المؤمنة ذاتها، فالعدل عزيز خاصة إذا تعلق الأمر بالمال بين الخلطاء والشركاء فيه، وفيه ما فيه من حثّ المؤمنين على التورّع والتعفّف (4).

ومنه قوله :{هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} (5)، وقعت جملة :{ **فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ}** معترضة إطنابا في الكلام ، بين الحال وصاحب الحال، وفائدته : الدلالة على

[1] - انظر أبو السعود 2/ 30
[2] - انظر أبو السعود 4/ 92
[3] ص : 24
[4] - انظر أبو السعود 5/ 461
[5] - ص : 39

سعة العطاء وحرية المُعطَى في التصرف فيه ، يعطى من يشاء ويمنعه عمن يشاء ، فهم له مالكون ، ولكن حسب ضوابط الشرع الحنيف[1].

ومنه قوله :**{لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آَمِنِينَ}**[2]، قوله: **{ إِنْ شَاءَ اللَّهُ}** جملة اعتراضية وقعت إطنابا في الكلام ، بين الحال: (آمنين) وصاحب الحال ، وهم المؤمنون المخاطبون بقوله :**(لتدخلُنّ)** ، وفائدته : استثناء العددِ وتعليقه بالمشيئة الإلهيّة، لتعليم العباد بأن يردوا الأمر كلّه لله جميعا، ثمّ الإشعار بأنّ بعضهم قد يدركه الموت أوْ يغيّبه الزمن فلا يدخل المسجد يومئذٍ مع الداخلين[3].

ومنه قوله : **{فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى}** [4] ، وقعت جملة: **{ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ}**، معترضة إطنابا في القول، بين الأمر:{فأعرض} وبين سببه وعلّته :{إنّ ربك هو أعلم} ، وفائدته : تقرير حقيقة أنّ حب الدنيا والركون إليها علّةٌ أساسية في الكفر والحجود، ومردّه قلّة العلم بالآخرة بل انعدامها في الناس ، وحبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة :{يعلون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة غافلون}.[5]

ومنه قوله :**{فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ إِنَّهُ لَقُرْآَنٌ كَرِيمٌ}** [6] ، ، وقعت جملة:**{وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ}** ، معترضة إطنابا في القول ، بين القسم {فلا اقسم بمواقع النجوم} وجوابه : {إنه لقرآن كريم} ، كما وقع اعتراض آخر داخل

---

[1] - انظر أبو السعود 5/ 469
[2] - الفتح : 27
[3] - انظر أبو السعود 6/ 107
[4] - النجم : 29 -30
[5] - انظر أبو السعود 6/ 158
[6] - الواقعة : 75-77

الجملة الاعتراضية فاصلةً بين الموصوف: (لَقَسَمٌ) وصفته: (عظيمٌ) ، والاعتراضان إطناب في القول، وفائدتهما : المبالغة في تحقيق مضمون الجملة القسميّة وتأكيد معناها ، وهو بيان عظمة القرآن وعلويّة مصدره وتنزهه من كلّ نقص.[1]

الإطناب بتكرار الأدوات :

قوله تعالي :**{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آَمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ}**[2] ، تكرار "لام" التوكيد مع الفعل في قوله:{ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ }، هو إطناب في الكلام ، وفائدته : تأكيد الوعد الربانيّ لأهل الكتاب في تكفير سيئاتهم وإدخالهم الجنة ، إنْ هم آمنوا واتقوا، وفيه إشارة إلى عظم ذنوبهم وكثرة معاصيهم، وإشارة جليّة إلى أنّ الإسلام يجُبّ ما قبله مهما عَظُم وكَبُر [3].

الإطناب بتكرار الجار والمجرور:

قوله تعالي :**{ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ}** [4]، إعادة الجار والمجرور في قوله :**{ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ}** هو إطناب في الكلام، وفائدته تتمحور حول ثلاثة اعتبارات كلّ منها أكثر وجاهة من الآخر، وهي :

الأول: يصحُّ أن تكون فائدة الإطناب بالإعادة هي : الإعلام باختلاف مواقيت ما تقع فيه الأفعال المذكورة زمانا ، واختلافها عنوانا أيضا: ما بين الغيث والغوث وما بين العصر، فالغيث والغوث هما نعمةٌ من الله وفضلٌ ، أمّا العصر فهو من فعل الناس وجهدهم.

ثانيا: كما يصحُّ أن يكون الغرض من الإطناب بالإعادة هو: أن المقام مقام تعداد منافع ذلك العام ومكاسبه ، ومن أجل ذلك قُدِّم الجار والمجرور: (فيه) في الموقعين،

---

[1] - انظر أبو السعود 6/ 194-195
[2] - المائدة : 65
[3] - انظر أبو السعود 2/ 296
[4] - يوسف : 49

على الفعلين ، فإنّ المقصود الأوّل هو تفصيل أنواع المنافع في الذكر تكثيرا وتنويعا لها.

ثالثا: يصح أن يكون تقديم الجار والمجرور في الموضعين مفيدا لمعنى القصر الحقيقي مجازا، على معنى أنّ غوثهم للناس وعصرهم في سائر السنين بمنزلة العدم ، أي كلا غيث ولا عصر بالنظر إلى غزارتهما ووفرتهما في تلك السنة[1].

<u>الإطناب بإعادة المضاف:</u>

قوله تعالي :**{فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}** [2] ، إعادة ذكر المضاف:{رب الأرض رب العالمين}، هو إطناب في الكلام، وغرضه : تأكيد معنى الربوبيّة في نفوس العباد ، وتزكيته بأفعاله المشاهدة الواضحة ، وأنّ ربوبيته في كلّ ما ذكر قائمة أبدا ونافذة أزلا ، بالأصالة لا بالتبعيّة [3].

<u>الإطناب بإعادة المضاف إليه:</u>

قوله تعالي:**{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ، مَلِكِ النَّاسِ ، إِلَهِ النَّاسِ }**[4] ، إعادة المضاف إليه في الآيتين الأخيرتين اسما ظاهرا :{ الناس}، هو إطناب في القول ، وفائدته : القصد إلى بيان ربوبيّته المطلقة وتقرير ألوهيّته التامة وغرسها في النفوس عقيدةً راسخةً رسوخَ الرواسي الشامخات، مع ما فيه من تشريف المضاف إليه وإعلاء مكانته ، بتخصيصه بالإضافة وبالذكر دون غيره من المربوبين ، وكلُّ مخلوقٍ هو مربوبٌ لله عزّ وجلّ[5].

---

1 - انظر أبو السعود 3/ 401

2 - الجاثية : 36

3 - انظر أبو السعود 6/ 65

4 - الناس : 1-3

5 - انظر أبو السعود 6/ 492

الإطناب بإعادة اسم الموصول :

قوله تعالي:**{إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ}** [1]، إعادة اسم الموصول في الآية هو إطناب في القول ، وفائدته : الإيذان بكفاية كلّ من الموصول وصلته منفردا بنيل ولاية الله سبحانه وتعالي، دون أن يكون أحدهما تتمةً للآخر، ويلاحظ أن إيراد صلة الأولى جملة فعلية، والثانية اسميةً ، لدلالة الأولى على تجدّد حدوث معانى التقوى ودرجاتها ، وفي الثانية على ثبات معنى الإحسان فيهم كشيمة راسخة ، وخصلة دائمة.[2]

الإطناب بتكرار الفعل :

قوله تعالي:**{وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا}**[3] ، إعادة الفعل في قوله:{وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا}، هو إطناب في الكلام، وغرضه : تشريف مقام المؤمنين وتنزيههم عن الانتظام في سلك كلاميّ واحد مع المنافقين، إيذانا باختلاف حال العلم طبقا لتعلّقه بحال الفريقين، فإنه متعلّقٌ بالمؤمنين على نهج تعلقه السابق، وبالمنافقين على وجه آخر، وهو السرّ في الأوّلين بصيغة اسم
الفاعل:(المؤمنين) ، المنبئة عن الثبات والدوام ولاستمرار، والآخرين باسم موصول صلته فعل: {الذين نافقوا}، للدلالة على حدوث النفاق وتجدده في نفوسهم.

والمعنى : ما أصابكم يومئذٍ فهو كائنٌ لتمييز الثابتين على الإيمان والذين أظهروا النفاق[4].

---

[1] النحل : 128

[2] - انظر أبو السعود 4/ 107

[3] - آل عمران 2 / 166- 167

[4] - انظر أبو السعود 2/ 60

ومنه قوله تعالي :**{وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ}** ()، إعادة الفعل:{ قَالُوا نَعْبُدُ}، هو إطناب في القول ، كان يكفيهم في الجواب القول : (أصناما) ، وفائدة الإطناب بإعادة الفعل هو : قصدهم إبراز ما في نفوسهم الخبيثة من الابتهاج والافتخار بعكوفهم على أصنامهم ، وإصرارهم عليها رغم أنف من رغم ، مع دعوة إبراهيم عليه السلام لهم إلى كلمة التوحيد وعبادة الله وحده[1].

ومنه قوله:{فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}[2]، الإطناب بإعادة الفعل:{أَوْ يُصِيبَهُمْ}، وفائدته : إبراز الاعتناء بالتحذير والتهديد على مخالفة أمر رسول الله – صلي الله عليه وسلم– الوارد في أوّل الآية ، وأنّ مغبّة ذلك وخيمة وخيمة ، وقد استدل بالأمر بالحذر عن مخالفة النبيّ على أنّ الأمر للإيجاب ، فإنّ ترتيب العذابين على مخالفته كما يعرب عنه التحذير عن إصابتهما للمخالفين ، يوجب الامتثال به حتما.[3]

ومنه قوله :{أم يحسدون النَّاسَ عَلَى مَا آَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آَتَيْنَا آَلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآَتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا} [4]، إعادة الفعل :**{ وَآَتَيْنَاهُمْ}**، هو إطناب في القول ، وفائدته : أنّ المقام مقامُ تفضيلٍ وتشريفٍ، ومن مقتضياته الإيذان بما بين النبوة والملك من المغايرة ، فإن أريد به الإيتاء بالذات ، فالمراد بآل إبراهيم هم أنبياؤهم ، وفي تفصيل ما أُوْتُوا على هذا النحو، والإطناب بتكرار الفعل ، ووصف الملك بالعظم

---

1 - انظر أبو السعود 5/ 69
2 - النور : 63
33 - انظر أبو السعود 4/ 488
4 - النساء :54

منكرا بتنوين التعظيم والتفخيم ، في كل ذلك ما يشير إلى مكانة إبراهيم عليه السلام، وإلى جزيل نعم الله عليه[1].

الإطناب بإعادة الجملة :

قوله تعالي :**{إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}** [2]، إعادة الجملة في قوله :{وَهُوَ أَعْلَمُ}، هو إطناب في القول ، وفائدته : تأكيد مضمون الجملة، وأنّ تباين حال الفريقين:(حال الضالين وحال المهتدين)، يدل اختلاف مآلهما من العقاب وسوء المنقلب، والثواب وحسن المآب[3].

قوله تعالي :{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [4] إعادة الجملة الإنشائية:{ وَاتَّقُوا اللَّهَ } ، هو إطناب في القول بسبب تعدّد متعلّقه [5]، فالأول :{ اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ} متعلّقٌ بأداء الواجبات الشرعية، والثاني: متعّلق بترك المحظورات الدينيّة ، ويمكن الاستئناس هنا بالتهديد الشديد في آخر الآية:{إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}[6].

الإطناب بالتذييل لتقرير المعنى السابق:

قوله تعالي :**{مَنْكم يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآَخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ}** [7]، قوله:**{والله ذو فضل على المؤمنين}**، إطناب بالتذييل ، وفائدته : تقرير المعنى الوارد في الآية قبله ، والإيذان بأنّ ذلك العفو كان بطريق التّفضّل والإحسان ، لا بطريق الوجوب أو الاستحقاق ، أيْ : شأنه وديدنه

---

[1] - انظر أبو السعود 2/ 151
[2] - النحل : 125
[3] - أنظر أبو السعود 4/ 105
[4] - الحشر : 18
[5] 2 - اعتبر أبو السعود أنّ إعادة قوله تعالي:{ ويل يومئذ للمكذبين} أربع عشرة مرة في سورة المرسلات، ليس من الإطناب في شيء، بالنظر إلى تعدّد المتعلقات ، فكل آية منها تتعلق بما ذكر قبلها، فلا تكرار على هذا الأساس . أنظر أبو السعود 6/ 349
[6] - انظر أبو السعود 6/ 231
[7] - آل عمران : 152

أن يتفضّل على المؤمنين بالعفو والغفران في الأحوال كلّها ، أُديل لهم أوْ أُديل عليهم[1].

الإطناب بالتذييل لتحقيق معنى المدح:

قوله تعالي:{وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آَمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ}[2] ، قوله:{وما يذّكّر إلا أولوا الألباب}، إطناب بالتذييل ، سِيْق من جهته تعالي لإفادة معنى المدح والثناء الحسن لأهل الرشد وحسن التفكير والتدبير في الأمور، إشارة إلى ما استعدوا به للاهتداء إلى الطريق السويّ بتجرّد عقولهم عن غواشّ الطبع ونزوات النفس وهواها[3].

---

1 - انظر أبو السعود 2/ 49

2 آل عمران : 7

3 - انظر أبو السعود 1/ 337

الفصل الثامن

أبو السعود: بين التأثر والاتباع

وبين التجديد والأصالة

توطئة:

يجتهد هذا الفصل في البحث والتنقيب عنِ مدى تأثر شيخ الإسلام بمن سبقه على درب التفسير البياني للقرآن الكريم ، لاسيّما الشيخان الزمخشري والبيضاوي اللذان نصّ في مقدمة تفسيره على أنّه استقى من بحر علمهما، وبنى تفسيره على تفسيرهما، كما استفاد من أئمة التفسير المبرّزين من السابقين الأوّلين.

يبحث هذا الفصل في بعض جوانب التّبعيّة والاقتداء في استنباط وتوجيه الحِكَم والأسرار الخاصة وتأويل المفاهيم العامة في أساليب المعانى في النظم القرآني الكريم، والتي تتمثل في النقل المباشر أو في الاستفادة الكاملة منهما ، كما يتعرّض الفصلُ لآفاق الإبداع والتجديد التي تفرّد بها شيخ الإسلام في دراسته لأساليب المعاني وقيمتها البلاغية في سلّم الدراسات البيانية حول القرآن الكريم ، والتى تبرز جوانب تّميّز الشخصيّة العلمية لشيخ الإسلام أبي السعود واستقلاليتها، وقد قسّمته إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : التأثر و الاتباع ، وفيه ثلاثة مطالب:

المبحث الثاني : التجديد والأصالة وفيه ثلاثة مطالب:

المبحث الثالث : القيمة البلاغية لأساليب المعاني في تفسير أبي السعود.

المبحث الأول : التأثر و الاتباع :

يتناول هذا المبحث الحديث عن جوانب التأثر والاتباع التي اعتمد فيها شيخ الإسلام على الزمخشري والبيضاوى في تناوله لمسائل علم المعاني في النظم القرآني، سواء كان بالنقل الحرفي ، أو بالموافقة في المعنى والفحوى ، وقد قسمت ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التأثر والاتباع : التأثر بالزمخشري في باب الإسناد الخبري:

يشمل تأثر الشيخ أبي السعود بالزمخشري كافة مسائل علم المعاني ، ويختلف ما بين النقل الأمين بالحرف والنص ، وما بين استيحاء الفكرة والمحتوى ، وفيما يلي يسعى الباحث إلى التدليل على ذلك بادئا بتأثره به في أساليب الخبر ومسائله.

(1)- إفادة الخبر معنى التحسر والحزن :

ففي قوله تعالي : **(قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى)**([1]) ، قال الزمخشري : فإن قلت : فلم قالت : إنى وضعتها أنثى وما أرادت إلى هذا القول؟ ، قلت : قالته تحسراً على ما رأت من خيبة رجائها وعكس تقديرها ، فتحزنت إلى ربها لأنها كانت ترجو وتقدر أن تلد ذكراً ، ولذلك نذرته محرّراً للسدانة[2].

وقال أبو السعود : "وإنما قالته تحزنا وتحسرا على خيبة رجائها وعكس تقديرها لما كانت ترجو أن تلد ذكرا ، ولذلك نذرته محررا للسدانة "([3])0

---

[1] - آل عمران:26
[2] - الكشاف 1/ 356 ، وانظر تفسير البيضاوى 2/ 31
[3] - أبو السعود 360/1

(2)- إفادة الخبر معنى الإنشاء:

قوله تعالي:{**والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء**}([1]) قال الزمخشرى: فإن قلت : فما معنى الإخبار عنهن بالتربص؟ قلت : هو خبر في معنى الأمر. وأصل الكلام : وليتربصْ المطلقات ، وإخراج الأمر في صورة الخبر تأكيد للأمر ، وإشعار بأنه مما يجب أن يتلقى بالمسارعة إلى امتثاله ، فكأنهن امتثلن الأمر بالتربص ، فهو يخبر عنه موجودا"[2]

وقال أبو السعود: (يتربصن) خبر في معنى الأمر، مفيد للتأكيد بإشعاره بأن المأمور به مما يجب أن يتلق بالمسارعة إلى الإتيان به ، فكأنهن امتثلن بالأمر بالتربص ، فتخبر به موجودا متحققا "([3]).

(3)- الخبر الإنكاري وأدوات توكيده:

كما في قوله:{**أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ** }([4]) ، قال الزمخشري :" وأَلا مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي ، لإعطاء معنى التنبيه على تحقق ما بعدها ، والاستفهام إذا دخل على النفي أفاد تحقيقا كقوله:(أَلَيْسَ ذلِكَ بِقادِرٍ)؟ [5] ، قال أبو السعود :"صدرت الجملة بحرفي التوكيد:(ألا): المنبهة على تحقق ما بعدها، فإن الهمزة الإنكارية الداخلة على النفي تفيد تحقيق الإثبات قطعا، كما في قوله تعالي:

(أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ}([6])

---

[1] - البقرة 228
[2] - الكشاف 1/ 270، وانظر تفسير البضاوى 1/ 513
[3] - أبو السعود 271/1
[4] - البقرة:12
[5] - الكشاف : 1/ 13-14، انظر تفسير البيضاوى1/ 170-171
[6] - الزمر /36

(4)- المجاز العقلي : في قوله تعالي:(**فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ**)([1]) قال الزمخشري:" راضِيَةٍ منسوبة إلى الرضا ، كالدارع والنابل. والنسبة نسبتان : نسبة بالحرف ، ونسبة بالصيغة. أو جعل الفعل لها مجازا وهو لصاحبها "[2] ، قال أبو السعود:" ذاتِ رِضَا على النسبةِ بالصيغةِ ، كما يقالُ دارعٌ في النسبةِ بالحرفِ ، أو جُعل لها مجازاً وهو لصاحِبِهَا ، وذلكَ لكونِهَا صافيةً عن الشوائبِ دائمةً مقرونةً بالتعظيم "[3]، ويلاحظ هنا زيادة تعليل لم يذكره الزمخشري على وصفة الجنة بالراضية .

(5) خروج الكلام خلاف مقتضي الظاهر :

قوله تعالي:{ **إياك نعبد وإياك نستعين** }[4] ، قال الزمخشري : " لم عدل عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب؟ قلت : هذا يسمى الالتفات في علم البيان قد يكون من الغيبة إلى الخطاب ، ومن الخطاب إلى الغيبة ، ومن الغيبة إلى التكلم ، وذلك على عادة افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه ، ولأنّ الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب ، كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع ، وإيقاظا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد[5].

قال أبو السعود: " التفات من الغيبة إلى الخطاب، وتلوين للنظم من باب إلى باب، جار على نهج البلاغة في افتتان الكلام ، ومسلك البراعة حسبما يقتضي المقام ، لما أن التنقل من أسلوب إلى أسلوب، أدخل في استجلاب النفوس واستمالة القلوب يقع من كل واحد من التكلم والخطاب والغيبة إلى كل واحد من الآخرين.."([6]). يلاحظ هنا

---

[1] - الحاقة:21
[2] - الكشاف 4/ 603، وانظر تفسير البيضاوى5/ 382
[3] - أبو السعود 6/ 296
[4] - الفاتحة : 5
[5] - الكشاف 1/ 13-14
[6] - أبو السعود 25/1

التصرف الذكي والصياغة الخاصة بابي السعود في النقل، مما يصح معه القول إنه ينقل الفكرة والمحتوى ، كلونٍ من تلوين التلقي من مصدره المفضّل.

(6) **الإضافة المجازية و توجيهها:**

قوله تعالي{**وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ**}([1])

قال الزمخشري :" فإن قلت : لم قال : من حليهم ، ولم يكن الحليّ لهم ، إنما كانت عوارى في أيديهم؟ قلت : الإضافة تكون بأدنى ملابسة ، وكونها عوارى في أيديهم كفى به ملابسة ، على أنهم قد ملكوها بعد المهلَكين كما ملكوا غيرها من أملاكهم[2].

قال أبو السعود: (من حليهم) إضافة الحلي إليهم مع أنها كانت للقبط لأدنى الملابسة، حيث كانوا استعاروها من أربابها قبيل الغرق فبقيت في أيديهم ، أما أنهم ملكوها بعد الغرق ، فذلك منوط بتملك بنى إسرائيل غنائم القبط وهم مستأمنون فيما بينهم ، فلا يساعده قولهم:{**وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ** }([3]).، هنا يلاحظ أن شيخ الإسلام يحلل ويناقش ويردّ على الزمخشري فيما ذهب إليه في أنّ بني إسرائيل ملكوا حليّ القبط بعد الغرق، دليلا آخر شاهدا على استقلال الشخصية العلمية لأبي السعود[4].

7- **النكتة البلاغية في إيثار بعض المشتقات :**

ففي قوله تعالي:{**ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ** }([5]) قال الزمخشري :" فإن قلت: لأي فائدة أوثر اسم المفعول على فعله ؟ قلت: لما في اسم المفعول من دلالة على ثبات معنى الجمع لليوم ، وأنه يوم لابد أن يكون ميعادا، مضروبا لجمع

---

[1] - الأعراف:148

[2] - الكشاف 2/ 159

[3] - طه/87

[4] - انظر أبو السعود 3/ 31

[5] - هود:103

الناس له، وأنه الموصوف بذلك صفة لازمة، وهو أثبت أيضا لإسناد الجمع إلى الناس، وأنهم لا ينفكون عنه"([1]).

لم يتفق شيخ الإسلام مع الزمخشري في هذا، فقد ذهب إلى أنّه لو جُعل نفس اليوم مشهودا لفات الغرض من تعظيم اليوم وتهويله وتمييزه عن غيره فإنّ سائر الأيام كذلك مشهودة ، ورجّح أنّ اليوم مشهودٌ فيه، حيث يشهد فيه أهل السموات والأرضين ، فاتُسِعَ فيه ، بإجراء الظرف مجُرى المفعول به[2]

ومنه أيضا قوله تعالي :{**وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**}([3])

قال الزمخشري :" فإن قلت: فهلا قيل : طاهرة ؟ قلت: مطهرة فخامة لصفتهن ليست في طاهرة، وهي الإشعار بأن مطهرا طهرهن ، وليس ذلك إلا الله عز وجل"([4]).

نقل أبو السعود عن الزمخشري هذه المقارنة ، وزاد أبو السعود المقارنة بين مطهّرة ومتطهّرة، فقال: هو أبلغ من طاهرة ومتطهّرة، أمّا التطهّر فيحتمل أن يكون من قبل أنفسهنّ كما عند اغتسالهنّ"[5]

8- الدلالة المعنوية للحروف:

قوله تعالي:{**وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** }([6]) ، قال الزمخشري :"فإن قلت : كيف خولف بين حرفي الجر الداخلين على الهدى والضلال ؟ قلت : لأن

---

[1] - أبو السعود 31/3
[2] انظر أبو السعود 351/3
[3] - البقرة:25
[4] - الكشاف 262/1
[5] انظر أبو السعود95/1
[6] - سبأ:24

صاحب الحق كأنه مستعل على فرس جواد يركضه كيف يشاء، والضال كأنه منغمس في ظلام مرتبك فيه لا يدري أين يتوجه"([1])

عبّر أبو السعود عن ذات المعنى بلغته فقال:"اختلاف الجارين للإيذان بأن الهادي كمن استعلي منارا ينظر الأشياء ويتطلّع عليها، والضّال كأنّه منغمسٌ في ظلام لا يرى شيئا ، أو محبوسٌ في مطمورة لا يستطيع الخروج منها"[(2)]

9- الفروق الدلالية الخاصة بين أدوات الشرط :

في قوله تعاي:{فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه، وإن تصبهم سيئة يطروا بموسي ومن معه}([3]) ، يقول الزمخشري : فإن قلت: كيف قيل : (فإذا جاءتهم الحسنة)، بإذا ، وتعريف الحسنة ، (وإن تصبهم سيئة) ، بإن ، وتنكير السيئة ؟ قلت : لأن جنس الحسنة وقوعه كالواجب لكثرته واتساعه ، وأما السيئة فلا تقع إلا في الندرة ولا يقع إلا شيء منها"([4]).

نقل أبو السعود عن الزمخشري هذا التحليل العبقريّ نقلا مباشرا، على طريقته دون إشارة إلى المصدر، كما جرت العادة.[(5)]

10- من أسرار التعريف والتنكير:

قوله تعالي: { **وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ** }([6]) ، يقول الزمخشري :" تعريف الكتاب للعهد، لأنه عَنىَ به القرآن" ([7]). وبمثل ذلك قال أبو السعود([1]).

---

[1] - الكشاف 389/3
[2] انظر أبو السعود 336/5
[3] - الأعراف: 131
[4] - الكشاف 106/2
[5] انظر أبو السعود 21/3
[6] - المائدة:48
[7] - الكشاف 618/1

وفي قوله تعالي : { **وَبَشِّرِ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** }([2]) يقول الزمخشري : " الصالحات كل ما استقام من الأعمال ، بدليل العقل والكتاب والسنة، واللام للجنس " ([3])، و به قال أبو السعود.([4])

وقوله تعالي :{**وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**}([5])

يقول الزمخشري :" يجوز أن تكون اللام للجنس ، فيتناول كل محسن ، ويدخل تحته هؤلاء المذكورون ، وأن تكون للعهد ، فتكون إشارة إلى هؤلاء"([6]).

وعلى خطاه سار أبو السعود بالحرف وبالفاصلة، دون إشارة من قريب أو بعيد[7].

ومنه أيضا بيان سر التعريف في قوله تعالي : {**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ**}([8])

قال الزمخشري :" فإن قلت : لم عرف الفقراء ؟ قلت : قصد بذلك أن يريهم أنهم لشدة افتقارهم إليه ، هم جنس الفقراء"([9]).

نقل أبو السعود هذا التأويل ووسع من أفقه فقال:"تعريف الفقراء للمبالغة في فقرهم، كأنّهم لكثرة افتقارهم وشدّة احتياجهم هم الفقراء فحسب، وأنّ افتقار سائر الخلائق بالنسبة إلى فقرهم، بمنزلة العدم"[10]

وعن سر تنكير الاسم في وقوله تعالي {**وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ**}([11])

---

1 - انظر تفسير أبي السعود 2/ 279
2 - البقرة:25
3 - الكشاف 255/1
4 - انظر تفسير أبي السعود 1/ 93
5 - آل عمران:134
6 - الكشاف 464/1
7 -انظر أبو السعود 33/2
8 - فاطر/15
9 - الكشاف 304/3
10 أبو السعود 362/5
11 - البقرة:96

يقول الزمخشري:" فإن قلت : لم قال : (على حياة) بالتنكير ؟ قلت : : لأنه أراد حياة مخصوصة ، وهي الحياة المتطاولة."([1]).

ومنه أيضا تنكير الاسم في قوله تعالى:{ **اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا** }([2]) يقول الزمخشري:" أرضا منكورة مجهولة ، بعيدة من العمران ، وهو معنى تنكيرها وإخلائها من الوصف، ولأنها من هذا الوجه نصبت نصب الظروف المبهمة"([3])

نقل أبو السعود هذا التوجيه لتنكير الاسم كما عرضه الزمخشري بدقّة متناهية. [4]

11- بين التقييد والإطلاق :

فائدة الإطلاق في قوله تعالى :{ **صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ** }([5]) يقول الزمخشري : " أطلق الإنعام ليشمل كل إنعام ، لأن من أنعم الله عليه بنعمة الإسلام لم تبق نعمة إلا أصابته واشتملت عليه"([6])

عبّر الشيخ أبو السعود عن علّة الإطلاق موافقا للزمخشري ولكن بطريقته ، فقال: " إطلاق الإنعام لقصد الشمول ، فإن نعمة الإسلام عنوان النعم كلّها، فمن فاز بها فقد حازها بحذافيرها"[7]

أما عن تقييد الجملة بالتمييز في قوله تعالى : { **أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ** }([8]) فيقول الزمخشري :" أي للاشتهاء ، لا حامل لكم عليه إلا مجرد الشهوة

---

[1] - الكشاف 298/1
[2] - يوسف:9
[3] - الكشاف 305/2
[4] أنظر أبو السعود 368/3
[5] - الفاتحة:7
[6] - الكشاف 69/1
[7] أبو السعود 28/1
[8] - النمل:55

من غير داع آخر ، ولا ذم أعظم منه ، لأنه وصف لهم بالبهيمية ، وأنه لا داعي لهم من جهة العقل البتة كطلب النسل ونحوه"([1])

ذهب أبو السعود مذهبا موازيا لا مطابقا؛ حيث قال:" إيراد المفعول بعنوان الرجوليّة لتربية التقبيح وتحقيق المباينة بينها وبين الشهوة التى عُلِّل بها الإتيان ، متجاوزين النّساء اللاتى هنّ محلّ الشهوة" بالطبيعة وبالفطرة[(2)]

12- تقديم الاسم وبناء الفعل عليه:

قوله تعالي :{ **اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا** }([3]) ، قال الزمخشري :" وإيقاع اسم الله مبتدأ، وبناء نزّل عليه ، فيه تضخيم لأحسن الحديث ورفع منه ، واستشهاد على حسنه، وتأكيد لاستناده إلى الله ، وأنّه وحي معجزٌ مباينٌ لسائر الأحاديث"([4]). نقل أبو السعود نقلا مباشرا هذا المعنى عن الزمخشري عن تقديم الاسم وبناء الفعل عليه[(5)].

ومنه أيضا تقديم الجار والمجرور في قوله تعالي :{**ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ**}([6])

قال الزمخشري : " تقديم الظرف (علينا) يدل على الاختصاص"([7]). و بمثله نطق أبو السعود في تفسيره.[(8)]

[1] - الكشاف 92/2
[2] أبو السعود 131/5
[3] - الزمر:23
[4] - الكشاف 394/3
[5] انظر أبو السعود 5/ 501
[6] - ق:44
[7] - الكشاف 4/ 393
[8] انظر أبو السعود 132/6

المطلب الثاني : التأثر والاتباع في أسلوب القصر (إنما):

في قوله تعالي: {**قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ**}([1]) ، يقول الزمخشري : " إنما لقصر الحكم على شيء، أو لقصر الشيء على الحكم ، كقولك : إنما زيد قائم، وإنما يقوم زيد، وقد اجتمع المثالان في هذه الآية، لأن (إنما) يوحي إلي مع فاعله بمنزلة : إنما يقوم زيد ، وإنما إلهكم إله واحد بمنزلة : إنما زيد قائم"([2]). ،نقل أبو السعود عن الزمخشري دلالة إنما على معنى القصر، وتوجيهه للمعنى في الآية ، وكذا الأمثلة السابقة.[3]

وفي وقوله تعالي :{ **إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا** }([4]) يقول الزمخشري : " وقال إنما ليدل على أنهم يبيتون القول بأن ليس ذلك إلا تسكيرا للأبصار"([5]).

نقل أبو السعود هذا التوجيه بأسلوبه الخاص فقال:" في كلمَتَيْ الحصر والإضراب ، دلالة على أنّهم يبتّون القول بذلك ، وأنّ ما يرونه بعيونهم ليس إلا لونا جديدا من ألوان السّحر والخداع"[6]

---

[1] - الأنبياء:108
[2] - الكشاف 586/2
[3] انظر أبو السعود 361/4
[4] - الحجر:15
[5] - الكشاف 389/2
[6] أبو السعود 12/4

المطلب الثالث: التأثر والاتباع في مسائل الإنشاء

(1) تقديم المستفهم عنه ودلالته :

ففي قوله تعالي{**قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا** }([1]) قال الزمخشري : " أولي غير الله همزة الاستفهام دون الفعل الذي هو اتخذ، لأن الإنكار في اتخاذ غير الله وليا، لا في اتخاذ الولي، فكان أولى بالتقديم"([2]). نقل أبو السعود هذا التحليل العبقري بحذافيره.(3)

(2)- **تحديد دلالة الأمر :** ففي قوله تعالي:{**وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا**}([4]) قال الزمخشري: " إباحة للاصطياد بعد حظره"([5])، وبمثله قال أبو السعود.(6)

(3)- استخدام الإنشاء في موضع الخبر:

في قوله تعالي:{**فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا**}([7]) قال الزمخشري :" فسيضحكون قليلا ويبكون كثيرا، إلا أنه أخرج على لفظ الأمر للدلالة على أنه حكم واجب لا يكون غيره "([8]). وبمثله قال أبو السعود لفظا ومعنى.(9)

ومنه أيضا ما قاله الزمخشري في قوله تعالي:{ **فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ** }([10]) حيث قال:" معناه فأماتهم ، وإنما جيء به على هذه العبارة للدلالة على أنهم ماتوا ميتة

---

[1] - الأنعام:14
[2] - الكشاف 8/2 ، وانظر تفسير البيضاوى 2/ 396
[3] انظر أبو السعود 362/2
[4] - المائدة:2
[5] - الكشاف 592/1 ، ذكر البيضاوى أنه لا يلزم من إرادة الإباحة ههنا من الأمر دلالة الأمر الآتي بعد الحظر على الإباحة مطلقا، انظر البيضاوى 2/ 291
[6] انظر أبو السعود 235/2
[7] - التوبة:82
[8] - الكشاف 205/2، ردد البيضاوى ما ذكره الزمخشري، وأضاف:"**ويجوز أن يكون الضحك والبكاء كنايتين عن السرور والغم والمراد من القلة العدم" انظر تفسير البيضاوى 3/ 163**
[9]- انظر ابو السعود 175/3
[10] - البقرة:243

رجل واحد بأمر الله ومشيئته ، وتلك ميتة خارقة عن العادة، كأنهم أمروا بشيء فامتثلوه امتثالا من غير إباء ولا توقف"([1]). وبمثل قوله قال أبو السعود.([2])

(4)- دلالة النهي ومعناه:

في قوله تعالي {**فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ**}([3]) في محاولة لتحديد دلالة النهي قال الزمخشري: الزمخشري: " إنه تهييج وإلهاب للتصميم على معاصاتهم"([4]). ومثل ذلك قال أبو السعود السعود :" هذا تهييج وإلهاب للتصميم على معاصاتهم ، أي دم على ما أنت عليه من عدم طاعتهم ، وتصلب في ذلك"([5]).

5- في بيان دلالة النداء:

نقل أبو السعود من الزمخشري مقولته حول مدلول النداء في قوله تعالي : (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ**)([6]) مبينا ما فيها من المعاني والمبالغات": أقبل بالخطاب على نهج الالتفات هزّا لهم إلى الإصغاء، وتوجيها لقلوبهم نحو التلقين وجبرا لما في العبادة من الكلفة بلذّة الخطاب.."([7])

---

[1] - الكشاف 378/1

[2] - انظر أبو السعود 1/ 284

[3] - القلم:8

[4] - الكشاف 142/4

[5] - أبو السعود 285/6

[6] - البقرة:21

[7] - أبو السعود 79/1

المطلب الرابع : التأثر في باب الإيجاز والإطناب :

أ -**الإيجاز بحذف الفعل :** كما في قوله تعالي :{**وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ**}([1])

قال الزمخشري : قوله: (ويوم نحشرهم جميعا) منصوب على الظرفية بمضمر مؤخر ، قد حذف إيذانا بضيق العبارة عن شرحه وبيانه وإيماء إلى عدم استطاعة السامعين لسماعه لكمال فظاعة ما يقع فيه من الطامة والداهية التامة ، كأنه قيل : ويوم نحشرهم جميعا ، ثم نقول لهم ما نقول ، كان من الأحوال والأهوال ، مما لا يحيط به دائرة المقال"([2]).

بقول الزمخشريّ قال أبو السعود بأمانة وصدق.[3]

ب -الإيجاز بحذف المفعول ودلالته :

قوله تعالي :{ **لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا** }([4]) ، قال الزمخشري : "وحذف المفعول للتعميم ، أي لهم قلوب ليس من شأنها أن يفقهوا بها شيئا مما من شأنه أن يفقه، فيدخل فيه ما يليق بالمقام من الحق ودلائله دخولا أوليا ، وتخصيصه بذلك مخل بالإفصاح عن كنه حالهم"([5]). وبقول الزمخشري قال أبو السعود.[6]

[1] - الأنعام:22
[2] - الكشاف 119/3
[3] انظر أبو السعود 2/ 365-366
[4] - الأعراف:179
[5] - الكشاف 131/2
[6] - انظر أبو السعود 56/3

ج– الإيجاز بحذف المفعول للقصد إلى نفس الفعل: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا}([1]) قال الزمخشري:" وحذف المفعول للقصد إلى نفس الفعل ، والدلالة على أن مناط التبشير هو نفس الفتح الصادر من عنده سبحانه وتعالي ، لا خصوصية المفتوح" ([2]). بقول الزمخشري قال أبو السعود من غير زيادة أو نقصان.[3]

[1] - الفتح:1
[2] - الكشاف 170/3
[3] - انظر ابو السعود 1/ 97-98

المبحث الثاني : التجديد والأصالة:

المطلب الأول : تعقيبات أبي السعود على الزمخشري

من خلال تتبع الباحث واستقصائه لموضوع البحث، يمكن القول إنّ شيخ الإسلام لم يكن تابعا مقلدا بل عالما مجتهدا ، حرا في فكره مستقلا في نظره يأخذ ويردّ ، يوافق ويختلف ، ويجادل بالتي هي أحسن ، وأسرد هنا شواهد حية على مواقفه الحرة ، التي وقف فيها مناقشا ومُعقِبا على الزمخشري والبيضاو ، وقد خصّصتهما بالذكر لكونهما أكثر مفسِرَين اعتمد عليهما أبو السعود في تفسيره.

أولا: التعريف بالإشارة وتحديد معنى البعد فيه:

في قوله تعالي: (**ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ**)([1]) قال الزمخشري: فإن قلت : لم صحت الإشارة (بذلك) إلى ما ليس ببعيد ؟ قلت : وقعت الإشارة إلى(الم) بعد ما سبق التكلم به وتقضّى ، و المقضيّ في حكم المتباعد ، أو وصل من المرسل إلي المرسل إليه صار متباعدا أشير إليه به إلى البعيد وتذكيره متى أريد (ألم) وهذا في كل كلام يحدّث الرجل بحديث ثم يقول : وذلك ما لا شك فيه([2])

قال أبو السعود معقبا: اللام من اسم الإشارة في (ذلك) عماد ، جيء به للدلالة على بعد المشار إليه.. والمشار إليه هو المسمّى ، فإنه منزًل منزلة المشاهَد بالحسّ البصريّ، وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيذان بعلو شانه ، وكونه في الغاية القاصية من الفضل والشرف ، أثر تنويهه بذكر اسمه.. [(3)] ثم يقول في الرد على الزمخشري : وما قيل من أنه باعتبار التقصيّ ، أو باعتبار الوصول من

---

[1] - البقرة: 2

[2]- الكشاف 1/ 32، انظر تفسير البيضاوى 1/ 95-96

[3] - انظر أبو السعود 1/ 35

المرسل إلى المرسل إليه في حكم المتباعد، وإن كان مصححا لإيراده ، لكنه بمعزل من ترجيحه على إيراد ما وضع للإشارة إلى القريب وتذكيره على تقدير كون المسمىّ هي السورة ، لأن المشار إليه هو المسمى بالاسم المذكور، من حيث هو مسمىّ به ، لا من حيث هو مسمى بالسورة ، ولئن ادّعى اعتبار الحيثية الثانية في الأول بناء على أن التّسمية لتمييز السور بعضها من بعض فذلك لتذكير ما بعده.([1])

ثانيا: التعريف بالموصول :(معنى الإبهام في ما):

اختلفت وجهة نظر كل من الزمخشري وأبي السعود في دلالة تعريف الاسم الموصول (ما) ومرد الإبهام الواقع فيه ، في قوله تعالى: (**وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ**)([2]) ، فذهب الزمخشري إلى : أن{ مَا}: يجوز أن يكون تصغيراً للعصا، ولذلك لم يقل: ألق عصاك، أي :لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم، وألق العويد الفرد الصغير الجِرْم الذي في يمينك ، فإنه بقدرة الله يتلقفها على وحدته وكثرتها ، وصغره وعظمها ، وجائز أن يكون تعظيماً لها ، أي : لا تحتفل بهذه الأجرام الكبيرة الكثيرة ، فإن في يمينك شيئاً أعظم منها كلها.([3])

(فما) عنده وكذا عند البيضاوى تحتمل :التصغير والتحقير أو التفخيم والتعظيم([4]).

وذهب أبو السعود: إلى أن تعريف الاسم الموصول والإبهام الواقع فيه يدل على تهويل أمر العصا وتفخيم شأنها ، وإيذانا بأنها ليست من جنس العصي المعهودة المستتبعة للآثار المعتادة ، بل خارجة عن حدود سائر أفراد الجنس ، مبهمة الكنه مستتبعة لآثار غريبة ، وردّ على الزمخشري والبيضاوى في إجازتهما دلالة (ما) على

---

[1] - أبو السعود 35/1

[2] - طه:69

[3] - الكشاف 3/ 74

[4]- انظر تفسير البيضاوى 4/ 60

معنى التصغير والتحقير : " وحمل الإبهام على التحقير بأن يراد لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم وألق العويد الذي في يدك فإنه بقدرة الله تعالى يلقفها مع وحدته وكثرتها وصغره وعظمها ، يأباه ظهور حالها فيما مرّ.([1])

ثالثا: اختلاف القول في دلالة النكرة :

تباينت وجهات النظر بين الزمخشري وأبي السعود في دلالة تنكير الاسم:

(ظاهرا) ، في قوله تعالى : (**يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**)([2]) ، فصرح الزمخشري: أن التنكير لإفادة الوحدة ، و أن المعنى هو: أنهم لا يعلمون إلا ظاهراً واحداً من جملة الظواهر الموجودة([3]). أما البيضاوى فلم ينطق بشيء واضح فيها([4]). وذهب أبو السعود إلى أن تنكير: (ظاهرا) يفيد معنى التحقير و التخسيس دون الوحدة ، وجعل اعتبار معنى الوحدة توهّما ، وأن المراد : يعلمون ظاهرا حقيرا خسيسا من الدنيا ، وهم عن الآخرة التي هي الغ اية القصوى والمطلب الأسنى هم غافلون لا يخطرونها بالبال([5]).

رابعا: الاختلاف في دلالة تعريف اسم وتنكير آخر:

ذهب كل من الزمخشري وأبي السعود مذهبين مختلفين في دلالة تنكير كلمة : (نصيبا) ، وفي تعريف كلمة: (الكتاب) ، في قوله تعالى: (**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ**) ([6]) ، فالزمخشري: يقرر أن تنكير(نصيبا) يفيد التعظيم والتكثير، وتعريف الكتاب للجنس، والمعنى: أن أحبار اليهود حصلوا نصيباً وافراً من التوراة ، أو

---

[1] - أبو السعود 4/ 293
[2] - الروم:7
[3] - انظر الكشاف 3/ 467
[4] - انظر تفسير البيضاوى4/ 328
[5] - أبو السعود 5/ 222-223
[6] - آل عمران:23

من جنس الكتب المنزلة أو من اللوح ، وهو نصيب عظيم.([1]) ، هذا في حين جعل أبو السعود اللام للعهد ، واعتبر حمله على جنس الكتب الإلهية تطويلا للمسافة ، إذ تمام التقريب حينئذ بكون التوراة من جملتها لأن مدار التشنيع و التعجيب إنما هو إعراضهم عن المحاكمة إلى ما دعوا إليه وهم لم يدعوا إلا إلى التوراة ، وجعل تنكير (نصيبا) مفيدا لمعنى التفخيم ، وأن حمله على التحقير لا يساعده مقام المبالغة في تقبيح حالهم([2]).

كما خالف أبو السعود الزمخشري في دلالة تنكير كلمة : (نفس) في قوله تعالى: (**عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ**)([3])، فقد ذهب الزمخشري إلى أن تنكيرها يفيد العموم والشمول ووافقه البيضاوى([4]). فنظيره عندهما قوله تعالي: { **يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا** }([5])، قال الزمخشري هو:" من عكس كلامهم الذي يقصدون به الإفراط فيما يعكس عنه . ومنه قوله عز و جل : {**رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ** }([6])، **مُسْلِمِينَ**}([6])، ومعناه : معنى (كم) الخبرية وأبلغ منه ، وتقول لبعض قوّاد العساكر : كم عندك من الفرسان؟ فيقول : رب فارس عندي ، أو لا تعدم عندي فارساً، وقصده بذلك التمادي في تكثير فرسانه . ولكنه أراد إظهار براءته من التزيد ، وأنه ممن يقلل كثير ما عنده ، فضلا أن يتزيد ، فجاء بلفظ التقليل ، ففهم منه معنى الكثرة على الصحة واليقين([7]).

---

[1] - انظر الكشاف 1/ 336

[2] - أبو السعود 1/ 351، هذا رد على البيضاوى الذي اعتبر التنكير محتملا للتعظيم أو للتحقير ، ولكنه وافق الزمخشري في نوع ومعنى تعريف الكتاب ، انظر تفسير البيضاوى 2/ 21

[3] - التكوير:14

[4] - آل عمران:30

[5] - آل عمران:30

[6] - الحجر:2

[7] - انظر الكشاف 2/ 569

غير أن أبا السعود لم يوافقه عليه ، واعتبر الأمثلة التي ساقها من الكلام المعكوس هي مما يقبل الإفراط والتمادي فيه .. أمّا ما نحن فيه من الآية الكريمة : {**عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ** }([1])، فليس فيه إمكان التكثير حتى يقصد بعكسه المبالغة والتمادي فيه([2]).

خامسا: الاختلاف في دلالة (على) وفي دلالة تقديمه مع المجرور على معنى القصر والاختصاص: قوله تعالى : (**الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ**)([3]) جوّز الزمخشري أن يكون (على) متعلقا بيستوفون ، وأن يكون تقديم المفعول (على الناس)على الفعل لإفادة معنى التخصيص ، أي : يستوفون على الناس خاصة ؛ فأما أنفسهم فيستوفون لها ، ووافقه البيضاوى على متعلق (على)، دون أن يتعرّض لموضوع تقديم الجار والمجرور([4])

قال أبو السعود معقبا: " جوّز – أي الزمخشري – أن تكون "على" متعلقة بيستوفون ويكون تقديمها على الفعل لإفادة الخصوصية ... وأنت خبير بأن القصر بتقديم الجار والمجرور إنما يكون فيما يمكن تعلّق الفعل بغير المجرور أيضا حسب تعلقه به ، فيقصد بالتقديم قصره عليه بطريق القلب أو الإفراد أو التعيين حسبما يقتضيه المقام ، ولا ريب في أن الاستيفاء الذي هو عبارة عن الأخذ الوافي مما لا يتصور أن يكون على أنفسهم حتى يقصد بتقديم الجار والمجرور قصره على الناس ، على أن الحديث واقع في الفعل لا فيما وقع عليه فتدبر([5]).

سادسا: تباين الموقف من معنى الاستفهام:

---

[1] - التكوير:14

[2] - انظر أبو السعود 386/6

[3] - المطففين:2

[4] - انظر الكشاف 4/ 718 والبيضاوي 464/5

[5] - أنظر تفسير أبي السعود 394/6

أولا : في قوله تعالى: **(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ)**([1])، اعتبر الزمخشري أنّ الاستفهام في قوله: { أَلَمْ تَرَ } هو تعجيب من محاجة نمروذ في الله وكفره به { أَنْ آتاه الله الملك } ، ووافقه البيضاوى وأضاف من عناصر التعجيب حماقته([2]).

أما أبو السعود فاعتبر أن الاستفهام لإنكار النفي وتقرير المنفي ، أي : ألم تنظر، أو ألم ينته علمك إلى هذا الطاغوت المارد كيف تصدى لإضلال الناس وإخراجهم من النور إلى الظلمات ، أي قد تحققت الرؤية وتقررت بناء على أن أمره من الظهور بحيث لا يكاد يخفي على أحد ممن له حظ من الخطاب([3]).

ثانيا : في الوقت الذي نجد فيه أبا السعود يتفق مع الزمخشري والبيضاوى في دلالة الاستفهام على معنى التقرير والتقريب في قوله تعالي : **{هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا}**([4])، كان أبو السعود متفردا متميّزا في بيان معنى الاستفهام وتوجيهه ، متوسعا في نطاق التطبيقات البلاغية ومتفوقا عليهما في ذلك ، وذلك في قوله تعالي :**{هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ}**([5])

استهل الحديث بالرد على قطرب في قوله إن المعنى:(قد جاءك يا محمد حديث الغاشية) ، مشيرا إلى معنى التقرير في الاستفهام ، قال أبو السعود:" وليس بذاك ، بل هو استفهام أريد به التعجيب مما في حيزه والتشويق إلى استماعه ، والإشعار بأنه من الأحاديث البديعة التى حقها أن يتناقلها الرواة ويتنافس عليها الوعاة من كل حاضر وباد"([6]).

---

[1] - البقرة:258

[2] - الكشاف212/1

[3] - أبو السعود 299/1

[4] - الإنسان:1

[5] - الغاشية:1

[6] - أبو السعود 418/6

ومثل ذلك أيضا، بيان أبي السعود لدلالة الاستفهام ومغزى تنكير الاسم ، مع سكوت الزمخشري عنهما، في قوله تعالى:**(فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ)**([1])، حيث جعل الاستفهام يدل على نوع استبعاد واستشعار يأس من الخروج.. وتنكير (سبيل) لإفادة معنى الإبهام، أي من سبيل ما كيفما كان ..لا أنهم قالوه بطريق القنوط البحت كما قيل([2])، وذلك ردا على البيضاوى الذي اعتبر أن الاستفهام يدل على فرط قنوطهم تعللا وتحيرا([3]).

<u>سابعاً: تباين في تحديد معنى النهي</u>

ومن الشواهد البيّنة على استقلالية أبي السعود في شخصيته العلمية واجتهاده الحر ، اختلافه مع كل من الزمخشري والبيضاوى في تحديد معنى النهي في قوله تعالى:{ **وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ** }([4])، الزمخشري على أنّ النهي يفيد معنى الدوام والثبات على ما كان عليه ، أو التهييج ، واعتمد البيضاوى معنى التهييج وأضاف إليه الإلهاب ، ولم يذكر المعنى الأول وهو الدوام والثبات([5])

أما أبو السعود: فجعل معنى التهييج والإلهاب بعيدا عن المقصود بمراحل، ورجّح أن المقصود بالنهي هو : "مداراتهم في أمر الدعوة واستعمال لين الجانب في التبليغ والمسامحة في الإنذار، كنّى عن ذلك بالنهي عن طاعتهم ، مبالغة في الزجر والتنفير عن المنهي عنه"([6]).

<u>ثامناً: اختلاف القول حول الاستئناف البياني :</u>

[1] - غافر:11
[2] - أبو السعود 526/5
[3] - انظر البيضاوى 5/ 86
[4] - الأحزاب:48
[5] - الكشاف 547/3
[6] - أبو السعود 305/5

في قوله تعالى:{ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** }([1]) ، أشار الزمخشري: إلى الاستئناف البياني الداعي إلى فصل قوله تعالي:{ **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** } عن قوله:{ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** } وقال:" إن المعنى : نحمد الله حمداً ، ولذلك قيل:{ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ }؛ لأنه بيان لحمدهم له، كأنه قيل : كيف تحمدون؟ فقيل: إياك نعبد.. ويكون قوله:{اهدنا} بياناً للمطلوب من المعونة، كأنه قيل : كيف أعينكم؟ فقالوا : اهدنا الصراط المستقيم ، وإنما كان أحسن لتلاؤم الكلام وأخذ بعضه بحجزة بعض"([2])

ردّ أبو السعود توجيهات الزمخشري السابقة ، وقال :"إنّ ما قيل : من أنه بيان لحمدهم له تعالى، كأنه قيل: كيف تحمدون ؟ فقيل : إياك نعبد، فمع أنه لا حاجة إليه فهو مما لا صحة له في نفسه ، فإن السؤال المقدر لا بد أن يكون بحيث يقتضيه انتظام الكلام، وينساق إليه الأذهان و الأفهام، ولا ريب في أن الحامد بعد ما ساق حمده تعالى على تلك الكيفية اللائقة لا يخطر ببال أحد أن يسأل عن كيفيته ، على أن ما قدر من السؤال غير مطابق للجواب ، فإنه مسوق لتعيين المعبود لا لبيان العبادة .. معتبرا أن ذلك تعكيسا للأمر وتمحلا بعد التى واللتيَا .. وخلص إلى نتيجة بفساد ما قيل: أنه استئناف جوابا لسؤال يقتضيه السياق([3]).

تاسعاً: الإيجاز والإطناب:

---

[1] - الفاتحة:5-6

[2] الكشاف 13/1-14

[3] - انظر أبو السعود 1/ 25

حذف المفعول من قوله تعالى: **(لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا)**([1])، في الوقت الذي مرّ كل من الزمخشري والبيضاوي مرورا كراما على هذه الآية ، نجد أبا السعود يستخرج من أعماقها أسرارا ولطائف بلاغية قيمة ، منها([2]):

1-تنكير قلوب للدلالة على معنى الإبهام والغموض، بسبب إغراقها في القسوة وعدم التفقه، وكأنها خلقت غير قابلة للاستجابة.

2-وقوع جملة:(لا يفقهون) صفة مؤكدة لمعنى الإبهام في النكرة.

3-حذف المفعول للدلالة على معنى التعميم ، أي لهم قلوب ليس من شأنها أن يفقهوا بها شيئا مما من شأنه أنُ يفقه.

ومن مواقع الاختلاف قوله تعالى:**(كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً)**([3])، اعتبر الزمخشري ومن بعده البيضاوى: أن الفعل كُرِّر ثمّ حُذف بعد كيف للعلم به، وأن الاستفهام {بِكَيْفَ} إنما كرر لاستبعاد ثبات المشركين على العهد([4])

وقد ردّ أبو السعود علة تكرار الاستفهام المذكورة معتبرا أن علة التكرار هي:" استنكار ما مرّ من أن يكون للمشركين عهد حقيق بالمراعاة عند الله وعند رسوله صلي الله عليه وسلم، وأما ما قيل : من أنه لاستبعاد ثباتهم على العهد ، فكما ترى أن ما يذكر بصدد التعليل للاستبعاد عين عدم ثباتهم على العهد لا أنه يستدعيه ، وإنما أعيد الاستنكار والاستبعاد تأكيدا لهما وتمهيدا لتعداد العلل الموجبة لهما.."([5]).

<u>عاشراً: الاختلاف في تحديد الجملة الاعتراضية:</u>

[1] - الأعراف:179

[2] - أنظر الكشاف2 / 179

[3] - التوبة:8

[4] - أنظر الكشاف 1/ 417 ،

[5] - أبو السعود 126/3

قوله تعالي:{**وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ**}([1]) ، جوّز الزمخشري أن تكون جملة :(وقد خلت النذر) حالا من فاعل أنذر ، أو إطنابا بالاعتراض بين أنذر قومه وبين: { أَلاَّ تَعْبُدُواْ } ويكون المعنى : واذكر إنذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم ؛ وقد أنذر من تقدمه من الرسل ومن تأخر عنه مثل ذلك فاذكرهم ، وفائدة الاعتراض : الحثُّ على الإيمان وما يستحقه من ذكر أجر العاملين.[(2)] ومرّ البيضاوى دون أن يتعرّض لموقع الجملة من الإعراب بالذكر. أمّا أبو السعود فقد وافق على وقوع الجملة اعتراضا مقررا لما قبله مؤكدا لوجوب العمل بموجب الإنذار :" وأمّا جعلُها حالا من فاعل أنذر.. فمع ما فيه من تكلف تقدير الإعلام ، لا بدّ فى نسبة الخلوّ إلى مَن بعده من الرسل من تنزيل الآتي منزلةَ الخالى"([3]).

---

[1] - الأحقاف : 21

[2] - انظر الزمخشري 4/ 307

[3] - أبو السعود 6/ 75

المطلب الثاني: مقارنات بين التعبير القرآني وبين غيره:

من بدائع الشيخ أبي السعود وحسن تذوقه للنظم القرآني، وجدّه واجتهاده في بيان تفوّقه وتميّزه على سائر نظوم الكلام، أنه يقوم بعقد مقارنات بين ما جاء عليه النظم القرآني وبين تعبيرات أخرى مؤدية لأصل المعنى، ليجلّي الفرق البعيد والبون الشاسع بين التعبيرين ، في إغناء المعنى والوفاء به على أكمل وجه وفي أحسن صورة، وفيما يلي نماذج دالّة على جميل صنعه، والتي تقف شاهدة على القضية :

أولا : المقارنة بين كلمة "معرضون " وبين وغيرها:

في قوله تعالي : **(وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ)**([1]) قال : " هو أبلغ من أن يقال لا يلهون ، من وجوه جعل الجملة اسمية ، وبناء الحكم على الضمير ، والتعبير عنه بالاسم ، وتقديم الصلة عليه ، وإقامة الإعراض مقام الترك ، ليدل على تباعدهم عنه رأسا تباعدا صارما ، تسبّبا وميلا وحضورا ، فإنّ أصله أن يكون في عرض غير عرضه "([2])

ثانيا: المقارنة بين (وجعلنا الأنهار) وبين (وأجرينا الأنهار):

كما في قوله تعالي :{ **وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ** }([3]) ، ما جاء عليه النظم القرآني في هذه الآية يوحي بمعنى نفيس وعميق ، وهو الدلالة على كون الأنهار :" مسخّرةً لهم مستمرةً على الجريان على الوجه المذكور ، ما ليس في أن يقالَ : وأجرينا الأنهارَ من تحتهم"([4])

---

[1] - المؤمنون:3
[2] - انظر أبو السعود 4/ 402
[3] - الأنعام:6
[4] - انظر أبو السعود 2/ 356

ثالثا: الفرق بين (وكرهوا أن يجاهدوا) وبين (وكرهوا أن يخرجوا) :

وذلك في قوله تعالي:{ **وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ** }([1]) ، حيث نجده يحلل قوة دلالة الفعل: { وكرهوا } في هذا المقام مستكشفا إيحاءاته العميقة ، مبينا مدى شدة موافقته لواقع حال المنافقين ، الداعي إلى تخلّفهم عن الخروج مع رسول الله للجهاد في سبيل الله ، وأن ذلك لم يكن لمجرد إيثار الدعةِ والراحة فقط ، بل كان مردّه ما في قلوبهم من الكفر والنفاقِ ، فإن إيثارَ أحدِ الأمرين قد يتحقق بأدنى رُجْحانٍ منه ، من غير أن يبلُغ الآخرُ مرتبةَ الكراهيةِ : " وإنما أوثر ما عليه النظمُ الكريمُ على أن يقال : وكرهوا أن يخرُجوا إلى الغزو، إيذاناً بأن الجهادَ في سبيل الله مع كونه من أجلّ الرغائبِ وأشرفِ المطالبِ التي يجب أن يتنافسَ فيها المتنافسون قد كرهوه كما فرحوا بأقبح القبائحِ الذي هو القعودُ خلافَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم"([2])

رابعا: المقارنة بين (فاسأله ما بال) وبين (فاسأله أن يُفتّش) :

وذلك في وقوله تعالي: { **فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ** }([3])، يقف أبو السعود مقارنا بين ما جاء عليه النظم وبين تعبير آخر هو غاية المعنى:" وإنما لم يقل : فاسأله أن يفتّش عن ذلك ، حثاً للملك على الجد في التفتيش ليتبين براءتُه ويتضح نزاهتُه ، إذ السؤالُ مما يهيج الإنسانَ على الاهتمام في البحث للتقصي عما توجه إليه ، وأما الطلب فمما قد يتسامح ويُتساهل فيه ولا يبالى به"([4]).

---

[1] - التوبة:81

[2] - انظر ابو السعود 3/ 174

[3] - يوسف:5

[4] - انظر ابو السعود 3/ 402

خامسا: المقارنة بين ما عليه النظم وبين غيره :

في قوله تعالي:{ **قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا** }([1]) ، يقول أبو السعود: " إيثارُ مَا عليهِ النظمُ الكريمُ عَلى أنْ يقالَ لاَ تقولُوا آمنَّا ولكنْ قولُوا أسلمنَا ، أو لم تُؤمنِوا ولكن أسلمتُم للاحترازِ منِ النَّهي عنِ التلفظِ بالإيمانِ وللتفادِي عنْ إخراجِ قولِهم مُخرجَ التسليمِ والاعتدادِ بهِ معَ كونِه تقولاً محضا([2]).

[1] - الحجرات:14

[2] - انظر أبو السعود 6/ 119

المطلب الثالث : التلوين والتناسب

زخر تفسير أبي السعود بمواضع عديدة أشار فيه إلى ما سماه حينا بتلوين الأسلوب أو تغيير النظم و السبك حينا آخر، كما اعتنى كثيرا ببيان وجه التناسب بين الآيات مع بعضها والفواصل في آياتها والسور في تواليها، وهو أحد جوانب التجديد والابتكار التى تألّق فيها أبو السعود تألقا قلّ فيه نظيره إلى حدود عصره، حجما وتنوعا ودقة في المسالك ونفاسة في الفوائد.

وقد قمست المطلب إلى مسألتين :

الأولى : تلوين الأسلوب .

الثانية : التناسب والتلاؤم

المسألة الأولى : تلوين الأسلوب في النظم القرآني

تلوين الأسلوب حالة أسلوبية أشمل وأوسع من الالتفات ، لأنه يشمل كلّ انتقال من حالة أسلوبية في السياق الواحد إلى حالة أخرى، ولا يقتصر على نوع الضمير أو جنسه أو عدده، بل يتعداه إلى نوع الجملة وحالة الإعراب ، وإلى اختلاف نوع الكلمة ومنبع القصة كما سيرد في الصفحات القادمة .

وتلوين الأسلوب في القرآن والتناسب بين أجزائه هو من حقائق النظم الكريم، ومن أساليبه النافذة في عرض المعاني والحقائق، فهو كحديقة زاخرة بالأزهار الجميلة من كل شكل ونوع ولون، تتضافر جميعا لتشكل ربيعا زاهيا يأسر القلوب والأبصار.

يجد الباحث المتدبر النظم القرآني يتنقّل في سياق واحد ، بين الجملة الفعلية إلى الاسمية ، وبين التكلم والخطاب والغيبة ، وبين الحذف والذكر ، وبين الإفراد والتثنية والجمع ، وبين الخبر والإنشاء ، وبين الإيجاز والإطناب وغيرها من أفانين القول البليغ.

وقف الشيخ أبو السعود متدبرا متفكرا في هذه الظاهرة في مواطن كثيرة ، فاستنبط منها نكتا نفيسة و أسرارا بليغة , كانت آيةً أخرى على ابتكاراته وتجديده في البلاغة التطبيقية للنظم القرآني الكريم ، وتقف شاهدا على رسوخ قدمه وعلو كعبه في علم البلاغة وفن البيان.

أولا: تلوين التعبير في نوعية الجملة :

في قوله تعالي:{ **اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آَمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ** }([1]) يقول أبو السعود :" والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت"، جملة معطوفة على ما قبلها، ولعل تغيير السبك:(من جملة اسمية بسيطة، إلى جملة اسمية مركبة)، للاحتراز عن وضع الطاغوت في مقابلة الاسم الجليل، ولقصد المبالغة، بتكرير الإسناد، مع الإيماء إلى التباين بين الفريقين من كل وجه، حتى من جهة التعبير أيضا"([2])

ثانيا : تلوين الخطاب بين المتعاطفين:

كما في قوله تعالي:{**سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**} ([3])، يقول الشيخ : " كان مقتضي الظاهر(أم كذبت)، وإيثار ما عليه النظم الكريم للإيذان بأن كذبه في هذه المادة يستلزم انتظامه في سلك الموسومين بالكذب الراسخين فيه، فإن مساق هذه الأقاويل الملفقة على ترتيب أنيق يستميل القلوب نحو قبولها من غير أن يكون لها

---

[1] - البقرة:257

[2] - أبو السعود 1/ 298

[3] -النمل:27

مصداق أصلا، لاسيما بين يدي نبي عظيم الشأن لا يكاد يصدر إلا عمن رسخ قدمه في الكذب و الإفك "([1])

ثالثا : التلوين بين الجملة الفعلية والاسمية :

فقوله{**وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ** } جملة فعلية ، وقوله:{ **فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ** } جملة اسمية ، ثم عاد إلى الفعلية مرة أخرى :{**وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ** } ثم عاد إلى الاسمية مرة أخرى:{ **وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ** } وختم بالفعلية كما بدأ أول مرة: { **حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ**}([2])

رابعا : تلوين الأسلوب لاختلاف المعنى بين الثبات والتحول:

قوله تعالي :{**فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** }([3]) ، تغييرُ الأسلوب وتلوينه بين الجملة الفعلية{ وجعل كلمة الذين كفروا السفلي} وبين الجملة الاسمية :{ وكلمة الله هي العليا} للدِلالة على أن هذه الأخيرة في نفسها كذلك لا يتبدل شأنُها ولا يتغيرُ حالُها دون غيرِها من الكلم. ([4]).

[1] أبو السعود 117/5
[2] - النحل:5-6
[3] - التوبة:40
[4] - أبو السعود 149/3

خامسا : تلوين الأسلوب في الإعراب:

قد يتم تلوين الكلام في الإعراب ليكون دليلا على التلوين والتنوع في المعنى واختلاف درجاته وتعدد الموصوفين به، ومنه قوله تعالي:{**وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ**}([1]) ، تلوين الخطاب من الرفع :{والموفون بعهدهم} ، إلى النصب على الاختصاص:{والصابرين} وغرضه : التنبيه على فضيلة الصبر ومزيّته، قال أبو عليّ الفارسي:" إذا ذكرت صفات للمدح فخولف في بعضها الإعرابُ ، فقد خولف للافتتان، ويسمى ذلك قطعا"([2]).

سادسا : تلوين الخطاب بين الجمع والمفرد :

يتغيّر سبك الجملة من خطاب الجماعة إلى خطاب المفرد لإبراز عظيم شرفه وعلّو درجته كما قي قوله تعالي:{ **وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ، وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**)([3]) ، تلوين

[1] - البقرة:177
[2] - أبو السعود 236/1
[3] - البقرة:185-186

الخطاب من مخاطبة المؤمنين كافة ، والانتقال به موجها إلى رسول الله صلي الله عليه وسلم ، فيه من تشريفه ورفع درجته ما لا مزيد عليه.([1])

وقد يكون السرّ في تلوين الخطاب بين الجماعة والفرد ، هو بيان خصوصيّة الفرد ومسئوليّته الخاصة تجاه الجماعة، كما في قوله :{ **فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** }([2]) ، قوله{ فسيكفيكهم الله} تلوين للخطاب من الجماعة { فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به} ، إلى المفرد المخاطب وهو النبي صلي الله عليه وسلم ، مع أن كفاية الله شاملة له وللمؤمنين معه، ولكن لأنه هو الأصل والعمدة في ذلك وهو المسئول عن الجماعة، وللإيذان بأن القيام بأمور الحروب وتحمّل المُؤَن والمشاقّ ، ومقاساة الشّدائد في مناهضة الأعداء من وظائف الرؤساء ، فكانت نعمته تعالي في الكفاية والنصر في حقه عليه السلام أخصّ وأتمّ وأشمل:{**فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم**}([3]).

[1] - أبو السعود 143/1
[2] - البقرة:137
[3] - انظر أبو السعود 206/1

المسألة الثانية : التناسب والتلاؤم في النظم القرآني:

التحقيق في معرفة المناسبات بين سور القرآن وآياته هو علمٌ عظيم القدر، بالغُ الأثر، ففيه يتجلّي وجه آخر عميقُ من وجوه إعجاز النظم القرآني ، الذي يسعى الشيخ أبو السعود إلى تجليته وكشف النقاب عن أسراره الباهرة وبدائعه الرائعة.

وقد أوضح البلاغيون أهمية التناسب بين أجزاء الكلام ، ودعوا إلى ضرورة التلاؤم بين أطرافه ، بأن تكون كل كلمة متآخية مع سابقتها، وكل جملة متآلفة مع لاحقتها، بحيث يأخذ الكلام بعضها بحجز بعض، لأنه : " لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض، ويبنى بعضها على بعض ، وتجعل هذه بسبب من تلك"([1])

وقد أوضح الفخر الرَازى هذا في آخر سورة البقرة ، بقوله :" من تأَمّل نظم هذه السّورة ومن بدائع ترتيبها، علم أنّ القرآن كما هو معجزٌ بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه ، فهو أيضا معجزٌ بحسب ترتيبه ونظم آياته"([2]).

وقال البقاعيّ عن تناسب الآيات والسور:" وثمرته الاطلاع على المرتبة العليا التي يستحقّها الجزء بما له من ارتباط بسابقه ولا حقه ، ومن تعلق بها كلُحمة النسب"([3]).

---

[1] - دلائل الإعجاز صـ55

[2] - مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي، مرحع سابق 394/2

[3] - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي 3/1

وقال عنه الزّركشيّ:" وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض، فيقوىّ بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء"([1]).

وجدت الشيخ أبو السّعود يقف أمام ظاهرة التناسب البديع المحكم ، باحثا حثيثا عن عري التناسب و التّلاؤم بين مكونات النظم القرآنيّ : في آياته وفواصله وسوره ، مستنبطا جواهره مستكشفا أسراره ، وكان من بين تجلياته ما يلي :

أولا : التناسب بين الفواصل وآياتها:

الفاصلة القرآنيّة : هي الجملة أو الكلمة المتممة للآية ، وتقع مستقرةً في موقعها كمسك الختام للمعنى الوارد في الآية كلها، حيث تصل الفاصلةُ القرآنّيةُ إلى مستقرها وهي حاملةٌ شحنتين في آن واحد ، شحنة من التناغم والإيقاع الصوتي الأخّاذ ، وشحنة من المعنى المتمم للآية([2]).

وقد أشار الشيخ أبو السّعود في مواطن كثيرة إلى الفاصلة القرآنيّة ومدى تناسبها مع محتوى الآية ، ودورها في تحقيق اللطائف والأسرار الكريمة، وكان مما ذكر:

(1)– ما جاء في قوله تعالي :{ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آَمِنُوا كَمَا آَمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آَمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُون** }([3]) قال الشيخ :" أبو السعود :"

[1] - البرهان في علوم القرآن للزركشي 36/11
[2] - التعبير الفني في القرآن، بكري شيخ أمين، صـ203
[3] - البقرة:13

وتفصيل هذه الآية الكريمة (بلا يعلمون)، لما أنه أكثر طباقا لذكر السفه ، الذي هو فنٌّ من فنون الجهل ، ولأن الوقوف على أن المؤمنين ثابتون على الحقّ وهم على الباطل ، منوط بالتمييز بين الحق والباطل ، وذلك مما لا يتسنّى إلا بالنظر والاستدلال ، وأما النفاق وما فيه من الفتنة والإفساد وما يترتب عليه من كون من يتصف به مفسدا ، فأمر بديهي يقف عليه من له شعور ، ولذلك فصلت الآية السابقة (بلا يشعرون)([1]).

ثانيا : التناسب بين الآيات :

اعتنى شيخ الإسلام أبو السعود بذكر المناسبات بين الآيات، واستنباط الوشائج اللفظية والمعنوية التى تربط بينها في سياقها، وقد ذكر ذلك من وجوه كثيرة ، منها :

أ/:التناسب بين أجزاء الآية الواحدة:

ومن ذلك قوله تعالي:{**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ**}([2])، أشار أبو السعود إلى المناسبة بين قوله تعالي:{ الحمد لله الذي خلق السموات والأرض} وبين الجملة التالية لها: {وجعل الظلمات والنور} فقال:" عطف على(خلق) مترتب عليه لكون جعلهما مسبوقا بخلق مُنْشئِهما ومحلِّهما ، داخل معه في حكم الإشعار بعلّة الحمد ،فكما أنّ خلق السموات والأرض وما بينهما–

[1] - أبو السعود 1/ 64
[2] - الأنعام:1

لكونه أثرا عظيما ونعمة جليلة– موجبٌ لاختصاص الحمد بخالقهما جلّ وعلا، كذلك جعل الظلمات والنور لكونه أمرا خطيرا ونعمة عظيمة مقتضٍ لاختصاصه بجاعلهما"([1])

ب/ التناسب بين الآيات المتتالية:

ومن ذلك قوله :{**وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ، إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ**} ([2])، ذكر أبو السعود مناسبة الآية الثانية بالأولى ، وقال إنّ الثانية وقعت تعليلا للأمر بالصبر والنهي بعدم الحزن، فولاية الله الدائمة لا تحوم حول صاحبها شائبة شيء من الجزع والحزن وضيق الصدر"([3]).

ج/ التناسب بين موضوع الآية السابقة واللاحقة:

ومن ذلك قوله:{**حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ** }([4])، وبين ما قبلها ، وهي آيات تتعلّق بالزواج والطلاق وقضايا الأسرة ، فقال موضّحا ذلك:" المحافظة هي المداومة على أدائها لأوقاتها من غير إخلال بشيء منها ، كما تُنبئُ عنه صيغة المفاعلة ، ولعلّ الأمر بها في تضاعيف بيان أحكام الأزواج والأولاد قبل الإتمام

[1] - أبو السعود 347/2-348
[2] - النحل:127-128
[3] - أبو السعود 106/4
[4] - البقرة:238

، للإيذان بأنّها حقيقة بكمال الاعتناء بشأنها والمثابرة عليها من غير اشتغال بشأنهم وبشأن أنفسهم أيضا ، كما يفصح عنه الأمر بها في حالة الخوف"([1]).

ثالثاً: التناسب بين السور:

لم يتطرّق الشيخ أبو السعود للمناسبات الخاصة بانتظام السور بعضها إثر بعض إلا قليلا ، ومن تلك الحالات القليلة ، ما ذكره في فاتحة سورة الرحمن ، حيث ذكر وجه التناسب بينها وبين سورة القمر، فقال : " لما عَدّ في السورة السابقة ما نزل بالأمم السّالفة من ضروب نقم الله –عزّ وجلّ– وبيَّن عُقيب كل ضرب منها أن القرآن قدُ يسّر لحمل الناس على التذكر والاتعاظ ، ونعى عليهم إعراضهم عن ذلك ، عدَّدَ في هذه السورة الكريمة ما أفاض على كافة الأنام من فنون نِعمه الدينية والدنيوية، الأنفسية والآفاقية ، وأنكر عليهم إثر كل فن منها إخلالهم بمواجب شكرها"([2]).

---

[1] - أبو السعود 281/1

[2] - أبو السعود 174/6

المبحث الثالث :

القيمة البلاغية لأساليب المعاني في تفسير أبي السعود

يمتاز أبو السعود في تفسيره بمميّزات جليّة وبخصائص نادرة ، على درب الابتكار والتجديد في البلاغة التطبيقية ، تكفل له مكانا مرموقا على خارطة الدراسات البيانية حول القرآن الكريم، وتجعل من تفسيره مصدرا أصيلا لا يخطئه نظر الباحثين والمشتغلين في حقل الدراسات البلاغية للقرآن العظيم ، يجتهد هذا المبحث في الكشف عن جملة من تلك المميزات والخصائص وقيمتها العلمية والبلاغية ، وكان من أبرزها([1]):

(1)- وفرة المادة العلمية : حيث تزخر الآيات بإشارات علمية بلاغية عديدة ، فلا يكاد يتجاوز آية دون أن يشير إلى مسألة بلاغية في مستوياتها وعلومها المختلفة، حيث لم يكد يترك موضوعا من مواضيع علم البلاغة دون أن يثير فيها مسائل عدة في آيات مختلفة.

(2)- كثرة المباحث البلاغية وتنوّع موضوعاتها: حيث تعرّض لجّل المباحث والعناوين البلاغية المعروفة وحتى غير المشهورة في علوم البلاغة الثلاثة(المعانى والبيان والبديع)، ما وفّر له تنوعا في اللطائف ووفرةً في الأسرار المستكشفة ، بالمقارنة مع السابقين.

(3)-**الالتزام الرائع بالمصطلحات البلاغية المستقرّة** : التزم أبو السعود باستخدام المصطلحات البلاغية المسقرّة لدى أهل الفنّ ، خاصة التزامه بمصطلح "النظم" الذي

---

[1] - انظر البلاغة في تفسير أبي السعود، الشحات محمد عبد الرحمن، صـ547، رسالة دكتوراه غير منشورة،، عام 1984م ، مكتبة كلية اللغة العربية بالقاهرة – جامعة الأزهر

هو مربط الفرس وكلمة السّر في قضية الإعجاز ، ما يدلّ على استقرار رأيه في أنّ مردّ الإعجاز هو بديع نظمه، وتفوّق أسلوبه في ألفاظه وتراكيبه، على نحوٍ لا قبل للإنس ولا للجن في أن يأتوا بمثله.

(4)- الإحاطة والاستيعاب للمسائل الواردة في الآية : يقف أبو السعود متدبرا باحثا بالمنقاش لاستخراج المباحث والمسائل البلاغية الكامنة في الآيات، ويخرج من بحثه بأكبر عدد من المسائل الممكنة في الآية، على نحو يشبه التقصيّ والاستقراء.

(5)-الأسلوب السهل الممتنع : يعرض أبو السعود المسائل البلاغية وغيرها بلغة فخمة وأسلوب سلس ، قريب المأخذ ، شديد الوضوح ، بالغ الدقة ، يمكن وصفه بالسهل الممتنع.

(6)- التقيد بالموضوع وتجنب الاستطرادات الجدلية : يتجنب أبو السعود الخوض في الجدل وإثارة الخلافات والمناقشات التى قد تبعده عن موضوعه ، أو تُسوّد صفحاته دون كبير جدوى و تُنْفد مداده فيما يغنى عنه غيره.

ويمكن الاستشهاد على ما سبق بجملة من الشواهد منها ما يلي :

أولا : في قوله تعالي :{**إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ** }([1])، استخرج منها شيخ الإسلام اثنتين وعشرين(22) نكتة وسرا بلاغيا تحمل عناوين مختلفة،([2]) ، أذكر منها :

---

[1] - البقرة:26

[2] - أبو السعود 1/96-102

1- مناسبة الآية لما قبلها.

2- فائدة التمثيل.

3- تحليل الاستعارة في يضرب.

4- علّة ذكر البعوضة دون غيرها.

5- مناسبة قوله:{فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق} عما قبلها.

6- ذكر فائدة تصدير الآية "بأمّا"

7- ذكر السرّ في تعريف الحق.

8- ذكر الحكمة من التّعرض للربوبيّة.

9- فائدة الإضافة إلى ربهم.

10-إيثار جملة{ يقولون} على لا يعلمون، وفقا لسياق التقابل.

11-فائدة ذكر اسم الإشارة { هذا}.

12-معنى الاستفهام{ ماذا أراد الله بهذا مثلا؟}

13- مناسبة يضلّ به كثيرا لما قبله.

14-سر وضع يضلّ ويهدى مكان الفعل الوارد في الاستفهام { أراد}.

15- إيثار صيغة الاستقبال في الفعلين:{ فأما الذين آمنوا فيعلمون}

{وأمّا الذين كفروا فيقولون}.

16-تقديم الإضلال على الهدى.

17-فائدة تكرار به.

18- السّر من التذييل:{وما يضلّ به إلا الفاسقين}

19-سر تخصيص الإضلال بالفاسقين.

أما الزمخشري فلم يذكر منها سوى خمس مسائل هي :([1])

1- الحكمة من ضرب المثل والتمثيل بالذبابة

2-إفادة (ما) لمعنى الإبهام والشيوع والعموم في بابه

3-إفادة (أمّا) لزيادة التوكيد.

4-الفرق بين "يعلمون" في حق المؤمنين، و" ويقولون" في حق الكافرين.

5-إسناد الإضلال إلى الله إسنادا مجازيا، من إسناد الفعل إلى سببه حسب قوله، ضاربا بذلك على وتر المعتزلة ، وهو فيهم فارس لا يشقّ له غبار.

ثانيا: قوله تعالي:{**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ**}([2])

أشار شيخ الإسلام في هذه الآية إلى ثلاث عشرة (13) مسألة بلاغية ذات عناوين متنوعة ([3]) ، أذكر منها:

1 -فائدة تعليق الحمد بالذات

2 - الحكمة من التعبير بالفعلين : خلق السموات، وجعل الظلمات.

3 -فائدة الوصف به سبحانه وتعالي بقوله :{الذي خلق السموات..}

---

[1] - انظر الكشاف 111/1

[2] - الأنعام:1

[3] - أبو السعود 347/2-349

4 -سر تخصيص خلق السموات والأرض بالذكر.

5 -سرّ جمع السموات وإفراد الأرض.

6 -مناسبة قوله{وجعل الظلمات والنور لما قبله}.

7 -وضع الرب اسما ظاهرا موضع الضمير.

8 -تقديم الجار والمجرور{بربهم} على فعله.

9 -السّرّ في تقديم السموات على الأرض.

10-الّسرّ في تقديم الظلمات على النور.

11-موقع جملة {ثم الذين كفوا بربهم يعدلون} وبيان فائدتها.

12-بيان معنى ثمّ، ووجه التراخي فيها.

13-حذف مفعول {يعدلون}.

هذا ، ووجدت الزمخشري يذكر مسألتين بلاغيّتين فقط ، هما ([1]):

1-الحكمة من إفراد النور وجمع الظلمات.

2-وجه التّراخي في العطف بثمّ:{ثم الذين كفروا بربهم يعدلون}.

أما البيضاوي فزاد على ما ذكره الزمخشري سر تقديم الظلمات على النور، والفرق بين جعل وخلق، والسر في تقديم السماوات على الأرض[(2)]

ثالثا: في قوله تعالي:**{إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ}**([3])

---

[1] - انظر الكشاف 2/ 3

[2] - انظر تفسير البيضاوى 2/ 398

[3] - النحل:128

أشار شيخ الإسلام إلى سبع مسائل في هذه الآية([1]) وهي:

1 -مناسبة الآية لما قبلها.

2 -تخريج معيّة الله وتوجيهها وجهة بلاغية.

3 -إيثار التعبير بالتقوى دون الصبر.

4 -سرّ التعبير بالإحسان.

5 -فائدة تكرار الاسم الموصول.

6 -الحكمة من تقديم التقوى على الإحسان.

7 -السرّ في إيراد الصلة الأولى جملة فعلية، والثانية جملة اسمية.

لم أجد الزمخشري يشير إلى شيء مما سبق أو إلى غيره من الأسرار البلاغية المكتنزة في الآية ، بل مرّ عليها مرورا كراما([2]).

أمّا فيما يتعلّق بوفرة المباحث البلاغية وكثرة العناوين وتنوّعها والكشف عن المعاني البديعة في ثنايا النظم القرآنيّ وخفاياه ، فيمكن الإشارة إلى ما يلي([3]) :

أولا: عنايته الواضحة ببيان دلالات الألفاظ المفردة وأثرها على المعانى الخاصة، كاشفاً عن إيحاءاتها الدلالية البعيدة قبل القريبة.

ثانيا: في موضوع تعريف الاسم وتنكيره ، ذكر أبو السعود أغراضا تقترب إلى حدّ الجِدة والابتكار، منها على سبيل المثال: تمييز المشار إليه أكمل تمييز ، والتهويل والتفظيع في اسم الإشارة ، والإشعار بعلّة الحكم في اسم الموصول، والترغيب في المحافظة على الشيء في الإضافة.

---

[1] - أبو السعود 4/106-107

[2] - انظر الكشاف 2/ 644

[3] - انظر البلاغة في تفسير أبي السعود، الشحات محمد عبد الرحمن صـ553، مرجع سابق

ثالثا : في موضوع الإسناد المجازى، أشار أبو السعود إلى أغراض غير مشهورة في بابه مثل: التفخيم والتهويل ، والحثّ على التّمسك بالشيء.

رابعا : في موضوع خروج الكلام عن مقتضي الظاهر: توسّع أبو السعود في مسائل إحلال الظاهر محلّ الضمير، وأكثر من ذكر مواقع التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي ، والحديث عن الماضي بفعل المستقبل ، كما اعتنى بموضوع الالتفات ، وذكر له أسرارا قيمة ولطائف نادرة.

خامسا: وفي مباحث التقديم والتأخير، غاص أبو السعود في البحث عن مواضع التقديم والتأخير في الصناعة النحوية، كتقديم الخبر على المبتدأ، والمفعول على فعله أو عليه وعلى فاعله، وتقديم المعمولات على العوامل، وتقديم المعمولات بعضها على بعض، كما أشار إلى أسرار التقديم والتأخير بين المتعاطفات في السياق القرآنيّ، وغيرها مما قُدِّم فيه شيءٌ وأُخِرَ آخَرُ، مجتهدا في الخروج بنفائس ولطائف معنوية في كلّ ما ذكر.

سادسا: في باب الإنشاء : تحدّث عن إنكار الواقع وإنكار الوقوع في الاستفهام، وذكر أسرارا مبتكرة مثل : الندب على الفعل، وهو مصطلح فقهي أصولي أكثر منه بلاغيّ، كما ذكر الترغيب والاستعطاف في صيغ الأمر وأساليب الاستفهام.

سابعا : في باب الفصل والوصل : أكثر أبو السعود من الحديث عن الاستئناف البيانى، أو ما يسمّى اصطلاحا بشبه كمال الاتصال، والفصل بين الجمل لوقوع الثانية تعليلا للأولى.

ثامنا : في باب الإطناب والإيجاز: أطال أبو السعود النَّفَسَ في الإشارة إلى إيجاز الحذف وتحديد المحذوف، موضحًا أسرار الحذف ودواعيه، كما استوعبتْ تطبيقاتُه

مواقعَ الإطنابِ حيث عرض لغير قليل من مواطنها بالشرح والتحليل، ونالت منه موضوعُ الإطنابِ بالتذييل الحظ الأوفي.

الخاتمة

الحمد لله الذي أسبغ عليّ نِعَمَه ظاهرةً وباطنة، ووفّقني لأنْ تبلغَ هذه الأطروحة العلميّة غايتها ، التي دارتْ في التفسير البياني للقرآن الكريم ، وهو حقل من الدراسات البلاغية والنقدية يتوخّى الباحثون فيه إقامةَ الحجةِ والبرهان ، بالتحليل والبيان على الإعجاز البياني للقرآن العظيم ، وكان البحث مُنْصبًّا حول تفسير أبي السعود، محمد بن مصطفي العمادى الحنفي:(898-982 هـ/ 1493-1574م)، أحد المنارات العلميّة العالية في القرن العاشر الهجرى، في حاضرة الخلافة العثمانية،

و من أبرز المفسّرين المتأخّرين الذين عُنُوا بحقل الدراسات البلاغية في علم التفسير عنايةً فائقة، و كان البحث تحت عنوان:" **أساليب علم المعانى في تفسير أبي السعود: دراسة بلاغية تحليلية**".

- تألّق نجمُ أبي السعود عالماً طويل القامة، ومؤلّفا موسوعية المعرفة، ذا شخصية علمية شامخة، يقتدى بالسابقين ويقتبس من نورهم بكلّ أمانة وثقة، وعزو الفضل لأهله، بقدر ما جدّد وأبدع لفائدة اللاحقين الذين جاءوا من بعده.
- تنوّعت المعرفة الموسوعيّة لأبي السعود ما بين اللغة والأدب وعلم التفسير ، وبين علوم الشريعة والإفتاء، ودواوين الحكم والقضاء، ممسكاً بزمام اللّغات الحيّة في عصره، فقد كان مُتقنا للعربية والتركية والفارسية، متحدّثا وكاتبا بها جميعا، رغم ظروف البيئة الأعجمية العثمانية التركية، والعصر الموسوم في عمومه بالتخلّف العلمي والجمود الفكري.
- ظلّ أبو السّعود ممسكا بخيوط موضوعه فلا يستطرد بعيدا عنه ، ولا يخلط التفسير بما ليس منه ، ويعرض المسائل بأسلوب رصين بارع ، و بلغة سلسلة

فخمة ، توشك أن تشكّل لوحةً أدبيةً بديعة ، يفرشها بألوانٍ وخيوط من السّهل الممتنع.

- وقف الشيخ أبو السعود رحمه الله ، إزاء النظم القرآني المجيد مُعجَباً مبهورا ، متفكّراً في ألفاظه وجمله، متدبّرا في آياته وسوره ، متأمّلا في حسنها وجمالها، وفي دقة اختيارها واستقرارها في مواقعها، وفي قوّة دلالتها على المعاني، القريبة منها والبعيدة بما لا مزيد عليه، يُفسّر و ُيحلّل يوضّح و يعلّل ، فجاء كتابه هذا كنزا زاخرا بالتطبيقات البلاغية المتقدمة، يمكن معها القول إنها الأوسع و الأشمل حتى تخوم عصره ، وهو تفوّقُ علميٌّ يذكر ويدوّنُ له بمداد من نور على خارطة الدراسات البيانية حول القرآن الكريم.
- ومثل ذلك يقال ، في كثرة العناوين البلاغية والمسائل المتنوعة التي أثارها ، سواء تعلق الأمر بالأدوات والأحرف أو بالألفاظ و التراكيب وأنواع الجملة ، كما اتضح ذلك جليا في الفصل الثاني من هذا البحث .
- استخدم أبو السعود – رحمه الله– مصطلح "التهويل والتفخيم " لمعنيين متقابلين في مقامين متباينين ، وهما : معنى الشّرّ ومقام العذاب ، ومعنى الخير ومقام الثواب، إذا ما أريد تعظيم أمرهما ، تكرّر ذلك كثيرا في بعض معاني الاستفهام ، و في تنكير الاسم ، وربما كان الأولى التفريق بين ما هو تهويل و تفظيع للمعنى ، وبين ما هو تفخيم وتعظيم له ، ليدلّ الأوّل على الشّرّ والمحنة وسوء العقاب ، والثاني على الخير والمنحة وحسن الثّواب .
- وفيما يتعلق بالتقديم والتأخير ، اكتفي الشيخ أبو السعود – إلا فيما ندر– بالكشف عن دلالته على معنى القصر والحصر في مواقع غير قليلة ، وبالقول بحكمة الاهتمام بالمقدم والتشويق بالمؤخر في مواطن كثيرة، وأنّ النفس دائما

تهتمّ بالمقدّم وتتشوّق إلى المؤخر، وهو سرّ الأسرار عنده في التقديم والتأخير، خاصة في متعلقات الفعل، وهي نكتة رأي الإمام عبد القاهر الجرجانى، أنّها لا تكفي غليلا ولا تشفي مريضا، حتى يتبين من أين كانت تلك العناية ؟، وبم كان أهمّ ؟ ، وقد بذل الباحث جهدا –مَبْلغَ علمه – في كشف وجه العناية وسبيل الاهتمام .

- اعتنى أبو السعود ببيان سرّ التقديم والتأخير بين كثير من المعاني المتعاطفة في السياق ، ممّا رأي – من الناحية العقلية المجردة – أنّه يصحّ أن يتقدّم المتأخّر أو يتأخر المتقدّم، مثل : تقديم ذكر الإثم على المنفعة ، وتقديم ذكر المفسد على المصلح ، وتقديم ذكر السِّنَة على النوم ، وتقديم ذكر الليل على النهار، والسّر على الجهر ، وتقديم ذكر الأموال على الأولاد..الخ، وكشف فيها عن معانٍ بديعة وأسرار بالغة الدّقّة، عظيمة المتعة والمنفعة، وقد كان ذلك في الفصل الرابع من هذا البحث
- يسجل للشيخ أبي السعود –رحمه الله تعالي – في هذا المقام، تنبيهه إلى أنّ السّر البلاغيّ في باب التقديم والتأخير، قد يكون مردُّه تقديم المقدّم، كما قد يكون السّرُّ كامناً في تأخير المؤخّر، وفقا لزاوية النظر وجهة التّأمّل، مثال ذلك التأخير الذي تكون علته مراعاة توافق الفواصل وحسن تناغمها، فالسر كامن أساسا هنا في تأخير المؤخر كي يتوافق مع غيره في سياق الآيات وفواصلها.
- تفاوتت أساليب علم المعاني في حظوظها من عناية الشيخ أبي السعود وتحليلاته، ففي الوقت الذي بالغ في بيان مواقع الاستئناف البيانيّ، والجمل الخبرية الواقعة تعليلا لجمل إنشائية أو منفيّة في باب الفصل والوصل، وفي بيان

وجه التّراخي في العطف بثمّ، نجده يمرّ كريما على غيرهما من مواضع الفصل والوصل ، و كذا أحرف العطف الأخرى.

- يطلق الشيخ أبو السعود مصطلح " الاعتراض بالتذييل" على الجملة الواقعة إطنابا بالتذييل في نهاية الآيات القرآنية، وكلمةُ اعتراض ذاتُها، لا تدلّ على وقوع الكلمة أو الجملة في نهاية القول، بل على وقوعها معترضةً وفاصلةً بين متلازمين، كالمبتدأ والخبر والصفة والموصوف، والصلة والموصول.
- كما امتاز كتابه بِسَعَة التطبيقات البلاغية في أساليب علم المعاني ورحابتها، فهو عندما يتناول الآية يقوم بجهد استقصائي واسع لاستخراج الأسرار والنكت البلاغية الواردة في ألفاظها وجملها ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، ممّا أسفر عن مسائل بلاغيّة كثيرة في الآية الواحدة، و كان من الكثرة والغزارة والتّنوّع ، على نحو يسمح لب بالزعم أنّه يكفي أن يستقلّ كلُّ باب من أبواب علم المعاني برسالة علميّة قائمة برأسها، تُحْصِي وتَسْتقصِي كافةَ جوانب الموضوع في بابه، متفوّقا في ذلك على الزمخشري واليضاوى تفوّقا بعيدا، كما تبيّن ذلك في الفصل الأخير من هذا البحث.
- لقد اتضح من خلال هذا البحث، أن شيخ الإسلام واحدٌ من أتباع مدرسة الإمام عبد القاهر البلاغية، وإذا كان الزمخشري قد طار بالشهرة فى اتباع نهج عبد القاهر ، وفاز بلقب الأستاذية في حقل الدراسات البلاغية حول القرآن الكريم، فهو إنما حاز هما بفضل السّبق والأَوَّليِّة، فالفضلُ والحفاوةُ للسّابق وإنْ أجاد الّلاحقُ وأفاد.
- وممّا يدلّ على أنّ أبا السّعود تقلّد موقعا متقدّما، مرفوعَ الذكرِ في حقل الدّراسات البيانيّة حول القرآن العظيم، أنّه جمع في كتابه هذا ما تفرّق في غيره، وأتى فيه

من حرّ أفكاره واجتهاداته ما لم يأت في سواه كمًّا وكيفًا إلى حدود عصره ، وغدا المُفَسِّرون البيانيّون من بعده يترددون إليه، مثل الشّوكانى في فتح القدير، والألوسي في روح المعاني، والطّاهر بن عاشور في التحرير والتنوير ، وغيرهم كثير.

توصيات البحث:

بعد هذه الرحلة الموفقة – إن شاء الله – مع أساليب علم المعاني في تفسير أبي السعود ، يمكن للباحث أن يقدم بعض التوصيات للباحثين في دروب العلوم اللغوية و الأدبية ، والمشتغلين بالإعجاز البيانيّ للقرآن العظيم ، عسى أن تكون لهم نبراسا وسراجا منيرا ، وهي :

أولا: سعيا نحو إنجاز بحوث علمية دقيقة متخصصة ، ونحن في عصر التخصصات الدقيقة ، يُوصَي باختيار عناوين فرعية لأساليب علم المعاني في تفسير أبي السعود، بالنظر إلى المادة العلمية الوفيرة في كلّ باب من أبواب علم المعاني، بما يسمح بالغوص في أعماقه وبالمقارنة الجادة بينه وبين غيره.

ثانيا: يُوصى الباحث بتخصيص المعاني المبتكرة ، والأسرار البلاغية البديعة التي تعود إلى اجتهادات ذاتية من لدن شيخ الإسلام أبي السعود بدراسات مستقلّة ، تتجلّي فيها مدي التّميّز والتّفرّد الذي يمتاز به ، وتكشف درجة الاجتهاد والاستقلاليّة التي أظهرها الشيخ في تناوله لمسائل علم المعانى وغيرها ، وفي التطبيقات البلاغية على النظم القرآني العظيم ، بما يسمح له – عن جدارة –بتبوّء المكانة المرموقة التي يستحقّها ، على خارطة الدراسات البيانيّة حول القرآن الكريم.

ثالثا: تُوفِّر هذه الدراسات التطبيقية مَعينا عذبا من الأمثلة والشواهد البلاغية المشروحة ، المقرونة بالتحليل والتعليل في مسائل البلاغة ، يمكن أن تكون منهلا للدرس البلاغيّ التعليميّ ، الذي لا يزال يعتمد على الشاهد اليتيم والمثال المفرد ، الذي ينقله اللاحق عن السابق، ممّا لا يشفي غليل الدارسين المبتدئين ، ولا يشفع لهم في القدرة على تطبيق القواعد على شواهد وأمثلة مشابهة ، الأمر الذي يصعّب من يسر علم البلاغة ،

ويجعل كثيرا من الدارسين ينفرون منه ، من أجل هذا ، أسمح لنفسي أن أُوصِى الدّارسين والمدرّسين بالرجوع إلى مثل هذه الدراسات البلاغية التطبيقية للتزوّد منها لتكثير الأمثلة والشواهد المشروحة للمتعلّمين والمبتدئين ، تربيةً لذوقهم اللغوىّ والبلاغيّ، وارتقاءً بمستوى الفائدة والمتعة الأدبية لديهم.

رابعا: يُوصِي الباحثُ بعدم التسليم بالمقولة السيّارة بأنّ اللّسان العربي والذوق الأدبي قد اعتراها الفساد والضعف في البيئات الإسلامية غير العربية ، وأن تتمّ مراجعةُ هذه المقولة على ضوء جلّة العلماء الأعلام والمجتهدين الأفذاذ في كافة فروع اللغة والأدب، الذين ظهروا في تلك البيئات المتّهمة، ليس فقط في عصور القوّة والازدهار، بل وحتى في عصور التّخلف والجمود، وفي مختلف العلوم والمعارف الإسلامية والعربيّة، ولنا في شيخ الإسلام أبي السعود خير دليل.

هذا، وصلى الله على سيدنا محمد في الأولين، وصلى الله على سيدنا محمد في الآخرين ، وصلى الله على سيدنا محمد في الملأ الأعلى إلى يوم الدين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمي

الفهارس

ثانيا : فهرس الأحاديث النبوية

م	نص الحديث	وجه الاستشهاد	الصفحة
1	من لم يشكر الناس لم يشكر الله	توجيه الشكر لكل من أسدى معروفا	ب
2	إذا مات ابن آدم انقطع عمله...	استمرار ثواب العلماء العاملين بعد موتهم	27
3	وأتيت جوامع الكلم، واختصر لي الكلام.	فقه السنة النبوية شرطه التفقه في اللغة.	49
4	اللهم اجعلنا حربا لأعدائك وسلما لأوليائك	الوصف بالمصدر مبالغة في المعنى	127
5	الحج عرفة	إفادة تعريف الطرفين معنى أصل الشيء وعماده.	356
6	اتق الله حيثما كنت...	شاهد على معنى المساواة بين اللفظ والمعنى.	398
7	لا ضرر ولا ضرار	شاهد على معنى إيجاز القصر	347

ثالثا: فهرس الأبيات الشعرية

م	البيت	وجه الاستشهاد	ص
1	نحن أناس قد غدا دأبنا حب علي بن أبي طالب	قول لأحد عناصر الشيعة	29
2	ما عيبكم هذا، ولكنه بغض الذي لُقّب بالصّادق	من ردّ أبي السعود عليه	29
3	أبعد سليمى مطلب وغرام ودون هواها لوعة وغرام	من شعر أبي السعود وأدبه	29
4	هذب النفس بالعلوم لترقي وترى الكل فهي للكل بيت	من شعر أبي السعود وأدبه	30
5	ألم تر أن الدهر يوم وليلة يكرّان من سبت إلى سبت	قاله أبو السعود قبيل موته	30
6	ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود	الإسناد المجازى، حيث أسند إبداء الأمور إلى زمانه وهي الأيام، لا إلى فاعله الحقيقي.	124
7	ملكنا فكان العفو منا سجية فلما ملكتم سال بالدم أبطح	الإسناد المجازى، حيث أسند سيلان الدم على مكانه وهو أبطح، لا إلى فاعله الحقيقي	125
8	يزيدك وجهه حسنا إذا ما زدته نظرا	الإسناد المجازى، حيث أسند زيادة الحسن إلى	126

		سببه وهو زيادة النظر، لا إلى فاعله الحقيقي.	
9	سيذكرني قومي إذا جدّ جدّهم وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر	الإسناد المجازى، حيث أسند الفعل إلى مصدره، لا إلى فاعله الحقيقي.	126
10	طحا بك قلب في الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب يكلفنى ليلي وقد شط وليها وعادت عواد بيننا وطروب	الالتفات من الخطاب إلى التكلم:(طحا بك–يكلفنى) مكان يكلفك.	189
11	ليس عار بأن يقال فقير إنما العار أن يقال بخيل	الدلالة على قصر إضافي قلب	348
12	لا والذي هو عالم أنّ النوى صبر، وأن أبا الحسين كريم	وجوب تحقق مناسبة جامعة تصحح العطف بين الجمل، ولا يكفي مجرد اتفاقها خبرا أو إنشاء.	390

رابعا : فهرس المصادر والمراجع.

- **القرآن العظيم**
- **كتب السنة الشريفة**
- أبو السعود ومنهجه في التفسير، بابكر بلولة محمد، رسالة ماجستير غير منشورة ، 1408هـ/ 1988م، كليّة أصول الدين ، جامعة أم درمان الإسلامية.
- الاتقان في علوم القرآن ، لجلال الدين السيوطي ، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم ،ط2، 1408 هـ 1988 المكتبة العصرية بيروت.
- إحياء النحو إبراهيم مصطفي ط2، 1992، دار الكتاب الإسلامي – القاهرة
- أدب الكاتب لابن قتيبة ، ت: محمد الدالي ، ط 2، 1405هـ 1985 مؤسسة الرسالة.
- ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان الأندلسي، ت: الدكتور/مصطفي أحمد النماس ط1، 1408 مطبعة المدني – القاهرة
- أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، د/ حسن طبل، ط 1 ، 1998، دار الفكر العربي، القاهرة .
- الأساليب الإنشائية في النحو العربي، عبد السلام محمد هارون، ط1421هـ/2001،مكتبة الخانجى، القاهرة

- أسلوب التوكيد اللغوي في منهج وصفي في التحليل اللغوي د/ خليل أحمد عمايرة.
- الأسلوب ، أحمد الشايب ، دار المعارف ط، 1993م،
- الأشباه والنظائر في النحو للإمام السيوطي ، ت: غازي مختار طليمان مطبوعات مجمع اللغة العربية – دمشق (دون تاريخ) .
- الأصول د/ تمام حسان ط1، 1401 هـ 1981 دار الثقافة – الدار البيضاء.
- الأصول في النحو لابن السراج ، ت:عبد الحسين الفتلي ط 3، 1408هـ 1998 مؤسسة الرسالة .
- الإطناب أنواعه وقيمته البلاغية، د/ محمود القطان، ط 1، 1986، دار التراث ، المدينة المنورة.
- الإعجاز البياني للقرآن، عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، ط 3، 1404 هـ ،1984، دار المعارف
- الأعلام ، لخير الدين الزركلي، ط3، (بيانات ناقصة).
- الانصاف في مسائل الخلاف ،للشيخ كمال الدين أبي البركات الأنباري ، دار الباز للنشر والتوزيع – مكة المكرمة.

- أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام ناصر الدين أبي الخير البيضاوي ط 2، 1388هـ 1968 مطبعة الحلبي مصر.
- الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني ، شرح وتعليق د/ محمد عبد المنعم خفاجي . مكتبة الكليات الأزهرية
- التحرير والتنوير، الشيخ/ الطاهر بن عاشور ، ط1983، الدار التونسية للنشر
- البحث البلاغي عند العرب د/ شفيع السيد 1408هـ 1987 دار الفكر العربي
- البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ، ت: عدل أحمد عبد الموجود وغيره، ط 1، 1413هـ 1993، دار الكتب العلمية –بيروت
- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكانى، دار المعرفة ، بيروت
- البرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشي ت: محمد أبو الفضل إبراهيم ط 3، 1980 دار الفكر .
- البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن الكريم لكمال الدين الزملكاني ت: د/ خديجة الحديثي ط1، 1974 ، مطبعة العاني – بغداد.

- البرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشي ت: محمد أبو الفضل إبراهيم ط 3، 1980 دار الفكر.

- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، عبد المتعال الصعيدى، متكبة الآداب للنشر، القاهرة .
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي ، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم ط3، المكتبة العصرية – بيروت
- البلاغة تطور وتاريخ ، د/ شوقي ضيف ،ط7 ، دار المعارف القاهرة
- البلاغة فنونها وأفنانها، د/ فضل حسن عباس، ط2، 1999، الدار الأردنية.
- البلاغة في تفسير أبي السعود، الشحات محمد عبد الرحمن، رسالة دكتوراه غير منشورة، 1984، كليّة اللغة العربية بالقاهرة، جامعة الأزهر.
- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، د.محمد أبو موسى 1408هـ مكتبة وهبة.
- البلاغة والأسلوبية،د.محمد عبد المطلب، ط1، 1994،مكتبة لبنان، بيروت،
- بيان إعجاز القرآن، لأبي سليمان الخطابي، مطبوعة ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن.
- التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني ، د.عبد الفتاح لاشين ط1980 دار المريخ . الرياض
- التفسير والمفسرون، محمد بن حسين الذهبي، دار المختار، ط4، القاهرة
- التصوير الفني في القرآن الكريم ، سيد قطب، دار الشروق

- تراجم الأعيان من أبناء الزمان، محمد الحسن البورينى، ط : 1959، دمشق.
- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للخطابي، والرماني ، وعبد القاهر الجرجاني، ت:محمد خلف الله دار المعارف بمصر (دون تاريخ)
- الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني،ت: محمد علي النجار ط 2،(دون تاريخ).
- خصائص التراكيب، / محمد محمد أبو موسي، ط 8، 1420 هـ ، مكتبة وهبة، القاهرة .
- دراسات في فقه اللغة، د.صبحي الصالح ط9، 1989، دار العلم للملايين .
- دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني ت: محمود محمد شاكر ،مطبعة الخانجي . القاهرة .
- دلالة الألفاظ د/ إبراهيم أنيس ط1980 الإنجلو المصرية
- دلالات التراكيب د/ محمد محمد أبو موسي ط1، 1399هـ 1979.
- رصف المباني في شرح حروف المعاني ، أحمد بن عبد النور المالقي ،ت: د/ أحمد محمد الخراط ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق(دون تاريخ)
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، ت: مصطفي عبد القار عطا، ط1، 1419هـ/1998، دار الكتب العلمية،بيروت.

- شرح التلخيص للشيخ /أكمل الدين محمد بن محمد البابرتي، ت : محمد مصطفي صوفية ،ط 1 ، 1392 . 1983 المنشأة العامة للنشر والتوزيع ، طرابلس ليبيا .
- عروس الأفراح لبهاء الدين السبكي ، مطبوع ضمن شروح التلخيص . دار السرور . بيروت .
- علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، د/ صلاح فضل، ط 1،1419هـ / 1998، دار الشروق، القاهرة.
- علم الدلالة ، د/ أحمد مختار عمر ،ط2، 1988 عالم الكتب، القاهرة
- علم المعانى، د/ بسيونى عبد الفتاح، ط 2، 1425هـ/ 2004، المختار للنشر والتوزيع، القاهرة.
- علم المعاني، د/ عبد العزيز عتيق ط 5 ، 1405هـ 1985 دار النهضة العربية بيروت.
- العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم، علي بن لالي بالي، الميمينية 1310هـ
- الفروق الاستعمالية والدلالية بين طرق القصر الاصطلاحية، نور الدين محمد باشا ، رسالة ماجستير 1997 الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد.

- كتاب التبيين في علم المعاني والبديع والبيان ، شرف الدين الطيبي ، ت: تحقيق:هادي عطية الهلالي، ط1، 1407 هـ 1977، عالم الكتب بيروت
- الكتاب لسيبويه ت: محمد عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجى القاهرة
- كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكرى، دار الكتب العلمية، بيروت.
- كتاب الطراز في علوم البلاغة للإمام يحي بن حمزة العلوي ، ضبطه ودققه محمد عبد السلام شاهين ط1، 1415هـ 1995، دار الكتب العلمية بيروت
- كتاب السبعة في القراءات، لابن مجاهد، ت: شوقي ضيف،ط 3، 1400هـ 1980، دار المعارف – مصر
- كتاب معاني الحروف لأبي الحسن الرماني النحوي ، ت: د/ عبد الفتاح شلبي، ط2، 1407هـ 1986 مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة.
- كتاب المطول لسعد الدين التفتازاني ، منشورات مكتبة الراوي ، قم . إيران.
- كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون، حاجي خليفة، ط : 1421هـ/ 1982.
- الكشاف لجار الله محمود بن عمر الزمخشري، منشورات البلاغة، قم–إيران
- الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، نجم الدين الغزى، ت: د/ جبرائيل سليمان جبور، ط2، 1979، دار الآفاق الجديدة، بيروت .

- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، ت د. أحمد الحوفي وبدوي طبانة، مطبعة نهضة مصر.
- المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز لابن عطية الأندلسي ، ت: عبد الله ابن إبراهيم الأنصاري وغيره ، ط1، 1407 الدوحة – قطر
- المحتسب في تبيين وجوه القراءات لأبي الفتح عثمان بن جني ،ت:علي النجدي ناصف ، ود/ عبد الفتاح شلبي ، ط 1 ، 1386هـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها للإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطي , شرح وتعليق محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرين ط3 ،دار التراث – القاهرة
- المفسرون بين الإثبات والتأويل، محمد عبد الرحمن المغراوي،ط1، دارطيبة
- المقتضب للمبرد ، ت : محمد عبد الخالق عضيمة، ط المجلس الأعلي الإسلامية، 1399 القاهرة للشئون .
- مفتاح العلوم لأبي يعقوب السكاكي ، ضبطه وشرحه الأستاذ زرزور 1403. 1983 دار الكتب العلمية . بيروت
- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت (بيانات ناقصة)

مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لجمال الدين ابن هشام الأنصاري

وآخرين، ط5، 1979، دار الفكر – بيروت مازن المبارك

- مناهج المفسرين، د/ أحمد بن محمد الشرقاوى، ط: 1425هـ/2004، مكتبة الرشد، الرياض.
- مواهب الفتاح لأبي يعقوب المغربي ، مطبوع ضمن شروح التلخيص دار السرور، بيروت
- مواقف نحوية مضطربة في كتاب البحر المحيط لأبي حيان، د/عبد الفتاح بحيري إبراهيم ،ط1 ، 1399هـ 1979، دار الطباعة المحمدية القاهرة
- مواقف النحاة من القرءات القرآنية حتي نهاية القرن الرابع، شعبان صلاح، دار غريب، ط 2005
- النشر في القراءات العشر، أبو الخير محمد بن محد ابن الجزري، المكتبة التجارية الكبري، القاهرة
- النكت في إعجاز القرآن، للرمانى، مطبوعة ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن.
- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز للإمام فخر الدين الرازي ت: د/ أحمد حجازي السقا، ط1، 1989 ، المكتب الثقافي للنشر والتوزيع ، القاهرة .

- في إعجاز القرآن : دراسة تحليلية لسورة الأنفال ، د / أحمد مختار البزرة، ط 1 1408هـ 1988 دار المأمون للتراث – دمشق .
- فصول في فقه اللغة، د/ رمضان عبد التواب ط3، 1408هـ مكتبة الخانجي
- في ظلال القرآن لسيد قطب ط12، دار الشروق 1989.
- فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، د/ رجاء عيد، ط 2، مكتبة المعارف ، الإسكندرية .
- طبقات المفسرين ، أحمد بن محمد الأدنه وي، ت: سليمان بن صالح الخزي، ط1 ، 1417هـ 1998، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة
- وفياة الأعيان وأنباء الزمان، لأبي العباس ابن خلكان، دار المعرفة، بيروت.
- الوقف في القراءات القرآنية وأثره على في الإعراب والمعنى، مجدى محمد حسين دار ابن خلدون– الإسكندرية (دون تاريخ)

خامسا: فهرس الموضوعات

الفصل الأول: أساليب المعاني والإعجاز القرآنيّ:

الفصل الثانى : قضايا الخبر في تفسير أبي السعود:

الفصل الثالث : الإنشاء وأساليبه في تفسير أبي السعود

الفصل السابع: الإيجاز والإطناب في تفسير أبي السعود

المبحث الثالث: